





OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No.

٨٩٢ ٥٥

Accession No.

A 143

Author

نح

پروفیسر کی صفوت

Title

جمہوریت العرب جز الثانی

This book should be returned on or before the date last marked below





# جوهر خط العرب

في عصور العرب في الزاهرة

الجزء الثالث

العصر العباسي الأول

ويليه ذيل الجمهرة

تأليف

أحمد زكي صفوت

أستاذ اللغة العربية بدار العلوم

الطبعة الأولى

حقوق الطبع والنقل محفوظة

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م / رقم ٤٦٤

# تقدير

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم وقتتي إلى إتمام ما بدأت ، فلك الشكر والمنة في البدء والنهاية ، وأصلى وأسلم على خاتم رسلك ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .  
وبعد : فهذا ثالث الأجزاء من « جمهرة خطب العرب » في خطب العصر المباسي الأول ، وهو على نسق سابقه ضبطا وتحريرا ، وشرحا وتعليقا ،  
ويليه ذيل الجمهرة ، في خمسة أبواب من الخطب :

الباب الأول : في خطب الأندلسيين والمغاربة .

» الثاني : في خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها .

» الثالث : في ثرا الأعراب .

» الرابع : في خطب النكاح .

» الخامس : في خطب من أرتج عليهم ، ونوادير طريفة لبعض الخطباء .

وبذا تم ما قصدت إلى جمعه في هذا المؤلف ، وإني أبتهل إلى المولى القدير أن يحقق ما رجوته من استفادة قارئيه به ، وأن يسدد خطانا جميعا إلى سبيل الرشاد ، إنه الكبير المتعال .  
أحمد زكي صفوت

## فهرس

### مأخذ الخطب في هذا الجزء

الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى

الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى : » التاسع

صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : » الأول - التاسع

نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : » السادس

عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى

الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول

العقد الفريد : لابن عبد ربه : » الأول - الثانى - الثالث

زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : » الأول - الثانى - الثالث

البيان والتبيين : للجاحظ : » الأول - الثانى - الثالث

شرح نهج البلاغة : لابن أبى الحديد : المجلد الأول - الثانى

أمالى السيد المرتضى : » الأول - الرابع

مجمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : » الأول

تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبرى : » التاسع - العاشر

تاريخ الكامل : لابن الأثير : » السادس

مروج الذهب : للمسعودى : » الثانى

وفيات الأعيان : لابن خلكان : » الأول - الثانى

مواسم الأدب: للسيد جعفر البيتتي العلوي : الجزء الثاني

الصناعتين : لأبي هلال العسكري

مقدمة ابن خلدون

المنية والأمل : لأحمد بن يحيى المرتضى



## الباب الرابع

# الخطبة الوصائية

في

## العصر العباسي الأول

١ - خطبة أبي العباس السفاح وقد بويع بالخلافة

( توفي سنة ١٣٦ هـ )

صعد أبو العباس<sup>(١)</sup> السفاح المنبر حين بويع له بالخلافة ، فقام في أعلاه ، وصعد عمه داود بن علي فقام دونه ، وتكلم أبو العباس ، فقال :

« الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكملة ، وشرفه وعظمه ، واختاره لنا وأيده بنا ، وجعلنا أهله وكهفه<sup>(٢)</sup> وحصنه ، والقوام به ، والذابين عنه ، والناصرين له ، وألزمنا كلمة التقوى ، وجعلنا أحق بها وأهلها ، وخصنا

---

[١] هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أول الخلفاء العباسيين ، بويع بالخلافة سنة ١٣٢ هـ . [٢] الكهف : الوزر والملأ .

بِرَحِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَرَابَتِهِ ، وَأَنْشَأْنَا مِنْ آبَائِهِ ، وَأَنْبَتْنَا مِنْ شَجَرَتِهِ ، وَاشْتَقْنَا مِنْ نَبْعَتِهِ <sup>(١)</sup> ، جَمَلُهُ مِنْ أَنْفُسِنَا عَزِيزًا عَلَيْهِ مَا عَنِتُّنَا <sup>(٢)</sup> ، حَرِيصًا عَلَيْنَا ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفًا رَحِيمًا ، وَوَضَعْنَا مِنَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ بِالْمَوْضِعِ الرَّفِيعِ ، وَأَنْزَلَ بِذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ كِتَابًا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ <sup>(٣)</sup> أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » ، وَقَالَ : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » ، وَقَالَ : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » ، وَقَالَ : « مَا أَفَاءَ <sup>(٤)</sup> اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَفِيهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى » ، وَقَالَ : « وَأَعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى » فَأَعْلَمَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فَضْلَنَا ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ حَقَّنَا وَمَوَدَّتَنَا ، وَأَجْزَلَ مِنَ الْفِي <sup>(٥)</sup> وَالْغَنِيمَةِ نَصِيبَنَا ، تَكْرِمَةً لَنَا ، وَفَضْلًا عَلَيْنَا ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

وَزَعَمَتِ السَّبِيَّةُ الضَّلَالُ أَنْ غَيْرَنَا <sup>(٦)</sup> أَحَقُّ بِالرِّيَاسَةِ وَالْخِلَافَةِ مِنَّا ، فَشَاهَت <sup>(٧)</sup> وَجُوهَهُمْ اِجِمَ وَلَمْ أَهْيَا النَّاسَ ؟ وَبَنَاهُدَى اللَّهُ النَّاسَ بَعْدَ صَلَاتِهِمْ ، وَبَصَّرَمَ بَعْدَ جَهَاتِهِمْ ، وَأَتَقَدَّمَ بَعْدَ هَلَكَتِهِمْ ، وَأَظْهَرَ بَنَاهُ الْحَقِّ ، وَأَذْخَصَ بَنَاهُ الْبَاطِلِ ، وَأَصْلَحَ بَنَاهُ مِنْهُمْ مَا كَانَ فَاسِدًا ، وَرَفَعَ بَنَاهُ الْخَسِيسَةِ ، وَأَتَمَّ بَنَاهُ التَّقِيصَةِ ، وَجَمَعَ الْفُرْقَةَ ، حَتَّى عَادَ النَّاسُ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ أَهْلَ تَعَاظُفٍ وَبِرٍّ ، وَمَوَاسَاةٍ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ، وَإِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ فِي آخِرَتِهِمْ ، فَتَحَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنَّةً وَمِنْحَةً لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ قَامَ بِذَلِكَ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ أَصْحَابُهُ ، وَأَتْرَمُ شُورَى

[١] التبع في الأصل : شجر لقبي والسهام . [٢] المست بالتحريك : دخول المشقة على الإنسان .

[٣] القدر ، وكل ما استغفر من العمل . [٤] ما أعاده عليه أي صيره له .

[٥] النية . [٦] يريد العلويين . [٧] شاه وجهه شوها بالفتح : قبح .

يَتَنَبَّهُمْ ، خَوَرُوا مَوَارِيثَ الْأُمَمِ ، فَعَدَلُوا فِيهَا ، وَوَضَعُوا مَوَاضِعَهَا ، وَأَعْطَوْهَا أَهْلَهَا ،  
وَخَرَجُوا خِطَاصًا <sup>(١)</sup> مِنْهَا ، ثُمَّ وَثَبَ بَنُو حَرْبٍ وَمَرَّوَانُ فَابْتَزُّوْهَا وَتَدَاوَلَوْهَا بَيْنَهُمْ ،  
فَجَارَوْا فِيهَا ، وَاسْتَأْثَرُوا بِهَا ، وَظَلَمُوا أَهْلَهَا ، فَأَمَلِي <sup>(٢)</sup> اللَّهُ لَهُمْ حِينًا حَتَّى آسَفُوهُ <sup>(٣)</sup> ،  
فَلَمَّا آسَفُوهُ انْتَقَمَ مِنْهُمْ بِأَيْدِينَا ، وَرَدَّ عَلَيْنَا حَقَّنَا ، وَتَدَارَكَ بَنَا أَمْتَنَا ، وَوَلَّى نَصْرَنَا  
وَالْقِيَامَ بِأَمْرِنَا ، لِيَمُنَّ بَنَا عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ ، وَخَتَمَ بَنَا كَمَا افْتَتَحَ بَنَا ،  
وَإِنِّي لِأَرْجُو أَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْجَوْرُ مِنْ حَيْثُ أَنَا كَمُ الْحَيْرِ ، وَلَا الْفَسَادُ مِنْ حَيْثُ جَاءَكُمْ  
الصَّلَاحُ ، وَمَا تَوْفِيقُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِلَّا بِاللَّهِ .

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، أَنْتُمْ مَحَلُّ مَحَبَّتِنَا ، وَمَنْزِلُ مَوَدَّتِنَا ، أَنْتُمْ الَّذِينَ لَمْ تَنْتَبِهُوا عَنْ  
ذَلِكَ ، وَلَمْ يَنْتَبِهُكُمْ عَنْ ذَلِكَ تَحَامُلُ أَهْلِ الْجَوْرِ عَلَيْكُمْ . حَتَّى أَدْرَكْتُمْ زَمَانَنَا ، وَأَنَا كَمُ  
اللَّهِ بَدَوْلَتُنَا ، فَأَنْتُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بَنَا ، وَأَكْرَهُهُمْ عَلَيْنَا ، وَفَدَّ زِدْتَكُمْ فِي أَعْطَايَاكُمْ  
مِائَةَ دَرْهَمٍ ، فَاسْتَعْدُوا ، فَإِنَّا السَّقَّاحُ الْمُبِيعُ ، وَالنَّائِرُ الْمُبِيرُ <sup>(٤)</sup> ،

وَكَانَ مَوْعُوكَا فَاشْتَدَّ بِهِ الْوَعَكُ <sup>(٥)</sup> ، فَجَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ . وَصَعِدَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ ،  
فَقَامَ دُونَهُ عَلَى مَرَاقِي <sup>(٦)</sup> الْمَنْبَرِ ، فَقَالَ :

( تَارِيخُ الطُّرُقِ ٩ : ١٢٥ . وَشَرْحُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٢ : ص ٢١٣ )

## ٢ — خُطْبَةُ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ

« الْحَمْدُ لِلَّهِ ، شُكْرًا شُكْرًا شُكْرًا ، الَّذِي أَهْلَكَ عَدُوَّنَا ، وَأَصَارَ إِلَيْنَا مِرَاثَنَا  
مِنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَيُّهَا النَّاسُ : الْآنَ أَقْشَعَتْ <sup>(٧)</sup> حَنَادِسُ الدُّنْيَا ،

[١] حِيَاةُ جَمْعٍ حَيٍّ مِنْ جَمْعِ الطَّنِّ مِثْلَةُ اللَّحْمِ أَوْ خَلَا ، وَاحْتِمَاةٌ : الْخُفَاةُ ، وَهُوَ حَمْدَانُ بِالْمِمْ ،  
وَجَمْعُ الْمَشَا ضَامِرُ الْبَطْلِ . [٢] أَمَلَهُمْ . [٣] أَعْسَوْهُ . [٤] أَنَارَهُ : أَهْلَكَ .

[٥] الْوَعَكُ : أَدَّى الْجَمَى وَوَجَعَهَا ، وَالْمِنْ مِنْ شِدَّةِ الْعَبْ . [٦] جَمْعُ مِرْقَافَةٍ فَتَحَّ لِلْمِمْ وَكُفَرَهَا .  
[٧] قَشَعَتْ الرِّيحُ السَّحَابَ : كَشَفَتْهُ كَأَنَّهُ مَشَعَتْ فَأَشْعَتْ وَاقْشَعَتْ وَاقْشَعَتْ ، وَالْحَنَادِسُ جَمْعُ حَنْدَسٍ يَكْسِرُ الْمَاءَ ،  
وَالدَّالُ ، وَهُوَ الطَّلْمَةُ .

وانكشف غطاؤها ، وأشرقت أرضها ومماؤها ، وطلعت الشمس من مطلعها ،  
وَبَزَغَ القمر من مَبْزَغِهِ ، وأخذ القوسَ بآرِيسِهَا ، وصاد السهم إلى النَّزْعَةِ <sup>(١)</sup> . ورجع  
الحق إلى نِصَابِهِ <sup>(٢)</sup> ، في أهل بيت نبيكم ، أهلِ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ بكم والمطف عليكم .  
أيها الناس : إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لِنُكْثِرَ لُجَيْنَنَا ، ولا  
عَقِيَانَا <sup>(٣)</sup> ، ولا نَحْفِرَ نَهْرًا ، ولا بَنِي قَصْرًا ، وإنما أَخْرَجْنَا الْأَنْفَةَ من ابتزازهم  
حَقْنًا ، وَالْفَضْبُ لبني عَمْنَا ، وما كَرِهْنَا <sup>(٤)</sup> من أموركم ، وَهَظَّنَا من شئونكم ،  
ولقد كَانَتْ أُمُورُكُمْ تُرْمِضُنَا <sup>(٥)</sup> ونحن على قُرُشْنَا ، وَيَشْتَدُّ عَلَيْنَا سُوْدُ سِيَرَةِ بَنِي أُمِيَّةٍ  
فِيكُمْ ، وَخُرْقُهُمْ بكم ، واستذلالُهم لكم ، واستئثارُهم بغيركم وصدقاتكم وَمَنَاعَتُكُمْ  
عليكم ، لكم ذِمَّةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَذِمَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذِمَّةُ الْعَبَّاسِ  
رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ نَحْكُمَ فِيكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَنَعْمَلُ فِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَنَسِيرَ فِي الْعَامَّةِ مِنْكُمْ  
وَالْخَاصَّةِ بِسِيَرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَبًّا تَبًّا لبني حرب بن أُمِيَّةٍ وَبني  
مُرَوَّانٍ ، آثَرُوا في مدتهم وَعَصَرَمَ الْمَاجِلَةَ عَلَى الْآجِلَةِ ، وَالْدارَ الْغَافِيَةَ عَلَى الدَّارِ  
الْبَاقِيَةِ ، فَرَكِبُوا الْآثَامَ ، وَظَلَمُوا الْآثَامَ ، وَاتَّهَكُوا الْمَحَارِمَ ، وَغَشَوْا الْجَرَائِمَ ،  
وَجَارُوا في سِيرَتِهِمْ في العباد ، وَسُتَّتْهُمْ في البلاد ، التي بها اسْتَلْدُوا تَسْرِيْلَ الْأَوْزَارِ ،  
وَتَجَلَّبَّبَ الْآصَارِ <sup>(٦)</sup> ، وَمَرَّحُوا في أَعْيَةِ الْمَعَاصِي ، وَرَكَضُوا في مِيَادِينِ النَّفَى ،  
جهلاً باستدراجِ اللَّهِ ، وَأَمَنَّا لِمَكْرِ اللَّهِ ، فَأَتَيْنَا بِأَسْأَلِ اللَّهِ يَبْكَاتَا وَمِ نَأْمُونُ ، فَأَصْبَحُوا  
أَحَادِيثَ ، وَمَزَقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ ، فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَأَدَانَا <sup>(٧)</sup> اللَّهُ مِنْ مَرْوَانَ ،

[١] جمع نازع وهو الرامي شدت الوتر إليه ليضع فيه السهم ، وصاد الأمر إلى النزعة أي قام بإصلاحه  
أهل الأئمة ، وصاد السهم إلى النزعة : رجع الحق إلى أصله . [٢] أصله . [٣] ذنباً .  
[٤] كرهه الله كرهه وصر : اشتد عليه كذا كرهه . [٥] أرمعه : أوجهه وأخرجه ،  
لرومض الحر القوم : اشتد عليهم فأقام . [٦] جمع إسركم وهو القنب . [٧] نصرنا عليه .



وقد غرّه بالله الغرور ، أرسل لعدو الله في عِنايه ، حتى عثرَ في فضل خطامه ،  
 فظن عدو الله أن لن تقدّر عليه ، فنادى حزبه ، وجمع مكايده ، ورمى بكتائبه ،  
 فوجد أمامه ووراءه ، وعن يمينه وشماله ، من مكر الله وبأسه ونِقْمته ، ما أمات  
 باطله ، ومحقّ ضلاله ، وجعل دائرة السوء به ، وأحيا شرفنا وغزنا ، وردّ إلينا  
 حقنا وإرثنا .

أيها الناس ، إن أمير المؤمنين - نصره الله نصراً عزيزاً - إنما عاد إلى المنبر  
 بعد الصلاة ، أنه كره<sup>(١)</sup> أن يخلط بكلام الجمعة غيره ، وإنما قطعه عن استتمام  
 الكلام ، بعد أن استخفّر<sup>(٢)</sup> فيه شدة الومعك ، وادعوا الله لأمر المؤمنين بالمعافيه ،  
 فقد أبدلكم الله بمرؤس عدو الرحمن ، وخليفة الشيطان . المنع للسفلة الذين  
 أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ، بإبدال الدين ، وانتهاك حريم المسلمين ،  
 الشاب<sup>(٣)</sup> المتكهل المتهمل ، المقتدى بسلفه الأبرار الأخيار ، الذين أصلحوا  
 الأرض بعد فسادها بمعلم الهدى ، وناهج التقوى « - فمع الناس له بالدعاء -  
 ثم قال :

« يا أهل الكوفة : إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا ، حتى أتاه  
 الله لنا شيعتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حقنا ، وأفلج<sup>(٤)</sup> بهم حجبتنا ، وأظهر  
 بهم دولتنا ، وأراكم الله ما كنتم به تنتظرون ، وإليه تنشوفون ، فأظهر فيكم  
 الخليفة من هاشم ويضّ به وجوهكم ، وأدالكم على أهل الشام ، ونقل إليكم  
 السلطان وعز الإسلام ، ومنّ عليكم بإمام منحة العدالة ، وأعطاه حسن الإيالة<sup>(٥)</sup> ،

[١] أي لأنه كره . [٢] استخبر الحبيب : اتسع في كلامه . [٣] كاتب اسمه حين ولي  
 الخلافة ٢٨ سنة إذ ولد سنة ١٠٤ هـ . [٤] نصر . [٥] آل الملك رعيته إيالا : ساسهم ،  
 وآل على القوم إيالا وإيالة : ولي .

غذوا ما آتاكم الله بشكر، والزموا طاعتنا، ولا تتخذوا عن أنفسكم، فإن الأمر أمركم، فإن لكل أهل بيت مصراً، وإنكم مصرنا، ألا وإنه ماصد نبيركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد - وأشار يده إلى أبي العباس - فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا، حتى نسلعه إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا .

( تاريخ الطبري ٩ : ١٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٣ )

### ٣ - خطبة داود بن علي وقد ارتج على السفاح

وروى أنه لما قام أبو العباس في أول خلافته على المنبر، قام بوجه كورقة المصحف . فاستحيا فلم يكلم ، فنهض داود بن علي حتى صعد المنبر، فقال المنصور: فقلت في نفسي : شيخنا وكبيرنا ويدعو إلى نفسه ، فلا يختلف عليه اثنان ، فاتصفت سيفي . وغطيته بنوبي<sup>(١)</sup> ، وقلت : إن فعل ناجزته ، فلما رقي عتبا استقبل الناس بوجهه دون أبي العباس ، ثم قال : « أيها الناس ، إن أمير المؤمنين يكره أن ينفذ ماله فعله ، ولا تثر الفِعال أجدي عليكم من تشقيق<sup>(٢)</sup> المقال ، وحسبكم بكتاب الله ممتثلاً<sup>(٣)</sup> فيكم ، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة عليكم ، والله - قسماً برّاً لا أريد به إلا الله - ما قام هذا المقام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق به من علي بن أبي طالب ، وأمير المؤمنين هذا ، فليظن ظانكم ، وليهمس هامسكم » قال أبو جعفر : ثم نزل ، ورثمت<sup>(٤)</sup> سيفي .

(عيون الأخبار ٢ : ص ٢٥٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٣ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤)

[١] في عيون الأخبار : « وغطيت نوبي » وهو تحريف . [٢] شق الكلام : أخرجه أحسن محرر .  
[٣] امثال طريقته : تبعها ولم يدها . [٤] شام سيقه يشيه : محمده ( واستله أيضاً : ضد ) .

## ٤ - خطبة أخرى له

وروى السيد المرتضى في أماليه قال :

أراد أبو العباس السفاح يوماً أن يتكلم بأمر من الأمور بعد ما أفضت الخلافة إليه - وكان فيه حياة مُفْرِط - فأُزِجَ عليه ، فقال داود بن عليّ بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيها الناس ، إن أمير المؤمنين الذي قلّده الله سياسة رعيته ، عُقِلَ من لسانه ، عند ما يُهد من يّانه ، ولكل مرتقٍ بُهْرٌ <sup>(١)</sup> ، حتى تنفّسه العادات ، فأبشروا بنعمة الله في صلاح دينكم ، ورعد عيُنكم » . ( أمالي "السيد المرتضى" : ١٠ )

## ٥ - خطبة أخرى للسفاح بالكوفة

وخطب السفاح في الجمعة الثانية بالكوفة ، فقال :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » والله لا أعِدكم شيئاً إلا وفيت بالوعد والوعد ، ولأَعْمَلِنَ اللين حتى لا تنفع إلا الشدة ، ولأَعْمِدَنَّ السيف إلا في إقامة حد ، أو بلوغ حق ، ولأَعْطِيَنَّكم حتى أرى العطية ضياعاً ، إن أهل بيت اللعنة والشجرة <sup>(٢)</sup> الملعونة في القرآن ، كانوا أكم أعداء ، لا يرجعون معكم من حالة إلا إلى ما هو أشد منها ، ولا يَلِي عليكم منهم والٍ إلا تَمْتَنُّم من كان قبله ، وإن كان لا خير في جميعهم ، منعوك الصلاة في أوقاتها ، وطالبوك بأدائها في غير وقتها ، وأخذوا المُقْبِلَ بالمُدْبِر <sup>(٣)</sup> ، والجار بالجار ، وسلطوا شراركم على خياركم ، فقد محق الله جورهم ، وأزهق باطلهم ، بأهل بيت نبئكم ، فما تؤخّر لكم عطاء ، ولا

[١] البهر : انقطاع النفس من الإعياء . [٢] هي شجرة الرقوم التي تيب في أصله الحميم ، جعلها الله فنة للمشركين إذ قالوا : إن النار تحرق الشجر فكيف تنفثه .  
[٣] اظر قول زياد بن أبيه في خطبة البقاء الجزء الثاني ص ٢٠٧ .

نضيق لأحد منكم حقاً ، ولا نُجبركم في بَعث ، ولا نَخاطر بكم في قتال ، ولا نَبذلكم دون أنفسنا ، وألَّهُ عَلَى مَا تَقُولُ وَكِيلٌ بالوفاء ، والاجتهاد ، وعليكم بالسمع والطاعة»  
ثم نزل . ( شرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٢ )

## ٦ - خطبة السفاح بالشام حين قتل مروان

ولما قُتل مروان بن محمد - آخر خلفاء بني أمية - خطب السفاح ، فقال :  
« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ،  
جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنسَوْنَ الْفَرَارُ » نكصَ بكم يَهل الشام آلَ حرب وآل مروان ،  
يَتَسَكَّمُونَ<sup>(١)</sup> بكم الظلم ، ويتهوِّرون بكم مَدَاحِصَ<sup>(٢)</sup> الزَّلَقِ ، يَطَّوْنُ بكم حَرَمَ  
الله<sup>(٣)</sup> وَحَرَمَ رسوله<sup>(٤)</sup> ، ماذا يقول زعماءكم غداً ؟ يقولون : « رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا  
فَأَنهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ » إذن يقول الله عز وجل : « لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ  
لَا تَعْلَمُونَ » أما أمير المؤمنين فقد اثنتف<sup>(٥)</sup> بكم التوبة ، واغتفر لكم الزلة ،  
وبسط لكم الإقالة<sup>(٦)</sup> ، وعاد بفضله على تقصمكم ، وبجله على جهلكم ، فليفرخ  
رؤسكم<sup>(٧)</sup> ، ولتطمئن به داركم ، وليقطع مصارعُ أوائلكم ، « قَتَلَتْ يَوْمَهُمْ  
خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا » ( العهد الجديد ٢ : ١٤٠ )

## ٧ - خطبة عيسى بن علي حين قتل مروان

وخطب عيسى بن علي - عم السفاح - لما قتل مروان ، فقال :

[١] تكع : متى مشيا متصفا . [٢] جمع مدحضة : وهي اللرة . [٣] يشير إلى ما كان من  
مقالة الحجاج عبد الله بن الزبير بمكة ، ورميه الكمة بالتحقيق في عهد عبد الملك بن مروان .  
[٤] يشير إلى وفاة الحرة وما أحدثه جيش مسلم بن قتيبة للرى بالدين على عهد يزيد بن معاوية .  
[٥] استأنه واجداً . [٦] أهل عثرته : رصه من سقوطه . [٧] الروع بالصم القلب ، أو  
موضع الفزع منه ، والروع بالفتح : الفزع ، وأفرخت البيضة : خرج الفرج منها ، أى ليخرج الروع  
عن رؤسكم ولتهدوا وتطمئنا .

« الحمد لله الذي لا يفوته من طلب ، ولا يُعجزه من هرب ، خَدَعَتْ وَاللَّهِ  
الْأَشْقَرُ نَفْسُهُ ، إِذْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ مُنْهَلُهُ ، وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُنِيمَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ  
الْكَافِرُونَ ، فحتى متى ، وإلى متى ؟ أما والله لقد كَرِهَتْهُمْ الْعِيدَانِ <sup>(١)</sup> التي  
اقترعوها ، وأمسكت السماء دَرَّهَا <sup>(٢)</sup> ، وَالْأَرْضُ رَيْنَهَا <sup>(٣)</sup> ، وَقَحَلَ الضَّرْعُ <sup>(٤)</sup> ،  
وجفز الفَيْقُ <sup>(٥)</sup> ، وَأَسْمَلُ <sup>(٦)</sup> جلبابُ الدين ، وأبطلت الحدود ، وأهدرت الدماء ،  
وكان ربك بالمرصاد ، قَدَمَدَمَ <sup>(٧)</sup> عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ، وَلَا يَخَافُ  
عُقْبَاهَا ، وَمَلَكْنَا اللَّهَ أَمْرَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ ، لينظر كيف تعملون ، فالشكر الشكر ،  
فإنه من دواعي المزيّد ، أعاذنا الله وإياكم من مُضِلَّاتِ الْأَهْوَاءِ ، وَبَقَاتِ الْفِتَنِ ،  
فإنما نحن به وله » . (شرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٣ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٥)

## ٨ خطبة داود بن علي بمكة <sup>(٨)</sup>

وخطب داود بن عليّ الناس بمكة في أول موسم ملكه بنو العباس ، فقال :  
« شُكْرًا شُكْرًا ، إنا والله ما خرجنا لنُخَفِّرَ فَيْكُم نَهْرًا ، وَلَا لِنَبْنِي فَيْكُم قَصْرًا ،  
أَظُنُّ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ ، أَنْ رُوخِي <sup>(٩)</sup> له من خطامه ، حتى عثري  
فضل زمامه ؟ فَالآنَ حَيْثُ أَخَذَ الْقَوْسَ بَارِيهَا ، وَعَادَتْ التُّبُلُ إِلَى التَّرْزَعِ ، وَرَجَعَ  
الْمَلِكُ فِي نِصَابِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَالرَّحْمَةِ - وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا تَوَجَّعَ لَكُمْ وَنَحْنُ

[١] أي أَعْوَادُ الْمَنَابِرِ ، واقترعوها : أي علوها . [٢] مطرها . [٣] الرّيم : النماء والزيادة .  
[٤] قحَلَ : يبس جلده على عطشه . [٥] الصيق : الفعل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا  
يركب ، والجعر : كشمس السرة في المشي ، ولم تذكر كتب الأمانة صططه ، وحاه في اللسان : « الحفز :  
سرعة المشي يمانية ، حكاه ابن حديد ، قال : ولا أدري ما محبتها » ، وفي رواية : مواسم الأدب : « وجعل  
فريق الشرك » . [٦] أسمل الثوب وسمل ، كدخل وكرم : أخلق .

[٧] دمدم القوم ، ودمدم عليهم : طعنهم فأهلكهم ، فسوّاهَا : أي اللدنة ، أي عهم بها فلم يقات  
منهم أحد . [٨] ولاد أبو العباس السكونية وسوادها ، ثم ولاد المدينة ومكة واليمن واليمامة سنة ١٣٢  
وولاد إمارة الحاج في هذه السنة ، ومات بالمدينة في ربيع الأول سنة ١٣٣ هـ (الطبري ج ٩ ص ١٤٧) .  
[٩] أي لأن روخي له ، ظن أن لن تقدر عليه .

فِي قُرْشَنَا - أَمِنْ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ<sup>(١)</sup>، لَكُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ، لَكُمْ ذِمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكُمْ ذِمَّةُ الْعَبَّاسِ، لَا وَرَبَّ هَذِهِ الْبَيْتَةِ - وَأَوْمَأَ يَدَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ - لَا تَهْجِجُ مِنْكُمْ أَحَدًا . ( تهذيب الكامل ١ : ١٨ ، والقصد الفريد ٢ : ١٤٦ ، والبيان والبيان ١ : ١٨٠ ، وابن أبي الحديد ٢ : ٢١٣ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤ )

## ٩ - خطبته بالمدينة

قال : « أَيُّهَا النَّاسُ : حَتَّامٌ يَهْتَفُ بِكُمْ صَرِيحُكُمْ<sup>(٢)</sup> ؟ أَمَا أَنْ لِرَأْفَدِكُمْ أَنْ يَهْبَ مِنْ نَوْمِهِ ؟ كَلَّا بَلْ رَانَ<sup>(٣)</sup> عَنِ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، أَغَرَّكُمْ الْإِهْمَالُ حَتَّى حَسِبْتُمُوهُ الْإِهْمَالُ ؟ هِيَاتِ مِنْكُمْ وَكَيْفَ بِكُمْ ، وَالسُّوْطُ كَفَى<sup>(٤)</sup> ، وَالسَّيْفُ مُشْهَرٌّ<sup>(٥)</sup> ! حَتَّى يُبِيدَ قَبِيلَةً قَبِيلَةً وَيَعْصَ كُلُّ مُتَّقِفٍ بِالْهَامِ<sup>(٦)</sup> وَيُقَمِّنَ رَبَّاتِ الْخُدُورِ حَرَّاسِرًا<sup>(٧)</sup> يَمْسَحْنَ غُرُضَ ذَوَائِبِ الْأَيْتَامِ<sup>(٨)</sup> ( القصد الفريد ٢ : ١٤٦ )

## ١٠ - خطبة أخرى له<sup>(٩)</sup>

وخطب فقال : « أَحْرَزَ لِسَانُ رَأْسِهِ ، ائْتَمَّ أَمْرُو بَغْيِهِ ، اعْتَبَرَ عَاقِلٌ قَبْلَ أَنْ يُعْتَبَرَ بِهِ ، فَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَقَدَّمَ الْفَضْلَ مِنْ عَمَلِهِ » ثُمَّ أَخَذَ بِقَائِمٍ

[١] الخراء : اللحم لأن المال على ألوانهم البياض والخمرة .

[٢] الصريح : المسبب ( وللعيت أيضا ) . [٣] حلب . [٤] شهر سيفه كبح ، وشهره بالقتل : انصاه فرمه على الناس . [٥] تنقب الرماح : تسويتها . [٦] قوله وبمن : أي الرماح ، والصبر يهود على ( كل منتف ) . [٧] هذه الخطبة أوردتها ابن قتيبة ، ومروها إلى داود بن علي ، وسبها صاحب القصد إلى المصور ، وأنه ظلم لما قتل الأمويين ( راجع القصد ٢ : ص ١٤٥ ) .

ونصها كما أوردتها : « أَحْرَزَ لِسَانُ رَأْسَهُ ، انْتَبَهَ أَمْرُو لِحْطِهِ ، فَتَارَ أَمْرُو فِي يَوْمِهِ لِنَدِّهِ ، فَشَى الْقَصْدَ ، وَقَالَ الْفَضْلُ ، وَجَانِبَ الْهَجْرِ » ، ثُمَّ أَخَذَ بِقَائِمٍ سَيْفِهِ ، فَقَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ بِكُمْ دَاءٌ هَذَا دَوَائِهِ ، وَأَنَا زَعِيمٌ لَكُمْ بِشِفَائِهِ ، فَلْيُعْتَبَرِ هَبْدٌ قَبْلَ أَنْ يُعْتَبَرَ بِهِ ، فَإِنَّمَا بَدَّ الْوَعِيدَ الْإِقْطَاعَ ، وَإِنَّمَا يَفْتَرَى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ »  
والهجر : الفج من الكلام ..

سيفه ، فقال : « إن بكم داء هذا دواؤه ، وأنا زعيم لكم بشفاؤه ، وما بعد الوعيد إلا الإيقاع » . ( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٢ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤ )

## ١١ - خطبته وقد بلغه أن قوماً أظهروا شكاة بني العباس

وبلغته أن قوماً أظهروا شكاة بني العباس ، فافترع المنبر ، وحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَغْدراً يا أهل الخمر <sup>(١)</sup> والتبديل ؟ ألم يزدْ عِكم الفتحُ المبين <sup>(٢)</sup> ، عن الخوض في دم أمير المؤمنين ؟ كلا والله حتى تحملوا أوزاركم وأوزار الذين كانوا من قبلكم ، كيف قامت شفاهكم بالشكوى لأمر المؤمنين ؟ بعد أن حانت آجالكم فأرجأها ، وانبعثت دماؤكم فحقنها ، لآن يا مَنَابِتَ الذمِّ ، مشيتم الضراء <sup>(٣)</sup> ، ودَيْبَتِمْ الخمر <sup>(٤)</sup> ، أما ومحمدٍ والعباس إن عُدْتُمْ لِمَل ما بدأتم ، لأحْصِدَنَّكُمْ بَطْبَاتِ السيف ، ثم يُغْنِي رَبُّنا عَنْكُمْ ، ونستبدل بكم ، ثم لا يكونوا أمثالكم .

مهلا ياروايا <sup>(٥)</sup> الإرجاف ، وأبناء النفاق ، عن الخوض فيما كفيتم ، والنخضى إلى ما حُدْرْتُمْ ، قبل أن تُلْف نفوس ، ويقلَّ عِدَد ، ويذلَّ عِز ، وما أنتم وتلك ؟ ألم تجدوا ما وعد بكم حقاً من إراث المستضعفين مشارق الأرض ومغاربها ؟ بلى والحجر والحجر <sup>(٦)</sup> ، ولكنه حسدٌ مُضْمَرٌ ، وحَسَاك <sup>(٧)</sup> في الصدور ، فرغماً للمعاطس <sup>(٨)</sup> ، وبعثاً للقوم الظالمين <sup>(٩)</sup> » . ( مواسم الأدب ٢ : ١١٤ )

[١] الخمر : اندر ، أر أقمحه . [٢] في الأصل « ألم ير علم الفتح الذين عن الخوس في دم أمير المؤمنين » وهو تحريف . [٣] الصراء : الشجر المنف في الوادي ، يقال : توارى السيد منه في صراء ، وعلان يمتنى الصراء : إذا مثنى مستحياً فيما توارى من الشجر . [٤] في الأصل « ودبتم الحراء » وهو تحريف ، وصراة ما ذكرنا ، والحجر بالحريك : كل ما وارك من شجر أو ساء أو غيره ، وحجر كهرح : توارى ، ومن أمثالهم : « يدب له الصراء ، ويمثنى له الحجر » وهو مثل يصرب للرجل يحتمل صاحبه . [٥] الروايات : وهي الزادة فيها الماء . [٦] الحجر : حجر الكعبة ، وهو ما حواه الحطيم للدُر الكعبة من جانب الشمال . [٧] الحسك : الحقد والعداوة . [٨] المعاطس : جمع معطر ، كجلب ، ومقدد وهو الأدب ، والرغم : الدله . [٩] وروى صاحب العقد

## ١٢ - خطبته وقد أرتج عليه

وخطب داود بن علي ، فحمد الله جل وعز ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قال : أما بعد ، امتنع عليه الكلام ، ثم قال :  
 « أما بعد ، فقد يجِدُ المُعْصِر ، وَيُعْصِرُ المُوْصِر ، وَيُقْلُ الحَدِيد ، وَيَقْطَع الكَلِيل ، وإِنَّمَا الكلام بعد الإخام ، كالأشراق بعد الإظلام ، وقد يعزُب اليان ، وَيُعْقَم الصواب ، وإِنَّمَا اللسان ، مُضْغَةٌ مِنَ الإنسان ، يَقْفُرُ بِفُتُورِهِ إِذَا نَكَل ، وَيُثَوِّبُ بِإِنْدِسَاطِهِ إِذَا ارْتَجَلَ ، أَلَا وَإِنَّا لَا نَنْطِقُ بَطَرًا ، وَلَا نَسْكُتُ حَصْرًا ، بَلْ نَسْكُتُ مُعْتَبِرِينَ ، وَنَنْطِقُ مُرْشِدِينَ ، وَنَحْنُ بَعْدُ أَمْرَاءُ القَوْل ، فِينَا وَشَجَتْ <sup>(١)</sup> أَعْرَاقُهُ ، وَعَلَيْنَا عَطَفَتْ أَغْصَانُهُ ، وَلَنَّا تَهْدَلَتْ ثَمَرَتُهُ ، فَتَخَيَّرَ مِنْهُ مَا أَخْلَوَى وَعَذَّبَ ، وَنَطَرَحَ مِنْهُ مَا أَلْوَلَحَ وَخَبَثَ ، وَمَنْ بَعْدَ مَقَامِنَا هَذَا مَقَامٌ ، وَبَعْدَ أَيَّامِنَا أَيَّامٌ ، يُعْرَفُ فِيهَا فَضْلُ الْيَّان ، وَفَصْلُ الْخَطَاب ، وَاللَّهُ أَفْضَلُ مُسْتَعْمَان <sup>(٢)</sup> . ثُمَّ تَرَل <sup>(٣)</sup> .

( كتاب الصاعقين ص ٢٦ ، وأمال السيد المرتضى ٤ : ١٦ ، ورحر الآداب ٢ : ٢٨٥ )

من هذه الخطبة وعراها إلى أبي حنيفة المصنوع ، قال : « حطب التصريح حين خروجه إلى الشام قال :

سِنَّةٌ أَغْرَفَهَا مِنْ أَخْزَمٍ مَنْ يَلْقَى أَجْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ

مهلا مهلا روي الإبراهيم ، وكهوف الفائق . . . إلى آخر الخطبة » ، راجع القند الفريد ٢ : ١٤٥ - والفلسفة : الطبعة والدادة ، وهو مثل لأبي أخزم الطائي ، وكان له ابن يقال له أخزم ، وكان طاماً ، مات وترك بنتين ، توتبرا يوما على جدم أبي أخزم فأموه فقال :

إِنِّي صِرَجُونِي بِالْهَمِّ شَلْشَةً أَعْرَفَهَا مِنْ أَخْزَمِ

أَيُّ لَنْ هُؤْلَاءَ أَشْبَهُوا أَيَّامِي وَفُتُورِي : يَصْرَبُ فِي قَرَبِ الشَّيْءِ ، وَيَكَلِّمُ : يَمْرَحُ .

[١] وشحت العروق والأعصاب كوحده وشحا وشحنا : اشتبكت ، والواشجة : الإحتمل للشبكة .

[٢] يهروى المعمرى في زهر الآداب من هذا القول وعراها إلى عبد الملك بن صالح ، وروى السيد المرتضى في أماليه قال :

« صمد أبو العباس السفاح النخبر ، فأرتج عليه فقال : « أيها الناس ، إن اللسان ، مَبْضَعَةٌ



## ١٣ - خطبة صالح بن علي

وخطب صالح بن علي <sup>(١)</sup> عم السفاح ، فقال :

يا أعضاء النفاق ، وعُبد الضلالة ، أغرّكم لين أسامي ، وطولُ إينامي ؟  
حتى ظن جاهلكم أن ذلك لفلولِ حدّ ، وفترِ جِدّ ، وخورِ قنّاةٍ <sup>(٢)</sup> ، كذّبتِ  
الظنونُ ، إنها العِترَةُ بَعْضُها من بعض ، فإذا قد استوليتُم العافية ، فعندى فِطام  
وفيكاك ، وسيفُ يَقْدُ الهامَ ، وإني أقول :

أغرّكم أني بأكرمِ شِمةٍ      رفيقٌ ، وأني بالفواحشِ أخرقُ ؟  
ومثلي إذا لم يُجْزَ أحسنَ سَميه      تكلمُ نَعْماءُ فيها فتَنطِقُ  
لعمري لقد فاحشتني فغلبتني      هنيئاً مريئاً أنت بالفُحشِ أرفقُ

( القد المرید ٢ : ١٤٦ )

## ١٤ - خطبة سديف بن ميمون

وروى صاحب المقدال :

لما قدِمَ الغَمَرُ بن يزيد بن عبد الملك على أبي العباس السَّقَّاح في ثمانين

من الإنسان ، يَكِلُ إذا كَلَّ ، وينفِيسُ بانفِساخه إذا فَسَحَ ، ونحنُ أمراءُ الكلام ، منا  
تفرعت فروعه ، وعليّنا تهدلت غصونه ، ألا وإنا لا نتكلم هذرا ، ولا نسكت إلا  
معترين » ثم نزل ، فبلغ ذلك أبا جعفر ، فقال : « الله هو ! لو خطب بمثل ما اعتذر ،  
لكان من أخطب الناس » ، وهذا الكلام يروى لداود بن علي <sup>(٣)</sup> . اهـ .

والبصة بفتح الباء وقد تكسر : القطعة من اللحم ، والهدر بالتحريك : سقط الكلام ، وسكون الدال  
مصدر هذر في منطقته كحرب وهجر .

[ ١ ] هو صالح بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح ، وقد وُلّاه السفاح مصر سنة ١٣٢ ثم فلسطين ،  
ثم وُلّاه مصر ثانية سنة ١٣٦ ، حتى قدم الخبر بموت السفاح في ذي الحجة سنة ١٣٦ ، فأقره المنصور على  
عمل مصر ثم خرج إلى فلسطين ، ومات وهو حامل حمى بفسرين . [ ٢ ] ضف .

رجلا من بنى أمية ، وُضعت لهم الكراسي ، ووضعت لهم عمارق<sup>(١)</sup> ، وأجلسوا عليها ، وأجلس الغمر مع نفسه في المصلى . ثم أذن لشييعته فدخلوا ودخل فيهم سُدَيْف بن ميمون<sup>(٢)</sup> ، وكان متوشحاً سيفاً ، متكبّاً قوساً ، وكان طويلاً آدم<sup>(٣)</sup> ، فقام خطيباً .

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيزعم الضلال بما حَبِطَتْ<sup>(٤)</sup> أعمالهم أن غير آل محمد أولى بالخلافة ؟ فلمَ وبِمَ أيها الناس ؟ لكم الفضل بالصَّحابة ، دون حقّ ذوى القرابة ، الشركاء في النسب ، الأَكفَاء في الحَسَب ، الحاصّة في الحياة ، الوفاة<sup>(٥)</sup> عند الوفاة ، مع ضَرْبهم على الدين جاهلكم ، وإطعامهم في الأولى جائِعكم ، فكم قَصَمَ الله بهم من جَبَّارٍ باغٍ ، وفاسق ظالم ، لم يُسْمَعْ بِمِثْلِ العباس ، لم تخضع له أمة بواجب حق ، أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأيه ، وجِلْدَة ما بين عينيه<sup>(٦)</sup> ، أمينُهُ ليلةَ العَقبة<sup>(٧)</sup> ، وَرَسُولُهُ إلى أهل مكة ، وحاميه يوم حُنين<sup>(٨)</sup> ، لا يرُدُّه رأياً ، ولا يخالف له قسماً ، إنكم والله معاشر قريش ما اخترتم لأنفسكم من حيث ما اختاره الله لكم ، تَبَيَّنْ<sup>(٩)</sup> مرّةً ، وَعَدَوْنِ<sup>(١٠)</sup> مرّةً ، وكنتم بين ظَهْرَانِي قوم فد آثروا العاجل على الآجل ، والفاني على الباقي ،

[١] عمارق جمع نمرة كقنفذة : وهي الوسادة الصغيرة . [٢] مولى أبي الساس السفاح .

[٣] وصف من الأدمة ، وهي كالسرة وورنا وهي . [٤] صعدت . [٥] الوفاة جمع واف .

[٦] خطب الوليد بن عبد الملك قال : « إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : « إن الحجاج جلدة ما بين هجى » ألا وإنه جلدة وجهي كله » - اليان والتنبيه ١ : ١٦٠ و ٣ : ٢١ - .

[٧] يوم هزيمة الأصوار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكة ، وكانوا ثلاثة وسعين رجلاً منهم امرؤا

وليس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عمه الساس - وهو على دين قومه - ولكنه رأى أن يحصر

أمر ابن أخيه ليتوثق له . [٨] كان العباس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في فزوة

حنين ، حين انزلم المسلمون أول للوثة ، وكان أحدًا بلباب ملته . [٩] يريد أبا بكر الصديق رضى

الله عنه ، وهو من تيم بن مرة بن كعب بن لؤى . [١٠] يريد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو من

عدى بن كعب بن لؤى .

وجعلوا الصدقات، في الشهوات، والنفى، في اللذات والنفاء، والمغانم، في المحارم، إذا ذكروا بالله لم يذكروا، وإذا قدموا بالحق أذبروا، فذلك زمانهم، وبذلك كان يعمل شيطانهم<sup>(١)</sup> . (العقد المريد ٢ : ٣٠١)

## ١٥ خطبة أبي مسلم الخراساني

وروى ابن أبي الحديد قال :

وخطب أبو مسلم بالمدينة في السنة التي حج فيها في خلافة السفاح<sup>(٢)</sup>، فقال : « الحمد لله الذي حمد نفسه ، واختار الإسلام ديناً لعباده ، ثم أوحى إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك ما أوحى . واختاره من خلقه ، نفسه من أنفسهم ، وبيته من بيوتهم ، ثم أنزل عليه في كتابه الناطق الذي حفظه بعلمه ، وأشهد ملائكته على حقه ، قوله : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » ، ثم جعل الحق بعد محمد صلى الله عليه وآله في أهل بيته ، فصبر من صبر منهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله على اللاؤاء<sup>(٣)</sup> والشدة ، وأنصى على الاستبداد والآثره ، ثم إن فوماً من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله ، جاهدوا على ملة نبيه وسنته بعد عصر من الزمان ، من عمل بطاعة الشيطان ، وعداوة الرحمن ، بين ظهراني قوم آثروا العاجل على الآجل ، والفاني على الباقي ، إن رتق جور فتقوه ، أفتق حق رتقوه ، أهل مخمور ومأخور ، وطناير<sup>(٤)</sup> ومزامير ، إن ذكروا لم يذكروا ، أوقدوا إلى الحق أذبروا ، وجعلوا الصدقات ، في الشبهات ، والمغانم ، في المحارم ، والنفى ، في

[١] فقر هذه الخطبة مروية في خطبة أبي مسلم الخراساني الآتية بعدها ، ولكي آثرت إبرامه للراغبين جيباً كما وردنا . [٢] وذلك في سنة ١٣٦ هـ . [٣] الشدة . [٤] الطناير : جمع طنبور كصغير ، وهو الذي يلعب به .

النبي، هكذا كان زمانهم، وبه كان يعمل سلطانهم، وزعموا أن غير آل محمد أولى بالأمر منهم، فلم يَمِمْ أيها الناس؟ ألكم الفضل بالصَّحابة، دون ذوى القرباة، الشركاء في النسب، والورثة في السلب<sup>(١)</sup>، مع ضربهم على الدين جاهلكم، وإطعامهم في الجذب جائعكم، والله ما اخترتم من حيث اختار الله لنفسه ساعة فط، وما زلتم بعد نبيه تختارون تيمياً مرة، وعدوياً مرة، وأمويّاً مرة، وأسدنياً<sup>(٢)</sup> مرة، وسُفْيانيّاً مرة، ومزوانيّاً مرة، حتى جاءكم من لا تعرفون اسمه ولا بيته<sup>(٣)</sup>، يضربكم بسيفه، فأعطيتموها عنوةً، وأنتم صاغرون، ألا إن

[١] مايلب، والراد ورثته في الخلافة. [٢] هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن حويل بن أسد. [٣] قال ابن أبي الحديد: «يُسمى نفسه لأنه لم يكن سلطو النسب، وقد اختلف فيه أهو مولى أم عربي» وقال ابن حلكون (وفيات الأعيان ١: ٢٨٠) في ترجمته: «أبو سلم عد الرحمن بن مسلم وقيل عثمان الحارثي القائم بالدعوة الداسية، وقيل هو إبراهيم بن عثمان بن يسار بن سدوس بن حودون من ولد بزرجهر بن البشتكان العارسي، وقد اختلف الناس في سبه، قيل إنه من العرب، وقيل إنه من المم، وقيل من الأكراد، وفي ذلك يقول أبو دلامة:

أبا عرم ما غير الله سنة على عده حتى يغيرها العبد  
أب دولة للنصور حاولت لغرة ألا إن أهل النذر آباؤك الكرد

وقال ابن طباطبا في الفري من ١٢٢: «أما نسبة سبه اختلاف كثير، قيل: هو حر من ولد بزرجهر، وأنه ولد بأفهان، ونشأ بالكوفة، فأنزل إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فغير اسمه وكناه بأبي مسلم، وتحمته وهجه، حتى كان منه ما كان.

وقيل هو عد تغل في الرق، حتى وصل إلى إبراهيم الإمام، طارآه أعجبه سمته وطقه، فأباعه من مولاه وتحمته وهجه، وصار برسه إلى شيعة وأصحاب دعوته بمراسل، وما زال على ذلك حتى كان من الأمر ما كان.

وأما هو فإنه لما قويت شوكتة ادعى أنه ابن سليل بن عبد الله بن عباس، وكان لعبد الله بن عباس حارية فوقع عليها مرة، ثم اعتزلها مدة، فاستنكحها عبداً موطباً، فولدت منه علماً سمته سليطاً، ثم ألقته سعد الله بن عباس، وأكرمه عبد الله ولم يترب به، ونشأ سليل، وهو أكره الملق إلى عبد الله بن عباس، فلما ملك عبد الله نازع سليل وورثته في ميراثه، وأعجب ذلك بي أمية ليضوا من علي بن عبد الله ابن عباس، فأطانوه وأوصوا قاضي دمشق في اللاتن، قال إياه في الحكم وحكم له بالبراث، فادعى أبو مسلم حين قويت شوكتة أنه من ولد سليل حفا.

وذكر ابن خلكان أن للنصور قال له قبل قتله، وقد هدّده مساوياً وقتلته منه: «تزم أنك ابن سليل بن عبد الله بن عباس! لقد أوتيت لا أم لك مرتقى صبا!.

آل محمد أئمة الهدى ، ومَنَارُ سبيل التقى ، القادة الذادة السادة ، بنو عم رسول  
 لله صلى الله عليه وسلم ، ومُنَزَّلُ جبريل بالتنزيل ، كم قصَمَ الله بهم من جبار طاغٍ ،  
 فاسق باغٍ ، شَيَّدَ الله بهم الهدى ، وَجَلَّى بهم العَمَى ، لم يُسمع بمثَل العباس ،  
 كيف لا تخضع له الأمم لواجب حقَّ الحُرمة ؟ أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 مد أيبه ، وإحدى يديه ، وَجِلْدَةٌ بين عينيهِ ، أَمِينُهُ يومَ الْعَقَبَةِ ، وَنَاصِرُهُ بِمَكَّةَ<sup>(١)</sup> ،  
 رسوله إلى أهلها ، وَحَامِيهِ يومَ حُنَيْنٍ ، عند ملتقى الفَتَيْنِ ، لا يخالف له رسماً ،  
 لا يَعْصِي له حكماً ، الشافع يوم نَيْقِ الْعُقَابِ<sup>(٢)</sup> ، إلى رسول الله صلى الله عليه  
 وآله في الأحزاب ، ها إن في هذا أيها الناس لَعِبْرَةٌ لآوِلِي الْأَبْصَارِ .

( شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢١٥ )

## ١٦ - خالد بن صفوان وأحوال السفاح .

روى الجاحظ قال :

كَانَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ الْأَهْتَمِيُّ مِنْ تُمَّارِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ ، وَأَهْلُ الْمَنْزِلَةِ  
 عِنْدَهُ ، فَفَخَّرَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ بَلْخَارِثَ<sup>(٣)</sup> ، وَأَكْثَرُوا فِي الْقَوْلِ ، فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ :  
 لَمْ لَا تَتَكَلَّمُ يَا خَالِدُ ؟ فَقَالَ : « أَحْوَالٌ »<sup>(٤)</sup> أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتُهُ قَالَ : « فَأَنْتُمْ  
 أَعْمَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتُهُ » قَالَ خَالِدُ : « وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ لِقَوْمٍ ، كَانُوا بَيْنَ  
 نَاسِجٍ بُزْدٍ ، وَدَابِغٍ جِلْدٍ ، وَسَائِسٍ قِرْدٍ ، وَرَاكِبٍ عَرْدٍ »<sup>(٥)</sup> ، دَلَّ عَلَيْهِمْ

[١] يشير إلى ما كان من جيش العباس في عروة أحد ، وذلك أن جيش المشركين خرج من مكة لمحاربة الرسول  
 صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا مقابل المدينة ، وبلغ الخبر الرسول من كتاب بعث به إليه عمه العباس الذي  
 لم يخرج معهم في هذه الحرب عتجا عما أصابه يوم بدر ، وكان بمكة يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 أخبار المشركين ( وقيل إنه كان قد أسلم قبل الهجرة ، وكان يهتم إسلامه ) .

[٢] موضع بين مكة والمدينة . وذلك أن الناس شع به يوم فتح مكة في أبي سفيان ، وو أهل مكة  
 دعوا اليه صلى الله عليه وسلم عنهم .

[٣] انظر الجزء الثاني ص ٣١٩ . [٤] كانت أم السفاح من بني الحارث ، وهي ديلة بنت صيد الله  
 ابن عبد الله بن عبد الدان بن الهيثم الحارثي ، ولذا كان يقال له ابن الحارثية . [٥] الرد : الجار .

هَذِهِ<sup>(١)</sup>، وَغَرَسَهُمْ قَارَةً<sup>(٢)</sup>، وَمَلَكَتَهُمْ امْرَأَةً<sup>(٣)</sup> . (اليان واليدين ١ : ١٨٤)

\* \*

وروى الحصري في زهر الآداب قال :

« دخل خالد بن صفوان على أبي المباس السفاح ، وعنده أخواله من بني الحارث ابن كعب ، فقال : ما تقول في أخوالي ؟ فقال : « هم هامة<sup>(٤)</sup> الشرف ، وعيرتين<sup>(٥)</sup> الكرم ، وغرس الجود ، إن فيهم خصالا ما اجتمعت في غيرهم من قومهم ، لأنهم أطولهم لِمًا<sup>(٦)</sup> ، وأكرم شيئا ، وأطيبهم طعنا<sup>(٧)</sup> ، وأوفام ذمما ، وأبدم همما ، الجمرة في الحرب ، والرفد<sup>(٨)</sup> في الجذب ، والرأس في كل خطب ، وغيرهم بمنزلة العجب<sup>(٩)</sup> » .

فقال : وصفت أبا صفوان فأحسنْتَ ، فزاد أخواله في الفخر ، فغضب

[١] يشير إلى حديث الممد مع سليمان عليه السلام في قوله تعالى : « وَتَقَعْدُ الطَّيْرَ قَالَتْ مَا لِي لَا أَرَى الْمُدْهُدَّ أَمْ كَانَ مِنَ النَّائِبِينَ ، لَأَعَذَّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ، فَكَتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ قَالَتْ أَهْلَتْ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَنٍّ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ، وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ، وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . . . الآيات » .

[٢] يشير إلى ما يرمي للزورخود من أن سيل الرمم الذي خرب اليمن كان سببه قرض الجرد لمد مأرب - انظر الجزء الأول ص ٣٤٣ . [٣] هي بختيس (بالكسر) ملكة سبأ .

[٤] الهامة : رأس كل شيء . [٥] الرعين : الألف ، أو ما صلب من عظمه ، ومن كل شيء . [٦] في الأصل « أما » وأراه محرفا ، وصوابه « لما » والله جمع لة بالكسر ، وهي الشعر الجاوز شعبة الأذن . [٧] الطعم : الطعام . [٨] الرفد : الطاء والملة . [٩] الهجب : أصل الذنب ، ومؤخر كل شيء .

أبو العباس لأعمامه ، فقال : اضغريا خالد على أخوال أمير المؤمنين ، قال : وأنت من أعمامه ، قال :

« كيف أفاخر قوماً بين ناسج بُزْد ، وسائس قِرْد ، ودابغ جِلْد ، وراكب عَرْد ، دلّ عليهم هُدُمد ، وغرقهم جُرْد ، وملكتهم امرأة ؟ » ، فأشرق وجه أبي العباس . ( زهر الآداب ٣ : ١٣٠ ، ٣٤٦ )

## ١٧ — خالد بن صفوان ورجل من بني عبد الدار

وفاخر خالد بن صفوان رجلاً من بني عبد الدار الذين يسكنون اليمامة ، فقال له العبدري : من أنت ؟ قال : أنا خالد بن صفوان بن الأهم ، فقال له العبدري : أنت خالد « كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي الذَّارِ »<sup>(١)</sup> ، وأنت ابن صفوان ، وقال الله تعالى : « كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ ثُرَابٌ »<sup>(٢)</sup> ، وأنت ابن الأهم ، والصحيح خير من الأهم<sup>(٣)</sup> ، فقال له خالد بن صفوان : يا أخا بني عبد الدار ، أتتكلم ؟ وقد هَشَمَتِكَ هاشم ، وأمُتِكَ<sup>(٤)</sup> بنو أمية ، وخزمتك بنو مخزوم ، وجَحَتِكَ بنو جَحْجَ<sup>(٥)</sup> ؟ فأنت عبْد دارهم<sup>(٦)</sup> تفتح إذا دخلوا ، وتُغْلِقُ إذا خرجوا ، فقام العبدري محمواً . ( أمالي السيد المرتضى ١ : ٢١٥ ، والبيان والتبيين ١ : ١٨٢ )

[١] وتعام الآية الكريمة : « وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً قَطَطَ مَاءُ هُمْ » .

[٢] صفوان جمع صفوانة : وهي الحجر الصلد الضخم كالصفواء والصفاء ، والآية الكريمة :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَتَسْلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ ثُرَابٌ ، فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ، فَتَرَكَهُ صَلْدًا ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاقِفٌ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ » .

[٣] هم كفروح : انكسرت ثيابه من أصولها فهو أهم . [٤] قادتك . [٥] انظر الجزء

الثاني ص ٩٠ . [٦] وكات المجابة في بي عبد الدار ، انظر الجزء الثاني ص ٩٠ أيضا

## ١٨ — خالد بن صفوان يرثي صديقه

وقال الجاحظ : قيل لرجل - أراه خالد بن صفوان <sup>(١)</sup> - مات صديق لك ، فقال :  
« رحمة الله عليه ، لقد كان يملأ العين جمالا ، والأذن يانا ، ولقد كان يُرْجَى  
فلا يُخشى ، ويُعشى فلا يُنسى ، ويُعطى فلا يُنطى ، قليلاً لدى الشر حضوره ،  
سليماً للصديق ضميره » . ( البيان والبيان ٣ : ٢٣١ ، والأمال ٢ : ١٧٤ )

## ١٩ — خالد بن صفوان يمدح رجلاً

وذكر خالد رجلاً ، فقال :  
« كان والله بديع المنطق ، ذليق <sup>(٢)</sup> المرأة ، جزل الألفاظ ، عربى اللسان ،  
ثابت العقدة ، رقيق الحواشي ، خفيف الشفتين ، بليل الريق ، وحب الشرف ،  
قليل الحركات ، خفي الإشارات ، حلو الشائل ، حسن الطلاوة <sup>(٣)</sup> ، حياً جريئاً ،  
قثولاً صموتاً ، فلول الحز <sup>(٤)</sup> ، ويصيب الفاصيل ، لم يكن بالمعذر <sup>(٥)</sup> في منطقته ،  
ولا بالزمن <sup>(٦)</sup> في مروءته ، ولا بالخرق <sup>(٧)</sup> في خليقته ، متبوعاً غير تابع ،  
كأنه علم في رأسه نار : » . ( زهر الآداب ٣ : ١٦٧ )

## ٢٠ — كلمات بليغة لخالد بن صفوان

وقال خالد بن صفوان لبعض الولاة : « قَدِمْتَ فَأَعْطَيْتَ كُلَّ بَقِيسَةٍ

[١] ورواية الغال : من الأصمى قال خالد بن صفوان لفتى بين يديه : رحم الله أبك . . . الخ .

[٢] مأخوذ من : « سيف ذليق » أى سهل الخروج من schede ، ويقال : اندلق السيل أى اندفع ،

[٣] واندلق العيب : أى شق جنته فخرج منه . [٤] الطلاوة مثناة : الببول . [٥] الحز : القطع .

[٦] عذر في الأمر تذكيراً ، إذا قصر ولم يجتهد . [٧] أى اللب ، والزمالة كسحابة : الباعة ،

زمن كلرح فهو زمن وزمن . [٨] الخرق الفتى لا يهين العمل والتصرف في الأمور





## خطب أبي جعفر المنصور (توفي سنة ١٥٨ هـ)

### ٢٢ - خطبته بمكة

خطب أبو جعفر المنصور بمكة ، فقال :

« أيها الناس : إني أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه ، وتسديده وتأيده ، وحارسته على ماله ، أعمل فيه بمشيئته وإرادته ، وأعطيه بإذنه ، فقد جعلني الله عليه قفلاً ، إن شاء أن يفتحني فتحنى لإعطائكم ، وقسم أرزاقكم ، فإن شاء أن يعفلي عليها أفتلي ، فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به إذ يقول : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ » ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » أن يوفقني للرشاد والصواب ، وأن يلمهني الرافة بكم والإحسان إليكم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . »

( القدر الفريد ٢ : ١٤٥ ، وعيون الأخبار ٢ : ٢٥١ ، تاريخ الطبري ٩ : ٢١٠ )

### ٢٣ - خطبته بمكة بعد بناء بغداد

وحج بعد بناء بغداد ، فقام خطيباً بمكة ، فكان مما حفظ من كلامه <sup>(١)</sup> :

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ <sup>(٢)</sup> مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ، أَمْرٌ مُبَرَّمٌ ، وَقَوْلٌ عَدْلٌ ، وَقَضَاءٌ فَضْلٌ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَفْلَحَ <sup>(٣)</sup> حُجَّتُهُ ، وَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكعبةَ غَرَضًا ، وَالنَّيْءَ إِرثًا ، وَجَعَلُوا

[١] عز صاحب القدر هذه الخطبة إلى سليمان بن علي ( انظر ج ٢ ص ١٤٥ ) ، وكنا صاحب مواسم الأدب ( انظر ج ٢ : ص ١١٥ ) . [٢] قيل للراد بأور جنس الكتب للزلة ، وبذلك الروح المفوظ . [٣] نصر .

الْقُرْآنَ عِضِينَ<sup>(١)</sup> ، لَقَدْ حَقَّ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ، فكم ترى من بُرٍّ مُعْطَلَةٍ<sup>(٢)</sup> ، وَقَصِيرٍ مَشِيدٍ ، أمهلهم الله حتى بدلوا السنة ، واضطهدوا العِترَةَ<sup>(٣)</sup> ، وَعَنَدُوا<sup>(٤)</sup> واعتَدُوا واستكبرُوا ، وَغَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيْدٍ ، ثم أخذهم فهل تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا؟<sup>(٥)</sup> .

(تاريخ الطبرى ٩ : ٣١١ ، والكامل لابن الأثير ٦ : ١٢)

## ٢٤ - خطبته بمدينة السلام

وخطب بمدينة السلام « بغداد » ، فقال :

« يا عباد الله ، لا تَظَالَمُوا ، فَإِنَّهَا مَظْلَمَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، والله لولا يَدُ خَاطِئَةٍ ، وَظَلْمُ ظَالِمٍ ، لَمَشَيْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ فِي أَسْوَاقِكُمْ ، وَلَوْ عَلِمْتُ مَكَانَ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنِّي لَأَتَيْتُهُ حَتَّى أَدْفَعَهُ إِلَيْهِ » . (تاريخ الطبرى ٩ : ٥١٠)

## ٢٥ - خطبته وقد أخذ عبد الله بن حسن وأهل بيته

ولما أخذ عبد الله بن حسن<sup>(٦)</sup> وإخوته ، والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته ، صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

[١] العضة : الفرقة والقطعة والجمع عضون ، وجعل المتركون القرآن عِضِينَ أى فرقا : فرَّقوا فيه القول ، فخلَّوه كذبا وسعرا وكهانة وشعرا ، فهم قد (عَضَوْه) بالشديد أعضاء ، أى جزَّءوه أجزاء ، وهو يريد هنا الأمويين يشير إلى أنهم عطلوا بعض أوامر القرآن بما أتوه من الأعمال ، من رعى الكعبة ، واضطهاد أهل البيت الخ . [٢] متروكة لا يستقى منها هلاك أهله ، ومشيد : مرفوع ، أو مطلى بالشيد (بالكسر) وهو ما طلى به الحائط من جص ونحوه ، أى مطل خال من ساكنيه أيضا .

[٣] العِترَةُ : نسل الرجل ورهطه وحشيرة الأدنول . [٤] عند (مثل النون) عن الطريق : مال . [٥] الصوت الخفى . [٦] هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقد حله المنصور هو وأهل بيته ، من المدينة إلى الرقاق سنة ١٤٤ هـ ، وأقام في غيايات السجون حتى ماتوا بسجن الكوفة ، وكان يتخوَّف أن يثالبه على الخلافة محمد بن عبد الله هذا (وهو محمد الملقب بالفسق للوكية) وقد خرج عليه بالمدينة فوجه المنصور جيشا لقتاله فقتل سنة ١٤٥ هـ ، وخرج أخوه إبراهيم على المنصور بالبصرة فقتله أيضا في هذه السنة .

« يَـأْهِلْ خُرَّاسَانَ : أَتُمُّ شِيعَتَنَا وَأَنْصَارَنَا ، وَأَهْلَ دَوْلَتَنَا ، وَلَوْ بِأَيْتَمٍ غَيْرِنَا لَمْ تَبَايَعُوا مِنَّا هُوَ خَيْرٌ مِنَّا ، وَإِنْ أَهْلُ يَتْنِي هَؤُلَاءِ مِنْ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، تَرَكْنَاهُمْ وَأَقْبَلْنَا إِلَيْهِ الْإِلَهِ الْإِلَهِ هُوَ وَالْخِلَافَةُ ، فَلَمْ نَعْرِضْ لَهُمْ فِيهَا بِقَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ ، فَقَامَ فِيهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَتَلَطَّعَ ، وَحَكَّمَ عَلَيْهِ الْحَكِيمِينَ ، فَافْتَرَقَتْ عَنْهُ الْأُمَّةُ ، وَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ الْكَلِمَةُ ، ثُمَّ وَثَبَتْ عَلَيْهِ شِيعَتُهُ وَأَنْصَارُهُ وَأَصْحَابُهُ ، وَبِطَائِنُهُ وَثِقَاتُهُ فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، فَوَاقَهُ مَا كَانَ فِيهَا بَرَجُلٌ ، قَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْأَمْوَالُ فَقَبِلَهَا ، فَدَسَّ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ : إِنِّي أَجْمَلُكَ وَلَوْ عَهْدِي مِنْ بَعْدِي ، فَخَدَعَهُ فَانْسَلَخَ لَهُ مِمَّا كَانَ فِيهِ ، وَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ عَلَى النِّسَاءِ يَتَزَوَّجُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَاحِدَةً فَيُطَلِّقُهَا غَدًا ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، فَخَدَعَهُ أَهْلُ الرِّقَاقِ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ ، أَهْلُ الشَّقَاقِ وَالنِّفَاقِ ، وَالْإِغْرَاقِ فِي الْفِتَنِ ، أَهْلُ هَذِهِ الْمَدْرَةِ السُّودَاءِ - وَأَشَارَ إِلَى الْكُوفَةِ - فَوَاقَهُ مَا هِيَ بِمَحْرَبٍ فَأَحَارَبَهَا وَلَا مِثْلَ مَا سَلِمَهَا ، فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، فَخَذَلُوهُ وَأَسْلَمُوهُ حَتَّى قَتَلُوا ، ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ ، فَخَدَعَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَغَرَّوهُ ، فَلَمَّا أَخْرَجُوهُ <sup>(١)</sup> وَأَظْهَرُوهُ أَسْلَمُوهُ ، وَقَدْ كَانَ أَتَى مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ <sup>(٢)</sup> ، فَنَاشَدَهُ فِي الْخُرُوجِ ، وَسَأَلَهُ أَلَا يَقْبَلُ أَقَاوِيلَ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّا نَجِدُ فِي بَعْضِ عَلَمِنَا أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ يَتْنِنَا يُصَلِّبُ بِالْكَوْفَةِ ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَكُونَ ذَلِكَ الْمَصْلُوبَ ، وَنَاشَدَهُ حَتَّى دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَحَذَرَهُ غَدْرَ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَلَمْ يَقْبَلْ وَتَمَّ <sup>(٣)</sup> عَلَى خُرُوجِهِ ، فَقَتِّلَ وَصَلَبَ بِالْكُنَّاسَةِ <sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْنَا بَنُو أُمَيَّةَ ، فَأَمَاتُوا شَرَفَنَا ،

[١] وَقَدْ خَرَجَ فِي خِلَافَةِ هُوَالَمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَطَافَ يُوَسِّفُ بْنُ مَرِّ الطَّلْحِ وَالِ الرِّقَاقِ ، وَقَتْلَ وَصَلَبَ

سَنَةِ ١٢١ هـ . [٢] يَرِيدُ أَبَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِشٍ .

[٣] تَمَّ عَلَى الْأَمْرِ : اسْتَمَرَّ عَلَيْهِ . [٤] مَوْضِعٌ بِجَرْبِ الْكُوفَةِ .

وأذهبوا عزنا، والله ما كانت لهم عندنا تِرة<sup>(١)</sup> يطلبونها، وما كان ذلك كله إلا فيهم، وبسبب خروجهم عليهم، فنفقونا من البلاد، فصرنا مرة بالطائف . ومرة بالشام، ومرة بالشرقة<sup>(٢)</sup>، حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا، فأحيا شرفنا وعزنا بكم أهل خراسان، ودمغ بحكم أهل الباطل، وأظهر حقنا، وأصار إلينا ميراثنا عن نبينا صلى الله عليه، فقر الحق مقره، وأظهر مناره، وأعز أنصاره، وقُطِع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين، فلما استقرت الأمور فينا على قرارها من فضل الله فيها، وحكمه العادل لنا، وثبوا علينا ظلما وحسدا منهم لنا، وبنيانا لما فضلنا الله به عليهم، وأكرمنا به من خلافته، وميراث نبيه صلى الله عليه وسلم :

جَهْلًا عَلَى وَجْهِنا عَنْ عُدُوهمُ لَبِئْسَتِ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ

فإني والله يا أهل خراسان ما أتيتُ من هذا الأمر ما أتيت بجهالة، بلغني عنهم بمض السقم والتعمر<sup>(٣)</sup>، وقد دسنت لهم رجالا، فقلت : قم يا فلان، قم يا فلان، نخذ معك من المال كذا، وحدوث لهم مثالا يعملون عليه، فخرجوا حتى أتوهم بالمدينة، فدسوا إليهم تلك الأموال، فوالله ما بقي منهم شيخ ولا شاب، ولا صغير ولا كبير، إلا بايعهم بيعة استحلت بها دماءهم وأموالهم، وحلّت لي عند ذلك بنقضهم بيعتي، وطلبهم الفتنة، والتماسهم الخروج عليّ، فلا يرون أني أتيت ذلك على غير يقين « ثم نزل وهو يتلو على درج المنبر هذه الآية

[١] ثَار . [٢] موضع بين دمشق والمدينة (الكرك الآن) .

[٣] الأصم : قومه : تعمره : تعرقه وترعما عليه من اللحم .

« وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ » . ( تاريخ الطبري ٩ : ٣١٢ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٤١ )

٢٦ - خطبته حين خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن ولما خرج محمد وإبراهيم ابنا عبد الله ، شنَّ<sup>(١)</sup> المنصور عليه درعه ، وتقلد سيفه ، وصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال :

مَالِي أَكْفِكَ عَنْ سَعْدٍ وَتَشْتُمْنِي ؟ وَلَوْ شِئْتُ بَنِي سَعْدٍ لَقَدْ سَكَنُوا جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنَا عَنْ عَدُوْمٍ لَبِئْسَتْ اَلْخُلُوفُ اَلْجَهْلُ وَالْجُبُّ أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ عَجَزُوا عَمَّا قَنَاهُ ، فَا عَصَدُوا اَلْكَافِي ، وَمَا شَكَرُوا اَلْمُنِيمَ ، فَإِذَا حَاولُوا أَشْرَبَ دَرْتًا عَلَى غَصَصٍ ، وَأَيَّتُ مِنْهُمْ عَلَى مَقْصُصٍ ، كَلَّا وَاللَّهِ لَا أَصِلُ ذَا رَحِمٍ حَاولَ قَطِيعَتِهَا ، وَلَئِنْ لَمْ يَرْضَ بِالْفَوْ لِيُطَلِّبَنَّ مَا لَمْ يَوْجِدْ عِنْدِي ، فَلْيُقِيقِ ذُو نَفْسٍ عَلَى نَفْسِهِ ، قَبْلَ أَنْ تَمُضِيَ ، فَلَا يُبْكِي عَلَيْهِ » . ( مواسم الأدب ٢ : ١١٩ )

٢٧ - خطبته وقد قتل أبا مسلم الخراساني

وخطب بالمدائن عند قتل أبي مسلم الخراساني<sup>(٢)</sup> ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ! لَا تَخْرُجُوا مِنْ أُنْسِ الطَّاعَةِ إِلَى وَخْشَةِ الْعَصِيَةِ ، وَلَا تُسْرِوْا غَشَّ الْأَعْمَةِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُسِرَّ أَحَدٌ قَطُّ مَنَكْرَةً إِلَّا ظَهَرَتْ فِي آثَارِيدهِ ، وَقَلَّتْ لِسَانُهُ ، وَصَفَحَاتُ وَجْهِهِ ، وَأَبْدَاهَا اللَّهُ لِأَمَامِهِ ، بِإِعْزَازِ دِينِهِ ، وَإِعْلَاءِ حَقِّهِ ، إِنْ

[١] شنَّ عليه درعه : صرَّها . [٢] قتل أبو مسلم سنة ١٣٧ هـ ، وذلك أن المنصور كان قد أرسله لحرب معه عبد الله بن علي - وكان قد خرج عليه بالشام كما سيأتي - فلما هُزم أبو مسلم ، وغنم جميع ما كان في مكر عبد الله ، وانتهزم عبد الله إلى البصرة ، أرسل المنصور بنو خذمه لحفاظ على ما في العسكر من الأموال ، فغضب أبو مسلم ، وقال : أئین علی الهاء ، خانی فی الأموال ! وشمَّ للمنصور ، وعزم على الخلاف ، وأن يخرج إلى خراسان ، فجعل المنصور يطفئه به حتى استعده إليه وقد

لَنْ نَبْخَسَكُمْ حَقُوقَكُمْ ، وَلَنْ نُبْخَسَ الدِّينَ حَقَّهُ عَلَيْكُمْ ، إِنَّهُ مِنْ نَارَعَنَا عُزُورَةَ  
هَذَا الْقَمِيصِ أَجْزَرُ نَاهِ خَبِيٍّ هَذَا الْغِمْدِ ، وَإِنْ أَبَامَسْلَمَ بَايَعْنَا وَبَايَعَ النَّاسَ لَنَا ، عَلَى  
أَنَّهُ مِنْ نَكَثَ بِنَا فَقَدْ أَبَاحَ دَمَهُ ، ثُمَّ نَكَثَ بِنَا ، فَحَكَمْنَا عَلَيْهِ لِأَنفُسِنَا حُكْمَهُ  
عَلَى غَيْرِهِ لَنَا ، وَلَمْ تَنْعُنَا رِجَايَةَ الْحَقِّ لَهُ ، مِنْ إِقَامَةِ الْحَقِّ عَلَيْهِ .

( تاريخ الطبرى ٩ : ٢١٣ ، ومجمع الأمثل ١ : ٣١٨ ، ومواسم الأدب ٢ : ١٢٠ )

## ٢٨ - خطبة أخرى

وخطب فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تَنْفَرُوا أَطْرَافَ النِّعْمَةِ بِقِلَّةِ الشُّكْرِ ، فَتَحُلَّ بِكُمْ النِّقْمَةُ ،  
وَلَا تَسْتُرُوا غِشَّ الْأُتْمَةِ ، فَإِنْ أَحَدًا لَا يَسْتَرُ مُنْكَرًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ ،  
وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ ، وَطَوَالِعِ نَظَرِهِ ، وَإِنَّا لَا نَجْهَلُ حَقُوقَكُمْ مَا عَرَفْتُمْ حَقًّا ، وَلَا نَنْسَى  
الْإِحْسَانَ إِلَيْكُمْ مَا ذَكَرْتُمْ فَضْلَنَا ، وَمَنْ نَارَعَنَا هَذَا الْقَمِيصَ أَوْ طَانَا أُمَّ رَأْسِهِ  
خَبِيٍّ<sup>(١)</sup> هَذَا الْغِمْدِ ، وَالسَّلَامُ . » ( مواسم الأدب ٢ : ١٢٠ )

## ٢٩ - قوله وقد قوطع في خطبته

وخطب يوم الجمعة ، فقال :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ ، وَأَسْتَعِينُهُ ، وَأُؤْمِنُ بِهِ ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ  
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ :  
أَذْكُرُكَ مِنْ ذَكَرْتَنَا بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَطَعَ الْخُطْبَةَ ، ثُمَّ قَالَ : « سَمِعْنَا مِمَّا  
لَمْ يَفْهَمْ عَنْ اللَّهِ ، وَذَكَرْ بِهِ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ جَبَّارًا عَنِيدًا ، وَأَنْ تَأْخُذَنِي  
الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ، لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذْنًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ، وَأَنْتَ أَيُّهَا الْقَائِلُ ، فَوَاللَّهِ

ما أردت بها وجه الله، ولكنك حاولت أن يقال : قام فقال ، فعُوبَ فَصَبْرُ  
وأهونُ بها أولئك لو هممت<sup>(١)</sup> ! فاهْتَبِلَهَا<sup>(٢)</sup> إذ غَرَّتْ ، وإياك وإياكم معشرَ  
الناسِ أختها ، فإن الحكمة علينا نزلت ، ومن عندنا فصلت ، فردوا الأمر إلى  
أهله ، ثورِدوه مَوَارِدَه ، وتُصَدِّروه مَصَادِرَه . ثم ماد في خطبته ، فكأنه  
يقروها من كفه ، فقال ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . . .

( تاريخ الطبري ٩ : ٣١١ ، والقد الفرید ٢ : ١٤٥ ، وعيون الأخبار ٢ : ٢٣٦ ،  
والكامل لابن الأثير ٦ : ١٢ ، وصبح الاعشى ١ : ٢٦٢ )

### ٣٠ - المنصور يصف خلفاء بني أمية

واجتمع عند المنصور أيام خلافته جماعة من ولد أبيه ، منهم عيسى بن موسى  
والعباس بن محمد وغيرهما ، فتذاكروا خلفاء بني أمية ، والسبب الذي به سلبوا  
عزهم ، فقال المنصور :

« كَانَ عبد الملك جَبَّارًا لَا يُبَالِي مَا صَنَعَ ، وَكَانَ الوليدَ لَحْمَانًا مَجْنُونًا ، وَكَانَ  
سليمانَ هِمَّتُهُ بَطْنُهُ وَقَرْبُجُهُ ، وَكَانَ عمرُ أَعْوَرَ يَنْ عُمَيَّانَ ، وَكَانَ هشامُ رَجُلَ  
القوم ، وَلَمْ يَزَلْ بنو أمية ضَابِطِينَ لما مُهَّدَ لَهُم مِنَ السلطان ، يَحْطُونُهُ وَيَصُونُونَهُ  
وَيَحْفَظُونَهُ ، وَيَحْرُسُونَ ما وَهَبَ اللهُ لَهُم مِنْهُ ، مع تَسْتَهْمِهم مَعَالِي الأمور ،  
وَرَفَضِهِم أَدَانِيَّهَا ، حَتَّى أَقْضَى أَمْرُهُم إلى أَحْدَاثٍ مُتَرَفِّينَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ ، فَنَمِطُوا<sup>(٣)</sup>  
النِّعْمَةَ ، وَلَمْ يَشْكُرُوا العَافِيَةَ ، وَأَسَاءُوا الرِّيَايَةَ ، فَابْتَدَأَتِ النِّقْمَةُ مِنْهُمْ ، بِاسْتِدْرَاجِ  
اللهِ إِيَّاهُمْ ، آمِنِينَ مَكْرَهُ ، مُطَّرِحِينَ صِيَانَةَ الخِلافةِ ، مُسْتَخَفِّينَ بِحَقِّ الرِّيَايَةِ ،  
ضَعِيفِينَ عَنِ رِسْمِ السِّيَاسَةِ ، فَسَلَبَهُمُ اللهُ الْعِزَّةَ ، وَأَلْبَسَهُمُ الذُّلَّةَ ، وَأَزَالَ عَنْهُمْ النِّعْمَةَ .

( شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢١٥ )

[١] أى لو هممت بمقابلك . [٢] اختبها . [٣] نطت النعمة : بطرما وجحزها .



### ٣١ - المنصور يصف عبد الرحمن الداخل

وقال المنصور يوماً لأصحابه : أخبروني عن صَقْر قريش ، مَنْ هو ؟ قالوا :  
 أمير المؤمنين ، الذي راضَ <sup>(١)</sup> المَلِكَ ، وسَكَنَ الزلازل ، وحَسَمَ الأدواء ، وأباد  
 الأعداء ، قال : ما صنعتُم شيئاً ، قالوا : فعاوية ، قال : ولا هذا ، قالوا : فعبد الملك  
 ابن مَرْوان ، قال : ولا هذا ، قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : عبد الرحمن بن  
 معاوية <sup>(٢)</sup> ، الذي عَبَرَ البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلدًا أعجميًا مُفْرَدًا ، فحَصَرَ  
 الأمصار ، وَجَنَدَ الأجناد ، ودوَّن الدواوين ، وأقام مُلكًا بعد انقطاعه ، بحسن  
 تديره ، وشدة شكيمة ، إن معاوية نهض بِمَرْكَبٍ حَمَلَهُ عَلَيْهِ هُمرُ وعثمان ،  
 وذُلَّلا لَهُ صَعْبُهُ ، وعبد الملك يَبْتَغِي تَقَدُّمَ لَهُ عَقْدُهَا ، وأمير المؤمنين بِطَلَبِ غِيَرِهِ  
 واجتماعِ شِيعَتِهِ ، وعبد الرحمن منفرد بنفسه ، مُؤَيَّدٌ بِرَأْيِهِ ، مستصحبٌ لعزمه .  
 ( القند الفريد ٢ : ٣٠٢ )

### وصايا المنصور لابنه المهدي

#### ٣٢ - وصية له

قال المنصور لابنه المهدي : « يَا بُنَيَّ لَا تُبْرِمْ أَمْرًا حَتَّى تَفَكَّرَ فِيهِ ، فَإِنْ  
 فِكْرَةُ الْعَاقِلِ مِرَاتُهُ ، تُرِيهِ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ ، واعلم أن الخليفة لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا  
 التَّقْوَى ، والسلطان لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الطَّاعَةُ ، والرعية لَا يَصْلِحُهَا إِلَّا الْعَدْلُ ، وَأَوَّلَى  
 النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ ، وَأَتَقْصُ النَّاسَ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مِنْ هُودُونَةٍ .  
 ( نهاية الأرب ٦ : ٤١ ، والقند الفريد ١ : ١٤ )

[١] ذَلَّ . [٢] هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان العروف بالداخل  
 مؤسس دولة بني أمية بالأندلس وسيان .

### ٣٣ - وصية أخرى له

وصاه فقال له : «إني لم أدع شيئاً إلا قد تقدمت إليك فيه ، وسأوصيك  
بمخالف ما أظنك تفعل واحدة منها - وكان له سَقَطٌ فيه دَفَاقَرُ علته ، وعليه  
قُلٌّ لا يأمن على فتحه ومفتاحه أحداً ، يَصُرُّ مفتاحه في كُمِّ قبيصه - فقال  
للهمدي : انظر هذا السقط فاحفظ به ، فإن فيه علم آياتك ما كان وما هو كائن  
إلى يوم القيامة ، فإن أحرزتك أمره فانظري الدِّقَرُ الأكبر ، فإن أصبت فيه ما تريد ،  
والأفالتاني والثالث حتى بلغ سبعة ، فإن ثقل عليك فالكراسة الصغيرة ، فإنك  
واجدٌ فيها ما تريد ، وما أظنك تفعل ، وانظر هذه المدينة فإنك أن تستبدل بها ،  
فإنها يبتك وعزك ، قد جمعتُ لك فيها من الأموال ، ما إن كُسر عليك الخراج  
عشر سنين ، كان عندك كفاية لأرزاق الجنود والنفقات ، وعطاء الذرية ، ومصلحة  
الثلثون ، فاحفظ بها فإنك لا تزال عزيزاً مادام بيت مالك عايراً ، وما أظنك  
تفعل ، وأوصيك بأهل بيتك ، أن تُظهر كرامتهم وتُقدمهم ، وتُكثر الإحسان  
إليهم ، وتُعظم أمرهم ، وتُوطئ الناس أعقابهم ، وتوليهم المنابر ، فإن عزك عزم ،  
وذكرم لك ، وما أظنك تفعل ، وانظر مَوَالِيكَ فأحسن إليهم ، وقرِّبهم ،  
واستكثر منهم ، فإنهم مادَّتكَ لشدة إن نزلت بك ، وما أظنك تفعل ،  
وأوصيك بأهل خراسان خيراً ، فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم في  
دولتك ، وديما دم دُونك ، ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم ، أن تُحسن إليهم ،  
وتجاوز عن مُسيئتهم ، وتكافئهم على ما كان منهم ، وتُخلف من مات منهم في  
أهله وولده ، وما أظنك تفعل ، وإياك أن تبني مدينة الشرقية ، فإنك لا تُثم  
نأهها ، وما أظنك تفعل ، وإياك أن تستعين برجل من بني سلم ، وأظنك

ستفعل ، وإياك أن تدخل النساء في مشورتك في أمرك ، وأظنك ستفعل » .  
( تاريخ الطبري ٩ : ٣١٩ )

### ٣٤ - وصية أخرى له

ووصى المهدي أيضاً ، فقال : « اتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدى ، يجعل لك فيما كرتك وخزنتك مخرجاً ، ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب ، احفظ يا بنى محمداً صلى الله عليه وسلم في أمته ، يحفظ الله عليك أمورك ، وإياك والدم الحرام ، فإنه حوب <sup>(١)</sup> عند الله عظيم ، وعار في الدنيا لازم مقيم ، والزم الحلال ، فإن فيه ثوابك في الآجل ، وصلاحك في العاجل ، وأقم الحدود ، ولا تعتد فيها فتبور <sup>(٢)</sup> ، فإن الله لو علم أن شيئاً أصلح لدينه ، وأزجر عن معاصيه من الحدود ، لأمر به في كتابه ، واعلم أنه من شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فساداً ، مع ما ذكر له عنده من العذاب العظيم ، فقال : « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ، أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ ، أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » ، فالسلطان يا بنى حبل الله المتين ، وعزوته الوثقى ، ودين الله القيم ، فاحفظه وحطه ، وحصنه وذنبه عنه ، وأوقع بالمُلتحين فيه ، واقمع المارقين منه ، واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم ، والمثلثات <sup>(٣)</sup> بهم ، ولا تجاوز ما أمر الله به في مُحكم القرآن ، واحكم بالعدل ولا تشطط ، فإن ذلك أقطع للشغب ، وأحسم للعدو ، وأنجع في

الدواء ، وَعَفَّ عَنْ النَّيِّءِ ، فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك ، وافتتح صلاتك  
بصلة الرَّحِمِ وَبِرِّ الْقَرَابَةِ ، وإياك وَالْأَثَرَةَ ، والتبذير لأموال الرعية ، وَاشْحَنَ<sup>(١)</sup>  
الظنور ، وَاضْبَطِ الأطراف ، وَأَمِّنِ السَّبِيلَ ، وَخَصَّ الواسِطَةَ<sup>(٢)</sup> ، وَوَسَّعِ المَآشِ ،  
وَسَكَّنِ العامة ، وَأَدْخِلِ المرافق عليهم ، وَأَصْرِفِ الْمَكْلُوهَ عنهم ، وَأَعِدِّ الْأَمْوَالَ  
وَاخْزُمْهَا ، وإياك والتبذير ، فَإِنَّ النَوَائِبَ غير مأمونة ، والحوادث غير مضمونة ،  
وهي من شَيْمِ الزَّمان ، وَأَعِدِّ الرِّجَالَ وَالْكَرَاعَ<sup>(٣)</sup> واجتهد ما استطعت ، وإياك  
وتأخير عمل اليوم إلى غد ، فتدارك عليك الْأُمُورَ وَتَضْيِيعَ ، جِدِّ فِي إِحْكَامِ الْأُمُورِ  
النَّازِلَاتِ لَأَوْقَاتِهَا أَوْ لَا فَأُولَا ، واجتهد وشمِّرْ فيها ، وَأَعْدِدْ رِجَالًا بِاللَّيْلِ لمعرفة  
ما يكون بالنهار ، ورجالًا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل ، وبأشر الْأُمُورِ بنفسك  
وَلَا تَضَجِرْ ، وَلَا تَكْسَلْ ، وَلَا تَقْشَلْ ، واستعمل حسن الظن بربك ، وَأَمْسِئْ  
الظن بمالك وَكُتَّابِكَ ، وخذ نفسك بالتيقظ ، وتفقد من يَبِيتُ على بابك ،  
وَسَهِّلْ إِذْنَكَ لِلنَّاسِ ، وانظر في أمر التُّزَاعِ إِلَيْكَ ، ووَكِّلْ بِهِمْ عَيْنًا غير نائمة ،  
وَنَفْسًا غير لاهية ، وَلَا تَحْتَمِمْ فَإِنَّ أَبَاكَ لَمْ يَنْمَ مِنْذُ وَلِيِ الْخِلَافَةِ ، وَلَا دَخَلَ عَيْنُهُ  
غَمَضٌ إِلَّا وَقَلْبُهُ مُسْتَيْقِظٌ ، هذه وَصِيَّتِي إِلَيْكَ ، وَاللَّهِ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ .

(تاريخ الطبري ٩ : ٣٢٠)

### ٣٥ - خطبة النفس الزكية حين خرج على المنصور

لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب  
بالنفس الزكية<sup>(٤)</sup> على المنصور ، قام على منبر المدينة ، فحمد الله ، وأثنى عليه ،  
ثم قال :

[١] أى املأها بالمداغة . [٢] للتوسطة . [٣] الكراع : اسم يجمع الخيل . ر  
[٤] كان بنو هاشم - الطالبيون والعباسيون - قد اجتمعوا أغريان الصر الأموى ، ونذاكروا ملهم

« أيها الناس : إنه قد كان من أمر هذا الطاغية أبي جعفر من بناءه القبة الخضراء ، التي بناها معاندة لله في ملكه ، وتصغيره الكعبة الحرام ، وإنما أخذ الله فرعون حين قال : « أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى » . وإن أحق الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين الأولين ، والأنصار المُواسين ، اللهم إنهم قد أحلوا حرامك ، وحرّموا حلالك ، وعَمِلُوا بغير كتابك ، وغيروا عهد نبيك صلى الله عليه وسلم ، وآمنوا من أخفت ، وأخافوا من آمنت ، فأخصهم عدداً ، وأقتلهم بدداً <sup>(١)</sup> ، ولا تُبْقِ على الأرض منهم أحداً » . ( ذيل الامالى ص ١٢١ )

### ٣٦ - وصية عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي لابنه محمد (أو إبراهيم)

ووصى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ابنه محمداً النفس الزكية (أو إبراهيم) ، فقال :

« أَيْ بُنَيَّ ، إِنِّي مُؤَدِّ حَقِّ اللَّهِ فِي تَأْدِيكَ ، فَأَدِّ إِلَى حَقِّ اللَّهِ فِي الْإِسْتِمَاعِ مِنِّي ،

وما هم عليه من الاصطهاد ، وما قد آل إليه أمر بني أمية من الاضطراب ، وانتفقوا على أن يدعوا الناس إليهم سرا ، ثم قالوا لا بد لنا من رئيس نأيمه ، فاتفقوا على مبايعة النفس الزكية ، وكان من سادات بني هاشم ورجالهم فضلا وشرفا وعلما ، وشاء القدر أن يدعوا العباسيون بالخلافة ، فولياها السامح ثم المنصور ، ولم يكن للمنصور من مناد تبوأ عرشها سوى طلب النفس الزكية ليقنله ، وأغراه بذلك أن الناس كانوا شديدي الميل إليه ، وكانوا يمتدحون فيه الفضل والشرف والرياسة ، فطلبه المنصور هو وأخاه إبراهيم من أبيهما عبد الله بن الحسن ، فقال : لا علم لي بهما - وكانا قد تقييا خوفا منه - فلما أطال عليه ، قال : كم تطول ؟ والله لو كانا تحت قدمي ، لما رفستهما عنهما ، سبحان الله ! آتيك بولدي لتقتلها ! فقبض عليه ، وعلى أهله من بني الحسن وحبيهم في سجن الكوفة حتى ماتوا فيه كما تقدم ، ولم يزل النفس الزكية متفرجا منذ أفضت الدولة إلى بني العباس خوفا منهم على نفسه ، فلما علم بما جرى لوالده ولقومه ظهر بالمدينة وأظهر أمره ، وتبعه أتباع المدينة ، ثم غلب عليها ، وعزل عنها أميرها ، ورتب عليها هاما وقاضيا ، فوجه المنصور لقتاله جيشا بقيادة ابن أخيه عيسى بن موسى ، فكانت الغلبة لسكر المنصور ، وقتل النفس الزكية ، وحمل رأسه إلى المنصور سنة ١٤٥ هـ . [١] متبددين : متفرقين .

أى بى كُفّ الأذى ، وارفض البنا<sup>(١)</sup> ، واستمن على الكلام بطول الفكر ،  
فى المواطن التى تدعوك فيها قسك إلى الكلام ، فإن لقول ساطع يضر فيها  
الخطأ ، ولا ينفع فيها الصواب ، واحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحا ، كما  
تحذر مشورة العاقل إذا كان غائبا ، لأنه يُزِدُكَ بِمشورته ، واعلم يا بى أن رأيك  
إذا احتجت إليه وجدته ناعما ، ووجدت هواك يقطن ، فإليك أن تستبد برأيك ،  
فإنه حينئذ هواك ، ولا تفعل فِعْلا إلا وأنت على يقين أن ما قبله لا تُزِدُكَ ، وأن  
نتيجته لا تجنى عليك . (در الآداب ١ : ٩٢ ، والبلد والهيبة ١ : ١٨٠ ، ٢ : ٨٨)

### ٣٧ - قول عبد الله بن الحسن وقد قتل ابنه محمد

ولما قتل المنصور ابنه محمداً - وكان عبد الله فى السجن - بعث برأسه إليه  
مع الرّيح حاجبه ، فوضع بين يديه ، قال :  
رسحك الله أبا القاسم ، فقد كنت من « الَّذِينَ يُرْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا  
يَتَّقُونَ لِلْيَاقِ ، وَالَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَتُحْشُونَ رِجْمَهُمْ ،  
وَيُخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ » ، ثم عتل :

فنى كان يحنيه عن القتل سيفه ويكفيه سموات الأمور اجتنابها

ثم انضت إلى الرّيح ، قال له : « قل لصاحبك قد مضى من يؤسنا مدة ، ومن  
نسيمك مثلها ، والموعِدُ اللَّهُ تعالى » قال الرّيح : لما رأيت المنصور قط  
أكثر انكسارا منه حين أبلغته الرسالة . (در الآداب ١ : ٩٠)

### ٣٨ - امرأة محمد بن عبد الله والمنصور

ولما قتل المنصور محمد بن عبد الله ، اغترصته امرأة معها صبيكان ، فقالت :

« يا أمير المؤمنين ، أنا امرأة محمد بن عبد الله ، وهذان ابناهُ ، آيتَهُمَا سَيْفُكَ ، وَأَضْرَعَهُمَا <sup>(١)</sup> خَوْفُكَ ، فَتَأْشَدُّتُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَصْعَرَ لهُمَا خَدَّكَ ، فَيَنَائِيَ عَنْهُمَا رِفْدُكَ ، أَوْ لَتَعْطِفَكَ عَلَيْهِمَا شَوَابِكُ النَّسَبِ ، وَأَوَاصِرُ <sup>(٢)</sup> الرَّحِمِ » .

فالتفت إلى الربيع ، فقال : أَرَدْتُ عَلَيْهِمَا ضِيَاعَ أَبِيهِمَا ، ثُمَّ قَالَ : كَذَا وَاللَّهِ أَحِبُّ أَنْ تَكُونَ نِسَاءُ بَنِي هَاشِمٍ . ( زمر الآداب : ١ : ٩٦ )

### ٣٩ - جعفر الصادق والمنصور

وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَمَّا ظَهَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِ الْمَنْصُورِ وَنَصَرِ مُحَمَّدٍ ، فَلَمَّا ظَفِرَ الْمَنْصُورُ أَحْضَرَ جَعْفَرًا الصَّادِقَ <sup>(٣)</sup> بْنَ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرَ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ رَأَيْتَ إِنْطَبَاقَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى حَرْبِي ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُبْعَثَ إِلَيْهِمْ مِنْ يَمُورٍ <sup>(٤)</sup> عِيُونِهِمْ ، وَيُحْمَرُ <sup>(٥)</sup> نَخْلَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ سَلِمَانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَإِنْ أَيُّوبَ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَإِنْ يُوسُفَ قَدِّرَ فَغَفَرَ ، فَاقْتَدِ بِأَيْهِمْ شَيْئًا ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ مِنْ نَسْلِ الَّذِينَ يَمُفُونَ وَيَصْفَحُونَ » ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : « إِنَّ أَحَدًا لَا يَعْلَمُنَا الْحِلْمَ ، وَلَا يَعْرِفُنَا الْعِلْمَ ، وَإِنَّمَا قُلْتُ مَهْمَمْتُ ، وَلَمْ تَرْنِي فَعَلْتُ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ قَدْرَتِي عَلَيْهِمْ تَمْنَعُنِي مِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ » . ( زمر الآداب : ١ : ٩٦ )



وروى صاحب العقد قال :

[١] أذلها . [٢] أواصر جمع آصرة ، والآصرة : حبل صغير يشد به أسفل الحباء ( وهي أيضاً الرحم والفراجة ) . [٣] هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين عليه السلام وتوفي سنة ١٤٨ . [٤] في الأصل « بنور » وأراه محرفاً ، وقد أصلحته « يمور » يقال : يمور البئر أي طمها ، وسد عيونها التي ينبع منها الماء . [٥] جمر الحبل : قطع جواره .

لما حج المنصور مرةً بالمدينة ، فقال للربيع الحاجب : « على جعفر بن محمد ، قتلني الله إن لم أقتله ، فطُل به ، ثم أُلح عليه ، فحضر ، فلما كُشِف السترينه وبينه ، ومثل بين يديه ، همس جعفر بِشَفْتَيْهِ ، ثم تقرب وسلم ، فقال : « لاسلم الله عليك يا عدو الله ، تعمل على العوائل في ملكي ؟ قتلني الله إن لم أقتلك » . قال : « يا أمير المؤمنين ، إن سليمان صلى الله على محمد وعليه أُعطي فشكر ، وإن أيوب ابتلي فصبر ، وإن يوسف ظلم فقفر ، وأنت على إرث منهم ، وأحق من تأسي بهم » ، فنكس أبو جعفر رأسه ملياً ، وجعفر واقف ، ثم رفع رأسه ، وقال : « إلى أبا عبد الله فأنات القريب القرابة ، وذو الرحم الواشجة <sup>(١)</sup> ، السليم الناحية ، القليل الغائلة » ، ثم صاحفه يمينه ، وعاتقه بشماله ، وأجلسه معه على فراشه ، وانحرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يحادثه ويسأله ، ثم قال : ياربيع ، عجل لأبي عبد الله كِسوته وجائزته وإذنه . ( العقد الفرید ١ : ١٤٥ )

٤٠ - صفح المنصور عن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله <sup>(٢)</sup> ، وصار إلى المنصور ، أترال ربيع بخلع سواده ، والوقوف به على رؤس الميمنية في المقصورة يوم الجمعة ، ثم قال : قل لهم :

« يقول لكم أمير المؤمنين قد عرّفتم ما كان من إحساني إليه ، وحسن بلائي ، وقديم نعمتي عليه ، والذي حاول من الفتنة ، ورام من البغي ، وأراد من شقّ المصا ، ومعاونة الأعداء ، وإراقة السماء ، وإنه قد استحق بهذا من

[١] القرية : المشبكة . [٢] هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أخو الخس الزكية ، وقد خرج على المنصور بالبصرة ، فوجه إليه المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى بعد رجوعه من قتال الخس الزكية فقاتله وقتل إبراهيم في المعركة سنة ١٤٥ هـ .



فعله ، أليم العقاب ، وعظيم المذاب ، وقد رأى أمير المؤمنين إتمام بلائه الجليل لديه ، وَرَبَّ<sup>(١)</sup> نِعْمَانَهُ السابقة عنده ، لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه ، وما يؤمله من الخير العاجل والآجل ، عند العفو عمن ظلم ، والصفح عمن أساء ، وقد وهب أمير المؤمنين مُسِيئَتَهُمْ لِحُسْنِهِمْ ، وغادِرَهُمْ لَوْفِيهِمْ .

( البيان والتبيين ٣ : ١٨٥ )

#### ٤١ — استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور

ولما انهزم عبد الله بن علي<sup>(٢)</sup> من الشام ، قَدِمَ على المنصور وقد منهم ، فقام عِدَّةٌ منهم ، فتكلموا ، ثم قام الحارث بن عبد الرحمن النِفَارِيُّ ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنا لسنا وفدَ مباهاةٍ ، وإنما نحن وفد تَوْبَةٍ ، وإنا ابتلينا بفتنة استخفّت كريمنا ، واستفزّت حليمنا ، ونحن بما قدّمنا مُعْتَرِفُونَ ، وبما سَلَفَ منا مُعْتَذِرُونَ ، فَإِنْ تُعَاقِبْنَا فَمَا أَجْرُنا ، وَإِنْ تَعْفُ عَنَّا فَبِفَضْلِكَ عَلَيْنَا ، فاصْفَحْ عَنَّا إِذْ مَلَكَتْ ، وَامْنُنْ إِذْ قَدَرْتَ ، وَأَحْسِنْ إِذْ ظَفَرْتَ ، فطالما أحسنت إلى من أساء مِنَّا » ، فقال المنصور : قد فعلت ، ثم قال للحريص : هذا خطيبهم ، وأمر برد ضياعه عليه بالْعُوطَةِ<sup>(٣)</sup> .

( العقد الربدي ١ : ١٤٤ ، وتاريخ الطبري ٩ : ٣٠٧ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٨ )

[١] رب الشيء : جمه وزاده ، ورب الشيء : وباه حتى أدرك .

[٢] هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم المنصور ، وكان قد خرج عليه بالشام ، وقال : إن السفاح قال لي إن ظهرت على مروان الجعدي — وكان السفاح أرسله لقتال مروان بالشام — فأنت ولي العهد بعدي ، وشهد له جماعة بذلك . فأرسل المنصور أبا مسلم الخراساني لمحاربه فهزبه ، وهرب عبد الله إلى البصرة ، ونزل على أخيه سليمان بن علي ، فشفع فيه سليمان إلى المنصور فأمنه ، فلما جاء إليه بحقه ومات في حبسه ، وقيل إنه بنى له بيتا ، وجعل في أساسه ملحا ، ثم أجرى الماء فيه ، وسقط البيت عليه فمات .

## ٤٣ - استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور أيضا

وقال عثمان بن خُزَيم المنصور ، حين عفا عن أهل الشام في إجلائهم <sup>(١)</sup> مع عبد الله بن عليّ عمه : « يا أمير المؤمنين ، لقد أعطيت فشكرت ، وابتليت فصبرت ، وقدرت فسفوت » .

وقال آخر : « يا أمير المؤمنين ، الانتقام عدلٌ ، والتجاوز فضل ، والمتفضل قد جاوز حدَّ المنصف ، فنحن نُعِذُّ أمير المؤمنين بالله أن يرَضَى لنفسه بأوكس <sup>(٢)</sup> النصيين ، دون أن يبلغ أرفع الدرجتين » .

وقال آخر : « من انتقم فقد شقَّ غيظ نفسه ، وأخذ أقصى حقّه ، وإذا انتقم فقد انتقصت <sup>(٣)</sup> ، وإذا عفوت تطوّلت <sup>(٤)</sup> ، ومن أخذ حقه ، وشقَّ غيظَه ، لم يجب شكره ، ولم يُذكر في العالمين فضله ، وكظم النفيظ حلم ، والحلم صبر ، والتشقى طرف من العجز <sup>(٥)</sup> ، ومن رضى ألا يكون بين حاله وبين حال الظالم إلا سترقين ، وحجاب ضعيف ، لم يجزم في تفضيل الحلم ، وفي الاستيثاق من ترك دواعي الظلم ، ولم تر أهل النهى ، والمنسوين إلى الحبحا والثقى ، مكدّحوا الحُكَّام بشدة العقاب ، وقد ذكروهم بحسن الصّنع ، وبكثرة الاعتقار ، وشدة التخاذل ، وبعدُ فالعاقب مستمد <sup>(٦)</sup> لعداوة أولياء المذنب ، والعاقي مستدج لشكرهم ، آمن من مكافأته <sup>(٧)</sup> أيام قُدّرتهم ، ولأن يُنتى عليك باتساع الصدر ، خير من أن يُنتى عليك بضيق الصدر <sup>(٨)</sup> ، على أن إقالتك عثرة عباد الله ،

[١] في الأصل « إجلائهم » وهو تحريف ، والصواب « إجلائهم » أى في قتلهم وهجاءهم من الجلبة بالتحريك وهو الصباح . [٢] من الأوكس كوحده : وهو الفصل .

[٣] أى انقص حلك بخروجا عليك ، لحق لك الانتقام منا لأخذ حلك .

[٤] تطوّل عليه : امتدّ وتمهل . [٥] وفي زهر الآداب : « من الجرع » .

[٦] وفي زهر الآداب : « مستودع » . [٧] مجازاتهم .

[٨] وفي زهر الآداب : « خير من أن توصف بهنّه » .

مُوجِبٌ لِإِقَاتِكَ عَثْرَتِكَ مِنْ رَبِّ عِبَادِ اللَّهِ ، وَعَفْوِكَ عَنْهُمْ مَوْصُولٌ بِعَفْوِ اللَّهِ عَنْكَ ، وَعِقَابِكَ لَهُمْ مَوْصُولٌ بِعِقَابِ اللَّهِ لَكَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » .

( البيان والتبيين ٢ : ٥٥٠ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٨ )

### ٤٣ - أبو جعفر المنصور والربيع

وقال سعيد بن مُسلم بن قُتَيْبَةَ : دعا المنصور بالربيع <sup>(١)</sup> ، فقال : سَلْنِي مَا تَرِيدُ ، فَقَدْ سَكَتَ حَتَّى نَطَقْتَ ، وَخَفَفْتَ حَتَّى ثَقُلْتَ ، وَقُلْتَ حَتَّى أَكْثَرْتَ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا أَرْزَيْتُ بِجُحُودِكَ ، وَلَا أَسْتَقْصِرُ عَنْكَ ، وَلَا أَسْتَصْغِرُ فَضْلَكَ ، وَلَا أَغْتَمُّ مَالَكَ ، وَإِنْ يَوْمِي بِفَضْلِكَ عَلَى أَحْسَنِ مِنْ أَمْسِي ، وَغَدُكَ فِي تَأْمَلِي أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِي ، وَلَوْ جَازَ أَنْ يُشْكِرَكَ مِثْلِي بِغَيْرِ الْخِدْمَةِ وَالْمَنَاصَحَةِ لَمَّا سَبَقَنِي لَذَلِكَ أَحَدٌ » قَالَ : صَدَقْتَ ، عَلِمْتُ بِهَذَا مِنْكَ أَحْلَكَ هَذَا الْحُلَّ ، فَسَلْنِي مَا شِئْتَ ، قَالَ : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقَرَّبَ عَبْدُكَ « الْفَضْلُ » <sup>(٢)</sup> وَتُؤَيِّدَهُ وَتُجَبِّهَهُ ، قَالَ : يَارَبِّيعُ ، إِنْ الْحُبُّ لَيْسَ بِعَالٍ يُؤْهَبُ ، وَلَا رَتْبَةٌ تُبْذَلُ ، وَإِنَّمَا تَوَكَّدَهُ الْأَسْبَابُ ، قَالَ : فَاجْعَلْ لِي طَرِيقاً إِلَيْهِ ، بِالْفَضْلِ عَلَيْهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، وَقَدْ وَصَلْتُهُ بِأَلْفِ دَرَاهِمٍ ، وَلَمْ أَصِلْ بِهَا أَحَدًا غَيْرَ عُمُومَتِي ، لَتَعْلَمَ مَالَهُ عِنْدِي ، فَيَكُونُ مِنْهُ مَا يَسْتَدْعِي بِهِ حُبِّي ، قَالَ : فَكَيْفَ سَأَلْتَ لَهُ الْحُبَّ يَارَبِّيعُ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَمِفْلَاقُ كُلِّ شَرٍّ ، تُسَوِّرُ بِهَا عِنْدَكَ عِيُوبَهُ ، وَتَصِيرُ حَسَنَاتٍ ذُنُوبُهُ ، قَالَ : صَدَقْتَ .

( زهر الآداب ٢ : ١٦٣ )

[١] هو أبو الفضل الربيع بن يونس ، وزير المنصور ، وكان مهيئاً فصيحاً كافياً حازماً فطناً ، ولم يزل وزيراً للمنصور إلى أن مات المنصور . وقام الربيع بأخذ البيعة للهدى ، ثم سعى به أعداؤه إلى الهادي ، فقتله سنة ١٧٠ هـ . [٢] هو ابنه الفضل بن الربيع ، وقد وزير الرشيد بعد البرامكة ، ولابنه الأمين كما سيأتي .

#### ٤٤ — مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور

دخل عمرو<sup>(١)</sup> بن عُبيد على المنصور بعد ما بايع للمهدى ، فقال له : يا أبا عثمان ، هذا ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ، فقال له عمرو : يا أمير المؤمنين ، أراك قد وطدت له الأمور ، وهى تصير إليه ، وأنت عنه مسئول ، فاستعبر المنصور ، وقال له : عِظْنِي يا عمرو ، قال : « يا أمير المؤمنين : إن الله أعطاك الدنيا بأمرها ، فاشتر نفسك منها ببعضها ، وإن هذا الذى فى يدك ، لو بقى فى يد غيرك ، لم يصل إليك ، فأحذر ليلةً تَمُخَضُ عن يوم لا ليلة بعده » ، فوجم أبو جعفر من قوله ، فقال له الريح : يا عمرو غممت أمير المؤمنين ، فقال عمرو : إن هذا صعبك عشرين سنة ، لم يَرَ لك عليه أن يتصحك يوماً واحداً ، وما عمل وراء بابك بشيء من كتاب الله ولا سنة نبيه ، قال أبو جعفر : فما أصنع ؟ قد قلت لك ، خاتمي فى يدك ، فتعال وأصحابك فاكفني ، قال عمرو : « أدعنا بعد ذلك ، نَسْخُ أنفسنا بَعُونَكَ ، يبابك أَلْفُ مَظْلَمَةٍ ، أَرُدُّ منها شيئاً نعلم أنك صادق » .

(مروج الذهب ٢: ٢٤٣ ، وعيون الأخبار ٢: ٣٣٧ ، ووفيات الأعيان ١: ٣٨٤ ، والقدر الفريد ١: ٣٠٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ٩: ١٤٨)

#### ٤٥ — مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور

بينما المنصور يطوف ليلاً إذ سمع قائلاً يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهورَ البنى والفساد فى الأرض ، وما يَحُولُ بين الحق وأهله من الطمع ، فخرج المنصور ، فجلس ناحيةً من المسجد ، وأرسل إلى الرجل يدعوه ، فصلى الرجل ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع الرسول ، فسلم عليه بالخلافة ، فقال المنصور : ما الذى سمعتك تذكر من ظهور البنى والفساد فى الأرض ؟ وما الذى يَحُولُ بين الحق

وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حَسَوْتُ مَسَامِي ما أَرْمَضَنِي <sup>(١)</sup> ، قال : يا أمير المؤمنين إن أَمَنَنْتَنِي على نَفْسِي ، أَنبَأْتُكَ بالأُمُور من أصولها ، وإِلَّا احتَجَزْتُ منك ، واقتصرت على نَفْسِي ، ففِيها لِي شَاغِلٌ ، فقال : أَنْتَ آمِنٌ على نَفْسِكَ فَقُلْ ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الذي دخله الطمع ، حتى حال بينه وبين ما ظهر من البُغْيِ والفساد لَأَنْتَ ، قال : ويحك ، وكيف يدخلني الطمع ، والصفراء والبيضاء <sup>(٢)</sup> في قَبَضَتِي ، والحُلُو والحامِض عِنْدِي ؟ قال : وهل دخل أحدًا من الطمع ما دَخَلَكَ ؟ إن الله تبارك وتعالى استرعاكَ المسلمين وأموالهم ، فَأَغْفَلْتَ أُمُورهم ، واهْتَمَمْتَ بجمع أموالهم ، وجعلتَ بينك وبينهم حِجَابًا من الجِصِّ والآجُرِّ ، وأبوابًا من الحديد ، وَحَاجِبَةً معهم للسلاح ، ثم سَجَنْتَ نَفْسَكَ فِيها عنهم ، وبعثتَ عُمَّالَكَ في جِباية الأموال وجمعها ، وقوَّيْتهم بالرجال والسلاح والكُرَاع ، وأمرتَ بِالْأَدْخَالِ علىكَ من الناس إِلَّا فُلان وفلان ، نَفَرٌ سَمَّيْتهم ، ولم تأمر بِإِصْصَالِ المظلوم ولا الملهوف ، ولا الجائع العاري ، ولا الضعيف الفقير ، ولا أَحَدَ إِلَّا وَلَهُ في هذا المال حق ، فلما رَأَيْتَ هَؤُلَاءِ النفر الذين استخلصتهم لنَفْسِكَ ، وآثَرْتهم على رِعِيَتِكَ ، وأمرتَ أَلَّا يُحْجَبُوا عَنْكَ ، تُجَنِّي الأموال وتجمعها ولا تقسمها ، قالوا : هذا قد خان الله ، فما بَالُنَا لا نخونه وقد سَجَنْتَ لَنَا نَفْسَهُ ؟ فَأُتِمُّوا بِالْأَدْخَالِ إِلَيْكَ من علم أخبار الناس شَيْءٌ ، إِلَّا مَا أَرَادُوا ، ولا يخرج لك عامل ، فيخالف أُمُورهم إِلَّا قَصَبَهُ <sup>(٣)</sup> عِنْدَكَ وَنَفْوَه ، حتى تسقط منزِلَتُهُ ، ويصغر قَدْرُهُ ، فلما انتشر ذلك عَنْكَ وعنهم ، أعظمَهم الناس وهابوم ، فكان أول من صانَهم عُمَّالَكَ بالهدايا والأموال ، ليقووا بها على ظلم رِعِيَتِكَ ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من

[١] أوجعتني وآلمني . [٢] الصفراء والبيضاء : الدناير والدرام .

[٣] طابوه وشتبوه ، وفي المقدم الفردي : « خوتوه » .

وعيتك ، لينالوا به ظلم من دونهم ، فامتلات بلاد الله بالطمع بغيًا وفسادًا ، وضار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك ، وأنت غافل ، فإن جاء متظلم حيل بينه وبين دخول مدينتك ، فإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك ، وجدك قد نهيت عن ذلك ، وأوقفت للناس رجال ينظر في مظالمهم ، فإن جاءك ذلك الرجل ، فبلغ بطايتك خبره ، سألوا صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته إليك ، فإن المتظلم منه لهم حرمة ، فأجابهم خوفًا منهم ، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ، ويلوذ به ، ويشكو ويستغيث ، وهو يدفعه ويعتل عليه ، فإذا أجهد وأخرج وظهرت ، صرخ بين يديك ، فضرب ضربًا مبرحًا ليكون نكالًا لغيره ، وأنت تنظر فلا تنكر ، فابقاء الإسلام على هذا ؟ وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصين فقدمتها مرة ، وقد أصيب ملكها بسمنه ، فبكي يومًا بكاء شديدًا ، فنهج جلساؤه على الصبر ، فقال : أما إنى لست أبكي للبلية النازلة بي ، ولكنى أبكي لمظلوم بالباب يعصرخ ، ولا أسمع صوته ، ثم قال : أما إذ ذهب سمي ، فإن بصرى لم يذهب ، نادوا في الناس ألا يلبس ثوبًا أحمر إلا متظلم ، ثم كان يركب الفيل طرفي نهاره ، وينظر هل يرى مظلومًا ؟ فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله ، غلبت رأفته بالشركين شح نفسه ، وأنت مؤمن بالله ، ثم من أهل بيت نبيه ، لا تغلب رأفتك بالمسلمين على شح نفسك ؟ فإن كنت إنما تجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عيبرًا في الطفل ، يسقط من بطن أمه ، وماله على الأرض مالًا ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تمحويه ، فما يزال لله يلطف بذلك الطفل ، حتى تعظم رغبة الناس إليه ، ولست بالذي تعطى ، بل الله يعطى من يشاء ما شاء ، وإن قلت إنما أجمع المال لتعديد

السلطان ، فقد أراك الله عِبراً في بنى أمية ، ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة ، وأعدّوا من الرجال والسلاح والكُرَاع ، حتى أراد الله بهم ما أراد ، وإن قلت إنما أجمع لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلةٌ ، لا تُذكر إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين ، هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل ؟ قال المنصور : لا ، قال : فكيف تصنع بالملك الذي خولك مُلك الدنيا ، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ؟ ولكن بالخلود في العذاب الأليم ، قد رأى ما قد عُقِدَ عليه قلبك ، وعَمِلَتْه جوارحك ، ونظر إليه بصرك ، واجترحتَه <sup>(١)</sup> يدك ، ومشت إليه رجلاك ، هل يُغْنِي عنك ما شحّحت عليه من مُلك الدنيا إذا انتزعهُ من يدك ، ودعاك إلى الحساب ؟ فبكي المنصور وقال : يا ليتني لم أُخْلَق ، ويحك ! فكيف أحتال لنفسي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن للناس أعلاماً يَفْرَعُونَ إليهم في دينهم ، ويرضَوْنَ بهم ، فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم في أمرك يسدّدوك ، قال : قد بعثت إليهم فهربوا مني ، قال : خافوا أن تحمِلَهم على طريقتك ، ولكن افتح بابك ، وسهّل حِجابك ، وانصر المظلوم ، واقمع الظالم ، وخذ النِّقْيَ والصدقات مما حل وطاب ، واقسمه بالحق والعدل على أهله ، وأنا الضامن عنهم أن يأتوك ويُسمعوك على صلاح الأمة ، وجاء المؤدّنون ، فسلموا عليه ، فصلى وعاد إلى مجلسه ، وطُلبَ الرجل فلم يوجد .

(عون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٣ ، والقند الفريد ١ : ٣٠٤)

## ٤٦ — مقام الأوزاعي بين يدي المنصور

قال الأوزاعي <sup>(٢)</sup> : دخلت على المنصور ، فقال لي : ما الذي بطأ بك عني ؟

[١] اكتسبته . [٢] هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، إمام أهل الشام ، ولم يكن بها أعلم منه ولد ببغداد سنة ٨٨ هـ ، وتوفي سنة ١٥٧ يبيروت ، والأوزاعي : نسبة إلى أوزاع ، وهي بطن من بني

قلت : يا أمير المؤمنين ، وما الذى تريد منى ؟ فقال : الاقتباس منك ، قلت : أنظر ما تقول ، فإن « مكحولاً »<sup>(١)</sup> حدثني عن عطية بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من بَلَغَهُ عن الله نصيحة في دينه ، فهي رحمة من الله سَيِّقَتْ إليه ، فإن قبلها من الله بِشُكْرٍ ، وإلاَّ كَانَتْ حُجَّةً من الله عليه ، ليزداد إثمًا ، ويزداد الله عليه غَضَبًا ، وإن بَلَغَهُ شَيْءٌ من الحق فرضى ، فله الرضا ، وإن سَخِطَ فله السخط ، ومن كرهه فقد كَرِهَ الله ، لأن الله هو الحق المبين » فلا تَجْهَلَنَّ ، قال : وكيف أجهل ؟ قال : تسمع ولا تعمل بما تسمع ، قال الأوزاعي : فسل على الربيع السيف ، وقال : تقول لأمر المؤمنين هذا ؟ فاتهره المنصو وقال : أمسيك ، ثم كلمه الأوزاعي ، وكان في كلامه أن قال :

« إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذى أصبحت به ، والله سَأَلْتُكَ عن صغيرها وكبيرها ، وفَتِيلِهَا وَتَقْيِيرِهَا »<sup>(٢)</sup> ، ولقد حدثني عُرْوَةُ بن رُوَيْمٍ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مِمَّنْ رَاجِعٌ يَبِيدُ فَاثًا لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَايَةَ الْجَنَّةِ » فحقيق على الوالى أن يكون لرعيته ناظرًا ، ولما استطاع من عَوْرَاتِهِمْ سَاتِرًا ، وبالقِسْطِ فيما بينهم قَائِمًا ، لَا يَتَخَوَّفُ مُحْسِنُهُمْ مِنْهُ رَهَقًا<sup>(٣)</sup> ، وَلَا مُسِيئُهُمْ عُدْوَانًا ، فقد كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جَرِيدَةً يَسْتَاكُ بِهَا ، ويردع عنه المتناقضين ، فَأَنَّهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ : « يَا مُحَمَّدُ ، مَا هَذِهِ الْجَرِيدَةُ يَدُكَ !

الكلاع من اليمن ، وقيل : بطن من مهران ، وقيل الأوزاع : قرية بدمشق ، ولم يكن عبد الرحمن منهم ، وإنما نزل فيهم ، فنسب إليهم ، وهو من سبي اليمن .

[١] هو مكحول بن عبد الله الشامي ، معلم الأوزاعي ، وكان من سبي كابل ، وقع إلى سعيد بن العاص ، فوجهه لامرأة من هذيل فأعتقته ، قال الزهرى : الطاء أروية : سعيد بن السيب بالمدينة ، والشعي بالكوفة ، والحسن البصرى بالبصرة ، ومكحول بالشام ، ولم يكن في زمنه أبصر منه بالتبلي ، وممع أس ابن مالك وغيره ، وكان مقامه بدمشق ، وتوفى سنة ١١٨ هـ .

[٢] التليل : السحابة التى في شق النواة ، والغير : القرية التى في ظهر النواة . [٣] ظلمًا -



أَقْذِفْهَا لَا تَمَلَأْ قُلُوبَهُمْ رُغْبًا ، فكيف من سفك دماءهم ، وشقق أبشارهم ،  
 وأنهب <sup>(١)</sup> أموالهم ؟ يا أمير المؤمنين : إن المنفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، دعا  
 إلى القصاص من نفسه بجدش خدشه أعرابيا لم يتعمده ، فهبط جبريل ، فقال :  
 « يا محمد ، إن الله لم ييمنك جباراً تكسر قرون أمتك » واعلم أن كل ما في يدك  
 لا يعدل شربة من شراب الجنة ، ولا ثمرة من ثمارها ، قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم : « لَقَابُ <sup>(٢)</sup> قَوْسٍ أَحَدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ، أَوْ قُدَّةُ <sup>(٣)</sup> خَيْرُهُ مِنَ الدُّنْيَا  
 بِأَسْرَها » إن الدنيا تنقطع ويزول نعيمها ، ولو بقي الملك لمن قبلك لم يصل إليك  
 يا أمير المؤمنين ، ولو أن ثوبا من ثياب أهل النار غلّق بين السماء والأرض لآذام ،  
 فكيف من يتقمّصه ؟ ولو أن ذنوبا <sup>(٤)</sup> من صديد أهل النار صبّ على ماء الأرض  
 لآجنته <sup>(٥)</sup> ، فكيف بمن يتجرّعه ؟ ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على  
 جبل لذاب ، فكيف من سلك <sup>(٦)</sup> فيها ، ويُرذّ فضلها على عاتقه ؟ وقد قال عمر  
 ابن الخطاب : « لَا يَقُومُ أَمْرُ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفُ <sup>(٧)</sup> الْعُقْدَةِ ، بَعِيدُ الْفِرَّةِ <sup>(٨)</sup>  
 لَا يَطْلُعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ ، وَلَا يُخْنَقُ فِي الْحَقِّ عَلَى جِرَّةٍ <sup>(٩)</sup> ، وَلَا تَأْخُذُهُ  
 فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَمٍّ » .

واعلم أن السلطان أربعة : أمير يظلف <sup>(١٠)</sup> نفسه وعُمّاله ، فذلك له أجر  
 المجاهد في سبيل الله ، وصلاته سبعون ألف صلاة ، ويُدّ الله بالرحمة على رأسه  
 تُرفرف ، وأمير رتّع ورتّع عُمّاله ، فذاك يحمل أثقاله وأثقالا مع أثقاله ، وأمير

[١] جعلها نهباً يمار عليه . [٢] القاب : ما بين القبض والسيّة ( وسية القوس كعدة : ما عطف  
 من طرفيها ) . [٣] ريش السهم . [٤] الذنوب : اللو . [٥] جعله أجنا أى متغير  
 الطعم واللون . [٦] قيد . [٧] حصف الرجل ككريم : استحكم عقله فهو حصيف ، وأحصف  
 الحبل : أحكم قنطله . [٨] الفلّة . [٩] أحق : حقد قحدا لا ينعل ، وأحق الصلب : لُزق  
 بالباطن ، والجرة ما يفيض به البير فيأكله ثانية ، والمراد أنه لا يضر المقدّم والخلق . [١٠] يكف .

يُظْلِفُ نَفْسَهُ، وَيُرْتِعُ عَمَّالَهُ، فَذَلِكَ الَّذِي بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ، وَأَمِيرٌ يَرْتِعُ وَيُظْلِفُ  
عُمَّالَهُ، فَذَلِكَ شَرُّ الْأَكْيَاسِ .

واعلم يا أمير المؤمنين أنك قد ابتليت بأمر عظيم ، عُرض على السموات  
والأرض والجبال ، قَائِلِينَ أَنْ يَحْمِلْنَهُ ، وَأَشْفَقْنَ مِنْهُ ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ جَدِّكَ فِي  
تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « لَا يُنَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا » أَنْ  
الصَّغِيرَةَ التَّبَسُّمَ ، وَالْكَبِيرَةَ الضَّحْكَ ، وَقَالَ : فَاظْنَمُ بِالْكَلَامِ وَمَا حَمَلْتُهُ الْأَيْدَى ؟  
فَأَعْيذكَ بِاللَّهِ أَنْ يُخَيِّلَ إِلَيْكَ أَنْ قَرَابَتِكَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْفَعُ مَعَ  
الْمُخَالَفَةِ لِأَمْرِهِ ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا صَفِيَّةُ هَمَّةَ مُحَمَّدٍ ،  
وَيَا فَاطِمَةُ بَنَتْ مُحَمَّدٍ ، اسْتَوْهَبَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللَّهِ ، إِنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ،  
وَكَانَ جَدُّكَ الْأَكْبَرُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَارَةً ، فَقَالَ : « أَيُّ  
عَمٍّ ، نَفْسُ تُنْجِيهَا ، خَيْرُكَ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا » ، نَظَرًا لِمَعْنَاهُ ، وَشَفَقَةً  
عَلَيْهِ أَنْ يَلِيَّ فَيَجُورَ عَنْ سُنَّتِهِ جَنَاحَ بَمَوْضِعٍ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ لَهُ فِعْلاً ، وَلَا عَنْهُ  
دَفْعًا ، هَذِهِ نَفْسِي حَتَّى إِنْ قَبِلْتَهَا فَلِنَفْسِكَ حَمَلْتُ ، وَإِنْ رَدَدْتُهَا فَنَفْسُكَ  
بَحَسَّتْ ، وَاللَّهُ الْمُفَوِّقُ لِلْخَيْرِ وَالْمَعِينُ عَلَيْهِ ، قَالَ : بَلَى ، تَقَبَّلَهَا وَنَشَكَرَ عَلَيْهَا ،  
وَبِاللَّهِ نُسْتَعِينُ . ( الْعَدَدُ الْفَرِيدُ ١ : ٣٠٥ ، وَبَيَوتُ الْأَخْبَارِ ٢ : ص ٣٣٨ )

#### ٤٧ - نصيحة يزيد بن عمر بن هبيرة للنصور

وَدَخَلَ يَزِيدُ بْنُ مُعَرِّ بْنِ هُبَيْرَةَ <sup>(١)</sup> عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النُّصُورِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ : تَوَسَّعَ تَوْسَعًا قُرْشِيًّا ، وَلَا تَضِيقَ ضَيْقًا حِجَازِيًّا .

[١] وَلِيُّ قَلْبَرِينَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَجَمَعَ لَهُ مُرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَلَايَةَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ ، وَكَانَ  
آخِرَ مَنْ جَمَعَ لَهُ الْعِرَاقَ مِنَ الْوَلَاةِ ، وَلَمَّا اسْتَظْهَرَتْ عَلَيْهِ جِيُوشُ خُرَاسَانَ ، وَهَزَمَتْ عَسْكَرَهُ لَقِيَ بِمَدِينَةِ

ويروى أنه دخل يوماً ، فقال له المنصور حدثنا ، فقال : « يا أمير المؤمنين : إن سلطانكم حديث ، وإمارتكم جديدة ، فأذيقوا الناس حلاوة عدلها ، وجنبوهم مرارة جورها ، فوالله يا أمير المؤمنين ، لقد تحضت<sup>(١)</sup> لك النصيحة » ثم نهض فنهض معه سبعمائة من قيس ، فأتأروه<sup>(٢)</sup> المنصور بصره ، ثم قال : لا يعزُّ مُلكٌ يكون فيه مثلُ هذا ! . ( تهذيب الكامل ١ : ٢٨ )

#### ٤٨ — معن بن زائدة والمنصور

ودخل معن<sup>(٣)</sup> بن زائدة الشيباني على أبي جعفر المنصور وقد أسنَّ ، فقارب في خطوه ، فقال له المنصور : لقد كبرت سنُّك يا معن ، قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال : وإنك تلجّد ، قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين ، قال : وإن فيك لبقيّة ، قال : هي لك يا أمير المؤمنين ، قال : فأى الدولتين أحبُّ إليك ، هذه أم دولة بنى أمية ؟ قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب إلى .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٢٩ ، ووفيات الأعيان ٢ : ١٠٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦١ )

واسط ، فتحصن بها ، ولما يوبخ السفاح بالخلافة وجه أحماء أبا جعفر المنصور لقتله ، فغمره بواسط شهورا ، ثم أمنه واستبح البلد صلحا ، ثم قتله .

[١] أخلصت . [٢] أتأروه البصر : أتبه إياه ، وحدّد إليه النظر .

[٣] كان جوادا شجاعا جزيل الطاء كثير المروءة ، وكان في أيام بنى أمية منتقلا في الولايات ، مقطعا إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير المرافين ، فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس ، وحاصر المنصور يزيد بمدينة واسط كما قدمنا ، أبلى يومئذ من مع يزيد بلاه حسنا ، فلما قتل يزيد خاف من من أبي جعفر المنصور ، فاستتر عنه مدة ، ولم يزل مستترا حتى كان يوم الهاشمية ، وذلك أن جماعة من أهل خراسان ثاروا على للنصور ، وجرت مقتلة عظيمة بينهم وبين أصحاب المنصور الهاشمية — وهي مدينة باها السفاح بانقرب من الكوفة — وكان من متواليا بالقرب منهم ، فخرج متنكرا متبا مثلبا ، وتقدم إلى القوم ، وقاتل قدام المنصور قتالا أبان فيه عن نجدة وشهامة وفرقة ، فلما أخرج عن المنصور ، قال له : من أنت ويحك ؟ فقال : أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة ، فأمنه للنصور وأكرمه ، وصار من حواصده ، وولى سجستان في أواخر أمره ، فلما كانت سنة ١٥١ اندس قوم من الخوارج بين صناع كانوا يعملون في داره بمدينة بخت ، فقتلوه وهو يحتجم ، وبعثهم ابن أخيه يزيد بن يزيد بن زائدة ، فقتلهم بأسرم .

## ٤٩ - معن بن زائدة وأحد زواره

ودخل رجل على معن بن زائدة ، فقال : ما هذه النقيّة ؟ فقال : « أيها الأمير ، ما غابَ عن العين من يذكره القلبُ ، وما زال شوقى إلى الأمير شديداً ، وهو دونَ ما يجبُ له ، وذكرى له كثيراً وهو دون قدره ، ولكن جفوة الحجاب ، وقلة بشر النملان ، مناعى من الإكثار » ، فأمر بتسهيل حجابهِ ، وأجزل صلته . ( زمر الآيات ٣ : ١٦١ )

## ٥٠ - المنصور وأحد الأعراب

ودخل أعرابى على المنصور فتكلم ، فأعجب بكلامه ، فقال له : سل حاجتك ، فقال : يُبقيك الله ، ويريد فى سلطانك ، فقال : سل حاجتك ، فليس فى كل وقت توأمٌ بذاك ، قال : « ولم يا أمير المؤمنين ، فوالله ما أستقصِرُ عمرك ، ولا أخافُ بئُملك ، ولا أغتمُ مالك ، وإن سؤألك لشرف ، وإن عطاءك لزين ، وما بامرئٍ بذلٌ وجهه إليك تقصّر ولا شينٌ » . فأحسن جائزته وأكرمه . ( الصاعتين ص ٤٠ ، العقد الفريد ١ : ١٣٩ )

## ٥١ - أعرابية تعزى المنصور وتهنته

وروى القلقشندى قال : تعرضت أعرابية للمنصور فى طريق مكة بعد وفاة أبى العباس السفاح ، فقالت :

« يا أمير المؤمنين ، احتسب الصبر ، وقدم الشكر ، فقد أجزل الله لك الثواب ، فى الحالين ، وأعظم عليك المنّة فى الحاديتين ، سلبك خليفة الله ، وأفادك خليفة الله ، فسلم فيما سلبك ، واشكر فيما منحك ، وتجاوز الله عن أمير المؤمنين ، وخار لك فيما ملكك من أمر الدنيا والدين »

وروى الجاحظ قال : عَزَّتْ امرأةُ المنصور عن أبي العباس مُقَدِّمَهُ من مكة ، قالت : « أعظم الله أجرك ، فلا مصيبة أجلك من مصيبتك ، ولا عِوَضَ أعظم من خلافتك » . ( صبح الاعشى ٩ : ٢٧٨ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥٥ )

## ٥٢ — خطبة محمد بن سليمان <sup>(١)</sup> يوم الجمعة

( وكان لا يذيرها )

الحمد لله ، أحمدَه وأستمينه وأستغفره ، وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، يُظهِرَه على الدين كله ولو كَرِهَ المشركون ، من يعصم بالله ورسوله ، فقد اعتصم بالعرْوة الوثقى ، وسَعِدَ في الأولى والآخرة ، وَمَنْ يَعَصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ، وَخَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ، أسأل الله أن يحملنا وإياكم ممن يُطِيعُهُ وَيُطِيعَ رَسُولَهُ ، وَيَتَّبِعَ رضوانه ، وَيَتَجَنَّبَ سُخْطَهُ ، فإنما نحن له وبه ، أوصيكم عبادَ الله بتقوى الله ، وأحكم على طاعة الله ، وأرضى لكم ما عند الله ، فإن تقوى الله أفضل ما تحاثُّ الناس عليه ، وتداعوا إليه ، وتواصوا به ، فاتقوا الله ما استطعتم ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » . ( البيان والتبيين ٢ : ٦٥ )

## ٥٣ — وصية مسلم بن قتيبة

وقال مُسْلِمُ بن قُتَيْبَةَ <sup>(٢)</sup> : « لَا تَطْلُبَنَّ حاجتك إلى واحد من ثلاثة : لَا تَطْلُبْهَا

[١] هو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان عامل البصرة في خلافة أبي جعفر المنصور وتوفي سنة ١٧٣ في خلافة الرشيد .

[٢] استشاره المنصور في قتل أبي مسلم ، فقال : ما ترى في أمره ؟ قال : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » فقال : حسبك يا بن قتيبة ، لقد أودعتها أدنا واعية ( وديات الأعيان ١ : ٢٨٢ ) .

إلى الكذاب ، فإنه يُقَرِّبُهَا وهي بيّدة ، ويبعِدُهَا وهي قريبة ؛ ولا تطلبها إلى  
الأمّ حق ، فإنه يريد أن ينفَعَكَ ، وهو يَفُزُّكَ ؛ ولا تطلبها إلى رجل له عند قوم  
مأْكَلَةٌ ، فإنه يحمل حاجتك وقلة حاجته . (الأمل ٢ : ١٩٠)

## ٥٤ - خطبة المهدي ( توفي سنة ١٦٩ هـ )

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ، ورضى به من خلقه ، أحمده على آلائه <sup>(١)</sup> ،  
وأعجده لبلائه <sup>(٢)</sup> ، وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه توكل راض بقضائه ، وصابر  
لبلائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده المصطفى ،  
ونبيه المُجْتَبَى <sup>(٣)</sup> ، ورسوله إلى خلقه ، وأمينه على وحيه ، أرسله بعد انقطاع الرجاء ،  
وطُؤُس <sup>(٤)</sup> العلم ، واقترب من الساعة ، إلى أمة جاهلية ، مختلفة أُمّة ، أهل عداوة  
وتضاغن ، وفرقة وتباين ، قد استهوئهم شياطينهم ، وغلب عليهم قُرَآنُؤم <sup>(٥)</sup> ،  
فاستشعروا الردى ، وسلكوا العمى ، يبشر من أطاعه بالجنة وكريم ثوابها ،  
وينذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ، « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ يَتْنَةٍ ، وَيَحْيَا مَنْ  
حَيَّ عَنْ يَتْنَةٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن الاختصار عليها سلامة ، والترك لها  
ندامة ، وأحسّكم على إجلال عظمته ، وتوقير كبريائه وقدرته ، والانتهاز إلى  
ما يقرب من رحمته ، وينجّي من سخطه ، وينال به مالهديه ، من كريم الثواب ،  
وجزيل المآب ، فاجتنبوا ما خوفكم الله من شديد العقاب ، وأليم العذاب ، ووعيد  
الحساب ، يوم توقفون بين يدي الجبار ، وتمرضون فيه على النار « يَوْمَ لَا تَكَلَّمُ

[١] اسمه ، والفرد إلى كحل وشمس ، وألو كشمس ، وألى كصا وإلى كرضا .

[٢] البلاء : يكون منعة ، ويكون محنة . [٣] المختار . [٤] الدروس والاعاء .

[٥] القرن : للمصاحب ، والشيطان : للفرد بالإنسان لا بفردة .

نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ؛ يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ  
وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ أَتْرَافٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ؛ يَوْمَ لَا يُجْزَى نَفْسٌ  
عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ، وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ؛  
يَوْمَ لَا يُجْزَى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ  
حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ » ، فَإِنَّ الدُّنْيَا  
دَارُ غُرُورٍ ، وبلاء وشرور ، واضمحلال وزوال ، وتقلب وانتقال ، قد أَفْنَتْ  
مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وهى عائدة عليكم وعلى مَنْ بعدكم ، مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا صَرَغَتْ ،  
وَمَنْ وَثِقَ بِهَا خَاتَتْ ، وَمَنْ أَمَلَهَا <sup>(١)</sup> كَذَبَتْ ، وَمَنْ رَجَاها خَذَلَتْ ، عِزَّهَا ذُلٌّ ،  
وَعِزَّهَا فَقْرٌ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ تَرَكَهَا ، وَالشَّقِيُّ فِيهَا مَنْ آثَرَهَا ، وَالْمَغْبُوتُ فِيهَا مَنْ بَاعَ  
حِظَّهُ مِنْ دَارِ آخِرَتِهِ بِهَا ، فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ، وَالتَّوْبَةُ مَقْبُولَةٌ ، وَالرَّحْمَةُ مَبْسُوطَةٌ ،  
وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الزَّكِيَّةِ <sup>(٢)</sup> ، فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ بِالْكَظَمِ <sup>(٣)</sup> ،  
وَتَتَدَمَّوْا فَلَا تَتَالَوْنَ النَّدَمَ ، فِي يَوْمٍ حَسْرَةٍ وَتَأْسُفٍ ، وَكَأَبَةٍ وَتَلَهْفٍ ، يَوْمَ لَيْسَ  
كَأَلَايَامٍ ، وَمَوْقِفُ صَنْتِكَ الْمَقَامَ ، إِنْ أَحْسَنَ الْحَدِيثَ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةَ كِتَابَ اللَّهِ ،  
يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ  
تُذَكَّرُونَ » أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَلْهَاكُمْ  
التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ - إِلَى آخِرِ السُّورَةِ - أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِمَا أَوْصَاكُمْ اللَّهُ  
بِهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَأَرْضَى لَكُمْ طَاعَةَ اللَّهِ ، وَأَسْتَغْفِرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ

(العقد الفريد ٢ : ١٤٦)

[١] أمله أملا وأمله بالتخفيف والنشيد . [٢] ذَكَرُوا : نَمَا وَصَلَحَ .

[٣] الْكَظَمُ : الْخَلْقُ أَوِ الْقَمُّ ، أَوْ مَخْرَجُ النَّفْسِ ، أَيْ قَبْلَ الْمَوْتِ .

## مشاورة المهدي لأهل بيته في حرب خراسان

روى ابن عبدربه قال :

« هذا ما تراجع فيه المهدي ووزرائه ، وما دار بينهم من تدير الرأي في حرب خراسان ، أيام تحامكت عليهم العمال وأغنت ، فحلتهم الدالة وما تقدم لهم من المسكاة ، على أن نكثوا بيعتهم ، وتقضوا موثقتهم ، وطردهوا العمال ، والتوا بما عليهم من الخراج ، وحمل المهدي ما يجب من مصلحتهم ، ويكره من عنتهم ، على أن أقال عنتهم ، واغفر زلتهم ، واحتمل دألتهم ، تطولا بالفضل ، واتساعا بالعفو ، وأخذ بالحجة ، ورفقا بالسياسة ، ولذلك لم يزل مذلهم الله أعباء الخلافة ، وقلة أمور الرعية ، رفيقا بدار سلطانه ، بصيرا بأهل زمانه ، باسطا للمعدلة في رعيته ، تسكن إلى كنفه ، وتأنس بعفوه ، وتثق بحلمه ، فإذا وقعت الأقضية اللازمة ، والحقوق الواجبة ، فليس عنده هراة ، ولا إغضاء ، ولا مداينة ، أثرة للحق ، وقياما بالعدل ، وأخذ بالحزم ، فدعا أهل خراسان الاغترار بحلمه ، والثقة بعفوه ، أن كسروا الخراج ، وطردهوا العمال ، وسألوا ما ليس لهم من الحق ، ثم خلطوا احتجاجا باعتذار ، وخسومة بإقرار ، وتنصلا باعتلال ، فلما انتهى ذلك إلى المهدي ، خرج إلى مجلس خلافة ، وبست إلى قمر من لحمة <sup>(١)</sup> ووزرائه ، فأعلمهم الحال ، واستنصهم للرعية ، ثم أمر الموالى <sup>(٢)</sup> بالابتداء ، وقال للعباس <sup>(٣)</sup> بن محمد : أي هم تمقب قولنا ، وكن حكما بيننا ، وأرسل إلى

[١] اللعة : القرابة . [٢] جمع مولى ، وهو هنا القريب كإبن الم ونحوه .

[٣] هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أموي للصور .



ولديه موسى وهرون ، فأحضرهما الأمر ، وشاركهما في الرأي ، وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم ، وإثبات مقالاتهم في كتاب .

## ٥٥ — مقال سلام صاحب المظالم

فقال سلام صاحب المظالم :

« أيها المهدي : إن في كل أمر غايةً ، ولكل قوم صناعةً ، استفرغت رأيهم ، واستفرقت أشغالهم ، واستنفدت أعمارهم ، وذهبوا بها ، وذهبت بهم ، وعرفوا بها ، وعرفت بهم ، ولهذه الأمور التي جعلتنا فيها غايةً ، وطلبت معونتنا عليها أقوام من أبناء الحرب وساسة الأمور ، وقادة الجنود ، وفرسان الهزاهز<sup>(١)</sup> ، وإخوان التجارب ، وأبطال الوقائع ، الذين رشحتهم سبجاً لها<sup>(٢)</sup> ، وفياتهم ظلالها ، وعصمتهم شدائدُها ، وقرمتهم<sup>(٣)</sup> نواجذُها ، فلو عجمت ما قبلهم ، وكشفت ما عندهم ، لو جدت نظائرَ تؤيدُ أمرَك ، وتجاربَ توافقُ نظرك ، وأحاديثَ تقوى قلبك ، فأما نحن معاشيرَ عمالك ، وأصحاب دواوينك ، لحسن بنا ، وكثير منا أن نقوم بثقل ما حملتنا من عملك ، واستودعتنا من أمانتك ، وشملتنا به من إمضاء عدلك ، وإنفاذ حُكمك ، وإظهار حقك » .

فأجابه المهدي : « إن في كل قوم حكمةً ، ولكل زمان سياسةً ، وفي كل حال تدبير ، يُبطل الآخر الأول ، ونحن أعلم بزماننا ، وتدبير سلطاننا » .

قال نعم : أيها المهدي : أنت متبوع الرأي ، وثيق العقدة ، قوي المنة<sup>(٤)</sup> ، بليغ الفطنة ، معصوم النية ، محذور الروية ، مؤيد البديهة ، موفق العزيمة ،

[١] الهزيمة والهزاهز : تحريك البلايا والحروب الناس . [٢] جمع سجل كشمس ، وهو الدلو العظيمة مملوءة . [٣] فرم الطعام : أكلاه ، والنواجذ : أقمى الأرض من . [٤] القوة .

مُكَّانَ بِالظَّفَرِ ، هَدَيْتُ إِلَى الْخَيْرِ ، إِنْ تَحَمَّتَ فِي عِزِّكَ مَوَاقِعَ الظَّنِّ ، وَإِنْ  
اجْتَمَعَتْ صَدَعٌ فَمَلِكٌ مُلْتَبِسُ الشَّكِّ ، فَاعْزِمِ يَهْدِ اللَّهُ إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ ، وَقُلْ  
يُنْطِقُ اللَّهُ بِالْحَقِّ لِسَانَكَ ، فَإِنْ جُنُودُكَ جَمَّةٌ ، وَخِزَانَتُكَ حَامِرَةٌ ، وَتَفْسُكَ سَخِيَّةٌ ،  
وَأَمْرُكَ نَافِذٌ .

فَأَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ : « الْمَشَاوِرَةُ وَالْمُنَاطِرَةُ بَابَا رَحْمَةٍ ، وَمِفْتَاحَا بَرَكَاتٍ ، لَا يَهْلِكُ  
عَلَيْهِمَا رَأْيٌ ، وَلَا يَنْفِيْلُ <sup>(١)</sup> مَعَهُمَا حَزْمٌ ، فَأَشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ ، وَقُولُوا بِمَا يَخْفُضُكُمْ ،  
فَإِنِّي مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَتَوْفِيقُ اللَّهِ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ » .

## ٥٦ - مقال الريح بن يونس <sup>(٢)</sup>

وقال الريح :

أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ : إِنْ تَصَارَيْتَ وَجْهَ الرَّأْيِ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ الْإِشَارَةُ بِيَمَضٍ  
مَعَارِيضِ الْقَوْلِ يَسِيرَةٍ ، وَلَكِنْ خِرَاسَانُ أَرْضٍ بَعِيدَةِ الْمَسَافَةِ ، مُتَرَاخِيَةِ الشُّقَّةِ <sup>(٣)</sup> ،  
مُتَفَارِقَةِ السَّبِيلِ ، فَإِذَا ارْتَأَيْتَ مِنْ مُحْكَمِ التَّدْيِيرِ ، وَمُبْزَمِ التَّقْدِيرِ ، وَلُبَابِ الصَّوَابِ ،  
رَأْيَا قَدْ أَحْكَمَهُ نَظْرُكَ ، وَقَلْبُهُ تَدْيِيرُكَ ، فَلَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ طَاعِنٌ ، وَلَا دُونُهُ  
مَعْلُوقٌ لْخُصُومَةٍ عَائِبٍ ، ثُمَّ خَبِثَ الْبُرْدُ <sup>(٤)</sup> بِهِ ، وَانْطَلَوْتُ الرُّسُلُ عَلَيْهِ ، كَأَن  
بِالْحَرَى أَنْ لَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ مُحْكَمُهُ ، إِلَّا وَقَدْ حَدَثَ مِنْهُمْ مَا يَنْقُضُهُ ، فَمَا أَبْسَرُ أَنْ  
تَرْجِعَ إِلَيْكَ الرُّسُلَ ، وَتَرِدَ عَلَيْكَ الْكُتُبُ ، بِمُحَقَّقَاتِ أَخْبَارِهِمْ ، وَشَوَارِدِ آثَارِهِمْ ،  
وَمَصَادِرِ أُمُورِهِمْ ، فَتُحَدِّثَ رَأْيَا غَيْرَهُ ، وَتَبْتَدِعَ تَدْيِيرًا سِوَاهُ ، وَقَدْ انْفَرَجَتْ  
الْحَلَقُ ، وَتَحَلَّلَتْ الْمُقَدَّ ، وَاسْتَرَخَى الْحِقَابُ <sup>(٥)</sup> ، وَامْتَدَّ الزَّمَانُ ، ثُمَّ لَعَلِمَ مَوْقِعَ الْآخِرَةِ

[١] قَالَ تَرَاهِ وَهَمِيلٌ : أَخْطَأَ وَخَفَّ . [٢] وَذُرْ لَأَبَى حَفَرَ لِلتَّنْصُورِ وَقَدْ هَلَاكَ سَنَةُ ١٧٠ هـ

[٣] الْبَدَدُ وَالْفَرُّ الْبَعِيدُ . [٤] جَمْعُ بَرْدٍ : وَهُوَ الرُّسُولُ ، وَخَبَثٌ : أَسْرَعَتْ .

[٥] الْحِقَابُ : مَا تَعْدَهُ الرِّبَاةُ فِي وَسْطِهَا .

كصدر الأولى ، ولكن الرأى أيها المهدي وفقك الله ، أن تصرف إجابة النظر ،  
وتقليب الفكر فيما جعنته له ، واستشترت فيه من التدبير لحربهم ، والحيل في  
أمرهم ، إلى الطلب لرجل ذي دين فاضل ، وعقل كامل ، وورع واسع ، ليس  
موصوفاً بهوى في سواك ، ولا متهماً في أثره عليك ، ولا ظنيناً<sup>(١)</sup> على دُخلة<sup>(٢)</sup>  
مكروهة ، ولا منسوباً إلى بدعة محدورة ، فيتقدح في ملكك ، ويُرِيضُ<sup>(٣)</sup>  
الأمر لغيرك ، ثم تُسند إليه أمورهم ، وتفوض إليه حربهم ، وتأمره في عهدك  
ووصيتك إياهم ، بلزوم أمرك ما لزمت الحزم ، وخلاف نهيك إذا خالفه الرأى ،  
عند استحالة الأمور ، واشتداد الأحوال التي يُنْقَضُ أمرُ الغائب عنها ، ويثبت  
رأى الشاهد لها ، فإنه إذا فعل ذلك ، فوائب أمرهم من قريب ، وسقط عنه  
ما يأتي من بعيد ، تمت الحيلة ، وقويت المكيدة ، ونفذ العمل ، وأحْدَ النظر  
إن شاء الله .

## ٥٧ - مقال الفضل بن العباس

قال الفضل بن العباس :

« أيها المهدي ، إن وليّ الأمور ، وسائس الحروب ، ربما نحى جنوده ،  
وفرق أمواله في غير ماضيق أمرٍ حزبه<sup>(٤)</sup> ، ولا ضغطة حال اضطرتّه ، فيقعد  
عند الحاجة إليها ، وبعد التفرقة لها ، عديماً منها ، فاقداً لها ، لا يثق بقوة ، ولا  
يصول بمدة ، ولا يفرع إلى ثقة ، فالرأى لك أيها المهدي وفقك الله ، أن تُغني  
خزائنك من الاتفاق للأموال ، وجنودك من مكابدة الأسفار ، ومقارعة

[١] متها . [٢] دخلة الرجل مثله ، ودخيلته : نيته ومنهجه .

[٣] في كتب اللغة : راضه وروّاه : ذلّه ، وأراض الأرض جملها ، بإضاه . [٤] اشتدّ عليه .

الأخطار، وتفرير القتال ، ولا تُسرِعْ للقوم في الإجابة إلى ما يطلبون ، والمطاء  
لما يسألون ، فيفسد عليك أدبهم ، وتجري من رعينك غيرهم ، ولكن اغزُم  
بالحيلة ، وقَاتِلْهُمْ بالسَّكِينَةِ ، وصارعهم باللين ، وخَاتِلْهُمْ <sup>(١)</sup> بالرفق ، وأَبْرِقْ <sup>(٢)</sup>  
لهم بالقول ، وأَرْعِدْ نَحْوَهُم بالفعل ، وابْعَثْ البعوث ، وجنّد الجنود ، وكتب  
الكتاب ، واعقِدْ الأوليّة ، وانصِبْ الرايات ، وأظهر أنك مُوجّهٌ إليهم الجيوش  
مع أختق قوّادك عليهم ، وأسوّهُمْ أترأفِهم ، ثم ادسّس الرسل ، وابثث  
الكتب ، وضع بعضهم على طمع من وعدك ، وبمضا على خوف من وعيدك ،  
وأوقِدْ بذلك وأشباهه نيرانَ التحاسد فيهم ، واغرس أشجار التنافس بينهم ،  
حتى تملأ القلوب من الوحشة ، وتنطوي الصدور على البغضة ، ويدخل كلا  
من كلّ الحذر والهيبة ، فإن مرّام الظفر بالنيلة ، والقتال بالحيلة ، والمناسبة <sup>(٣)</sup>  
بالكتب ، والمكايمة بالرسل ، والمقارعة بالكلام اللطيف المذخّل في القلوب ،  
التقوى المَوْقع من النفوس ، المعقود بالحجج ، الموصول بالحيل ، المبني على اللين  
الذي يستميل القلوب ، ويسترقّ العقول والآراء ، ويستميل الأهواء ،  
ويستدعي المواتاة <sup>(٤)</sup> ، أُنقِذْ من القتال بطُّبات السيوف ، وأسنة الرماح . كما  
أن الوالى الذى يستنزل طاعة رعيته بالحيل ، ويفرق كلمة عدوّه بالمكايمة ،  
أحكم عملاً ، وألطف منظرًا ، وأحسن سياسة من الذى لا ينال ذلك إلا  
بالقتال ، والاتلاف للأموال ، والتفرير والخطار <sup>(٥)</sup> ، وليتم المهدي أنه إن وجّه  
لقتالهم رجلا لم يسر لقتالهم إلا بجنود كشيعة ، تخرج عن حال شديدة ، وتُقدِّم

[١] خدمهم . [٢] رعد وبرق ، وأرعد وأبرق : تهدد وتوعد .

[٣] ناصبه الحرب والعداوة : أظلمها . [٤] اللواقعة . [٥] الخطايرة .

على أسفارٍ ضيقة ، وأموال متفرقة ، وقواد غَشَشَة ، إن ائتمنهم استنفدوا ماله ، وإن استنصَحهم كانوا عليه لاله .

قال المهدي : « هذا رأى قد أسفر نُوره ، وأبرق ضوءه ، وتمثل صوابه للعيون ، وتجسّد حقه في القلوب ، ولكن فوق كل ذي علم عليم » . ثم نظر إلى ابنه عليّ ، فقال : ما تقول ؟

## ٥٨ — مقال علي بن المهدي

قال علي بن المهدي :

« أيها المهدي : إن أهل خراسان لم يَحْتَلَمُوا عن طاعتك ، ولم يَنْصِبُوا من دونك أحداً ، يَقْدَحُ في تغيير ملكك ، وَيُريِضُ الأمور لفساد دولتك ، ولو فعلوا لكان الخطب أيسرَ ، والشأن أصغرَ ، والحال أدلّ ، لأن الله مع حقه الذي لا يخذله ، وعند موّعه الذي لا يُخْلِفُه ، ولكنهم قوم من رعيّتك ، وطائفة من شيعتك ، الذين جعلك الله عليهم والياً ، وجعل العدل بينك وبينهم حاكماً ، طلبوا حقاً ، وسألوا إنصافاً ، فإن أجبتَ إلى دعوتهم ، ونفستَ عنهم قبل أن يتلاخَمَ منهم حال ، ويحدثَ من عندهم فتق ، أطعتَ أمر الرب ، وأطفأتَ نائرة الحرب ، ووفرتَ خزائن المال ، وطرحتَ تقريرَ القتال ، وحملَ الناسُ مَحْمَلِ ذلك على طيبة جُودك ، وسجيّة حلمك ، وإسجاح <sup>(١)</sup> خليقتك ، ومعدّلة نظرك ، فأمنتَ أن تُنسَبَ إلى ضعف ، وأن يكون ذلك فيما بقي دُرْبَة ، وإن منعهم ما طلبوا ، ولم تُجِبهم إلى ما سألوا ، اعتدلتَ بك وبهم الحال ، وساويتهم في ميّذَانِ الخطّاب ، فما أربُ المهدي أن يعيدَ إلى طائفه من رعيّته ،

مقرّين بملكته ، مُذعنين بطاعته ، لا يُخْرِجون أنفسهم عن قدرته ، ولا يُيرثونها من عبوديته ، فيملكهم أنفسهم ، ويخلع نفسه عنهم ، ويقف على الحيل معهم ، ثم يحازيهم السوء في حدّ المقارعة ، وميضار المخاطرة ، أريد المهدي - وفقه الله - الأموال ؟ فلمرى لا ينالها ولا يظفر بها إلا بإفلاق أكثر منها مما يطلب منهم ، وأضمايف ما يدعى قيلهم ، ولو نالها ، فحُبلت إليه ، ووُضعت بخرائطها <sup>(١)</sup> بين يديه ، ثم تجافى لهم عنها ، وطال عليهم بها ، لكان مما إليه يُنسب ، وبه يُعرف ، من الجود الذي طبعه الله عليه ، وجمل قرّة عينه ، ونهمة <sup>(٢)</sup> نفسه فيه ، فإن قال المهدي : هذا رأى مستقيم سديد ، في أهل الخراج الذين شكّوا ظلم عمالنا ، وتحامل ولّائنا ؛ فأما الجنود الذين تقصّوا موافق العهود ، وأطلقوا لسان الإرجاف ، وفتحوا باب المعصية ، وكسروا قيد الفتنة ، فقد ينبغي لهم أن أجعلهم نكالا لغيرهم ، وعظة لسوام ، فيعلم المهدي أنه لو أتی بهم مغلولين في الحديد ، مُقرّنين <sup>(٣)</sup> في الأصفاذ <sup>(٤)</sup> ، ثم اتسع لحقن دماهم عفوه ، ولا قالة عثرتهم صفّحه ، واستبقام لما فيه من حربه ، أولم يلزأهم من عدوه ، كما كان بدعا من رأيه ، ولا مستنكرا من نظره ، لقد علمت العرب أنه أعظم الخلفاء والملك عفوا ، وأشدّها وقفا ، وأصدقها صولة ، وأنه لا يتماظله <sup>(٥)</sup> عفوا ، ولا يتكادّه <sup>(٦)</sup> صفحا ، وإن عظم الذنب ، وجل الخطب ، فالرأى للمهدي وفقه الله تعالى أن يحل عقدة النفيظ ، بالرجاء لحسن ثواب الله في المغوعنهم ، وأن يذكر أولى حالاتهم ، وصيّعة عيالاتهم ، برأ بهم ، وتوسعا لهم ، فلأنهم إخوان دولته ،

[١] جمع خريطة وهي ولاء من آدم وغيره يشرح على مائيه . [٢] التهمة : الحاجة وبلوغ العبرة في الشيء . [٣] مقيدون . [٤] الأصفاذ : القيود : جمع صفد كسب . [٥] تماظله الأمر : عظم عليه . [٦] تكادّه الأمر : شقّ عليه .

وأركان دعوته ، وأساس حقه الذين بعزتهم يصول ، وبحُجَّتْهم يقول ، وإنما مثلهم فيما دخلوا فيه من مَسَاخِطِهِ ، وتعرّضوا له من معاصيه ، وانطووا فيه عن إجابته ، وَمَثَلُهُ فِي قَلَّةِ مَا غَيَّرَ ذَلِكَ مِنْ رَأْيِهِ فِيهِمْ ، أَوْ ثِقَلِ مِنْ حَالِهِ لَهُمْ ، أَوْ تَغَيَّرَ مِنْ نِعْمَتِهِ بِهِمْ ، كَثَلِ رَجُلَيْنِ أَخَوَيْنِ مُتَنَاصِرَيْنِ مُتَوَازِرَيْنِ ، أَصَابَ أَحَدَهُمَا خَبَلٌ عَارِضٌ ، وَلَهُوَ حَادِثٌ ، فَهَضَّ إِلَى أَخِيهِ بِالْأَذَى ، وَتَحَامَلَ عَلَيْهِ بِالْمَكْرُوهِ ، فَلَمْ يَزِدْ أَخُوهُ إِلَّا رَقَّةً لَهُ ، وَلُطْفًا بِهِ ، وَاحْتِيَالًا لِمُدَاوَاةِ مَرَضِهِ ، وَمِرَاجَعَةِ حَالِهِ ، عَطْفًا عَلَيْهِ ، وَبِرًّا بِهِ ، وَمَرْحَمَةً لَهُ .

فقال المهدي : أما على فقد نوى سَمَتَ اللَّيَانِ<sup>(١)</sup> ، وَفَضَّ الْقُلُوبِ فِي أَهْلِ خِرَاسَانَ ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٍّ ، فقال : ما ترى يا أبا محمد يعني موسى ابنه (المهادي) .

## ٥٩ — مقال موسى بن المهدي

فقال موسى :

« أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ : لَا تَسْكُنْ إِلَى حُلَاوَةِ مَا يَجْرِي مِنَ الْقَوْلِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ، وَأَنْتَ تَرَى الدَّمَاءَ تَسِيلُ مِنْ خَلَلِ فَعْلِهِمْ ، الْحَالُ مِنَ الْقَوْمِ يَنَادِي بِمَضْمَرَةِ شَرٍّ ، وَخَفِيَّةِ حِقْدٍ ، قَدْ جَعَلُوا الْمَعَاذِيرَ عَلَيْهَا سِتْرًا ، وَاتَّخَذُوا الْعِلَلَ مِنْ دُونِهَا حِجَابًا ، رَجَاءً أَنْ يَدَافِعُوا الْأَيَّامَ بِالنَّاخِيرِ ، وَالْأُمُورَ بِالنَّطْوِيلِ ، فَيَكْسِرُوا حَيْلَ الْمَهْدِيِّ فِيهِمْ ، وَيُقْنُوا جُنُودَهُ عَنْهُمْ ، حَتَّى يَتَلَحَّمْ أَمْرُهُمْ ، وَتَتَلَحَّقَ مَادَّتُهُمْ ، وَتُسْتَفْعَلَ حَرْبُهُمْ ، وَتُسْتَمَرَّ الْأُمُورُ بِهِمْ ، وَالْمَهْدِيُّ مِنْ قَوْلِهِمْ فِي حَالِ غِرَّةٍ ، وَلِبَاسِ أَمَنَةٍ ، قَدْ قَتَرَ لَهَا ، وَأَنَسَ بِهَا ، وَسَكَنَ إِلَيْهَا ، وَلَوْلَا مَا اجْتَمَعَتْ بِهِ قُلُوبُهُمْ ، وَبَرَدَتْ عَلَيْهِ جُلُودُهُمْ مِنَ الْمُنَاصَبَةِ بِالْقِتَالِ ، وَالْإِضْمارِ لِلْقِرَاعِ ، عَنْ دَاعِيَةِ ضَلَالٍ ، أَوْ شَيْطَانٍ

فساد ، لَزِهَبُوا عواقب أخبار الوُلاة ، وَغِبَ سكون الأمور ، فَلْيَشْدُدِ المهدي  
وَفَقَّهَ اللهَ أَرْزَهُ<sup>(١)</sup> لهم ، وَيَكْتَبُ كِتَابَهُ نَحْوَم ، وَلِيَضَعَ الأَمْرَ على أَشَدِّ مَا يَحْضُرُهُ  
فيهم ، وَلِيُوقِنَ أَنَّهُ لَا يَعْطِيهِمْ خُطَّةَ يَرِيدُهَا صَلَاحَهُمْ ، إِلَّا كَانَتْ دُرْبَةً إِلَى  
فَسَادِهِمْ ، وَقُوَّةَ عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ ، وَدَاعِيَةً إِلَى عَوْدَتِهِمْ ، وَسَبَبًا لِفَسَادِ مَنْ يَحْضُرُهُ  
مِنَ الْجُنُودِ ، وَمَنْ يَبَاهُ مِنَ الْوُفُودِ الَّذِينَ إِنْ أَقْرَمَ ، وَتِلْكَ الْعَادَةُ ، وَأَجْرَامُ عَلَى  
ذَلِكَ الْأَرْبَ ، لَمْ يَرِحْ فِي فَتْحِ حَادِثٍ ، وَخِلَافٍ حَاضِرٍ ، لَا يَصْلُحُ عَلَيْهِ دِينَ ،  
وَلَا تَسْتَقِيمُ بِهِ دُنْيَا ، وَإِنْ طَلِبَ تَفْسِيرَهُ بَعْدَ اسْتِحْكَامِ الْعَادَةِ ، وَاسْتِمْرَارِ الدُّرْبَةِ ،  
لَمْ يَصِلْ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِالْمَقْوِيَةِ الْمُفَرِّطَةِ ، وَالْمَثُونَةِ الشَّدِيدَةِ ، وَالرَّأْيُ لِلْمَهْدِيِّ وَفَقَّهُ  
اللهُ أَنْ لَا يُقِيلَ عَثَرَتَهُمْ ، وَلَا يَقْبَلُ مَعْدِرَتَهُمْ ، حَتَّى تَطْلُمَ الْجِيُوشُ ، وَتَأْخُذَهُمُ  
السُّيُوفُ ، وَيَسْتَحِرَّ<sup>(٢)</sup> . مِ الْقَتْلُ ، وَيُخَدِّقُ بِهِمُ الْمَوْتَ ، وَيَحِيطُ بِهِمُ الْبَلَاءُ ،  
وَيُطَبِّقُ عَلَيْهِمُ الذَّلَّ ، فَإِنْ فَعَلَ الْمَهْدِيُّ بِهِمْ ذَلِكَ ، كَانَ مَقْطَعَةً لِكُلِّ عَادَةٍ سَوْءٍ  
فِيهِمْ ، وَهَزِيمَةً لِكُلِّ بَادِرَةٍ شَرٍّ مِنْهُمْ ، وَاحْتِمَالُ الْمَهْدِيِّ فِي مَثُونَةِ غَزَوَتِهِمْ هَذِهِ ،  
تَضَعُ عَنْهُ غَزَوَاتٍ كَثِيرَةً ، وَفَقَاتٍ عَظِيمَةً .

فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : « قَدْ قَالَ الْقَوْمُ ، فَاحْكُمْ يَا أَبَا الْفَضْلِ » .

٦٠ — مَقَالُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ

فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ :

« أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ : أَمَّا الْمَوَالِي فَأَخْذُوا بِفُرُوعِ الرَّأْيِ ، وَسَلَكُوا جَنَابَاتِ الصَّوَابِ ،  
وَتَمَدَّوْا أُمُورًا قَصَّرَ بِنَظَرِهِمْ عَنْهَا ، أَنَّهُ لَمْ تَأْتِ تِجَارِبُهُمْ عَلَيْهَا ، وَأَمَّا الْفَضْلُ فَأَمَّا شَارَ  
بِالْأَمْوَالِ أَنْ لَا تُتَفَقَّ ، وَالْجُنُودِ أَلَّا تُفَرَّقَ ، وَبِأَنْ لَا يُعْطَى الْقَوْمُ مَا طَلَبُوا ، وَلَا



يُنْذِلْ لَهُمْ مَاسْأَلُوا ، وَجَاءَ بِأَمْرِ يَنْبَغِي ذَلِكَ اسْتِصْفَاراً لَأَمْرِهِمْ ، وَاسْتِهَانَةً بِحَرْبِهِمْ ، وَإِنَّمَا يَهَيِّجُ جَسِيَّاتِ الْأُمُورِ صَغَارُهَا .

وَأَمَّا عَلَى ، فَأَشَارَ بِاللَّيْنِ وَإِفْرَاطِ الرَّفْقِ ، وَإِذَا جَرَّدَ الْوَالِي لِمَنْ غَمِطَ أَمْرَهُ ، وَسَفَهُ حَقِّهِ ، الَّذِي يَنْحَتَا ، وَالْخَيْرَ مُخَضّاً ، لَمْ يَخْلُطْهُمَا بِشِدَّةٍ تَعَطَّفِ الْقُلُوبَ عَنْ لَيْنِهِ ، وَلَا بَشَرٍ يَجْنِبُهُمْ إِلَى خَيْرِهِ ، فَقَدْ مَلَّكَهُمُ الْخَلْعَ لِمَذْرُوعِهِمْ ، وَوَسَّعَ لَهُمُ الْفُرْجَةَ لِقَتْنِي أَعْنَاقَهُمْ ، فَإِنْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ ، وَقَبِلُوا لَيْنَهُ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ اضْطَرَّهِمْ وَلَا شِدَّةٍ ، فَتَرْوَةٌ <sup>(١)</sup> فِي رءُوسِهِمْ ، يَسْتَدْعُونَ بِهَا الْبَلَاءَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَيَسْتَصْرِخُونَ بِهَا رَأْيَ الْمَهْدَى فِيهِمْ ، وَإِنْ لَمْ يَقْبَلُوا دَعْوَتَهُ ، وَيَسْرِعُوا لِإِجَابَتِهِ بِاللَّيْنِ الْمُخَضِّ ، وَالْخَيْرِ الصَّرَاحِ ، فَذَلِكَ مَا عَلَيْهِ الظَّنُّ بِهِمْ ، وَالرَّأْيُ فِيهِمْ ، وَمَا قَدْ يَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مِثْلِهِمْ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ ، وَجَعَلَ فِيهَا مِنَ النِّعَمِ الْمَقِيمَ ، وَالْمَلِكَ الْكَبِيرَ ، مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَلَا تُذْكَرُ الْفِكْرَ ، وَلَا تَعْلَمُهُ نَفْسٌ ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا ، وَرَغَّبَهُمْ فِيهَا ، فَلَوْلَا أَنَّهُ خَلَقَ نَاراً جَعَلَهَا لَهُمْ رَحْمَةً يَسُوقُهُمْ بِهَا إِلَى الْجَنَّةِ ، لَمَا أَجَابُوا وَلَا قَبِلُوا .

وَأَمَّا مُوسَى ، فَأَشَارَ بِأَنْ يُعْصَبُوا بِشِدَّةٍ لَالَيْنَ فِيهَا ، وَأَنْ يُرْمَوْا بِشَرٍّ لِاخْيَرٍ مَعَهُ ، وَإِذَا اضْطُرَّ الْوَالِي لِمَنْ فَارَقَ طَاعَتَهُ ، وَخَالَفَ جَمَاعَتَهُ ، اخْلُوفَ مُفْرَداً ، وَالشَّرَّ مَجْرَداً ، لَيْسَ مَعَهُمَا طَمَعٌ ، وَلَا لَيْنٌ يَتَنَبَّهُمْ ، اشْتَدَّتْ الْأُمُورُ بِهِمْ ، وَانْتَقَطَتْ الْحَالُ مِنْهُمْ إِلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ ، إِمَّا أَنْ تَدْخُلَهُمُ الْحَمِيَّةُ مِنَ الشَّدَّةِ ، وَالْأَنْفَةُ مِنَ الذَّلَّةِ ، وَالْإِمْتِنَاعُ مِنَ الْقَهْرِ ، فَيَدْعُوهُمْ ذَلِكَ إِلَى التَّمَادِي فِي الْخِلَافِ ، وَالِاسْتِبْسَالِ فِي الْقِتَالِ ، وَالِاسْتِسْلَامِ لِلْمَوْتِ ، وَإِمَّا أَنْ يَنْقَادُوا بِالْكَرْهِ ، وَيُذْعِنُوا بِالْقَهْرِ عَلَى

بِفَضْةٍ لازِمةٍ ، وعداوةٍ باقيةٍ ، ثُورث النفاق ، وَتُعْقِبُ الشقاق ، فإذا أمكثهم فرصةٌ ، أو ثابَّتْ<sup>(١)</sup> لهم قدرةٌ ، أو قويت لهم حال ، عاد أمرهم إلى أصمبٍ وأغلظَ وأشدَّ مما كان .

وقال في قول أبي الفضل : أيها المهدي ، أكنفي دليل ، وأوضح برهان ، وأبين خبر بأن قد أجمع رأيه ، وحزَّم نظره على الإرشاد يبعثه الجيوش إليهم ، وتوجيه البعوث نحوهم ، مع إعطائهم ماسألوا من الحق ، وإلجائهم إلى ماسألوه من العدل . قال المهدي : ذلك رأى .

## ٦١ - مقال هرون بن المهدي

قال هرون :

« خلطت الأشدةَ أيها المهدي باللين ، فصارت الشدةَ أمرَ فِطامٍ لما تَكَرَّر ، وصاد اللين أهدى قائد إلى مائِجِبٍّ ، ولكن أرى غير ذلك » .

قال المهدي : « لقد قلت قولاً بديعاً ، وخالفت فيه أهل بيتك جميعاً ، والمرء مؤتمن بما قال ، وظنين بما أدعى ، حتى يأتي بيئته عاذلة ، وحجة ظاهرة ، فاخرج عما قلت » قال هرون : « أيها المهدي ، إن الحرب خدعة<sup>(٢)</sup> ، والأعاجم قوم مَكْرَة ، وربما اعتدلت الحال بهم ، وافقت الأهواء منهم ، فكان باطن ما يُسرون على ظاهر ما يُعلنون ، وربما افتقرت الحالان ، وخالف القلب اللسان ، فانطوى القلب على محبوبةٍ تُبْطِن ، واستسرَّ بمدخولةٍ لا تَمْلَن ، والطبيب الرفيق بطلبه ، البصير بأمره ، العالم بمقدَّم يده ، وموضعٍ ميسمه<sup>(٣)</sup> لا يتعجل الدواء ، حتى يقع على معرفة الدواء ، فالرأى للمهدي «وقفه الله» أن يَقِرَّ<sup>(٤)</sup> باطن أمرهم قرَّ

[١] رجعت . [٢] خدعة يسكون المال وتثلبت الحاء ، وبهم الحاء وضع المال ، أي تنفضي بخدعة .

[٣] لليسم : للكواء . [٤] فر العاية : كشف عن أسناتها يعرف سنها .

المُسِنَّة ، ويمَخَض ظاهر حالهم نَحْض السَّقاء ، بتأبئة الكتب ، ومظاهرة الرُّسل ، وموالاة العيون ، حتى تُهْتَك حُجُب عيونهم ، وتكشف أغطية أمورهم ، فإن انفرجت الحال وأفضت الأمور به إلى تغيير حال ، أو داعية ضلال اشتملت الأهواء عليه ، واتفاد الرجال إليه ، وامتدت الأعناق نحوه بدين يستقدونه ، وإثم يستحلونه ، عَصَبهم بشدة لا لين فيها ، ورماهم بعقوبة لا عَفْوَ معها ، وإن انفرجت العيون ، واهتُصِرَت الستور ، ورُفِعَت الحُجُب ، والحال فيهم مَرِيمة <sup>(١)</sup> ، والأمور بهم معتدلة ، في أرزاق يطلبونها ، وأعمال يُنكرونها ، وظلمات يدعونها ، وحقوق يسألونها ، بما تَوَقَّعت سابقتهم ، ودالة مناصحتهم ، فالرأى للمهدى - وفقه الله - أن ينسع لهم بما طلبوا ، ويتجافى لهم عما كرهوا ، ويشعَب <sup>(٢)</sup> من أمرهم ما صدَعوا ، وَيَرْتَق من فتَقِيهِم ما قطعوا ، ويولَّى عليهم من أحبوا ، ويدأوى بذلك مرضَ قلوبهم ، وفساد أمورهم ، فإنما المهدى وأمثه ، وسواد أهل مملكته ، بمنزلة الطيب الرفيق ، والوالد الشفيق ، والراعى المجرب الذى يحتال لِمَرِاضِ غنمه ، وَضَوَالِ رعيته ، حتى يُبْرِئ المريضة من داء علتها ، ويردَّ الصحيحة إلى أنس جماعتها ، ثم إن خراسان بخاصة الذين لهم دالةٌ محمولة ، ومائة مقبولة ، ووسيلة معروفة ، وحقوق واجبة ، لأنهم أيدي دولته ، وسيوف دعوته ، وأنصارُ حقه ، وأعوان عدله ، فليس من شأن المهدى الاضطغان عليهم ، ولا المؤاخذة لهم ، ولا التوغر <sup>(٣)</sup> بهم ، ولا المكافأة بإساءتهم ، لأن مبادرة حسَمِ الأمور ضعيفةٌ قبل أن تقوى ، ومحاولة قطع الأصول ضئيلةٌ قبل أن تغلظ ،

[١] مرجع الوادى ككرم مراعاة : أخصب بكثرة السلا فهو مرجع .

[٢] خُصج . [٣] توغر الرجل : تشدد .

أحزمت في الرأي ، وأصح في التدبير ، من التأخير لها ، والتهاون بها ، حتى يلتئم قليلها بكثيرها ، وتجتمع أطرافها إلى جمهورها .

قال المهدي : « ما زال هرون يقع وقع الحكيم <sup>(١)</sup> ، حتى خرج خروج القَدَح من الماء ، وانسلَّ انسلال السيف فيما ادعى ، فدعوا ما سبق موسى فيه أنه هو الرأي ، وثني بعده هرون ، ولكن من لأعنة الخيل وسياسة الحرب ، وقيادة الناس ، إن أمن بهم الأجاج ، وأفرطت بهم الدالة ؟ » .

### ٦٢ — مقال صالح بن علي <sup>(٢)</sup>

قال صالح :

« لسانا نبلغ أيها المهدي بدوام البحث وطول الفكر أدنى فِرَاسة رأيك ، وبعض لحظات نظرك ، وليس ينفض عنك من يوتات العرب ، ورجالات المعجم ، ذودين فاضل ، ورأي كامل ، وتدبير قوى ، تقلده حربك ، وتستودعه جندك ، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ، ويضطلع بالأعباء الثقيلة ، وأنت بحمد الله ميمون التقية <sup>(٣)</sup> ، مبارك العزيمة ، تحبور التجارب ، محمود المواقب ، معصوم العزم ، فليس يقع اختيارك ، ولا يقف نظرك على أحد ثوليه أمرك ، وتُسند إليه ثورك ، إلا أراك الله ماتحب ، وجمع لك منه ما تريد » .

قال المهدي : « إني لأرجو ذلك لتقديم عادة الله فيه ، وحسن معوته عليه ، ولكن أحب الموافقة على الرأي ، والاعتبار للمشاورة في الأمر المهِم » .

### ٦٣ — مقال محمد بن الليث

قال محمد بن الليث :

« أهل خراسان أيها المهدي قوم ذوو عِزَّة ومنَّعة ، وشياطين خدعة ،

[١] للطر . [٢] هو صالح بن علي بن جده الله بن عباس . [٣] النفس والطيمة .

زروع الحمية فيهم نابتة ، وملابس الأنفة عليهم ظاهرة ، فالروية عنهم عازبة ،  
والعجلة فيهم حاضرة ، تسبق سيولهم مطرهم ، وسيوفهم عذتهم ، لأنهم بين  
سيفلة لا يمدو مبلغ عقولهم منظر عيونهم ، وبين رؤساء لا يلجمون إلا بشدة ،  
ولا يقطعون إلا بالمر ، وإن ولي المهدي عليهم وضيعاً لم تنقذ له العظماء ، وإن  
ولي أمرهم شريفاً تحامل على الضعفاء ، وإن آخر المهدي أمرهم ، ودافع حربهم ،  
حتى يُصيب لنفسه من حشمه ومواليه أو بنى عمه أو بنى أبيه ناصحاً ، يتفق عليه  
أمرهم ، وثقة تجتمع له أملاؤهم <sup>(١)</sup> ، بلا أنفة تلزمهم ، ولا حمية تدخلهم ، ولا  
مصيبية تنفرهم ، تنفست الأيام بهم ، وتراخت الحال بأمرهم ، فدخل بذلك من  
الفساد الكبير ، والضياع العظيم ، ما لا يتلافاه صاحب هذه الصفة وإن جد ،  
ولا يستصلحه وإن جهّد ، إلا بعد دهر طويل ، وشر كبير ، وليس المهدي وفقه  
الله فاطماً عاداتهم ، ولا قارعاً صفاتهم <sup>(٢)</sup> ، بمثل أحد رجلين لا ثالث لهما ، ولا  
عذل <sup>(٣)</sup> في ذلك بهما ، أحدهما لسان ناطق موصول بسمعك ، ويد ممتلئة لعينك ،  
وصخرة لا ترزعزع ، وبهمة <sup>(٤)</sup> لا تُثنى ، وبازل <sup>(٥)</sup> لا يُفزع صوت الجملجل ،  
نقى المرص ، تزيه النفس ، جليل الخطر <sup>(٦)</sup> ، اتضعت الدنيا عن قدره ، وسما  
نحو الآخرة بهيمته ، وجعل المرص الأقصى لعينه نصباً ، والمرص الأدنى لقدمه  
موطئاً ، فليس يقبل عملاً ، ولا يتعدى أملاً ، وهو رأس مواليك ، وأنصح  
بنى أيبك ، رجل قد غدّى بلطيف كرامتك ، وثبتت في ظل دولتك ، ونشأ على

[١] جمع ملاكسب وهو الجماعة . [٢] الصفاة : الحبر الصلد الضخم . [٣] العذل : الظير .

[٤] البهمة : الصخرة ، والشجاع الذي لا يهتدى من أين يؤتى . [٥] البازل : الجمل في السنة  
التاسعة ، والرجل الكامل في تجربته . [٦] القدر .

قوائم أدبك ، فإن قلّدتَه أترهم ، وتحمّله ثقلهم ، وأسندتَ إليه ثَمَرهم ، كان قُفلاً فتّحه أمرك ، وباباً أغلقه نهيك ، فجعل العدل عليه وعليهم أميراً ، والإنصاف بينه وبينهم حاكماً ، وإذا أحكم النّصفه ، وملك المِثْلة ، فأعطاهم ما لهم ، وأخذ منهم ما عليهم ، غرس لك في النّدى بين صدورهم ، وأسكن لك في السّوَيْدَاءِ ، داخل قلوبهم ، طاعة راسخة العروق ، باسقة القروع ، متائلة في حواشي عوائهم ، متمكنة من قلوب خواصهم ، فلا يبقى فيهم ريبٌ إلا قوّه ، ولا يalzهم حقٌ إلا أدّوه ، وهذا أحدهما ، والآخر عُودٌ من غِيضَتِكَ <sup>(١)</sup> ، وَنَبْعَةٌ من أرومتك ، قِيَّ السن ، كَهْلُ الحِلْمِ ، راجح العقل ، محمود الصّرامة ، مأمون الخلاف ، يجرّد فيهم سيفه ، ويسبّط عليهم خيره ، بقدر ما يستحقّون ، وعلى حسب ما يستوجبون ، وهو فلان ، أيها المهندي ، فسأطه أعزك الله عليهم ، ووجهه بالجيش إليهم ، ولا تمنّك ضِراعة <sup>(٢)</sup> سيّته ، وحادثة مؤلّده ، فإن الحِلْمَ والثقة مع الحداثة ، خير من الشك والجهل مع الكهولة ، وإنما أحداثكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه ، واختصم به ، من مكارم الأخلاق ، وعامد الفعال ، وعاسن الأمور ، وصواب التدبير ، وصرامة الأَنْفُسِ ، كِفْرَافِخِ عِتَاقِ الطير ، المُخَكِّمة لأخذ الصيد بلا تدرّب ، والعارفة لوجوه النّفع بلا تأديب ، فالعلم والعزم والحزم ، والجود والثّوْدَة ، والرّفق ، ثابت في صدوركم ، مزروع في قلوبكم ، مُسْتَحْكِمٌ لكم ، متكاملٌ عندكم ، بطبائع لازمة ، وغرائز ثابتة .

٦٤ — مقال معاوية بن عبد الله

قال معاوية بن عبد الله :

« أَفْتَاءٌ »<sup>(١)</sup> أَهْلُ يَنْتَكِ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ فِي الْحِلْمِ عَلَى مَا ذُكِرَ ، وَأَهْلُ خِرَاسَانَ فِي حَالِ عِزٍّ عَلَى مَا وَصِفَ ، وَلَكِنْ إِنْ وَلَّى الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ بِقَدِيمِ الذِّكْرِ فِي الْجُنُودِ ، وَلَا بَنِيهِ الصَّوْتِ فِي الْحُرُوبِ ، وَلَا بَطُولِ التَّجَرُّبَةِ لِلْأُمُورِ ، وَلَا بِعُرُوفِ السِّيَاسَةِ لِلْجِيُوشِ ، وَالْهَيْبَةِ فِي الْأَعْدَاءِ ، دَخَلَ ذَلِكَ أَمْرَانِ عَظِيمَانِ ، وَخَطَرَانِ مُهْلَوَانِ ، أَحَدُهُمَا أَنَّ الْأَعْدَاءَ يَفْتَمِزُونَهَا مِنْهُ ، وَيَحْتَقِرُونَهَا فِيهِ ، وَيَحْتَرِثُونَ بِهَا عَلَيْهِ ، فِي التَّهْوِضِ بِهِ ، وَالْمُقَارَعَةِ لَهُ ، وَالْخِلَافِ عَلَيْهِ ، قَبْلَ مَا حِينَ الْإِخْتِبَارِ لِأَمْرِهِ ، وَالتَّكْشِفِ لِحَالِهِ ، وَالْعِلْمِ بِطَبَاعِهِ ؛ وَالْأَمْرُ الْآخَرُ أَنَّ الْجُنُودَ الَّتِي يَقُودُ ، وَالْجِيُوشَ الَّتِي يَسُوسُ ، إِذَا لَمْ يَخْتَبِرُوا مِنْهُ الْبَأْسَ وَالتَّجَدُّدَ ، وَلَمْ يَعْرِفُوهُ بِالصَّوْتِ<sup>(٢)</sup> وَالْهَيْبَةِ ، انْكَسَرَتْ شَجَاعَتُهُمْ ، وَمَاتَتْ نَجْدَتُهُمْ ، وَاسْتَأْخَرَتْ طَاعَتُهُمْ ، إِلَى حِينِ إِخْتِبَارِهِمْ ، وَوُقُوعِ مَعْرِفَتِهِمْ ، وَرَبَّمَا وَقَعَ الْبَوَارُ قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ ، وَبِيَابِ الْمَهْدِيِّ - وَفَقَّهَ اللَّهُ - رَجُلٌ مَهِيْبٌ ، نَبِيٌّ ، حَنِيكٌ ،<sup>(٣)</sup> صَبِيٌّ ، لَهُ نَسَبٌ زَالِكٌ ، وَصَوْتٌ عَالٌ ، قَدْ قَادَ الْجِيُوشَ وَسَاسَ الْحُرُوبَ ، وَتَأَلَّفَ أَهْلَ خِرَاسَانَ ، وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ عَلَيْهِ بِالْمَقَّةِ ، وَوَثِقُوا بِهِ كُلَّ الثَّقَةِ ، فَلَوْلَاهُ الْمَهْدِيُّ أَمْرَهُمْ ، لَكَفَاهُ اللَّهُ شَرَّهُمْ . قَالَ الْمَهْدِيُّ : « جَانِبْتَ قَصْدَ الرِّمِيَّةِ ، وَأَيْتَتْ إِلَّا عَصَبِيَّةً ، إِذْ رَأَيْتُ الْحَدَثَ مِنْ أَهْلِ يَنْتَا ، كَرَأَى عَشْرَةَ حُلَمَاءَ مِنْ غَيْرِنَا ، وَلَكِنْ أَيْنَ تَرَكْتُمْ وَلِيَّ الْمَهْدِ ؟ » . قَالُوا : « لَمْ يَنْعُنَا مِنْ ذِكْرِهِ إِلَّا كَوْنُهُ شَبِيهَ جَدِّهِ ، وَنَسِيحَ وَحْدِهِ »<sup>(٤)</sup> ، وَمِنْ الدِّينِ وَأَهْلِهِ ، بِحَيْثُ يَقْصُرُ الْقَوْلُ عَنْ أَذْنَى فَضْلِهِ ، وَلَكِنْ وَجَدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَاجِبَ عَنْ خَلْقِهِ ، وَسَرَّ دُونَ عِبَادِهِ ، عِلْمَ مَا تَحْتَلِفُ بِهِ الْأَيَّامُ ، وَمَعْرِفَةَ مَا تَجْرِي

[١] جَمْعُ فِتْيٍ كَبْنِيٍّ وَأَيَّامٍ . [٢] الصَّوْتُ وَالصَّاتُ وَالسَّيْتُ : الذِّكْرُ الْحَسَنُ . [٣] عَمَلُهُ .

[٤] هُوَ نَسِيحٌ وَحْدَهُ : لَا نَظِيرَ لَهُ مُتَّفَرِّدٌ بِخِصَالِ عُمُودِهِ لَا يَمُرُّكَ فِيهَا غَيْرُهُ ، كَمَا أَنَّ التَّوْبَ التَّائِبَ لَا يَنْتَسِجُ عَلَى مَنَاقِلِهِ غَيْرُهُ ، أَيْ لَا يَمُرُّ بِهِ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي السَّيْرِ .

عليه المقادير من حوادث الأمور ، ورَيبُ المنون <sup>(١)</sup> المُخَرِّمة لِحَوَالِي القرون ؛  
وَمَوَاضِي الملوكة ، فِكْرِهَا شُسُوعُهُ <sup>(٢)</sup> عَنِ عَجَلَةِ المَلِكِ ، وَدَارِ السُّلْطَانِ ، وَمَقَرِّ  
الإِمَامَةِ وَالْوِلَايَةِ ، وَمَوْضِعِ الدَّائِنِ وَالخَزَائِنِ ، وَمَسْتَقَرِّ الجُنُودِ ، وَمَعْدِنِ الجُودِ ،  
وَمَجْمَعِ الأَمْوَالِ ، الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ قُطْبًا لِمَذَارِ المَلِكِ ، وَمِصْنِدَةً لِقُلُوبِ النَّاسِ ، وَمَثَابَةً  
لِإِخْوَانِ الطَّمَعِ ، وَثَوَارِقِ النِّفْتِ ، وَدَوَاعِي البِدْعِ ، وَفُرْسَانِ الضَّلَالِ ، وَأَبْنَاءِ المَوْتِ ،  
وَقَلْنَا إِنْ وَجَّهَ المَهْدَى وَلِيَّ عَهْدِهِ ، لَخِثَّ فِي جِيُوشِهِ وَجُنُودِهِ ، مَا قَدْ حَدَثَ بِمُجَنُودِ  
الرَّسْلِ مِنْ قَبْلِهِ ، لَمْ يَسْتَطِعِ المَهْدَى أَنْ يُعَقِّبَهُمْ بِغَيْرِهِ ، إِلَّا أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ ،  
وَهَذَا خَطَرٌ عَظِيمٌ ، وَهَوْلٌ شَدِيدٌ ، إِنْ تَنَقَّسَتِ الأَيَّامُ بِمَقَامِهِ ، وَاسْتَدَارَتِ الحَالُ  
بِإِمَامِهِ ، حَتَّى يَقَعَ عِوَضَ لَإِسْتِنْتِنِي عَنْهُ ، أَوْ يَحْدُثَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ ، صَارَ مَا بَعْدَهُ  
مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ هَوَلًا ، وَأَجَلُ خَطَرًا ، لَهُ تَبَعًا ، وَبِهِ مُتَصَلًا .

## ٦٥ - مقال المهدى

قال المهدى :

« الْخَطْبُ أَيْسَرُ مِمَّا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ ، وَعَلَى غَيْرِ مَا تَصِفُونَ الأَمْرَ عَلَيْهِ ، نَحْنُ  
أَهْلَ الْبَيْتِ نَجْرِي مِنْ أَسْبَابِ الْقَضَايَا ، وَمَوَاقِعِ الأُمُورِ ، عَلَى سَابِقِ مِنَ الْعِلْمِ ،  
وَمَحْتَمٍ مِنَ الأَمْرِ ، قَدْ أَنْبَأَتْ بِهِ الْكُتُبُ ، وَتَنْبَأَتْ عَلَيْهِ الرُّسُلُ ، وَقَدْ تَنَاهَى  
ذَلِكَ بِأَجْمَعِهِ إِلَيْنَا ، وَتَكَامَلَ بِحَذَائِفِرِهِ <sup>(٣)</sup> عِنْدَنَا ، فِيهِ نَدْبَرُ ، وَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْ ،  
إِنَّهُ لَا بُدَّ لَوَلِيِّ عَهْدِي ، وَلَوَلِيِّ عَهْدِ عَقْبِي بِمَدْيَ ، أَنْ يَقُودَ إِلَى خِرَاسَانَ البَعُوثَ ،  
وَيَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا بِالْجُنُودِ ؛ أَمَّا الأَوَّلُ فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ إِلَيْهِمْ رِسْلَهُ ، وَيُعْمَلُ فِيهِمْ حِيَلَهُ ،

[١] اللَوْنُ اللَّبَنِي (مَوْت) وَالْمُخَرِّمَةُ : لِلْهَلَاكِ ، وَالْحَوَالِي جَمْعُ خَالِيَةٍ وَهِيَ لِلْمَاثِيَةِ .

[٢] شَعْرٌ كَثُرَ شَعْرًا وَشَعْرًا : مَدَّ فَهُوَ شَلَحَ وَشَعَرَ .

[٣] جَمْعُ حَنْفُورٍ كَصَفُورٍ أَوْ حَنْفَارٍ كَقِرْطَاسٍ وَهُوَ الْجَلْدُ .



ثم يخرج نَشِيطًا إِلَيْهِمْ ، حَنِقًا عَلَيْهِمْ ، يريد أن لا يدعَ أحدًا من إخوان الفتن ، ودواعي البدع ، وفُرسان الضلال ، إلا توطأه بِحَرِّ القتل ، وألبسه قِنَاعَ القَهْرِ ، وقَلَّده طوقَ الذل ، ولا أحدًا من الذين عملوا في قصِّ جَنَاحِ الفتنة ، وإخماد نار البدعة ، ونُصرةِ وِلاَةِ الحق ، إلا أجرى عليهم دِيَمَ فضله ، وجداولَ نَهْلِهِ ، فإذا خرج مُزْمِعًا بِهِ ، مُجْمِعًا عَلَيْهِ ، لم يَسِرْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يَأْتِيَهُ أَنْ قَدْ عَمَلَتْ حِيلُهُ ، وَكَدَحَتْ كِتَبُهُ ، وَنَفَذَتْ مَكَائِدَهُ ، فَهَدَّاتْ نَافِرَةُ الْقُلُوبِ ، وَوَقَعَتْ طَائِرَةُ الْآهْوَاءِ ، واجتمع عليه المختلقون بالرضا ، فيميل نظراً لهم ، وبراً بهم ، وتمطفاً عليهم ، إلى عدو قد أخاف سَيْلَهُمْ ، وفضع طريقهم ، ومنع حجاجهم بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وسلب تجارهم رِزْقَ اللَّهِ الْحَلَالِ ؛ وأما الْآخِرُ فَإِنَّهُ يُوَجِّهُ إِلَيْهِمْ ، ثم تعقده له الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ بِإِعْطَاءِ مَا يَطْلُبُونَ ، وَبَذْلِ مَا يَسْأَلُونَ ، فَإِذَا سَمَحَتْ الْفِرْقُ بِقِرَابَاتِهَا لَهُ ، وَجَنَحَ أَهْلُ النِّوَاحِي بِأَعْنَاقِهِمْ نَحْوَهُ ، فَأَصْنَعْتَ إِلَيْهِ الْأَفْتَدَةَ ، واجتمعت له الْكَلِمَةُ ، وَقَدِمْتَ عَلَيْهِ الْوَفُودَ ، قَصَدَ لِأَوَّلِ نَاحِيَةٍ بَحْثَ<sup>(١)</sup> بَطَاعَتِهَا ، وَأَلْقَتْ بِأَزِمَتِهَا ، فَأَلْبَسَهَا جَنَاحَ نِعْمَتِهِ ، وَأَنْزَلَهَا ظِلَّ كَرَامَتِهِ ، وَخَصَّهَا بِعَظِيمِ حِبَابِهِ<sup>(٢)</sup> ، ثم عمَّ الْجَمَاعَةَ بِالْمُعْدِلَةِ ، وَتَمَطَّفَ عَلَيْهِمُ بِالرَّحْمَةِ ، فَلَا تَبْقَى فِيهِمْ نَاحِيَةٌ دَانِيَةٌ ، وَلَا فِرْقَةٌ قَاصِيَةٌ ، إِلَّا دَخَلَتْ عَلَيْهَا بَرَكَتُهُ ، وَوَصَلَتْ إِلَيْهَا مَنَفَعَتُهُ ، فَأَغْنَى فَقِيرَهَا ، وَجَبَّرَ كَسِيرَهَا ، وَرَفَعَ وَضِعَمَهَا ، وَزَادَ رَفِيعَهَا ، مَا خِلَا نَاحِيَتَيْنِ ، نَاحِيَةٌ يَنْلُبُ عَلَيْهَا الشَّقَاءُ ، وَتَسْتَمِيلُهُمُ الْآهْوَاءُ ، فَتَسْتَخَفُّ بِدَعْوَتِهِ ، وَتُبْطِئُ عَنْ إِبَاقَتِهِ ، وَتَتَنَاقَلُ عَنْ حَقِّهِ ، فَتَكُونُ آخِرَ مَنْ يَبْعَثُ ، وَأَبْطَأَ مَنْ يُوَجِّهُ ، فَيَصْطَلِي عَلَيْهَا مُوَجِّدَةٌ ، وَيَبْتَنِي لَهَا عِلَّةٌ ، لَا يَلْبِثُ يَجُودُ<sup>(٣)</sup> بِحَقِّ يَلْزَمُهُمْ ، وَأَمْرٍ يَجِبُ عَلَيْهِمْ ؟ فَتَسْتَلْحِمُهُمْ

الجيش ، وتأكلهم السيوف ، ويستحربهم القتل ، ويحيط بهم الأسر ، ويفنيهم التبع ، حتى يُخرب البلاد ، ويؤتم الأولاد ، وناحية لا يسط لهم أماناً ، ولا يقبل لهم عهداً ، ولا يحمل لهم ذمة ، لأنهم أول من فتح باب الفرقة ، وتدرع جلباب الفتنة ، وربض في شق العصا ، ولكنه يقتل أعلامهم ، ويأسر قوادم ، ويطلب هزأهم ، في أجاج البحار ، وقُلل الجبال ، وحمل<sup>(١)</sup> الأودية ، ويطون الأرض ، تقتيلاً وتقليلاً وتنكيلاً ، حتى يدع الديار خراباً ، والنساء أيتام ، وهذا أمر لا نعرف له في كتبنا وقتاً ، ولا نصحح منه غير ما قلنا تفسيراً ؛ وأما موسى ولى عهدى ، فهذا أوان توجّهه إلى خراسان ، وحلوه بمجرّجان ، وما قضى الله له من الشخوص إليها ، والمقام فيها ، خير للمسلمين مغبةً ، وله بإذن الله عاقبة من المقام بحيث يُنمّر في لجج بحورنا ، ومدافع سيولنا ، ومجامع أمواجنا ، فيتصاغر عظيم فضله ، ويتذأب<sup>(٢)</sup> مشرق ثوره ، ويتقلل كثير ما هو كائن منه ، فن يصحبه من الوزراء ، ويختار له من الناس ؟ » .

## ٦٦ — مقال محمد بن الليث

قال محمد بن الليث :

« أيها المهدي : إن ولى عهدك أصبح لأمتك ، وأهل ملتك ، علماً قد تنفت نحوه أعناقها ، ومدّت سمته أبصارها . وقد كان لقرب داره منك ، ومحلّ جواره لك ، عطل<sup>(٣)</sup> الحال ، غفل الأمر ، واسع المذر . فأما إذا انفرد بنفسه . وخلا بنظره . وصار إلى تديره . فإن من شأن المامة أن تنفقد مخارج رأيه .

[١] الجليل : بطن السيل . [٢] يضرب .

[٣] عطل ( كروح ) من اللها والأدب خلا فهو عطل كقوله عطل .

وَتُسْتَنْصِتْ لِمَوَاقِعِ آثَارِهِ ، وَتَسْأَلُ عَنْ حَوَادِثِ أَحْوَالِهِ ، فِي بَرِّهِ وَبَرَمَتِهِ  
وَإِقْسَاطِهِ <sup>(١)</sup> وَمَعْدَلَتِهِ ، وَتَدِيرِهِ وَسِيَاسَتِهِ ، وَوُزَرَاءِهِ وَأَصْحَابِهِ . ثُمَّ يَكُونُ مَا سَبَقَ  
إِلَيْهِمْ أَغْلِبَ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَأَمْلَكَ الْأُمُورِ بِهِمْ ، وَأَثَرَهَا لِقُلُوبِهِمْ ، وَأَشَدَّهَا  
اسْتِمَالَةً لِرَأْيِهِمْ ، وَعُطْفًا لِأَهْوَائِهِمْ . فَلَا يَفْتَأُ الْمَهْدِيُّ - وَفَقَهُ اللَّهُ - نَازِرًا لَهُ فِيمَا يَقْوَى  
تَحْمَدُ مَمْلَكَتِهِ ، وَيَسُدُّ أَرْكَانَ وَلَايَتِهِ ، وَيَسْتَجْمَعُ رِضَا أُمَّتِهِ بِأَمْرٍ هُوَ أَزِينُ لِحَالِهِ .  
وَأَظْهَرُ لِحَالِهِ ، وَأَفْضَلُ مَغْبَى لَأَمْرِهِ ، وَأَجَلُ مَوْقِعًا فِي قُلُوبِ رَعِيَّتِهِ ، وَأَحْمَدُ حَالًا  
فِي نَفُوسِ أَهْلِ مِلَّتِهِ . وَلَا أَدْفَعُ مَعَ ذَلِكَ بِاسْتِجْمَاعِ الْأَهْوَاءِ لَهُ . وَأَبْلَغُ فِي  
اسْتِمْطَافِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ ، مِنْ مَرَحَةٍ تَظْهَرُ مِنْ فِعْلِهِ . وَمَعْدَلَةٌ تَنْتَشِرُ عَنْ أَثَرِهِ .  
وَعِبْدَةٌ لِلْخَيْرِ وَأَهْلِهِ ، وَأَنْفُ يُخْتَارُ الْمَهْدِيُّ - وَفَقَهُ اللَّهُ - مِنْ خِيَارِ أَهْلِ كُلِّ بَلَدَةٍ .  
وَفَقَهَاءُ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ ، أَقْوَامًا تَسْكُنُ الْعَامَّةُ إِلَيْهِمْ إِذَا ذُكِرُوا ، وَتَأْنَسُ الرِّعِيَّةُ بِهِمْ  
إِذَا وُصِفُوا . ثُمَّ تَسَهَّلَ لَهُمْ عِمَارَةُ سُبُلِ الْإِحْسَانِ ، وَفَتَحَ بَابَ الْمَعْرُوفِ . كَمَا قَدْ  
كَانَ قُتِحَ لَهُ ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِ .

قال المهدي : صدقتَ ونصحتَ . ثم بحث في ابنه موسى ، فقال :

## ٦٧ - مقال المهدي

« أَيُّ مُبْنَى . إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ لَسَمْتَ وَجْهَ الْعَامَةِ نُصْبًا ، وَلَمْتَى أَعْطَافِ  
الرِّعِيَّةِ غَايَةً ، خَسَنَتْكَ شَامِلَةً . وَإِسَاءَتُكَ نَائِيَةً ، وَأَمْرُكَ ظَاهِرٌ ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ  
وِطَاعَتِهِ . فَاحْتَمِلْ سُخْطَ النَّاسِ فِيهِمَا ، وَلَا تَطْلُبْ رِضَانَهُمْ بِخِلَافِهِمَا ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ  
وَجَلَّ . كَافِيكَ مِنْ أَسْخَطِهِ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَانَهُ . وَلَيْسَ بِكَافِيكَ مَنْ يُسْخِطُهُ  
عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَانَهُ مِنْ سِوَاهُ . ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانٍ قَرَّةً مِنْ رِسَالِهِ .

وبقايها من صفوة خلقه ، وَخَبَايَا لُصْرَةِ حَقِّهِ ، يَجِدُّ حَبْلَ الْإِسْلَامِ بِدَعْوَاهُمْ ،  
وَيَشِيدُ أَرْكَانَ الدِّينِ بِنُصْرَتِهِمْ ، وَيَتَخَذُ لِأَوْلِيَاءِ دِينِهِ أَنْصَارًا ، وَعَلَى إِقَامَةِ عَدْلِهِ  
أَعْوَانًا . يَسُدُّونَ الْخَلَلَ ، وَيَقِيمُونَ اللَّيْلَ ، وَيَدْفَعُونَ عَنِ الْأَرْضِ الْفُسَادَ ، وَأَنْ  
أَهْلَ خِرَاسَانَ أَصْبَحُوا أَيْدِي دَوْلَتِنَا ، وَسَيُوفَ دَعْوَتِنَا ، الَّذِينَ نَسْتَدْفِعُ الْمَكَارِهِ  
بِطَاعَتِهِمْ ، وَنَسْتَصْرِفُ نَزُولَ الْعَظَائِمِ بِمُنَاصَحَتِهِمْ . وَتُدَافِعُ رَيْبَ الزَّمَانِ بِعِزِّهِمْ ،  
وَتُرَاحِمُ رُكْنَ الدَّهْرِ بِصَارِمِهِمْ ، وَهُمْ عِمَادُ الْأَرْضِ إِذَا أُرِجَتْ كَنْفُهَا ، وَخَوْفُ  
الْأَعْدَاءِ إِذَا بَرَزَتْ صَفْحَتُهَا ، وَحُصُونُ الرِّعْيَةِ إِذَا تَضَايَقَتِ الْحَالُ بِهَا ، قَدْ مَضَتْ  
لَهُمْ وَقَائِعُ صَادِقَاتٍ ، وَمَوَاطِنُ صَالِحَاتٍ ، أَخَذَتِ نِيرَانُ الْفِتَنِ ، وَقَسَمَتْ دَوَاعِي  
الْبِدْعِ . وَأَذَلَّتْ رِقَابَ الْجَبَّارِينَ ، وَلَمْ يَنْفَكُوا كَذَلِكَ مَا جَرَّوْا مَعَ رِيحِ دَوْلَتِنَا ،  
وَأَقَامُوا فِي ظِلِّ دَعْوَتِنَا ، وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِ طَاعَتِنَا ، الَّتِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا ذِلَّتَهُمْ ، وَرَفَعَ  
بِهَا صَعَتَهُمْ ، وَجَعَلَهُمْ بِهَا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ ،  
بَعْدَ لِبَاسِ الدَّلِّ ، وَقِنَاعِ الْخَوْفِ ، وَإِطْبَاقِ الْبَلَاءِ ، وَتُخَالَفَةِ الْأَمْسَى ، وَجَهْدِ الْبَاسِ  
وَالْفَرِّ . فَظَاهِرٌ عَلَيْهِمْ لِبَاسُ كِرَامَتِكَ ، وَأَنْزَلَهُمْ فِي حَدَائِقِ نِعْمَتِكَ ، ثُمَّ أَعْرَفَ  
لَهُمْ حَقَّ طَاعَتِهِمْ ، وَوَسِيلَةَ دَائِلَتِهِمْ ، وَمَاتَةَ سَابِقَتِهِمْ ، وَخُرْمَةَ مَنَاصِحَتِهِمْ ،  
بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِمْ ، وَالْإِثَابَةِ لِمَحْسَنِهِمْ ، وَالْإِقَالَةَ لِمُسِيئِهِمْ .

أَيُّ بَنِي ، ثُمَّ عَلَيْكَ الْعَامَّةَ . فَاسْتَدْعِ رِضَاهَا بِالْعَدْلِ عَلَيْهَا ، وَاسْتَجْلِبْ مَوَدَّتَهَا  
بِالْإِنْصَافِ لَهَا ، وَتَحَسَّنْ بِذَلِكَ لِرَبِّكَ ، وَتَوَقَّعْ بِهِ فِي عَيْنِ رِعْيَتِكَ ، وَأَجْعَلْ مُعْمَالَ  
الْمُذَرِّ وَوِلَاةَ الْحَاجِّ مُقَدِّمَةً بَيْنَ يَدَيْ عَمَلِكَ ، وَنَصْفَةَ مِنْكَ لِرِعْيَتِكَ ، وَذَلِكَ أَنْ  
تَأْمُرَ قَاضِي كُلِّ بَلَدٍ ، وَخِيَارَ أَهْلِ كُلِّ مَعْرِ ، أَنْ يَخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ رِجَالًا تَوَلَّيَهُ  
أَمْرَهُمْ ، وَتَجْعَلَ الْعَدْلَ حَاكِمًا بَيْنَهُمْ ، فَإِنْ لِحَسَنَ مُجِدَّتِ ، وَإِنْ أَسَاءَ مُقَدِّرَتِ .

هؤلاء عمال المُنذر، وولاء الحبيب، فلا يسقطن عليك ما في ذلك إذا انتشر في الآفاق، وسبق إلى الأسماع من انعقاد السنة المرجفين، وكُتبت قلوب الحاسدين، وإطفاء نيران الحروب، وسلامة عواقب الأمور، ولا ينفكن في ظل كرامتك نازلا، وبِعِراً حَبْلِكَ متعلّقا، رجلا: أحدهما كريمة من كرائم رجالات العرب، وأعلام بيوتات الشرف، له أدب فاضل، وحِلْم راجح، ودين صحيح، والآخرة دين غير مغموز، وموضع غير مدخول، بصير بتقليب الكلام، وتصريف الرأي، وأنحاء العرب، ووضع الكتب، عالم بحالات الحروب، وتصاريف الخطوب، يضع آداباً نافعة، وآثاراً باقية، من محاسنك وتحسين أمرك، وتحلية ذكرك، فتستشير في حربك، وتدخله في أمرك، فرجل أصبته كذلك، فهو يأوي إلى محلتى، ويرعى في خُصرة جناني، ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان، وخيار الأمصار، أقواماً يكونون جيرانك ومُشارك، وأهل مشاورتك فيما تُورد، وأصحاب مناظرتك فيما تُصدر، فسر على بركة الله، أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلاً يَهْدِي إلى الصواب قلبك، وهادياً يُنطق بالخير لسانك .

وكتب في شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ببغداد (١).

(المقد الفريد ١ : ٥٧)

[١] ملاحظة: أقول: وهذا يتناقض ما ورد في التاريخ: إذ المعروف أن المهدي توفي في الحرم سنة ١٦٩ وأعقبه الهادي، الذي توفي في ربيع الأول سنة ١٧٠، فكيف يكون تاريخ كتابة هذه المشاورة هو ربيع الآخر سنة ١٧٠ أى بعد وفاة المهدي والهادي، مع أنه ذكر في سياق خبرها أن المهدي أمر محمد بن البيت بحفظ مراجعتهم، وإثبات مقالاتهم في كتاب، أى أنها كتبت في المجلس الذي حدثت فيه المشاورة. والوارد في التاريخ أيضاً أن الهادي خرج إلى جرجان سنة ١٦٦ و ١٦٧ (راجع تاريخ الطبري ج ١٠ ص ٧ - ٨) اللهم إلا أن يقال إنها كتبت في مجلس المشاورة، وبقيت محفوظة لدى كاتبها، حتى نشرت للناس في ربيع الآخر سنة ١٧٠ أى أن ذلك التاريخ هو تاريخ كتابتها لإعلانها لجمهور، على أسا تشكك بها من وجهة أخرى، وذلك لما نراه عليها من مسحة الكتابة الفنية المنسقة .

## ٦٨ — ابن عتبة يعزى المهدي ويهنته

لما توفى المنصور دخل ابن عتبة<sup>(١)</sup> مع الخطباء على المهدي ، فسلم فقال :  
« آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ، وبارك الله لأمر المؤمنين فيما  
خلق له أمير المؤمنين بعده ، فامصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين ، ولا عظمي  
أفضل من وراثته مقام أمير المؤمنين ، فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية ،  
وأحسب عند الله أفضل الرزية » . ( البيان والبيان ٢ : ١٠٣ ، والعدد الرشد ٢ : ٣٥ )

## ٦٩ — يعقوب بن داود يستعطف المهدي

لما سخط المهدي على وزيره يعقوب بن داود<sup>(٢)</sup> أحضره ، فقال : يا يعقوب ، قال :  
ليتك يا أمير المؤمنين ، ثلثة مكروبٍ لو جدتك ، شري بفضلك ، قال : « ألم أرفع  
قدرك وأنت خامل ، وأسير ذكرك وأنت هامل ، وألبسك من نعم الله تعالى  
ونعمي ما لم أجذ عندك طاقة لحمله ، ولا قياماً بشكره ؟ فكيف رأيت الله تعالى  
أظهر<sup>(٣)</sup> عليك ، ورد كيذك إليك ا » .

قال : « يا أمير المؤمنين ، إن كنت قلت هذا بيقين وعلم فإنني مسترف ، وإن  
كان بسعاية الباغين ، ونعائم المعاندين ، فأنت أعلم بأكثرها ، وأنا حائذ  
بكرمك ، وصميم شرفك » .

[١] وفي العدد الرشد « أبو العينا المحدث » .

[٢] وكان للمهدي قد فوض إليه الأمور كلها ، وسلم إليه اللواوين ، وقدمه على جميع الناس ، ثم سخط  
عليه . وسبب ذلك أنه دفع إليه رجلاً من العلويين ، وقال له : أحب أن تكلمني أمره ، فلما صار العلوي في  
يده ، قال له : يا يعقوب تلقى الله بدي ، وأنا ابن علي بن أبي طالب ، وابن فاطمة رضي الله عنها ، وليس  
لي إليك ذنب ؟ فرق له ، وغلى سبيله ، ونعمي الخبر إلى المهدي ، فأرسل في طلب العلوي حتى ظفربه ،  
واستدعى يعقوب ، فقال : ما فعلت بالعلوي ؟ قال : قد أراح الله منه أمير المؤمنين ، قال : مات ؟ قال :  
نعم ، فاستحلته ، خلف له ، فأخرج إليه العلوي ، فلم يجر جواباً ، فأمر بحرقه في بئر مظلة ، وما زال  
محسوساً حتى طفا عنه الرشيد وتوفى سنة ١٨٦ هـ . [٣] أي أمان عليك .

فَقَالَ : لَوْلَا الْحِنْثُ<sup>(١)</sup> فِي دِمَكْ لِأَلْبَسْتُكَ قَيْصًا لَا تَشْدُ عَلَيْهِ أَزْرَارًا ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ إِلَى السَّجْنِ ، فَتَوَلَّى وَهُوَ يَقُولُ : «الْوَفَاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَّمَ ، وَالْمُودَّةُ رَحِمَ ، وَمَا عَلَى الْعَفْوِ نَدَمٌ ، وَأَنْتَ بِالْعَفْوِ جَدِيرٌ ، وَبِالْمَحَاسَنِ خَلِيقٌ » ، فَأَقَامَ فِي السَّجْنِ إِلَى أَنْ أَخْرَجَهُ الرَّشِيدُ . ( زمر الآداب ٣ : ٢٠٧ )

## ٧٠ - رجل من أهل خراسان يخطب بحضرة المهدي

وَقَدَّمَ عَلَى الْمَهْدِيِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ ، فَقَالَ : « أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا قَوْمٌ نَأْيُنَا عَنْ الْعَرَبِ ، وَشَغَلَتْنَا الْحُرُوبُ عَنْ الْخُطْبِ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَعْلَمُ طَاعَتَنَا ، وَمَا فِيهِ مَصْلَحَتُنَا ، فَيَكْتَفِي مِنَّا بِالْيَسِيرِ عَنْ الْكَثِيرِ ، وَيَقْتَصِرُ عَلَى مَا فِي الضَّمِيرِ ، دُونَ التَّفْسِيرِ » ، فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : أَنْتَ أَخْطَبُ مِنْ صِمْمَتِهِ . ( الصناعتين ص ٤٠ )

## ٧١ - مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي

دَخَلَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْجَلِيلِ عَلَى الْمَهْدِيِّ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي الْكَلَامِ ، فَقَالَ : تَكَلَّمْ ، فَقَالَ :

« إِنَّهُ لَمَّا سَهَّلَ عَلَيْنَا مَا تَوَعَّجَ عَلَى غَيْرِنَا مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْكَ ، قُنَّا مَقَامَ الْأَدَاءِ عَنْهُمْ وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِإِظْهَارِ مَا فِي أَعْنَاقِنَا مِنْ فَرِيضَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، عِنْدَ انْقِطَاعِ عُذْرِ الْكَثْمَانِ ، وَلَا سِيَّامًا حِينَ اتَّسَمَتْ بِمَيْسَمِ التَّوَاضُعِ ، وَوَعَدَتْ اللَّهَ وَحَمَلَةَ كِتَابِهِ إِثْرًا لِحَقِّ عَلَى مَا سِوَاهِ ، فَجَمَعْنَا وَإِيَّاكَ مُشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ التَّمَحِيصِ ، إِيْتِمَ مُؤَدِّينَا عَلَى مَوْعِدِ الْأَدَاءِ عَنْهُمْ ، وَقَالِينَا عَلَى مَوْعِدِ الْقَبُولِ ، أَوْ زَيْدِنَا تَحْمِيصُ اللَّهِ إِيَّانَا فِي اخْتِلَافِ السُّرُورِ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَيُحْمَلِينَا حِلْيَةِ

[١] فِي الْأَصْلِ « الْحَسْبُ » وَارَى أَنَّهَا عَرَفَتْ مِنْ « الْحِنْثِ » وَهُوَ الذَّنْبُ الْعَظِيمُ وَالْإِثْمُ .

الكذابين ، فقد كَانَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : « من حَجَبَ الله عنه العلمَ ، عَذَّبَهُ على الجهل ، وأشدَّ منه عذابًا مَنْ أَقْبَلَ إليه العلم وأدْبَرَ عنه ، ومن أَهْدَى الله إليه علمًا فلم يَعْمَلْ به ، فقد رَغِبَ عن هدية الله وقصَّر بها » ، فأَقْبَلَ ما أَهْدَى الله إليك من السُّنَنَّا ، قبولَ تحقيق وعمل ، لا قبولَ مُنْعَةٍ ورياء ، فإنه لا يَعْدَمُك منَّا إعلَامٌ لِمَا تَجْهَلُ ، أو مُوَاطَاةٌ على ما تَعْلَمُ ، أو تذكير لك من غفلةٍ ، فقد وَطَّنَ الله عزَّ وجلَّ نبيه عليه الصلاة والسلام على نزولها ، تعزيةً عما فات ، وتخصيصًا من التَّمَادَى ، ودلالة على المخرج ، فقال : « وَإِنَّمَا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » فَأُطْلِعَ الله على قلبك ، بما يَنُورُ أَفْقَهُ به القلوبَ ، من إِبْطَارِ الحق ، ومنايضة الأهواء فإنك إن لم تفعل ذلك ، يُرْ أَتْرُكْ وَأُتْرُكَ اللهُ عليك فيه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

( العدد الفردي ١ : ٣٠٣ ، وعبود الأخبار ٢ م : ٣٣٣ ، والبيان والبيان ٢ : ١٨١ )

## ٧٢ — عظة شبيب بن شيبه للمهدي

وقال شبيب بن شيبه <sup>(١)</sup> للمهدي : « يا أمير المؤمنين ، إن الله إِذْ قَسَمَ الأقسام في الدنيا ، جعل لك أَسْنَاهَا وَأَعْلَاهَا ، فلا تَرْضَ لنفسك من الآخرة ، إلا مِثْلَ ما رَضِيَ لك به من الدنيا ، فأوصيك بتقوى الله ، فعليكم نَزَلَتْ ، ومنكم أُخِذَتْ ، وَإِلَيْكُمْ تُرْجَعُ » .

( العدد الفردي ١ : ٣٠٧ )

## ٧٣ — خطبته في تعزية المهدي بابتنته

لما ماتت البائِثَةُ بنت المهدي ، جَزَعَ عليها جزعًا لم يُسْمَعْ بمثله ، فجلس للناس يعزونه ، وأمر ألا يُحْجَبَ عنه أحد ، فأكثر الناس في التمازي ،

[١] هو شبيب بن شيبه بن عبد الله بن عمرو بن الأعمى الثوري التميمي وهو ابن عم خالد بن صفوان .



واجتهدوا في البلاغة ، وفي الناس من ينتقد هذا عليهم من أهل العلم والأدب ، فأجمعوا على أنهم لم يسمعوها تعزية أوجز ، ولا أبلغ ، من تعزية شبيب بن شيبه ، فإنه قال :

« أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت أجراً ، وأعقبك صبراً ، ولا أجد الله بلاءك بنعمة ، ولا نزع منك نعمة ، ثواب الله خير لك منها ، ورحمة الله خير لها منك ، وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى رده <sup>(١)</sup> » .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٢١ )

#### ٧٤ - خطبة أخرى له في مدح الخليفة

قيل لبعض الخلفاء إن شبيب بن شيبه يستعمل الكلام ويستعد له ، فلو أمرته أن يصعد المنبر فجأة لرجوت أن يفتضح ، فأمر رسولا فأخذ بيده إلى المسجد فلم يفارقه حتى صعد المنبر ، حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم حق الصلاة عليه ، ثم قال :

« ألا إن لأمر المؤمنين أشباهاً أربعة : الأسد الخادر <sup>(٢)</sup> ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والريبع الناضر ؛ فأما الأسد الخادر : فأشبهه منه صولته ومضاءه ؛ وأما البحر الزاخر : فأشبهه منه جوده وعطاءه ؛ وأما القمر الباهر : فأشبهه منه نوره وضياءه ؛ وأما الريبع الناضر : فأشبهه منه محسنه وبهاءه ، ثم نزل وأنشأ يقول :  
وموقفٍ مثل حدِّ السيف قتُّ به أنحى النِّمار وترميني به الحدقُ <sup>(٣)</sup>  
فبا زلقت ، وما ألتيت كاذبة إذا الرجال على أمثاله زلقوا

( القد الفرید ٢ : ١٥٨ ، ١ : ١٣٨ ، زهر الآداب ٣ : ٢٠٩ )

[١] روى صاحب القصد أن شيبا مزی بهذا القال المنصور على أخيه أبي الباس (القد الفرید ٢ : ٣٥٠) .  
[٢] الحیدر : أجرة الأسد ومنه يقال أسد خدر ، وأخدر الأسد لزم الأجرة . وأخدر الرين الأسد : ستره فهو مخدر بكسر الهمال وفتحها . [٣] النملار : ما تجب حمايته .

## ٧٥ — كلمات لشبيب بن شيبه

وقال شبيب : « اطلب الأدب ، فإنه دليل على الرُوءة ، وزيادة في العقل ، وصاحب في العزبة ، وصلة في المجلس » .  
وقال للمهدي يوماً : « أراك الله في بنيك ، ما أرى أباك فيك ، وأرى الله بنيك فيك ، ما أراك في أهلك » .  
( البيان والتبيين ١ : ١٩٠ )

وخرج من دار الخلافة يوماً ، فقال له قائل : كيف رأيت الناس ؟ قال :  
« رأيت الداخل راجياً ، والخارج راضياً » .  
( البيان والتبيين ١ : ١٩٠ ، وزهر الآداب ٣ : ١٢٩ )

## ٧٦ — خطبة يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب

يوم ولي الرشيد الخلافة

روى الطبري قال : لما كانت الليلة التي توفي فيها موسى المهدي ، أخرج  
هرثمة بن أعين هرون الرشيد ليلاً ، فأقدمه للخلافة ، فدعا هرون يحيى بن خالد  
ابن برمك - وكان محبوباً - وقد كان عزم موسى على قتله ، وقتل هرون الرشيد  
في تلك الليلة <sup>(١)</sup> ، فحضر يحيى ، وتقلد الوزارة ، ووجه إلى يوسف بن القاسم بن  
صبيح الكاتب ، فأحضره وأمره بإنشاء الكتب ، فلما كان غداة تلك الليلة  
وحضر القواد ، قام يوسف بن القاسم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على محمد  
صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« إن الله يمتد ولطفه ، من عليكم معاشر أهل بيت نبه ، بيت الخلافة ،

[١] وكان المهدي يريد أن يجعل الخلافة في ابنه جعفر ، ويخلع أخاه هرون . وسمى إلى المهدي يحيى  
ابن خالد ، وقيل له إنه ليس عليه من هرون خلاف ، وإنما يفسد يحيى بن خالد ، فأغضب ذلك موسى  
المهدي على يحيى وأمر به .

وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ ، وَإِيَّاكُمْ أَهْلَ الطَّاعَةِ مِنْ أَنْصَارِ الدَّوْلَةِ وَأَعْوَانِ الدَّعْوَةِ ، مِنْ نَعْمِهِ  
الَّتِي لَا تَحْصَى بِالْعَدَدِ ، وَلَا تَنْقُضِي مَدَى الْأَبَدِ ، وَأَيَادِيهِ الثَّامَةِ ، أَنْ جَمَعَ الْفَتْحُ ،  
وَأَغْلَى أَمْرُكُمْ ، وَشَدَّ عَضْدُكُمْ ، وَأَوْهَنَ عَدُوُّكُمْ ، وَأَظْهَرَ كَلِمَةُ الْحَقِّ ، وَكُتِمَ أَوَّلَى  
بِهَا وَأَهْلُهَا ، فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ، فَكُتِمَ أَنْصَارُ دِينِ اللَّهِ الْمُرْتَضَى ،  
وَالذَّابِّينَ بِسَيْفِهِ الْمُنْتَضَى ، عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِكُمْ اسْتَنْقَذَهُمْ  
مِنْ أَيْدِي الظُّلْمَةِ أُمَّةَ الْجَوْرِ ، وَالنَّاقِضِينَ عَهْدَ اللَّهِ ، وَالسَّافِكِينَ الدَّمَ الْحَرَامَ ،  
وَالْأَكْلِينَ النَّفْسَ وَالْمُسْتَائِرِينَ بِهِ ، فَاذْكُرُوا مَا أَعْطَاكُمْ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ ،  
وَاحْذَرُوا أَنْ تَغْيُرُوا فَيَغْيُرَ بِكُمْ ، وَإِنْ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ اسْتَأْثَرَ بِخَلِيفَتِهِ مُوسَى الْهَادِيَ  
الْإِمَامَ ، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ ، وَوَلَّى بَعْدَهُ رَشِيدًا مَرْضِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكُمْ رَوْفًا رَحِيمًا ،  
مِنْ مُحْسِنِكُمْ قَبُولًا ، وَعَلَى مَسَبِّحِكُمْ بِالْمَفْوَ عَطُوفًا ، وَهُوَ أَمْتَعُ اللَّهِ بِالنِّعْمَةِ ، وَحَفِظَ  
لَهُ مَا اسْتَرْعَاهُ إِيَّاهُ مِنْ أَمْرِ الْأُمَّةِ ، وَتَوَلَّاهُ بِمَا تَوَلَّى بِهِ أَوْلِيَاءَهُ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ ،  
يَمِدُّكُمْ مِنْ نَفْسِهِ الرَّأْفَةِ بِكُمْ ، وَالرَّحْمَةِ لَكُمْ ، وَقَسَمَ أَعْطَايَاكُمْ فِيمَكُمْ عِنْدَ اسْتِحْقَاقِكُمْ ،  
وَيَبْذُلُ لَكُمْ مِنَ الْجَائِزَةِ ، مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْخُلَفَاءِ ، مِمَّا فِي يَوْتِ الْمَالِ مَا يَنْوِبُ عَنْ  
رِزْقِ كَذَا وَكَذَا شَهْرًا ، غَيْرُ مُقَاضٍ لَكُمْ بِذَلِكَ فِيمَا تَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أَعْطَايَاكُمْ ،  
وَحَامِلًا بَاقِيَ ذَلِكَ لِلدَّفْعِ عَنْ حَرِيمِكُمْ ، وَمَا لَعَلَّهُ أَنْ يَخْدُثَ فِي النَّوَاحِي وَالْأَفْطَارِ  
مِنَ الْعُصَاةِ الْمَارِقِينَ ، إِلَى يَوْتِ الْأَمْوَالِ ، حَتَّى تَعُودَ الْأَمْوَالُ إِلَى جِهَاتِهَا <sup>(١)</sup>  
وَكَثَرَتْهَا ، وَالْحَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ وَجَدَّدُوا شُكْرًا يُوجِبُ لَكُمْ  
الْمَزِيدَ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْكُمْ ، بِمَا جَدَّدَ لَكُمْ مِنْ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَفَضَّلَ بِهِ  
عَلَيْكُمْ ، أَيُّدُهُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ ، وَارْغَبُوا إِلَى اللَّهِ لَهُ فِي الْبَقَاءِ ، وَلَكُمْ بِهِ فِي إِدَامَةِ النِّعْمَاءِ ،

لعلكم ترحمون، وأعطوا صَفْقَةَ إيمانكم، وقوموا إلى بيعتكم، حاطكم الله وناه  
عليكم، وأصلح بكم وعلى أيديكم، وتولاكم ولاية عِباده الصالحين .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٤٨ )

## ٧٧ - خطبة هرون الرشيد (توفي سنة ١٩٣ هـ)

« الحمد لله نحمده على نعمه ، ونستعينه على طاعته ، ونستنصره على أعدائه ،  
ونؤمن به حقاً ، ونتوكل عليه ، مفرّضين إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بعثه على قَترَةٍ من الرسل ،  
وَدُرُوسٍ <sup>(١)</sup> من العلم ، وإدبارٍ من الدنيا ، وإقبالٍ من الآخرة ، بشيراً بالنعم  
المقيم ، ونذيراً بين يدي عذاب أليم ، فبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله ،  
فأدّى عن الله وعده ووعيده ، حتى أتاه اليقين ، فلي النبي من الله صلاة  
ورحمة وسلام .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن في التقوى تكفير السيئات ، وتضييف  
الحسنات ، وفوزاً بالجنة ، ونجاةً من النار ، وأحذّركم يوماً تشخص <sup>(٢)</sup> فيه  
الآبصار ، وتعلن فيه الأسرار ، يوم البعث ، ويوم التنازع <sup>(٣)</sup> ، ويوم التلاق ،  
ويوم التناد ، يوم لا يستعقب من سيئة ، ولا يُردّد من حسنة ، يوم الآزفة <sup>(٤)</sup> .  
إِذِ الْقُلُوبُ لِلّٰى الْحَاجِرِ كَاطِلِينَ ، مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ .  
يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ <sup>(٥)</sup> وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، وَأَتَقُوا يَوْمَما تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ  
ثُمَّ تُنْفَخُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ .

[١] دروس : اعماء . [٢] شخص بصره كنع : فتح عليه ، وجعل لا يظرف .

[٣] يوم القيامة ، ومعنى بذلك لأن أهل الجنة آتوا فيه أهل النار بأخذ منازلهم في الجنة لو آمنوا .

[٤] القيامة ، من أذف كفرح : دنا وقرب . [٥] بملحقها الظرف إلى الحرم .

عباد الله : إنكم لم تُخلَقُوا عبثاً ، ولن تُتركوا سُدًى ، حصَّنوا إيمانكم بالأمانة ،  
ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ، فقد جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال : « لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له ، ولا دينَ لمن لا عهدَ له ، ولا صلاةَ لمن لا  
زكاةَ له » . إنكم سَفَرٌ<sup>(١)</sup> مجتازون ، وأنتم عن قريب تنتقلون من دار فناء إلى دار  
بقاء ، فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة ، وإلى الرحمة بالتقوى ، وإلى الهدى بالأمانة ،  
فإن الله تعالى ذكره أوجب رحمته للمتقين ، ومغفرته للتائبين ، وهذا للمُتدين .  
قال الله عز وجل وقوله الحق : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ  
يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ » ، وقال : « وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا  
ثُمَّ اهْتَدَى » وإياكم والأمانى ، فقد غرَّت وأرذت<sup>(٢)</sup> ، وأوبقت كثيراً ، حتى  
أكذبهم منايام ، فتناوشوا<sup>(٣)</sup> التوبة من مكان بعيد ، وحِيلَ بينهم وبين ما  
يَشْتَهُونَ ، فأخبركم ربكم عن المثلثات فيهم ، وصرَفَ الآيات ، وضربَ الأمثال ،  
فرغَّب بالوعد ، وقدم إليكم الوعيد ، وقد رأيتم وقائعهم بالقرون الخوالى جيلًا جيلًا ،  
وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر ، باختطاف الموت إياهم من بيوتكم ، ومن  
بين أظهركم ، لا تدفنون عنهم ، ولا تحولون دونهم ، فزال عنهم الدنيا ،  
وانقطعت بهم الأسباب ، فاستلمتهم إلى أعمالهم عند المواقف والحساب والعقاب ،  
« لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » ، إن أحسن  
الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ؛ يقول الله عز وجل « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ  
فَأَسْمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنه

[١] جماعة المسافرين . [٢] أهلك وكذا أوبقت . [٣] تناولوا

هو السميع العليم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ . وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ . آمُرُكُمْ بِمَا أُمِرَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ . (الفرد ٢ : ١٤٧)

## ٧٨ — وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين

ووصى الرشيد مؤدب ولده الأمين ، فقال :

« يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ <sup>(١)</sup> ، إِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ دَفَعَ إِلَيْكَ مُهْجَةً نَفْسَهُ ، وَتَمَرَّةَ قَلْبِهِ ، فَصِغْ يَدَكَ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً ، وَطَاعَتَهُ لَكَ وَاجِبَةً ، فَكُنْ لَهُ بِحَيْثُ وَضَعَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، أَقْرَبَهُ الْقُرْآنَ ، وَعَرَفَهُ الْأَخْبَارَ ، وَرَوَّاهُ الْأَشْعَارَ ، وَعَلَّمَهُ السَّنَنَ ، وَبَصَّرَهُ بِمَوَاقِعِ الْكَلَامِ وَبَدْئِهِ ، وَامْنَعَهُ مِنَ الضُّحِكِ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ ، وَخُذْهُ بِتَعْظِيمِ مَشَائِخِ بَنِي هَاشِمٍ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَرَفَعْ عَجَائِلِ الْقَوَادِ إِذَا حَضَرُوا مَجْلِسَهُ ، وَلَا تَمَرَّنْ بِكَ سَاعَةً إِلَّا وَأَنْتَ مُسْتَنِمٌّ فَائِدَةً تُفِيدُهُ إِيَّاهَا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْزِيَهُ ، فَتُحِيتَ ذِهْنَهُ ، وَلَا تُتَمَنَّيَ فِي مَسَاعِطِهِ ، فَيَسْتَحِلِّي الْفِرَاقَ وَيَأْلَقَهُ ، وَقَوْمُهُ مَا اسْتَطَمَتَ بِالْقَرَبِ وَالْمَلَالَةِ ، فَإِنْ أَبَاهَا فَعَلَيْكَ بِالشَّدَةِ وَالْفِلْظَةِ » . (مقدمة ابن خلدون ص ٦٣٢)

## ٧٩ — خطبة لجعفر بن يحيى البرمكي ( قتل سنة ١٨٧ هـ )

وهاجت العصبية بالشأم بين أهلها في عهد الرشيد ( سنة ١٨٠ هـ ) وتفاقم أمرها ، فاعتصم لذلك الرشيد ، وعقد لجعفر بن يحيى على الشأم ، وقال له : إما أَنْ تَخْرُجَ أَنْتَ أَوْ أَخْرَجَ أَنَا ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : بَلْ أَفِيكَ بِنَفْسِي ، فَشَخَّصَ فِي جِلَّةِ الْقَوَادِ بِالْكَرَاعِ وَالسَّلَاحِ ، فَأَتَاهُمْ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ ، وَقَتَلَ زَوَاقِلَهُمْ <sup>(٢)</sup> وَالتَّلَصُّصَةَ مِنْهُمْ ، يَلْمِ يَدْعُ بِهَا رَحْمًا وَلَا فَرْسًا ، فَمَادُوا إِلَى الْأَمْنِ وَالطَّمَأْنِينَةِ ، وَأَطْفَأُوا تِلْكَ النَّارَ .

[١] هو علي بن المبارك الأحمر صاحب الكافي ، وكان يؤدب الأمين ، وكان مشهوراً بالنحو واتساع لفظه ، ومات سنة ٢٠٦ هـ ، أو سنة ٢٠٧ هـ . انظر ترجمته في «زبدة الألبا في طبقات الأدبا» ص ١٢٥ .

[٢] الزواجيل : الصوس .

فلما قَدِمَ على الرشيد دخل عليه، فقبل يديه ورجليه، ثم مَثَلَ بين يديه، فقال :  
 « الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي آَنَسَ وَحَشَتِي ، وَأَجَابَ دَعْوَتِي ، وَرَحِمَ  
 تَضَرُّعِي ، وَأَنَسَا<sup>(١)</sup> فِي أَجَلِي ، حَتَّى أَرَانِي وَجْهَ سَيِّدِي ، وَأَكْرَمَنِي بِقُرْبِهِ ، وَأَمَتَّنْ  
 عَلَيَّ بِتَقْيِيلِ يَدِهِ ، وَرَدَّنِي إِلَى خِدْمَتِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَذْكُرُ غَيْبَتِي عَنْهُ ،  
 وَتَخَرُّجِي وَالْمَقَادِيرَ الَّتِي أَزْعَجْتَنِي ، فَأَعْلَمُ أَنَّهَا كَانَتْ بِمَعَاصِي لِحَقَّتِي ، وَخَطَايَا أُحَاطَتْ  
 بِي ، وَلَوْ طَالَ مُقَامِي عَنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - جَمَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ - لَخِفْتُ أَنْ يَذْهَبَ  
 عَقْلِي ، إِشْفَاقًا عَلَى قُرْبِكَ ، وَأَسْفَاً عَلَى فِرَاقِكَ ، وَأَنْ يَجْعَلَ بِي عَنْ إِذْنِكَ  
 الْاِشْتِيَاقُ إِلَى رُؤْيَيْكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَصَمَنِي فِي حَالِ الْغَيْبَةِ ، وَأَمَتَّنِي بِالْعَافِيَةِ ،  
 وَعَرَّفَنِي الْإِجَابَةَ ، وَمَسَكَنِي بِالطَّاعَةِ ، وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ اسْتِعْمَالِ الْمَعْصِيَةِ ، فَلَمْ  
 أَشْخَصْ إِلَّا عَنْ رَأْيِكَ ، وَلَمْ أَقْدَمْ إِلَّا عَنْ إِذْنِكَ وَأَمْرِكَ ، وَلَمْ يَحْتَرِمْنِي أَجَلٌ  
 دُونَكَ ، وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - فَلَا أَعْظَمَ مِنَ الْيَمِينِ بِاللَّهِ - لَقَدْ عَايَنْتُ مَا لَوْ  
 تُعْرَضُ لِي الدُّنْيَا كُلُّهَا ، لَاخْتَرْتُ عَلَيْهَا قُرْبَكَ ، وَلَمَّا رَأَيْتَهَا عِوَضًا مِنْ  
 الْمَقَامِ مَعَكَ »

ثم قال له بِمَقَبِ هذا الكلام في هذا المقام :

« إِنْ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَزَلْ يُثَلِّكُ<sup>(٢)</sup> فِي خِلَافَتِكَ ، بِقَدْرِ مَا يَعْلَمُ مِنْ  
 نِيَّتِكَ ، وَيُرِيكَ فِي رِعْيَتِكَ ، غَايَةَ أَمْنِيَّتِكَ ، فَيُصْلِحَ لَكَ جَمَاعَتَهُمْ ، وَيُجْمَعِ  
 أَلْفَتَهُمْ ، وَيَلْمَ شَعْبَهُمْ ، حِفْظًا لَكَ فِيهِمْ ، وَرَحْمَةً لَهُمْ ، وَإِنَّمَا هَذَا لِلتَّمَسُّكِ  
 بِطَاعَتِكَ ، وَالِاعْتَصَامِ بِحَبْلِ مَرْضَاتِكَ ، وَاللَّهُ الْحَمُودُ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ مُسْتَحَقُّهُ ،  
 وَفَارَقْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَ كُوْرِ الشَّامِ وَهُمْ مُنْقَادُونَ لِأَمْرِكَ ، نَادِمُونَ عَلَى

ما فرط من معصيتهم لك ، متمسكون بجلتك ، نازلون على حُكْمِكَ ، طالبون لفوك ، واثقون بجلتك ، مؤثلون فضلك ، آمِنون بأدركك ، حالمهم في اثلاثهم كالحلم كآت في اختلافهم ، وحالمهم في ألفتهم كالحلم كآت في امتناعهم ، وعفو أمير المؤمنين عنهم ، وتغمده<sup>(١)</sup> لهم ، سابقٌ لمعذرتهم ، وصلةُ أمير المؤمنين لهم ، وعطفه عليهم ، متقدمٌ عندهم لمسألتهم ، وإيم الله يا أمير المؤمنين لئن كُنْتُ قد شَغَصْتُ عنهم ، وقد أخذ الله شرارهم ، وأطفأ نارهم ، ونفى مُرَّاهم<sup>(٢)</sup> ، وأصلَحَ دُهماء<sup>(٣)</sup> ، وأولاني الجليلَ فيهم ، ورزقني الانتصارَ منهم ، فإِذا ذلك كله : إِيَّا يركنك ويُنمِّك وريحك<sup>(٤)</sup> ، ودوامَ دولتك السعيدة الميسورة الدائمة ، وتخوفهم منك ، ورجائهم لك ، والله يا أمير المؤمنين ما تقدمت إليهم إلا بوصيتك ، وما طامتهم إلا بأمرك ، ولا سِرْتُ فيهم إلا على حَدٍّ ما مثلتَ لي ورسمتَ ، ووقفتَ عليه ، والله ما اتقادوا إلا لِذَعْوَتِكَ ، وتَوَحَّدِ<sup>(٥)</sup> الله بالصُّنْعِ لك ، وتخوفهم من سَطْوَتِكَ ، وما كَانَ الذي كَانَ مِنِّي ، وَإِنْ كُنْتُ قد بذلتُ جهدي ، وَبَلَغْتُ مجهودي ، قاضيا بعضَ حَقِّكَ عَلَيَّ ، بل ما ازدادت نَمَّتُكَ عَلَيَّ عِظَمًا ، إِلَّا أَزْدَدْتُ عن شكرِكَ عِزًّا وضمًّا ، وما خَلَقَ الله أَحَدًا من رَعِيَّتِكَ ، أَبَدًا من أَنْ يُطِيعَ نَفْسَهُ في قضاء حَقِّكَ مِنِّي ، وما ذَلِكَ إِلَّا أَنْ أَكُونَ بِإِذْنِ مُنْجِي في طَاعَتِكَ ، وَكُلُّ مَا يَقْرُبُ إِلَيَّ مَوَافَقَتِكَ ، وَلَكِنِّي أَعْرِفُ مِنْ أَيَادِيكَ عِنْدِي مَا لَا أَعْرِفُ مِثْلَهَا عِنْدَ غَيْرِي ، فَكَيْفَ بِشُكْرِي ! وقد أَصْبَحْتُ وَاحِدَ أَهْلِ دَهْرِي ، فَمَا صَنَعْتُهُ فِي وَبْنِي ؟ أَمْ كَيْفَ بِشُكْرِي ! وَإِنَّمَا أَقْوَى عَلَى شُكْرِكَ بِإِكْرَامِكَ

[١] تغمده الله برحته : غمره بها . [٢] جمع ملوك : وهو الخلق الحائد .

[٣] الدُهماء : جماعة الناس . [٤] قوتك .

[٥] توحده الله تعالى بعبادته : عصمه ولم يترك له غيره .



إيأي ؟ ، وكيف بشكري ! ولو جعل الله شكري في إحصاء ما أوليتني ، لم يأتِ على ذلك عدِّي ؟ وكيف بشكري ! وأنت كهني دون كل كهف لي ؟ وكيف بشكري ! وأنت لا ترضي لي ما أرضاه لي ؟ وكيف بشكري ! وأنت تجدد من نعمتك عندي ما يستغرق كل ما سلف عندك لي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت تنسيني ما تقدم من إحسانك إلي ، بما تجدده لي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت تقدمني بطولك على جميع أكفائي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت وليي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت المكرم لي ؟ وأنا أسأل الله الذي رزقني ذلك منك من غير استحقاق له - إذ كان الشكر مقصراً عن بلوغ تأدية بعضه ، بل دون شِقْصٍ<sup>(١)</sup> من عشر عَشِيرِهِ - أن يؤولي مكافأتك عني ، بما هو أوسع له وأقدر عليه ، وأن يَقْضِيَ عَنِّي حَقَّكَ ، وجليل مِتِّكَ ، فإن ذلك بيده ، وهو القادر عليه .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٦٦ )

## ٨٠ - استعطاف أم جعفر بن يحيى للرشد

روى صاحب المقد قال :

« كَانَتْ أُم جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى<sup>(٢)</sup> - وَهِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ قَعْطَبَةَ - أَرْضَعَتْ الرَّشِيدَ مَعَ جَعْفَرٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ رُبِّي فِي حِجْرِهَا ، وَغُذِيَ بِرِسْلِهَا<sup>(٣)</sup> ، لِأَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ عَنْ مَهْدِهِ ، فَكَانَ الرَّشِيدُ يَشَاوِرُهَا مُظْهِراً لِأَكْرَامِهَا ، وَالتَّبَرُّكَ بِرَأْيِهَا ، وَكَانَ آتَى وَهُوَ فِي كِفَائِهَا أَنْ لَا يَحْجُبُهَا ، وَلَا اسْتَشْفَعَتْهُ لِأَحَدٍ إِلَّا

[١] الشقمس : السهم والنصيب ، والعشير : جزء من عشرة كالعشار والعشر .

[٢] كان البرامكة قد استأثروا بشئون الدولة وأموالها ، وغلبوا الرشيد على سلطانه ، ولم يكن له مهم تصرف في ملكه ، ولم يبق له من الخلافة إلا رسمها وصورتها - وحديثهم في ذلك طويل ، ليس ها هنا موضعه - فمزم على نكبتهم ، حتى انتهز فرصة رجوعه معهم من الحج سنة ١٨٧ ، فقتل جعفرًا ليلاً في طريقه ، وقبض على يحيى وابنه الفضل وبقية البرامكة ، وحبسهم في سجن الزنادقة إلى أن ماتوا فيه . ، واستولى أموالهم وضياعهم . [٣] الرسل : اللبن .

شفعها ، وآلت عليه أم جعفر أن لا دخلت عليه إلا مأذونا لها ، ولا شفعت لأحدٍ مقترف ذنباً ، فكم أسير فككت ، ومُبتهم عنده فتحت ، ومستغلق منه فرجت ، واحتجب الرشيد بمد قدمه <sup>(١)</sup> ، فطلبت الإذن عليه من دار الباقونة ، ومثت <sup>(٢)</sup> بوسائلها إليه ، فلم يأذن لها ، ولا أمر بشيء فيها ، فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها ، واضعة لثامها ، محتفية <sup>(٣)</sup> في مشيها ، حتى صارت يباب قصر الرشيد ، فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب ، فقال : ظُر <sup>(٤)</sup> أمير المؤمنين بالباب ، في حالة تقلب شماتة الحاسد ، إلى شفقة أم الواحد . فقال الرشيد : ويحك يا عبد الملك ! أو ساعية ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين حافية . قال : أدخلها يا عبد الملك ، فرب كبد غدتها ، وكربة فرجتها ، وعوزة سترتها ، فدخلت فلما نظر الرشيد إليها داخله محتفية ، قام محتفياً حتى تلقاها بين يمين المجلس ، وأكب على تقبيل رأسها ، ومواضع تذييها ، ثم أجلسها معه ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أيعذو علينا الزمان ، ويحفونا خوفاً لك الأعوان ، ويحردك <sup>(٥)</sup> بنا البهتان ، وقد ريئتك في حجرى ، وأخذت برضاعك الأمان من عدوى ودهرى ؟ فقال لها : وما ذلك يا أم الرشيد ، قالت : ظنرك يحى ، وأبوك بمد أيك ، ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين ، من نصيحته ، وإشفاقه عليه ، وتمرضه للحنف في شأن موسى أخيه <sup>(٦)</sup> ، قال لها : يا أم الرشيد ، أمره

[١] أى من الحج . [٢] توسلت . [٣] احتى : مضى لحيا .

[٤] الظن : العاطفة على ولد غيرها ، للرخصة له ، والناس وغيرهم ، فذكر ولأقرب .

[٥] يضربك . [٦] قدما أن المادى كان قد اعترم خلق أخيه الرشيد من ولاية العهد ، واستغلاف ابنه جعفر ، وقد سعى إلى المادى يحيى بن خالد ، وأنه يغد عليه أخاه الرشيد ، عليه ولم يقتله ، ويروى أنه قال للمادى في خلق الرشيد لما كلفه فيه : « يا أمير المؤمنين ، إنك إن حلت الناس على نكت الأيمان ، هانت عليهم أعينهم ، وإن تركتهم على يمة أخيك ، ثم جاءت لجسر من بعده كان

سَبَقَ ، وقضاء حَمٍّ <sup>(١)</sup> ، وغضبٌ من الله نَقَذَ ، قالت : يا أمير المؤمنين « يَمْحُوهُ اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ » <sup>(٢)</sup> قال : صدقتِ فهذا مما لم يَمْحُوهُ اللهُ ، فقالت : الغيب محجوب عن النبيين ، فكيف عنك يا أمير المؤمنين ؟ فأطرق الرشيد ملياً ، ثم قال :

(١) وإذا المنيَةُ أنشبتَ أظفارها ألفتِ كلَّ تَمِيمةٍ لا تنفع <sup>(٣)</sup>

فقالت بغير روية : ما أنا ليحيي بتميمة يا أمير المؤمنين ، وقد قال الأول <sup>(٤)</sup>

وإذا افتقرت إلى النخار لم تجد ذُخْراً يكون كصالح الأعمال

هذا بعد قول الله عز وجل : « وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » . فأطرق هرون ملياً ، ثم قال : يا أم الرشيد أقول :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تَكْذُ إليه بوجهٍ آخرِ الدهر تُقْبِلُ  
فقالت يا أمير المؤمنين وأقول :

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتنِي يمينك فانظر أَى كَفٍّ تَبَدَّلُ <sup>(٥)</sup>

ذلك أوكد ليعتبه « فقال : صدقت ونصحت ، ول في هذا تدير ، ولما أمر بحبسه رفع إليه يحي رقة . إن عندى نصيحة ، مدعا به ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أخلى ، فأخلاه ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أرايت إن كان الأمر — أسأل الله ألا نبخله ، وأن يقدمنا قبله — أظن أن الناس يسلمون الخلافة لجعفر ، وهو لم يبلغ الحلم ، ويرضون به لمصلاتهم وحجهم وعزوم ؟ قال : والله ما أظن ذلك ، قال : يا أمير المؤمنين ، أفتأمن أن يسو إليها أمك ، وجلبهم مثل فلان وفلان ، ويطمع فيها غيرهم ، فتخرج من ولد أيك ؟ فقال له : نهيتنى يا يحيي « وقال له : لو أن هذا الأمر لم يقد لأخيك ؟ أما كان ينبغي أن تقدمه له ؟ فكيف بأن تحمله عنه ، وقد عقده للهدى له ؟ ولكن أرى أن تفر هذا الأمر يا أمير المؤمنين على حاله ، فإذا بلغ جعفر وبلغ الله به ، أنتبه بالرشيد غلغ نفسه ، وكان أول من يبايعه ويسطيه صفقة يده ، قيل فقبل الهادى قوله ورأيه وأمره بإطلاقه . [١] حمّ : قدر . [٢] أم الكتاب : أصله ، أو القوح المحفوظ .

[٣] التام جمع تيممة : وهى المودة التى تعلق على الصبي دنيا للمين ، أو المارض والبيت لأب ، ذؤيب الهذلى .

[٤] هو الأخطل . [٥] هذا البيت والذى قبله من قصيدة لمن بن أوس المزنى مطلعها :

لمرك ما أدرى ، ولانى لأوجل على أينما تعدو المنية أول ؟ .

قال هرون : رضيت ، قالت : فتهب لي يا أمير المؤمنين ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ترك شيئاً لله ، لم يُوجِده <sup>(١)</sup> الله لِفَقْدِهِ » فأكب هرون ملياً ، ثم رفع رأسه يقول : « لله الأثرُ من قبلُ ومن بعدُ » قالت يا أمير المؤمنين : « وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ » ، واذكر يا أمير المؤمنين أليتك <sup>(٢)</sup> ما استشفعت إلا شفعتي . قال : واذكري يا أم الرشيد أليتك أن لا شفعت لمقترف ذنباً ، فلما رآته صرّح بمنعها ، ولاذ <sup>(٣)</sup> عن مطلبها ، أخرجت حقاً من زمرّة <sup>(٤)</sup> خضراء ، فوضعت بين يديه ، فقال الرشيد : ما هذا ؟ ففتحت عنه قفلاً من ذهب ، فأخرجت منه خفصته <sup>(٥)</sup> وذوائبه وتناياه ، قد غمست جميع ذلك في المسك ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أستشفع إليك ، وأستعين بالله عليك ، وبما صار معي من كريم جسدك ، وطيب جوارحك ، ليحيى عبدك ، فأخذ هرون ذلك فليّته ، ثم استعبر وبكى بكاء شديداً ، وبكى أهل المجلس ، ومرّ البشير إلى يحيى ، وهو لا يظن إلا أن البكاء رحمة له ، ورجوع عنه ، فلما أفاق رعى جميع ذلك في الحق ، وقال لها : لحسن ما حفظت الودعة ، قالت : وأهل الكفاة أنت يا أمير المؤمنين ، فسكت وأقل الحق ، ودفعه إليها ، وقال : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا » قالت : والله يقول : « وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » ، ويقول : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ » ، ثم قال : وما ذلك يا أم الرشيد ؟ قالت : أو ما أقسمت لي به ألا تحبيني ولا تتهنتي <sup>(٦)</sup> ؟ قال : أحب يا أم الرشيد

[١] أي يحزنه . [٢] الآية : القسم . [٣] أي لم يجبه . [٤] الورد والزمرد بالمال والنال . [٥] خنص الجارية كصرب خنصاً ، وهو كالحنظل لفسام ، وقيل : خنص السبي خنصه ، فاستعمل في الرجل ، والأعراف أن الخنص للرأه والخلل قصي ، يقال للجارية خنصت ، وللعناب خن . [٦] استهنته : أهنته .

أَنْ نَشْتَرِيهِ حَكْمَةً فِيهِ . قَالَتْ : أَنْصَفْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ فَعَلْتُ غَيْرَ مُسْتَقِيلَةٍ لَكَ ، وَلَا رَاجِعَةٍ عَنْكَ . قَالَ : بَيْكُمْ ؟ قَالَتْ : بِرِضَاكَ عَمَّنْ لَمْ يُسَخِّطْكَ ، قَالَ : يَا أُمَّ الرَّشِيدِ أَمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ ؟ قَالَتْ : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ ، وَهَمُّ أَحَبُّ إِلَيَّ . قَالَ : فَتَحْكُمِي فِي تَعْنِيَةِ بَغِيرِهِمْ ، قَالَتْ : بَلَى قَدْ وَهَبْتُكَ ، وَجَمَلْتُكَ فِي حِلٍّ مِنْهُ ، وَقَامَتْ عَنْهُ ، وَبَقِيَ مَبْهُوتًا مَا يُخِيرُ <sup>(١)</sup> لَفْظَةً .  
(النفد الفريد ٣ : ٢٣)

### ٨١ - خطبة يزيد بن مزيد الشيباني

لَمَّا رَضِيَ الرَّشِيدُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ <sup>(٢)</sup> أَذِنَ لَهُ بِالْدُخُولِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا مَلَكَ يَمِينَيْ يَدَيْهِ قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَهَّلَ لِي سَبِيلَ الْكَرَامَةِ بِلِقَائِكَ ، وَرَدَّ عَلَيَّ النِّعْمَةَ بِوَجْهِ الرِّضَا مِنْكَ ، وَكَشَفَ عَنِّي ضَبَابَةَ الْكَرْبِ بِإِفْضَالِكَ ، وَجَزَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَالِ سُخْطِكَ جَزَاءَ الْمُحْسِنِينَ الْمُرَاقِبِينَ ، وَفِي حَالِ رِضَاكَ جَزَاءَ الْمُتَعَمِّقِينَ الْمُتَطَوِّلِينَ ، فَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ - وَلَهُ الْحَمْدُ - تَبَيَّنْتُ <sup>(٣)</sup> تَحْرِجًا عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَتَمَتُّ تَطَوُّلاً بِالنِّعَمِ ، وَتَسْتَبِقِي الْمَعْرُوفَ عِنْدَ الصَّنَائِعِ <sup>(٤)</sup> تَفَضُّلاً بِالْعَفْوِ » .

(النفد الفريد ١ : ١٤١ ، وتاريخ الطبري ١٠ : ١١٧ وزهر الآداب ٢ : ٢٨٧)

[١] يحير : يرد . [٢] وذلك أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ طَرْفِيفٍ الشَّارِي خَرَجَ فِي عَهْدِ الرَّشِيدِ بِالْجَزِيرَةِ ، وَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُ ، وَكَثُرَ تَبَعُهُ سَنَةَ ١٧٩ ، هُوَجَّ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ يَزِيدُ بْنُ مَزِيدٍ الشَّيْبَانِي ، فَعَمِلَ بِحَافِلِهِ وَتَأَكَّرَهُ ، وَكَانَتْ الْبَرَامِكَةُ مُنْعَرِفَةً عَنْ يَزِيدَ ، فَأَقْرَعُوا بِهِ الرَّشِيدَ ، وَقَالُوا : إِنَّمَا يَتَجَانَى عَنْهُ لِلرَّحْمِ (لَأَمَّ شَيْبَانِي مِثْلَهُ) وَإِلَّا فَشَوْكَةُ الْوَلِيدِ سِيرَةٌ وَهُوَ بِوَعْدِهِ ، وَيَنْتَظِرُ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ ، فَوَجَّ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ كِتَابَ مَغْضَبٍ ، يَقُولُ فِيهِ : « لَوْ وَجَّهْتُ بِأَمْرِ الْحَدَمِ لِقَامَ بِأَكْثَرِ مَا تَقُومُ بِهِ وَلَكِنَّكَ مَدَاهِنُ مَتَّعِصٍ ، وَأَمِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ يَقْسِمُ بِاللهِ لَنِّي أَخَّرْتُ مَنَاحِرَةَ الْوَلِيدِ ، لِيُوجِهُنَّ إِلَيْكَ مِنْ يَحْمِلُ رَأْسَكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » ثُمَّ حَمَلَ يَزِيدُ عَلَى الْوَلِيدِ وَقَتْلَهُ وَبِثَ بِرَأْسِهِ إِلَى الرَّشِيدِ ، فَلَمَّا الْعَرَفَ يَزِيدُ بِالطَّرَفِ ، حَجَّ بِرَأْيِ الْبَرَامِكَةِ ، وَأَظْهَرَ الرَّشِيدُ السُّخْطَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : وَحَقُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَصِيفٍ وَأَشْتُونٍ عَلَى فَرَسِي أَوْ أَدْخَلَ ، فَارْتَفَعَ الْحَبْرُ بِذَلِكَ فَأَذِنَ لَهُ فَدْخَلَ ، فَلَمَّا رَأَى الرَّشِيدَ ضَحْكَ وَسُرَّ ، وَأَقْبَلَ يَصْبِحُ مَرَجًا بِالْأَعْرَابِ ، حَتَّى دَخَلَ وَأَجْلَسَ وَأَكْرَمَ وَعَرَفَ بِلَاؤِهِ وَقَاءَ صَدْرِهِ (راجع أخباره في الأغاني ١١ : ٨ ، وابن خلكان ٢ : ٢٨٣ ، والطبري ١٠ : ٦٥) .

[٣] وفي رواية الطبري « تيب » . [٤] وفي الطبري : « وتغفو عن السي » .

## ٨٢ - خطبة عبد الملك بن صالح<sup>(١)</sup> (توفي سنة ١٩٦ هـ)

أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم : « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ  
أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟ » يا أهل الشام ، إن الله وصف إخوانكم في الدين ،  
وأشباهكم في الأجسام ، فحذروهم نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم ، فقال : « وَإِذَا  
رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَتَيْتَهُمْ خُشْبَ مُسْنَدَةٍ ،  
يَحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ الْمَدُودُ فَأَخَذَرْتُمْ ، قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَنْيَ يُؤْفَكُونَ ؟ »  
فقاتلكم الله أني تُصْرَفُونَ ؟ جُثْتُ مَائِلَةً ، وَقُلُوبُ طَائِرَةٍ ، تَشْبُونُ<sup>(٢)</sup> الْفَتَنَ ،  
وَتَوَلُونَ الدُّبُرَ ، إِلَّا عَنْ حَرَمِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ دَرَيْتُكُمْ<sup>(٣)</sup> ، وَحَرَمَ رَسُولِهِ ، فَإِنَّهُ مَغْزَاكُمْ ،  
أَمَّا وَحُرْمَةُ النُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ لَتَنْفِرَنَّ خِفَافًا وَثِقَالًا ، أَوْ لَا وَسِعَتْكُمْ إِرْغَامًا وَنَكَالًا .

( القدر الفريد ٢ : ١٤٦ )

## ٨٣ - عبد الملك بن صالح يعزى الرشيد ويهنته

ودخل عبد الملك بن صالح دار الرشيد ، فقال له الحاجب : إن أمير المؤمنين  
قد أصيب الليلة بآبن له ، ووُلِدَ له آخر ، فلما دخل عليه قال : « سَرَّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا سَاءَكَ ، وَلَا سَاءَكَ فِيمَا سَرَّكَ ، وَجَعَلَ هَذِهِ بَهْذَةً ، مَثْوًى عَلَى  
الصَّبْرِ ، وَجَزَاءً عَلَى الشُّكْرِ » .

( القدر الفريد ٢ : ٣٥ )

## ٨٤ - غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح

وَنَصَّبَ<sup>(١)</sup> لَهُ ابْنَهُ « عَبْدُ الرَّحْمَنِ » وَكَاتِبُهُ « قُتَيْبَةُ » فَمَسِيًا بِهِ إِلَى الرَّشِيدِ .  
وَقَالَا لَهُ : إِنَّهُ يَطْلُبُ الْخِلَافَةَ ، وَيَطْمَعُ فِيهَا ، فَأَخَذَهُ وَجَسَّهُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرِّيعِ  
وَذَكَرُوا أَنَّهُ أَدْخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ حِينَ سَخِطَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : أَكُفِّرُ

[١] هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، ولي الرشيد بلاد الجزيرة والقام وغيرها

[٢] تَشْبُونُ : تَلْقَى . [٣] دَرَيْتُكُمْ : خَلَعْتُكُمْ . [٤] طَائِرَةٌ .

بالنعمة ، وَجُحوداً لِّجَلِيلِ الْمِنَّةِ وَالتَّكْرِمَةِ ؟ فقال : « يا أمير المؤمنين ، لقد بُوتُ<sup>(١)</sup> »  
 إذن بالندم ، وتعرضتُ لاستحلال النِّقَمِ ، وما ذاك إلا بُنى حاسدٍ ، نافستني فيك  
 مودة القِرابَةِ ، وتقديمِ الولاية ، إنك يا أمير المؤمنين خليفةُ رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم في أمته ، وأمينه على عِترته ، لك عليها فرضُ الطاعة وأداءُ النصيحة ،  
 ولها عليك المدلُّ في حُكْمها ، والتثبتُ في حادِثِها ، والغفرانُ لذنوبِها ، فقال  
 له الرشيد : « أتضعُ لى من لسانك ، وترفعُ لى من جنانك ؟ هذا كَأَبُوكُ قامةً ،  
 يُخبرُ بِفَلَكٍ ، وفسادِ نيتك ، فاسمعُ كلامه » ، فقال عبد الملك : « أعطاك ما ليس  
 في عَقْدِهِ<sup>(٢)</sup> ، ولمله لا يقدر أن يعْضَهْنِي<sup>(٣)</sup> ولا يَبْهَتَنِي بما لم يَعْرِفْهُ مِنِّي » ،  
 وَأَخْضِرَ قِمامَهُ ، فقال له الرشيد : تكلم غيرِ هائبٍ ولا خائفٍ ، قال : « أقول إنه  
 عازمٌ على النَّدْبِ بِكَ والخِلافِ عليك » ، فقال عبد الملك : أهو كذلك يا قامة ؟  
 قال قامة : نعم ، لقد أردتُ خَتَلَ<sup>(٤)</sup> أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك : « كيف  
 لا يكذبُ على من خلني ، وهو يَبْهَتَنِي في وجهي » ؟ فقال له الرشيد : « وهذا  
 ابنك عبد الرحمن يخبرني بِعُتُوكَ ، وفسادِ نيتك ، ولو أردتُ أن أحتجَّ عليك  
 بِحُجَّةٍ لم أجدُ أعدلَ من هذين لك ، فَمِمَّ تَدْفَعُهُما عنك ؟ » ، فقال عبد الملك :  
 « هو مأمورٌ ، أو عاقٌّ مجبورٌ ، فَإِنْ كَانَ مَأْمُوراً : فَعَدُورٌ ، وَإِنْ كَانَ عَاقّاً : ففاجرٌ  
 كفورٌ ، أخبر الله عزَّ وجلَّ بِعِداوته ، وحذَّرَ مِنْهُ بقوله : « إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ<sup>(٥)</sup>  
 وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » ، فنهض الرشيد وهو يقول : « أَمَا أُرْكَ<sup>(٦)</sup>  
 فَقَدْ وَضَحَ ، ولكني لا أَعْجَلُ حتى أعلم الذي يُرْضِي الله فيك ، فإنه الحُكْمُ بيني

[١] رجعت . [٢] أى ما يعقده . [٣] عضه كنع : كذب ونم ، وعضه فلتا : بهته وقال

فيه ما لم يكن . [٤] ختل : خدعه .

وبينك ، فقال عبد الملك : « رضيت بالله حكماً ، وبأمر المؤمنين حاكماً  
فلاني أعلم أنه يؤثر كتاب الله على هواه ، وأمر الله على رضاءه . »

\* \*

فلما كان بعد ذلك جلس مجلساً آخر ، فسلم لما دخل ، فلم يرد عليه ، فقال  
عبد الملك : ليس هذا يوماً أحتج فيه ، ولا أجاذب منازعاً وخضماً . قال : ولم ؟  
قال : لأن أوله جرى على غير السنة ، فأنا أخاف آخره ، قال : وما ذاك ؟ قال :  
لم ترد على السلام ، أنصف نصفة العوام ، قال : السلام عليكم اقتداء بالسنة ،  
ولإشارة للعدل ، واستعمالاً للتحية ، ثم التفت نحو سليمان بن أبي جعفر فقال :  
وهو يخاطب بكلامه عبد الملك :

أريد حياته ويريد قتي عذرك من خليلك من مراد  
ثم قال : « أما والله لكأني أنظر إلى شؤوبها <sup>(١)</sup> قد تجمعت ، ومارضها <sup>(٢)</sup> قد لمت ،  
وكأني بالوعيد قد أوزي ناراً تسطع ، فأقلع عن برّاجيم <sup>(٣)</sup> بلا معاصم ، وورء وسر  
بلا غلاميم <sup>(٤)</sup> فمهلاً مهلاً ، فبي والله سهل لكم الوعر ، وصفاً لكم الكدر ،  
وألتفت إليكم الأمور أثناء <sup>(٥)</sup> أزممتها ، فنذار لكم نذار قبل حلول داهية خبوط  
باليد ، لبوط <sup>(٦)</sup> بالرجل . » فقال عبد الملك : « اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولأك ،  
وفي رعيته التي استرماك ، ولا تجعل الكفر مكان الشكر ، ولا العقاب موضع

[١] الشؤوب : الدفة من الطر ، ومع : سال واصب .

[٢] العارض : السحاب المترض في الأفق ، والضير للفتة المضمومة من سياق الحديث .

[٣] جمع برجة كقنطرة : وهي مفاصل الأصابع ، أو ظهر الغصب من الأصابع ، وللعاصم جمع معصم  
كثير وهو موضع السوار أو اليد . [٤] جمع عصبة بالفتح وهي رأس المقوم وهو الموضع الثاني في

الحلق . [٥] أثناء الشيء ومثانيه طاقاته ، واحدها نبي كدمل ومثاقه بفتح الليم وكسرهما .

[٦] لبط به الأرض ضرب ، ولبط البير كضرب : لبط يده وهو يمد .



الثواب ، فقد نَحَلْتُ لَكَ النِّصِيحَةَ ، وَتَحَضَّتْ<sup>(١)</sup> لَكَ الطَّاعَةَ ، وَشَدَّدَتْ أَوَاخِي<sup>(٢)</sup> مَلِكًا بِأَثْقَلٍ مِنْ رُكْنِي يَلْعَلُ<sup>(٣)</sup> ، وَتَرَكْتَ عَدُوَّكَ مُشْتَعِلًا<sup>(٤)</sup> ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي ذِي رَحْمَةٍ أَنْ تَقْطَعَهُ - بَعْدَ أَنْ يَلْتَهُ<sup>(٥)</sup> - بِظَنْ أَفْصَحَ الْكِتَابُ لِي بِمَعْصِهِ<sup>(٦)</sup> ، أَوْ يَنْفِي بَاغٍ يَنْهَسُ<sup>(٧)</sup> اللَّحْمَ ، وَيَالِغُ<sup>(٨)</sup> الدَّمَ ، فَقَدْ وَاللَّهِ سَهَّلْتَ لَكَ الْوَعُورَ ، وَذَلَّلْتَ لَكَ الْأُمُورَ ، وَجَمَعْتَ عَلَى طَاعَتِكَ الْقُلُوبَ فِي الصُّدُورِ ، فَمَنْ مِنْ لَيْلٍ تِمَامُ<sup>(٩)</sup> فِيكَ كَأَبْدَنِهِ ، وَمَقَامُ ضَيْقٍ لَكَ قُمْتُهُ ، كُنْتُ فِيهِ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي جَعْفَرٍ ابْنِ كِلَابٍ :

وَمَقَامُ ضَيْقٍ فَرَجْتُهُ بَيْنَانِي وَلِسَانِي وَجَدَلَنِي  
لَوْ يَقُومُ الْفَيْلُ أَوْ فَيْيَالَهُ زَلَّ عَنْ مِثْلِ مَقَامِي وَزَحَلَ<sup>(١٠)</sup>

فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : « أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا الْإِبْقَاءُ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ لَضَرَبْتَ عُنُقَكَ » .

وَلَمْ يَزَلْ عَبْدُ الْمَلِكِ مَحْبُوسًا حَتَّى تُؤْفَى الرَّشِيدُ ، فَأُطْلِقَهُ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ وَعَقَدَ لَهُ

عَلَى الشَّامِ<sup>(١١)</sup> . (تاريخ الطبري ١٠ : ٨٩ ، والعتد الفريد ١ : ١٤٣ ،  
والسكامل لابن الأثير ٦ : ٧٢ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٨٣)

- 
- [١] أخلصت . [٢] جمع آخية وتشدد : عروة تربط إلى وتد مدفوق وتشدد فيها الدابة ، وأخيت للدابة تأخية : صنعت لها آخية وربطتها بها . [٣] يللم أو ألم أو يرمم : ميقات الهين : جبل على مرحلتين من مكة . [٤] وفي رواية القند : « وتركت عدوك سيلًا تتعاوره الأقدام » . [٥] بلك فلانا : لزمته . [٦] المضه يسكون الضاد وفتحها : الكذب والغيبة . [٧] نهس اللحم كنع وسع : أخذه بقديم أسنانه وفتفه . [٨] ولغ الكلب في الإماء ومنه وبه يلغ كيب ويالغ : شرب ما فيه بأطراف لسانه ، أو أدخل لسانه فيه لحركة . [٩] ليل التمام أطول ليالي الشتاء . [١٠] زحل من مقامه : زال كتحول . [١١] وقد جعل للأمين عهد الله وميثاقه : لئن قتل وهو حي ، لا يعطى للمؤمن طاعة أبدًا ، فمات قبل قتل الأمين ، فدفن في دار من دور الإمارة ، فلما خرج للمؤمن يرد الروم أرسل إلى ابن له : حول أبائك هي داري ، فنبشت عظامه وحوّلت .

٨٥ — قوله بعد خروجه من السجن

ولما خرج من السجن وذكر الرشيد وفعله به قال :

« والله إن الملك لشيء ما نَوَيْتُهُ ، ولا تَمَنَيْتُهُ ، ولا نَصَبْتُ لَهُ ولا أَرَدْتُهُ ، ولو أَرَدْتُهُ لكَانَ إِلَيَّ أَسْرَعُ مِنَ الْمَاءِ إِلَى الْحَدُورِ <sup>(١)</sup> ، ومن النارِ إِلَى يَتْسِ الْعَرْفَجِ <sup>(٢)</sup> ، وَإِنِّي لَأَخُودُ بِمَا لَمْ أَجْنِ ، وَمَسْئُولٌ مِمَّا لَا أَعْرِفُ ، وَلَكِنَّهُ حِينَ رَأَى لِلْمَلِكِ قَيْنًا <sup>(٣)</sup> ، وَلِلْخَلِيفَةِ خَطِيرًا <sup>(٤)</sup> ، وَرَأَى لِي يَدَا تَنَالُهَا إِذَا مُدَّتْ ، وَتَبْلُغُهَا إِذَا بُسِطَتْ ، وَنَفْسًا تَكْمُلُ لِحِصَالِهَا ، وَتَسْتَحِقُّهَا بِفِعَالِهَا ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أُخْتَرْ تِلْكَ الْخِصَالُ ، وَلَمْ أَصْطَنِعْ تِلْكَ الْفِعَالُ ، وَلَمْ أُتَرَشَّحْ لَهَا فِي السَّرِّ ، وَلَا أُشْرْتُ إِلَيْهَا فِي الْجَهْرِ ، وَرَأَاهَا تَحِيُّ إِلَيَّ حِينَ الْوَالِدَةِ الْوَالِهَةِ ، وَتَمِيلُ إِلَى مَيْلِ الْمَلُوكِ <sup>(٥)</sup> ، وَخَافَ أَنْ تَرْغَبَ إِلَيَّ خَيْرٌ مَرْغَبٍ ، وَتَتَزَرَّعَ إِلَى أَخْصَبِ مَتَزَرِّعٍ ، فَاقْبَضَنِي عِقَابَ مَنْ سَهَرَ فِي طَلِبِهَا ، وَجَهَدَ فِي التَّمَسُّكِ ، فَإِنْ كَانَ إِنَّمَا حَبَسَنِي عَلَى أَنْ أُصْلَحَ لَهَا وَتُصْلَحَ لِي ، وَأَلِيْقُ بِهَا وَتَلِيْقُ بِي ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِذَنْبٍ جَنَيْتُهُ فَاقْتَوَبَ مِنْهُ ، وَلَا تَطَاوَلْتُ لَهُ فَأَحْطُ نَفْسِي عَنْهُ ، وَإِنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا صَرْفَ لِمَقَابِهِ ، وَلَا نَجَاةَ مِنْ عَذَابِهِ ، إِلَّا بَأَنْ أَخْرَجَ لَهُ مِنْ جِدِّ الْمَلَمِ وَالْحَلَمِ وَالْحَزَمِ ، فَكَأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ الْمِضْيَاعُ أَنْ يَكُونَ مُصْلِحًا ، كَذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ الْعَاقِلُ أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا ، وَسِوَاهُ عَلَيْهِ أَهَابُنِي عَلَى عِلْمِي وَحِلْمِي ، أَمْ هَابُنِي نَسْبِي وَسِنِي ، وَسِوَاهُ عَلَيْهِ هَابُنِي عَلَى جِهَالِي ، أَمْ هَابُنِي عَلَى عِبَةِ النَّاسِ لِي ، وَلَوْ أَرَدْتَهَا لَا تَجْلُتُهُ عَنِ التَّفَكِيرِ ، وَشَمَلْتُهُ عَنِ التَّدْيِيرِ ، وَلَمَّا كَانَ فِيهَا مِنَ الْخَطْبِ

( العقد الفرید : ١ : ١٤٣ )

إلا اليسير .

[١] للكان للحدور . [٢] شجر . [٣] جديرا . [٤] عظيم القدر .

[٥] العاجرة للناطقة على الرجال .

## ٨٦ - وصية عبد الملك بن صالح لابنه

أوصى عبد الملك بن صالح ابنه له فقال :

« أَيْ بَنِيَّ أَحْلُمُ ، فَإِنْ مِنْ حَلْمٍ سَادَ ، وَمَنْ تَفَهَّمَ اِزْدَادَ ، وَالتَّقَى أَهْلَ الْخَيْرِ فَإِنْ لِقَاءَهُمْ عِمَارَةُ لِلْقُلُوبِ ، وَلَا تَجْمَحْ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ ، وَفِيكَ مَنْ أَعْتَبَكَ <sup>(١)</sup> ، وَالصَّاحِبُ الْمُنَاسِبُ لَكَ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ يَعْصِمُ الْقَلْبَ ، الْمِزَاجُ يورث الضَّغَائِنَ ، وَحَسَنُ التَّدْيِيرِ مَعَ الْكَفَافِ ، خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ مَعَ الْإِسْرَافِ ، وَالْاِقْتِسَادُ يُثَمِّرُ <sup>(٢)</sup> الْقَلِيلَ ، وَالْإِسْرَافُ يُبِيرُ <sup>(٣)</sup> الْكَثِيرَ ، وَنِعْمَ الْحِطُّ الْقَنَاعَةُ ، وَشَرُّ مَا صَحِبَ الْمَرْءَ الْحَسَدُ ، وَمَا كُلُّ عَوْرَةٍ تُصَابُ ، وَرَبِّمَا أَبْصَرَ الْعَمَى رُشْدَهُ ، وَأَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ ، وَالْيَاسُ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ ، وَالْعِفَّةُ مَعَ الْحِرْفَةِ <sup>(٤)</sup> خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ ، أَرْفُقْ فِي الطَّلَبِ ، وَأَجْمَلْ فِي الْمَكْسَبِ ، فَإِنَّ رَبَّ طَلَبٍ ، قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ <sup>(٥)</sup> ، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمُنْجِحٍ <sup>(٦)</sup> ، وَلَا كُلُّ مُلِحٍّ بِمُحْتَاجٍ ، وَالْمَغْبُونُ مِنْ غُيْبٍ نَصِيبُهُ مِنَ اللَّهِ ، عَاتِبٌ مِنْ رَجَوْتَ عُتْبَاهُ ، وَفَاكِهٌ مِنْ أُمِنْتَ بُلُوَاهُ ، لَا تَكُنْ مِضْحَاكًا مِنْ غَيْرِ تَحَبُّبٍ ، وَلَا مَشَاهِدًا إِلَى غَيْرِ أَرْبٍ ، وَمَنْ نَأَى عَنِ الْحَقِّ أَضَاقَ مَذْهَبُهُ ، وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى حَالِهِ ، كَانَ أَنْعَمَ لِبَالِهِ ، لَا يَكْبُرُونَ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مِنْ ظَلَمَكَ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا سَعَى فِي مَضْرَتِهِ وَنَقَعَكَ ، وَعَوَّدَ نَفْسَكَ السَّمَّاحَ ، وَتَخَيَّرَ لَهَا مِنْ كُلِّ خُلُقٍ أَحْسَنَهُ ، فَإِنْ الْخَيْرُ عَادَةُ ، وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ ، وَالصُّدُودُ آيَةُ الْمَقْتِ ، وَالتَّمَلُّلُ آيَةُ الْبَخْلِ ، وَمَنِ الْفَقْهُ كِتْمَانُ السَّرِّ ، وَلِقَاحُ الْمَعْرِفَةِ دِرَاسَةُ الْعِلْمِ ، وَطَوْلُ التَّجَارِبِ زِيَادَةُ فِي الْعَقْلِ ، وَالْقَنَاعَةُ رَاحَةُ الْأَبْدَانِ ، وَالشَّرَفُ التَّقْوَى ، وَالبَلَاغَةُ مَعْرِفَةُ رَتَقِ الْكَلَامِ وَفَتْقِهِ ، بِالْعَقْلِ تُسْتَخْرَجُ الْحِكْمَةُ ، وَبِالْحِلْمِ

[١] أَعْتَبَهُ : أَعْطَاهُ الْغِنَى أَيْ الرِّسَالَةَ . [٢] بَنَى وَيَكْتَرُ . [٣] يَهْلِكُ .

[٤] الْحِرْفَةُ . [٥] حَرْبُهُ حَرْبًا كَطَلَبِهِ : سَلَبَ مَالَهُ . [٦] أُنْجِحَ : صَارَ ذَا نَجْحٍ .

يستخرج غَوْرَ العقل ، ومن شَمَّرَ في الأمور ، ركب البحور ، شر القول ما تَقَصَّ  
 بعضُهُ بعضاً ، وَمَنْ سَعَى بالنِمية حَذَرَهُ البعيد ، وَمَقَّتَهُ القريب . من أطال النظر  
 بإرادة تامة أدرك الغاية ، ومن تَوَانَى في نفسه ضاع ، من أَسْرَفَ في الأمور  
 انتشرت عليه ، ومن اقتصد اجتمعت له ، واللَّجَاجَةُ تورث الضياع للأُمُور ، غِيبُ  
 الأدب أحمد من ابتدأه ، مُبَادَرَةُ الفهم تورث النسيان ، سوء الاستماع يُغَيِّبُ  
 النِّبْيَ ، لَا تُحَدِّثُ من لَا يُقْبَلُ بوجهه عليك ، وَلَا تُنصِتُ لمن لَا يَنْبَغِي <sup>(١)</sup> بمحادثته  
 إليك ، البلادة للرجل هُجْنَةٌ ، قَلَّ مَالِكٌ إِلَّا اسْتَأْثَرَ ، وَقَلَّ حَاجِزٌ إِلَّا تَأَخَّرَ ،  
 الإحجام عن الأمور يُورث العجزَ ، والإقدام عليها يورث اجتلاب الخط ، سوء  
 الطَّعْمَةِ <sup>(٢)</sup> يُفسِدُ العِرْضَ ، وَيُخْلِقُ الوجه ، وَيَحَقِّقُ الدين ، الهَيِّية قرين الحرمان ،  
 والجَسَادَةُ قرين الظفر ، وَفِيكَ من أنصفك ، وأخوك من عاتبك ، وشريكك  
 مَنْ وَفَى لك ، وَصَفِيكَ من آثَرَكَ ، أَعْدَى الْأَعْدَاءِ العقوقُ ، اتِّبَاعُ الشهوة  
 يُورث الندامة ، وَفَوْتُ الْفُرْصَةِ يورث الحسرة ، جميع أركان الأدب التَّائِي لِلرَّفَقِ ،  
 أَكْرَمَ نَفْسِكَ عن كل دَنِيَّةٍ ، وإن ساقتك إلى الرقائب ، فإنك لَا تجد بى  
 تبذل من دينك ونفسك عَوْضًا ، لَا تَسَاعِدُ <sup>(٣)</sup> النِّسَاءَ فَيَمْلِكَنَّكَ ، واستبقي من  
 نفسك بَقِيَّةً ، فإنهن أن يرين أنك ذو اقتدار ، خيرٌ من أن يطلعن منك على  
 انكسار ، لَا تَمْلِكِ المرأةُ الشفاعةَ لغيرها ، فَمِيلٌ من شَفَعَتْ لها عليك معها ، أَوْ  
 بِنَى ، إني قد اخترت لك الوصية ، وَعَضَّتْكَ النصيحة ، وَأَدَيْتُ الحقَّ إلى الله وَ  
 تَأْدِيكَ ، فَلَا تُغْفِلَنَّ الْأَخْذَ بِأَحْسَنِهَا ، وَالْعَمَلَ بِهَا ، والله موفِّقك .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٢ )

[١] نعى الحديث ونهى بالفتيد : رفضه . [٢] طعمة : وجه المكسب . [٣] لها : لا تهاجم

## ٨٧ - وصية أخرى له

عن يزيد بن عقال قال :

وصّى عبد الملك بن صالح ابنه وهو أمير سرّية ، ونحن ببلاد الروم فقال له :  
« أنت تاجرٌ الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيس ، الذى إن وجد ربّحاً  
تجّر ، وإلاّ احتفظ برأس المال ، ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة ، وكن  
من احتيالك على عدوك ، أشدّ خوفاً من احتيال عدوك عليك <sup>(١)</sup> » .

( البيان والتبيين ٢ : ٥٤ )

## ٨٨ - كلمات حكيمة لابن السماك

وقال محمد بن صبح - المعروف بابن السماك <sup>(٢)</sup> - :

« خيرُ الإخوان أقلّهم مصانعةً فى النصيحة ، وخير الأعمال أحلاها عاقبةً ،  
وخير الثناء ما كان على أفواه الأخيار ، وأشرفُ السلطان ما لم يخالطه البطرُ ،  
وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً ، وخير الإخوان من لم يخاصم ، وخير  
الأخلاق أعونها على الورع ، وإنما يُختبَرُ ذلّ الرجال عند الفاقة والحاجة » .

( دهر الآداب ٢ : ٢٠٥ )

## ٨٩ - ابن السماك والرشد

وذكر محمد بن هرون عن أبيه قال : حضرت الرشد ، وقال له الفضل  
ابن الربيع : يا أمير المؤمنين قد أحضرت ابن السماك كما أمرتني ، قال : أدخله ،

[١] أوردت هذه الوصية فى الجزء الثانى ص ١٨٥ موزّعة إلى عبد الملك بن مروان كما أوردتها صاحب  
القد ، ويؤيد ذلك ما رواه الطبرى - ج ٨ : ٣٧ - إذ يقول : « وفى سنة ٨٤ كانت عروة عبد الله بن  
عبد الملك بن مروان الروم ، فتح فيها المصيبة - كسفية - » وعراها الجاحظ إلى عبد الملك بن صالح كما نرى  
فى هذه الرواية . [٢] كان راهباً عابداً حسن الكلام صاحب مواظ ، وهو كوفى قدم بنسباده زمن  
الرشد ، فثقت بها مدة ، ثم رجع إلى الكوفة فثقت بها سنة ١٨٣ هـ .

فدخل ، فقال له : عِظْنِي ، قال : يا أمير المؤمنين : اتق الله وحده لا شريك له ، واعلم أنك واقفٌ غداً بين يدي الله ربك ، ثم مصروفٌ إلى إحدى منزلتين ، لا ثالثةَ لهما : جنة أو نار ، فبكى هرون حتى اخضلت <sup>(١)</sup> لحيتُهُ ، فأقبل الفضل على ابن السماك ، فقال : سبحان الله ! وهل يتخالجُ أحداً شكٌ في أن أمير المؤمنين مصروفٌ إلى الجنة إن شاء الله ؟ لقيامه بحق الله ، وعدله في عباده ، وفضله ، فلم يحفل بذلك ابن السماك من قوله ، ولم يلتفت إليه ، وأقبل على أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين إن هذا - يعني الفضل بن الربيع - ليس والله معك ولا عندك في ذلك اليوم ، فاتق الله وانظر لنفسك ، فبكى هرون حتى أشفقنا عليه ، وأغرم الفضل بن الربيع ، فلم ينطق بحرف حتى خرجنا .

قال : ودخل ابن السماك على الرشيد يوماً ، فبينما هو عنده إذ استسقى ماء ، فأتى بِقَلْعٍ من ماء ، فلما أهوى بها إلى فيه ليشربها ، قال له ابن السماك : على رِسْلِكَ <sup>(٢)</sup> يا أمير المؤمنين ، بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو مُنِيتَ هذه الشرقة ، بكم كنت تشتريها ؟ قال : بنصف ملكي ، قال : اشرب هنالك الله ، فلما شربها ، قال له : أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو مُنِيتَ خروجها من بدنك ، بماذا كنت تشتريها ، قال : بجميع ملكي ، قال ابن السماك : إن ملكاً قيمته شرقةٌ ماوٍ لجديرٍ ألا يُنافَسَ فيه ، فبكى هرون ، فأشار الفضل بن الربيع إلى ابن السماك بالانصراف ، فانصرف .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١١٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٤٩)

## الفتنة بين الأمين والمأمون

### وفد الأمين إلى المأمون

لما عزم محمد الأمين على خلع أخيه عبد الله المأمون من ولاية العهد<sup>(١)</sup> ، كتب إليه كتاباً يستقدمه ، ويحبب أن يكون يقربه - وكان المأمون على خراسان - ودفع الكتاب إلى العباس بن موسى ، وإلى عيسى بن جعفر ، وإلى محمد بن عيسى بن نهيك ، وإلى صالح صاحب المصلى ، وأمرهم أن يتوجهوا به إلى المأمون ، والأيدعوا وجهاً من اللين والرفق إلا بلغوه ، وسهّلوا الأمر عليه ، (وذلك سنة ١٩٤ هـ) فتوجهوا بكتابه ، فلما وصلوا إلى المأمون أذن لهم ، فدفعوا إليه الكتاب ، ثم تكلم العباس بن موسى :

### ٩٠ - خطبة العباس بن موسى

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الأمير : إن أذاك قد تحمّل من الخلافة ثِقلاً عظيماً ، ومن النظر في أمور الناس عبئاً جليلاً ، وقد صدقت نيته في الخير ، فأعوزّه الوزراء والأعوان والكفأة على العدل ، وقليل ما يأنس بأهل بيته ، وأنت أخوه وشقيقه ، وقد فزع إليك في أموره ، وأملك للموازرة والمكافئة<sup>(٢)</sup> ،

---

[١]ذكروا أن الفضل بن الربيع وزير الأمين ، كان قد خاف المأمون ، لما فعله عند موت الرشيد بطوس من إحضار جميع ما كان في صكره إلى الأمين ، بعد أن كان الرشيد قد أشهد به للمأمون ، وعلم أن الخلافة إن أفضت إلى المأمون يوماً وهو حي لم يبق عليه ، حسن للأمين خلع المأمون والبيعة لابنه موسى - ولم يكن ذلك من رأى الأمين ولا عزمه - واتفق مع الفصل جماعة على ذلك ، قال الأمين إلى أقوالهم ، ثم إنه استشار عقلاء أصحابه ، فنهوه عن ذلك وحذروه فاقبى البنى ونكت اليهود ، وقالوا له : لا تخرى القواد على الكت للأعيان وعلى الخلع فيخلوك ، فلم يلتفت إليهم ، ومال إلى رأى الفضل بن الربيع ، وشرع في خدع المأمون باستدعائه إلى بغداد ، فلم يذبح وكتب يمتدو . [٢] المهاونة .

ولسنا نستبطك في برّه ، اتهاماً لنصرك له ، ولا نمحصك على طاعة ، تخوفاً لخلافك عليه ، وفي قدومك عليه أنس عظيم ، وصلاح لدولته وسلطانه ، فأجِبَ أيها الأمير دعوة أخيك ، وآثر طاعته ، وأعِنه على ما استعانك عليه في أمره ، فإن في ذلك قضاء الحق ، وصلة الرحم ، وصلاح الدولة ، وعزّ الخلافة ، عزم الله للأمير على الرشيد في أموره ، وجعل له الخيرة والصلاح في عواقب وأيه .

#### ٩١ - خطبة عيسى بن جعفر

وتكلم عيسى بن جعفر بن أبي جعفر ، فقال :

« إن الإكثار على الأمير - الله ، الله - في القول خرقٌ ، والاختصار في تعريفه ما يجب من حق أمير المؤمنين تقصير ، وقد غاب الأمير - أكرمه الله - عن أمير المؤمنين ، ولم يستغن عن قربه من شهد غيره من أهل بيته ، ولا يحد عنده غنى ، ولا يحد منه خلفاء ، ولا عِوضاً ، والأمير أولى من برّ أخاه ، وأطاع إمامه ، فليعمل الأمير فيما كتب به إليه أمير المؤمنين بما هو أَرْضَى وأقرب من موافقة أمير المؤمنين ومحبتة ، فإن القدوم عليه فضلٌ وحظٌ عظيم ، والإبطاء عنه وَكْفٌ<sup>(١)</sup> في الدين ، وضرر ومكروه على المسلمين . »

#### ٩٢ - خطبة محمد بن عيسى بن نهيك

وتكلم محمد بن عيسى بن نهيك ، فقال :

« أيها الأمير إنا لا نزيّدك بالإكثار والتطويل فيما أنت عليه من المعرفة بحق أمير المؤمنين ، ولا نشحّد نيتك بالأساطير والخطب فيما يلزمك من النظر والمثابة بأمور المسلمين ، وقد أهوز أمير المؤمنين الكفأة والنصحاء بحضرته ،



وَتَنَاوَلْكَ فَرَعًا إِلَيْكَ فِي الْمَعُونَةِ وَالتَّقْوِيَةِ لَهُ عَلَى أَمْرِهِ ، فَإِنْ تُجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا دَعَاكَ إِلَيْهِ ، فَنِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ يَتَلَفَّى بِهَا رَعِيَّتَكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ ، وَإِنْ تَقْعُدُ يُعْنِ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ ، وَلَنْ يَضْعَهُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْبِرِّ بِكَ ، وَالْاعْتِمَادِ عَلَى طَاعَتِكَ وَنَصِيحَتِكَ » .

### ٩٣ - خطبة صالح صاحب المصلى

وتكلم صالح صاحب المصلى ، فقال :

« أَيُّهَا الْأَمِيرُ : إِنَّ الْخِلَافَةَ ثَقِيلَةٌ ، وَالْأَعْوَانُ قَلِيلٌ ، وَمَنْ يَكِيدُ هَذِهِ الدَّوْلَةَ ، وَيَنْطَوِي عَلَى غَشَّهَا ، وَالْمَعَانِدَةُ لِأَوْلِيَائِهَا ، مِنْ أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ كَثِيرٌ ، وَأَنْتَ أَخُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَشَقِيقُهُ ، وَصَلَاحُ الْأُمُورِ وَفَسَادُهَا رَاجِعٌ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِ ، إِذْ أَنْتَ وَلِيُّ عَهْدِهِ ، وَالْمُشَارِكُ فِي سُلْطَانِهِ وَوِلَايَتِهِ ، وَقَدْ تَنَاوَلْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكِتَابِهِ ، وَوَثَّقَ بِمَعَاوَنَتِكَ عَلَى مَا اسْتَعَانَكَ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِ ، وَفِي إِجَابَتِكَ إِيَّاهُ إِلَى الْقُدُومِ عَلَيْهِ صَلَاحُ عَظِيمٌ فِي الْخِلَافَةِ ، وَأَنْسُ وَسْكَوْنُ لِأَهْلِ الْمِلَّةِ وَالذِّمَّةِ ، وَفَقَّ اللَّهُ الْأَمِيرَ فِي أُمُورِهِ ، وَقَضَى لَهُ بِالَّذِي هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ وَأَنْفَعُ لَهُ » .

### ٩٤ - خطبة المأمون

فحمد الله المأمون ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« قَدْ عَرَفْتُمُونِي مِنْ حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَكْرَمَهُ اللَّهُ - مَا لَا أَنْكَرُهُ ، وَدَعَوْتُمُونِي مِنَ الْمَوَازَرَةِ وَالْمَعُونَةِ إِلَى مَا أَوْثَرَهُ وَلَا أَدْفَعُهُ ، وَأَنَا لَطَاعَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُقَدِّمٌ ، وَالْمَسَارَعَةُ إِلَى مَاسَرِّهِ وَوَاقِفَةٌ حَرِيصٌ ، وَفِي الزُّوِيَةِ تَبْيَانُ الرَّأْيِ ، وَفِي إِعْمَالِ الرَّأْيِ نُصْحُ الْعِزِّ ، وَالْأَمْرُ الَّذِي دَعَانِي إِلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرٌ لَا أَتَأَخَّرُ

عنه تَبَطُّا ومَدَافَعَةً ، ولا أَتَقَدَّم عليه اعتسافاً وَحَجَلَةً ، وأنا في تَقَرٍّ<sup>(١)</sup> من تنفُّور المسلمين ، كَلِبٌ عَدُوُّهُ ، شديدٌ شوكتُهُ ، وإن أَمَحَلْتُ أمرهُ لم أَمَنَ دخول الضرر والمكره على الجنود والرعية ، وإن أَمَت عليه لم أَمَنَ قُوَّةَ ما أُحِبُّ من معونة أمير المؤمنين وموازرتِهِ وإِثَارِ طاعته ، فانصَرِفُوا حتى أَنظَرُ في أمرِي ، ويَصِحَّ الرَّأْيُ فيما أَعَزَّمُ عليه من مَسِيرِي إن شاء الله .

ثم بعث معهم بكتاب إلى الأمين ، يسأله أن يُفِيَّيه من الشخوص إليه ، وأن يُقَرِّره على عمله ، إذ يرى أن ذلك أعظم غَنَاءٍ على المسلمين .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٤٦)

#### ٩٥ - وصية السيدة زبيدة لعلی بن عیسی بن ماهان

وَمَنَّى الشريرين الأخوين ، واستطار شرره ، وبعث الأمين جيشاً كشيافاً بقيادة علی بن عیسی بن ماهان لحرب المأمون ، وأعد المأمون للقائه جيشاً بقيادة طاهر بن الحسين ، فلما أراد علی الشخوص إلى خراسان ، ركب إلى باب السيدة زُبَيْدَةَ<sup>(٢)</sup> والدة الأمين فودَّعها ، فقالت له :

« يا علیؑ ، إن أمير المؤمنين ، وإن كَانَ ولدي ، إليه تَنَاهَتْ شَفَقَتِي ، وعليه تَكَامَلَ حِذْرِي ، فإني علی عبد الله مُنْعَطِفَةٌ مُشْفِقَةٌ لما يَحْدُثُ عليه من مكروه وأذى ، وإنما ابني مَلِكٌ نَافَسَ أخاه في سلطانه ، وَغَارَاهُ<sup>(٣)</sup> علی ما في يده ، والكریم يؤكل لحمه ، وَيُمِيتُهُ غيره ، فاعْرِفْ لعبد الله حقَّ والده وأخوته ، ولا تَجْبِهْهُ<sup>(٤)</sup> بالكلام ، فإنك لست نظيره ، ولا تَقْتَسِرُهُ<sup>(٥)</sup> اقتسارَ العبيد ، ولا تُرْهِنُهُ<sup>(٦)</sup>

[١] التمر : موضع الحافة من فروج البدان . [٢] السيدة زبيدة أم جعفر بنت جعفر بن المنصور .

[٣] في الأصل : « غاره » وأرواح عرقاً من « غراه » ، فارجه مغارة وغراء : لاجبته .

[٤] جبّه كنهه : لقبه بما يكره . [٥] قسره واقسره : قهره .

[٦] أرهنه : أضغه ، وفي المعزى : « ولا توهنه » وأوهنه : أضغه أهناً ، والنل : ألفيد .

بقيد ولا غُلّ ، ولا تمنع منه جارية ولا خادماً ، ولا تمنع عليه في السير ، ولا تساور في السير ، ولا تركب قبله ، ولا تستقلّ على دابتك حتى تأخذ بركابه ، وإن شتمك فاحتمل منه ، وإن سَفِه عليك فلا تراده .

ثم دفعت إليه قيداً من فضّة ، وقالت : إن صار في يدك فقيده بهذا القيد ، فقال لها : سأقبل أمرك ، وأعمل في ذلك بطاعتك .

( تاريخ الطبرى ١٠ : ١٤٩ ، والفخرى ص ١٩٥ )

## ٩٦ - وصية الأمين لابن ماهان

وخرج على بن عيسى بن ماهان من بغداد ( في ٧ من شعبان سنة ١٩٥ هـ ) وخرج معه الأمين يشيعه ، وأقبل يوصيه ، فقال :

« أَمْنَعُ جُنْدَكَ مِنَ الْعَبَثِ بِالرَّعِيَّةِ ، وَالْفَارَةِ عَلَى أَهْلِ الْقُرَى ، وَقَطَعَ الشَّجَرَ ، وَانْتَهَاكَ النِّسَاءَ ، وَوَلَّ الرِّىَّ يَحْيَى بْنَ عَلِيٍّ <sup>(١)</sup> ، وَاضْمُمُ إِلَيْهِ جَنْدًا كَثِيفًا ، وَزُمَرَهُ لِيُدْفَعَ إِلَى جَنْدِهِ أَرْزَاقَهُمْ مِمَّا يَحْيَى مِنْ خَرَايجِهَا ، وَوَلَّ كُلَّ كُورَةٍ تَرْحَلَ عَنْهَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَيْكَ مِنْ جَنْدِ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَوُجُوهُهَا فَأَظْهَرَ إِكْرَامَهُ ، وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ ، وَلَا تَعَايِبَ أَخًا بِأَخِيهِ ، وَضَعْ عَنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ رُبْعَ الْخَرَاجِ ، وَلَا تَأْمَنَ أَحَدًا رِمَاكَ بِسَهْمٍ ، أَوْ طَعَنَ فِي أَصْحَابِكَ بِرُمَحٍ ، وَلَا تَأْذَنْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي الْمَقَامِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، مِنْ الْيَوْمِ الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ عَلَيْهِ ، فَإِذَا أَشْخَصْتَهُ ، فَلْيَكُنْ مَعَ أَوْثَقِ أَصْحَابِكَ عِنْدَكَ ، فَإِنْ غَرَّ الشَّيْطَانُ فَنَاصَبَكَ ، فَاحْرَصْ عَلَى أَنْ تَأْسِرَهُ أَسْرًا ، وَإِنْ هَرَبَ مِنْكَ إِلَى بَعْضِ كُورِ خُرَاسَانَ ، فَقَوْلْ إِلَيْهِ الْمَسِيرَ بِنَفْسِكَ ، أَفْهَمْتَ كُلَّ أَوْصِيكَ بِهِ ؟ »

قال : نعم ، أصلح الله أمير المؤمنين ، قال : سر على بركة الله وعونه .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٠ )

## ٩٧ - استهانة ابن ماهان بأمر طاهر بن الحسين

وخرج ابن ماهان ، فلما جاز خلوان ، لقيته القوافل من خراسان ، فكان يسألها عن الأخبار ، فيقال له : إن طاهراً مقيم بالرّى ، يعرض أصحابه ، ويرم<sup>(١)</sup> آله ، فيضحك ثم يقول :

« وما طاهر ؟ فوائده ما هو إلا شوكة من أغصاني ، أو شرارة من نارى ، وما مثل طاهر يتولّى على الجيوش ، ويلقى الحروب » ، ثم التفت إلى أصحابه فقال : « والله ما بينكم وبين أن ينقص اقتصاف الشجر من الريح العاصف ، إلا أن يلتمه عبورنا عقبة<sup>(٢)</sup> همدان ، فإن السّحال<sup>(٣)</sup> لا تقوى على نطاح الكباش ، والثعالب لا صبر لها على لقاء الأسد ، فإن يُقيم طاهر بموضعه يكن أول معرض لطبات<sup>(٤)</sup> السيوف وأسنّة الرماح » .

وسار حتى صار في أول بلاد الرّى ، وأتاه صاحب مقدمته وقال : « لو كنت - أبق الله الأمير - أذكيّت العيون ، وبشت الطلائع ، وارتدّت موضعاً تُسكّر فيه ، وتتخذ خندقاً لأصحابك يأمنون به ، كان ذلك أبلغ في الرأى ، وأنس للجند » .

قال : « لا ، ليس مثل طاهر يُستعَدّ له بالمكايد والتحفّظ ، إن حال طاهر تقول إلى أحد أمرين ، إما أن يتحصن بالرّى ، فييهته<sup>(٥)</sup> أهلها ، فيكفونامثوته ،

[١] يصلح . [٢] الذبة : مرق صلب من الجبال . [٣] السحال جمع سحلة بالفتح : وهو ولد الغم ذكر أو أنثى . [٤] اللطبات جمع طبة ومحمد السيف . [٥] يهته كنهه : أخذه بتهته ، قال تعالى : « بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ » ، وفي مروج الذهب : « فيب به » .

أَوْ يُخَالِفُهَا وَيُذِيرُ رَاجِعًا لَوْ قُرُبْتُ خِيُولُنَا وَعَسَا كَرْنَا مِنْهُ »

وأناه يحيى بن عليّ ، فقال : « اجتمع متفرق المسكر ، واحذر على جندك البيات ، ولا تسرح الخيل إلا ومعها كُثْفٌ <sup>(١)</sup> من القوم ، فإن المساكر لا تُسَاسُ بالتواني ، والحروب لا تدبّر بالاغترار ، والثقة أن تحتز ، ولا تقل : المحارب لي طاهر ، فالشرارة الخفية ربما صارت ضراماً <sup>(٢)</sup> ، والثلمة من السيل ربما اغتر بها وثُؤُونٌ ، فصارت بحراً عظيماً ، وقد قُرُبْتُ عَسَا كَرْنَا مِنْ طَاهِر ، فلو كَانَ رَأْيُهُ الْهَرَبَ لَمْ يَتَأَخَّرْ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا .

قال : اسكت ، فإن طاهراً ليس في هذا الموضع الذي ترى ، وإنما يتحفظ الرجال إذا لَقِيَتْ أَقْرَانُهُمْ ، وَتَسْتَعِدُّ إِذَا كَانَ الْمُتَاوَى <sup>(٣)</sup> لَهَا أَكْفَاءُهَا وَنَظَرَاءُهَا .  
( تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٠ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٩٩ )

## ٩٨ - حزم طاهر وقوة عزمه

وعسكر طاهر على خمسة فراسخ من الرميّ ، وأناه محمد بن العلاء ، فقال : « أيها الأمير ، إن جندك قد هابوا هذا الجيش ، وامتلات قلوبهم خوفاً ورعباً منه <sup>(٤)</sup> ، فلو أَقَتَ بِمَكَانِكَ ، ودافعت القتال إلى أن يشامهم <sup>(٥)</sup> أصحابك ، ويأنسوا بهم ، ويعرفوا وجه المأخذ في قتالهم » ، فقال :

« لا ، إني لا أؤنّ من قلة تجربة وحزم ، إن أصحابي قليل ، والقوم عظيم سوادهم ، كثير عددهم ، فإن دافعت القتال ، وأخرت المناجزة ، لم آمن أن يَطْلِعُوا عَلَى قِلَّتِنَا وَعَوْرَتِنَا ، وَأَنْ يَسْتَمِيلُوا مِنِّي بِرَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ ، فَيَنْفِرَ عَنِّي

[١] الكثف : الجماعة . [٢] الضرام : اشتعال النار في الحلقاء وغيرها ، ودقائق المطب الذي يبرح اشتعال النار فيه . [٣] للمأوى .

[٤] وكانت عدة عسكر ابن ماهان حسين ألفاً ، وذكر بعض أهل بغداد أنهم لم يروا عسكراً كان أكثر رجلاً ، وأمره كراماً ، وأظهر سلاحاً ، وأم عدة ، وأكل هيئة من عسكره ، وروى أن طاهراً كان في أقل من أربعة آلاف . [٥] شاماً وتشاماً : هم أحدهما الآخر ، والمعنى اقترباً .

أكثر أصحابي ، ويمخذلني أهل الحِفاظ والصبر ، ولكن أَلْفَ الرجال بالرجال ،  
والْحِمِّ<sup>(١)</sup> الخيل بالخيـل ، وأعتمد على الطاعة والوفاء ، وأصبر صَبْرَ محتسب للخير ،  
حريص على الفوز بفضل الشهادة ، فإن يرزق الله الظفر والْفَنَاجَ<sup>(٢)</sup> ، فذلك  
الذي نريد ونرجو ، وإن تكن الأخرى فليست أول من قاتل فقتل ، وماعند الله  
أجزل وأفضل . ( تاريخ الطبري ١٠ : ١٠١ )

## ٩٩ . طاهر يشد عزيمة جنده

وكتب طاهر بن الحسين كتابته ، وَكَرَدَسَ كَرَادِيْسَه<sup>(٣)</sup> ، وسوَّى صفوفه ،  
وجعل يمرّ بقائد قائد ، وجماعة جماعة ، فيقول :

« يا أولياء الله ، وأهل الوفاء والشكر ، إنكم لستم كهؤلاء الذين تَرَوْنَ من  
أهل التُّكْتِ والنذر ، إن هؤلاء ضَيَعُوا مَا حَفِظْتُمْ ، وصَرَّوْا مَا عَظَّمْتُمْ ، ونكثوا  
الْأَيْمَانَ الَّتِي رَعَيْتُمْ ، وإنما يطلبون الباطل ، ويقاتلون على النذر والجهل ، أصحاب  
سَلَبٍ وَنَهَبٍ ، فالوقد غَضَضْتُمْ الْأَبْصَارَ ، وَأَثْبَتُّمُ الْأَقْدَامَ ، قد أنجز الله وعده ،  
وفتح عليكم أبواب عِزِّهِ ونصره ، فَجَالِدُوا طَوَاغِيْتَ<sup>(٤)</sup> الْفِتْنَةِ ، وَيَمَاسِيْبِ النَّارِ  
عن دينكم ، ودافعوا بحكم باطلهم ، فلأنما هي ساعة واحدة ، حتى يحكم الله بينكم  
وهو خير الحاكمين . »

ونشب القتال بين الفريقين ، ودارت الدائرة على جيش ابن ماهان وقُتِلَ<sup>(٥)</sup> .

[١] أى أترن الخيل بالخيـل ، من قولهم : ألحت الحرب فالتحمت ، وللحم ضم للحم وفتح الحاء : اللصق  
بالقوم ، ولاحم المعى بالعقء : ألصقه به . [٢] الموز والظفر . [٣] الكراديس جمع كردوسة  
بالضم ، وهي القطعة الظلمية من الخيل ، وكردس الخيل جعلها كتيبة كتيبة .

[٤] الطواغيت جمع طاغوت : وهو الشيطان وكل رأس ضلال ، واليماسيب جمع يسوب : وهو الرئيس  
الكبير . [٥] روى أن نبي على بن عيسى ورد إلى الأمين وهو على الشط يصيد السمك ، فقال لفتى  
أخبره : والله دعي ، فإن كوثرا قد اسطاد سمكك ، وأنا ما اسطدت شيئاً بعد . وكان كوثر خلما  
خصياه وكان يجه .

ووجه الأمين بعد ذلك لحرب طاهر جيشاً بقيادة عبد الرحمن بن جبلة ،  
فهزم وقتل أيضاً . ( تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٢ )

## ١٠٠ - وصف الفضل بن الربيع غفلة الأمين

ونذب أسد بن يزيد بن يزيد لقتال طاهر

وبعث الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن بن جبلة إلى أسد بن يزيد  
ابن يزيد ، قال : فأتيته ، فلما دخلت عليه وجدته قاعداً في صحن داره ، وفي يده  
رُقعة قد قرأها ، واحمرّت عيناه ، واشتد غضبه ، وهو يقول :

« ينام نوم الظربان <sup>(١)</sup> ، وينتبه انتباه الذئب ، همته بطنه ، ولذته فرجه ،  
لا يفكر في زوال نعمته ، ولا يروى في إمضاء رأى ولا مكيدة ، قد ألهاه كأسه ،  
وشغله قدحُه ، فهو يجرى في لهوه ، والأيام تُسرّع <sup>(٢)</sup> في هلاكه ، قد شمر  
عبدُ الله له عن ساقه ، وفوق له أصيب <sup>(٣)</sup> أسهمه ، يرميه على بعد الدار بالحتف  
النافذ ، والموت القاصد <sup>(٤)</sup> ، قد عي له المنايا على مُتون الخيل ، وناط <sup>(٥)</sup> له البلاء  
في أسنة الرماح ، وسيفار السيوف » .

ثم استرجع وتمثل بأبيات للبعيث <sup>(٦)</sup> ، ثم التفت إلى فقال :

« يا أبا الحارث ، إنا وإياك لنجرى إلى غاية ، إن قصّرنا عنها ذُمنّا ، وإن  
اجتهدنا في بلوغها انقطعنا ، وإنما نحن شعب من أصل ، إن قوى قويتنا ، وإن

[١] الظربان : دوية فوق حرو الكلب منقطة الرمح كثيرة القسو ، يضرب بها المثل فيقال : « أحمى من  
ظربان » . [٢] في الأصل « تضرع » وأراه محرفاً . [٣] أصيب : أهل من صاب السهم يصيب  
صنيا : أي أصاب ، وسهم صيوب كصبور . [٤] انقاصد أي الكاسر ، من انقصد بالفتح : وهو  
الكسر بأي وجه كان ، أو بالتلف ، كالتفصيد ، يقال قصد الحقة وقصدها : كسرها وفصلها فنقصدت .  
[٥] خلق . [٦] هو خداس بن بشر الجاشي ، أحد شعراء الدولة الأموية ، وكان يهاجى جريراً .

صُنِفَ صُنْفُنَا ، إن هذا قد أُلْقِيَ يَدُهُ إلقاءَ الأُمّةِ الْوَكْفَاءِ <sup>(١)</sup> ، يَشَاوِرُ النِّسَاءَ ،  
وَيَعْتَمِدُ عَلَى الرُّؤْيَا ، وَقَدْ أَمَكَّنَ أَهْلَ الْإِلَهْوِ وَالْخُسَارَةِ مِنْ مِمِّهِ ، فَهَمْ يَمْدُونَهُ  
الظُّفَرَ ، وَيَعْتُونَهُ عُنُقَ <sup>(٢)</sup> الْأَيَّامِ ، وَالْهَلَاكُ أَسْرَعُ إِلَيْهِ مِنَ السَّيْلِ إِلَى قِيَمَانِ <sup>(٣)</sup>  
الرَّمْلِ ، وَقَدْ خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ تَهْلِكَ بِهَلَاكِهِ ، وَنَعَطَبَ بِعَطَبِهِ .

وَأَنْتَ فَارِسُ الْعَرَبِ وَابْنُ فَارِسِهَا ، وَقَدْ قَرَعَ إِلَيْكَ فِي لِقَاءِ هَذَا الرَّجُلِ  
(طَاهِر) ، وَأَطَعْتَهُ فِيمَا قَبْلَكَ أَمْرَانِ ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَصِدْقُ طَاعَتِكَ ، وَفَضْلُ  
نَصِيحَتِكَ ؛ وَالثَّانِي يُؤْمِنُ تَقْيِيْمَتِكَ <sup>(٤)</sup> ، وَشِدَّةَ بَأْسِكَ ، وَقَدْ أَمَرَنِي بِإِزَاحَةِ عِلَّتِكَ ،  
وَبَسْطِ يَدِكَ فِيمَا أَحْيَيْتَ ، غَيْرَ أَنْ الْاِقْتِصَادَ رَأْسَ النِّصِيحَةِ ، وَمِفْتَاحَ الْيُؤْمِنِ  
وَالْبَرَكَةِ ، فَأَنْجِزْ حَوَائِجَكَ ، وَعَجِّلِ الْمَبَادِرَةَ إِلَى عَدُوِّكَ ، فَلِئِنْ أَرْجُو أَنْ يُؤَلِّيكَ  
اللَّهُ شَرَفَ الْفَتْحِ ، وَيُلِمَّ بِكَ شَعَتْ هَذِهِ الْخُلَافَةِ وَالِدَوْلَةِ .

فَأَجَابَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ طَلَبَ مَطَالِبَ لَمْ تَرُقْ فِي عَيْنِ الْأَمِينِ  
فَفَضِيبَ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ بِسَجْنِهِ . (تَارِيخُ الطُّبْرِى ١٠ : ١٠٨ ، وَزَهْرُ الْأَدَبِ ٢ : ١٠٨)

## ١٠١ — وَصِيَّةُ الْأَمِينِ لِأَحْمَدَ بْنِ مَرْيَدَ

ثُمَّ نَدَبَ عَمَّهُ أَحْمَدَ بْنَ مَرْيَدَ ، فَلَمَّا أَرَادَ الشَّخْصُ دَخَلَ عَلَى الْأَمِينِ ، فَقَالَ :  
أَوْصِنِي أَكْرَمَ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ :

« أَوْصِيكَ بِخِصَالِ عِدَّةٍ ، إِيَّاكَ وَالْبَنَى فَإِنَّهُ عِقَالُ <sup>(٥)</sup> النِّصْرِ ، وَلَا تَقْدِّمَ  
رِجَالًا إِلَّا بِاسْتِخَارَةٍ ، وَلَا تَشْهَرْ سَيْفًا إِلَّا بَعْدَ إِعْذَارٍ ، وَمَهْمَا قَدَّرْتَ عَلَيْهِ بِاللَّيْنِ ،

[١] وَصَفَ مِنَ الْوَكْفِ بِالْتَحْرِيكِ : وَهُوَ الْإِيْمُ وَالسَّيْبُ وَالنِّصْرُ ، وَكَفَّ كَفْرَحَ إِذَا أَيْمَ ، وَهِيَ رَوَايَةُ  
الطُّبْرِى « الْوَكْفَاءُ » بِاللَّيْنِ ، وَهِيَ الْهَفَاءُ . [٢] الْعَبْ كَقَطْلٍ وَعَقَى : الْبَاقِيَةُ .

[٣] الْقِيَمَانُ جَمْعُ قَامَ : وَهُوَ أَرْضٌ مَطْمَنَةٌ سَهْلَةٌ قَدْ انْقَرَجَتْ عَنْهَا الْجِبَالُ وَالْأَكَامُ .

[٤] الْقِيَّةُ : النَّصْرُ وَالطَّيْسَةُ . [٥] الْعِقَالُ فِي الْأَوَّلِ : الْحُلُّ الَّذِي تَتَّبِعُهُ الْعِبَادَةُ .



فلا تتعدّه إلى الخرق والشَّرْه، وأحسن صحابة من معك من الجند ، وطالِغني بأخبارك في كل يوم ، ولا تخاطر بنفسك طلب الزُّلْفَة<sup>(١)</sup> عندي ، ولا تستقها فيما تخوف رجوعه على ، وكن لعبد الله أخا مصافيا ، وقرينا برّا ، وأحسن مجامعته ، وصحبته ومعاشرته ، ولا تحذله إن استنصرك ، ولا تبطل عنه إذا استصرحك ، ولكن أيديكما<sup>(٢)</sup> واحدة ، وكلتكما متفقة .

وتوجه أحمد بن مزيد في عشرين ألفاً من الأعراب ، وعبد الله بن حميد بن قحطبة في عشرين ألفاً من الأبناء ، حتى نزلا خانيقين - قريباً من خلوان - ولم يزل طاهر محتال في وقوع الاختلاف والشَّعْب بينهم ، حتى اختلفوا ، وانتقض أمرهم ، وقتل بعضهم بعضاً ، فأخلوا خانيقين ورجعوا عنها ، دون أن يلقوا طاهراً .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٩)

## ١٠٢ - مقال عبد الملك بن صالح للأمين

وكان عبد الملك بن صالح يشكر للأمين تخلية سبيله ، ويوجب بذلك على نفسه طاعته ونصيحته ، فلما قوى طاهر ، واستعلى أمره ، وهزم من هزم من قواد الأميين وجيوشه ، دخل عبد الملك على الأمين ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إني أرى الناس قد طمعوا فيك ، وأهل العسكرين قد اعتمدوا ذلك ، وقد بذلت مما حثك ، فإن تمت على أمرك أفسدتهم وأبترتهم ، وإن كففت أمرك عن العطاء والبذل أسخطتهم وأغضببتهم ، وليس تملك الجنود بالإمساك ، ولا يبقى ثبوت الأموال على الإقلاق والسرف ، ومع هذا فإن جندك قد رعبتهم الهزائم ونهكتهم ، وأضعفتهم الحرب والوقائع ، وامتلأت

[١] الزلفة والزلى : الفرية . [٢] أي أنت وعبد الله بن حميد بن قحطبة .

قلوبهم هيبةً لمدوم ، وَنُكُولاً<sup>(١)</sup> عن لقائهم ومناهضتهم ، فإن سَيرَتَهُم إلى طاهر ، غَلَبَ بَقِيلٌ مَنْ مَعَهُ كَثِيرٌ ، وهزم بقوة نيته ضَعْفَ نَصَائِحِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ ، وأهل الشَّام قوم قد ضَرَسَتْهُمُ<sup>(٢)</sup> الحروب ، وأدَّتْهُمْ الشَّدَائِدُ ، وَجَلَّتْهُمْ مَقَادُ إِلَى ، مسابغ إلى طاعتي ، فإن وَجَّهْنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اخْتِذْتُ لَهُ مِنْهُمْ جُنْدًا يَعْظُمُ نِكَائَتُهُمْ فِي عَدُوهِ ، وَيُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِمْ أَوْلِيَاءَهُ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ .

فَقَالَ الْأَمِينُ : « فَإِنِّي مُؤَلِّكَ أَرْحَمَ ، وَمَقْوِيكَ بِمَا سَأَلْتَ مِنْ مَالٍ وَعُدَّةٍ ، فَمَجَّلْ الشَّخْصَ إِلَى مَا هُنَاكَ ، فَاعْمَلْ عَمَلًا يَظْهَرُ أَثَرُهُ ، وَيُحْمَدُ بِرَكَتِهِ ، بِرَأْيِكَ وَنَظَرِكَ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » ، فَوَلَاهُ الشَّامَ وَالْجَزِيرَةَ .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٦١ ، والكامل لابن الأثير ٦ : ١٠٣ )

### ١٠٣ - الشَّعْبُ فِي جَيْشِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ

وسار عبد الملك بن صالح ، فلما قَدِمَ الرَّقَّةَ<sup>(٣)</sup> ، كَتَبَ إِلَى رُؤَسَاءِ أَجْنَادِ الشَّامِ وَوُجُوهِ الْجَزِيرَةِ ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِمَّنْ يُرْجَى ، وَيَذْكُرُ بِأُسْهِهِ وَغَنَائِهِ إِلَّا وَعَدَهُ ، وَبَسَطَ لَهُ فِي أَمَلِهِ وَأَمْنِيَّتِهِ ، فَقَدِمُوا عَلَيْهِ رُئَسَاءَ بَعْدَ رُئَسَاءٍ ، وَجَمَاعَةٌ بَعْدَ جَمَاعَةٍ ، فَكَانَ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَجَازَهُ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَهُ ، فَأَتَاهُ أَهْلُ الشَّامِ ، وَالزُّوْاقِيلُ وَالْأَعْرَابُ مِنْ كُلِّ فَيْحٍ ، وَاجْتَمَعُوا عِنْدَهُ حَتَّى كَثُرُوا ، يَبْدُو أَنَّهُ شَبَتِ نَارُ الْفِتْنَةِ بَيْنَ جُنْدِ أَهْلِ خِرَاسَانَ وَبَيْنَ الزُّوْاقِيلِ<sup>(٤)</sup> ، وَأَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى تَلَاكُمِهِمْ وَاقْتِصَالِهِمْ ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خِصَصٍ ، فَقَالَ :

[١] جِينَا وَخَوْفًا . [٢] جَرِيَّتُهُمْ وَأَحْكَمَتُهُمْ .

[٣] بَدْعُ عَلَى الْعِرَاقِ . [٤] وَسَبَّحَهَا أَنْ يَمُوتَ جُنْدُ أَهْلِ خِرَاسَانَ فَظَرَ إِلَى دَابَّةٍ كَانَتْ قَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ فِي إِحْدَى الرُّوَقَاتِ تَحْتَ بَعْضِ الزُّوْاقِيلِ ، فَتَلَقَّى بِهَا ، فَجَرَى الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا إِلَى أَنْ اخْتَلَفَا ، وَاجْتَمَعَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الزُّوْاقِيلِ وَالْجُنْدِ فَدَاجَرُوا ، وَأَطَاعَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ صَاحِبَهُ ، ثُمَّ اتَّسَعَ لَطَاقُ الْفِتْنَةِ فَانْفَقَتْ وَحَدَّةُ الْجَيْشِ .

« يَأْهَلْ حَصص ، الْهَرَبُ أَهْوَنُ مِنَ الْعَطَبِ ، وَالْمَوْتُ أَهْوَنُ مِنَ الذِّلِّ ، إِنَّكُمْ بَعْدْتُمْ عَنْ بِلَادِكُمْ ، وَخَرَجْتُمْ مِنْ أَقَالِيمِكُمْ ، تَرْجُونَ الْكَثْرَةَ بَعْدَ الثَّلَاةِ ، وَالْعِزَّةَ بَعْدَ الذَّلَّةِ ، أَلَا وَفِي الشَّرِّ وَقَعْتُمْ ، وَإِلَى حَوْمَةِ الْمَوْتِ أُخِجْتُمْ ، إِنْ الْمَنِيَا فِي شَوَارِبِ الْمَسْوَدَةِ <sup>(١)</sup> وَقَلَانِسِهِمْ ، النَّفِيرَ النَّفِيرَ <sup>(٢)</sup> قَبْلَ أَنْ يَنْقَطَعَ السَّبِيلُ ، وَيَنْزِلَ الْأَمْرُ الْجَلِيلُ ، وَيَفُوتَ الْمَطْلَبُ ، وَيَعْسُرَ الْمَذْهَبُ ، وَيَبْعَدُ الْعَمَلُ ، وَيَقْتَرِبُ الْأَجَلُ » .  
وَقَامَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ ، فَقَالَ :

« يَا مَعْشَرَ كَلْبٍ ، إِنَّهَا الرَايَةُ السَّوْدَاءُ ، وَاللَّهُ مَا وَلَّتْ وَلَا عَدَلَتْ ، وَلَا ذَلٌّ نَصَرَهَا ، وَلَا ضَعْفٌ وَلِيَهَا ، وَإِنَّكُمْ لَتَعْرِفُونَ مَوَاقِعَ سَيُوفِ أَهْلِ خِرَاسَانَ فِي رِقَابِكُمْ ، وَآثَارَ أَسْنَنَتِهِمْ فِي صُدُورِكُمْ ، اعْتَزِلُوا الشَّرَّ قَبْلَ أَنْ يَعْظُمَ ، وَتَخْطُوهُ قَبْلَ أَنْ يَضْطُرَّكُمْ ، شَأْمُكُمْ ، دَارَكُمْ دَارَكُمْ ، الْمَوْتُ الْفِلَسْطِينِيُّ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْشِ الْجَزَرِيِّ ، أَلَا وَإِنِّي رَاجِعٌ فَمَنْ أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ فَلْيَنْصِرِفْ مَعِيَ » .  
ثُمَّ سَارَ وَسَارَ مَعَهُ عَامَّةُ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَقْبَلَتِ الزَّوَاقِلُ حَتَّى أَضْرَمُوا مَا كَانَ يُجْمَعُ مِنَ الْأَعْلَافِ بِالنَّارِ ، ( وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١٩٦ هـ ) .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٢)

١٠٤ - خطبة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان

يدعو إلى خلع الأمين

وَمَاتَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ بِالرَّقَّةِ ، وَكَانَ مَعَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عِيْسَى ابْنِ مَاهَانَ ، فَأَقْبَلَ الْجَنْدَ مِنَ الْجَزِيرَةِ إِلَى بَغْدَادَ ، فَتَلَقَّاهُ أَهْلُهَا بِالتَّكْرِيمَةِ وَالتَّعْظِيمِ ، وَضَرَبُوا لَهُ الْقُبَابَ ، وَاسْتَقْبَلَهُ الْقَوَادِ وَالرُّؤَسَاءُ وَالْأَشْرَافُ ، ثُمَّ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ فَقَامَ فِيهِمْ فَقَالَ :

[١] كانت الجيوش الحراسية التي تقاتل الأمويين في سبيل نشر الدعوة العباسية يعملون الرايات السود فسوا من أجل ذلك المسودة . [٢] نهر إلى الأمر كضرب نفيرا : أسرع إليه .

« يا معشر الأبناء ، إن خلافة الله لا تجاوز بالبطر ، ونعمه لا تستصحب بالتجبر والتكبر ، وإن محمد أريد أن يُوتغ<sup>(١)</sup> أدبا نكم ، وينكث ينعنكم ، ويفرق جمعكم ، وينقل عزكم إلى غيركم ، وهو صاحب الزواويل بالأمس ، والله إن طال به مدة ، وراجعه من أمره قوة ، ليرجعن وبال ذلك عليكم ، وليعرفن ضرره ومكروهه في دولتكم ودعوتكم ، فاقطعوا أثره قبل أن يقطع آثاركم ، وضعوا عزه قبل أن يضع عزكم ، فوالله لا ينصره منكم ناصر إلا خذل ، ولا يمنعه مانع إلا قتل ، وما عند الله لأحد هداة ، ولا يراقب على الاستخفاف بعهده ، والخنث بأيمانه . »

وخلع الحسين بن علي محمد الأمين وجبسه<sup>(٢)</sup> ، وأخذ البيعة لعبد الله المأمون .  
(تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٣)

### ١٠٥ - خطبة محمد بن أبي خالد

في فض الناس عن اتباع الحسين بن علي بن عيسى

فلما أصبح الناس من الغد ، طلبوا من الحسين بن علي الأرزاق ، وماج الناس بعضهم في بعض ، وقام محمد بن أبي خالد ، فقال :

« أيها الناس ، والله ما أدري ، بأي سبب يتأمر الحسين بن علي علينا ، ويتولى هذا الأمر دوننا ؟ ما هو بأكبر سننا ، ولا أكرمنا حسبا ، ولا أعظمنا منزلة ، وإن فينا من لا يرضى بالدينية ، ولا يقاد بالخداعة ، وإنى أولكم تقض عهد ، وأظهر التفسير عليه ، والإنكار لفعله ، فمن كان رأيته رأيي ، فليعتزل معي . » (تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٤)

[١] أوع دینه بالإثم : أسده ، وأوقفه الله : أهلكه .

[٢] وكان حبس الحسين محمد الأمين في قصر أبي جعفر يومئذ .

## ١٠٦ - إطلاق الأمين من سجنه ورده إلى مجلس الخلافة

وقام أسد الحربيّ ، فقال : « يا مشر الحرّية ، هذا يومٌ له ما بعده ، إنكم قد نتمّتم وطال نومكم ، وتأخّرتُم فُقُدمَ عليكم غيرُكم ، وقد ذهب أقوامٌ بذِكر خلع محمد وأسرّه ، فاذهبوا بذِكر فكّه وإطلاقه » .

فأقبل شيخ كبير من أبناء الكِفاية على فرس ، فصاح بالناس : اسكتوا ، فسكتوا ، فقال :

« أيها الناس ، هل تعتدّون على محمد بقطع منه لأرزاكم ؟ قالوا : لا ، قال : فهل قصّر بأحد منكم ، أو من رؤسائكم وكبرائكم ؟ قالوا : ما علمنا ، قال : فهل عزّل أحداً من قوادكم ؟ قالوا : معاذ الله أن يكون فعل ذلك ، قال : فما بالكم خذلتموه ، وأعتم عدوّه على اضطهاده وأسرّه ؟ أما والله ما قتل قومٌ خليفتمهم قطّ ، إلا سلّط الله عليهم السيّف القاتل ، والحتف الجارف ، انهضوا إلى خليفتمكم وادفعوا عنه ، وقاتلوا من أراد خلعهُ والفتك به » .

فنهضوا معه وقاتلوا الحسين بن عليّ وأصحابه قتالا شديداً ، وأكثروا في أصحابه الجراح ، وأسروا الحسين ، ودخل أسد الحربيّ على محمد فكسّر قيوده ، وأقعده في مجلس الخلافة .

وأثنى الأمين بالحسين بن عليّ ، فلامه على خلافه وقال له : ألم أقدم أباك على الناس ، وأولّ أعنة الخيل ، وأملاً يده من الأموال ، وأشرف أقدارك في أهل خراسان ، وأرفع منازلكم على غيركم من القواد ؟ قال : بلى ، قال : فما الذي استحققتُ به منك أن تخلع طاعتي ، وتوَلِّب الناس عليّ ، وتندبهم إلى رقتالي ؟

قال : الثقة بعفو أمير المؤمنين ، وحسن الظن بصفحه وتفضله ، قال : فإن أمير المؤمنين ، قد فعل ذلك بك ، ولألك الطلب بئارك ، ومن قُتِلَ من أهل بيتك ، ثم دعا له بجِلمة ، فخلعها عليه ، وحمله على راكِب ، وأمره بالمسير إلى حُلوان ، وخرج الحسين ، فهرب في قَر من خدمه ومواليه ، فنادى محمد في الناس ، فركبوا في طلبه فأدركوه وقتلوه . ( تاريخ الطبري : ١٠ : ١٦٤ )

## ١٠٧ - خطبة داود بن عيسى يدعو إلى خلع الأمين

وقام داود بن عيسى <sup>(١)</sup> وإلى مكة والمدينة - وكان خطيباً فصيحاً جهير الصوت - يدعو إلى خلع الأمين ومبايعة المأمون ، فقال :

« الحمد لله مالك الملك ، يُؤْتِي الملكَ من يشاء ، وَيَنْزِعُ الملكَ من يشاء ، وَيُعْزِزُ من يشاء ، وَيُذِلُّ من يشاء ، يده الخيرُ ، وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالدين ، وختم به النبيين ، وجعله رحمة للعالمين ، صلى الله عليه في الأولين والآخرين .

[١] هو داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عداة بن عباس ، وكان الأمين حين أضحت الخلافة إليه يت به والياً على مكة والمدينة ، فأقام والياً عليها حتى دخلت سنة ١٩٦ ، فكتب الأمين إلى داود بن عيسى يأمره بجمع عداة للمأمون ، والبيعة لابنه موسى ، وبعث إلى الكتائب الذين كان الرشيد كتبها وعطفها في الكعبة ، فأخذها ، فلما فعل ذلك جمع داود حجة الكعبة والقرشين والفقهاء ، ومن كان شهد على مائ الكتائب من اليهود - وكان داود أحمدم - فقال داود : قد علم ما أخذ علينا وعليكم الرشيد من العهد واليثاق ، عند بيت الله الحرام ، حين باعنا لابنيه لتكون مع الظالم منها على الظالم ، ومع للبي عليه على الباطي ، ومع المنصور به على النادر ، فقد رأينا ورأيهم أن محمداً ( الأمين ) قد بدأ بالظلم والبي والمرد على أخوه عبد الله المأمون ، والقاسم للزعم ، وخلصها ، وباع لابنه الظلم وضع صغير لم يطمع ، واستخرج الدرهم من الكعبة تاصياً ، فخرعها بالواو ، وقد رأيت خله ، وأن أباح لعبد الله المأمون بالخلافة ، إذ كان مطلوباً مبيعاً عليه ، فقال له أهل مكة : رأينا تبع لرايك ، ونحن ظالموه معك ، فجمع الناس ، وخطبهم هذه الخطبة .

أما بعد ، يا أهل مكة ، فأنتم الأصل والفرع ، والعشيرة والأشيرة ، والشركاء في النعمة ، إلى بلدكم يَفِدُ وفَدَّ اللهُ <sup>(١)</sup> ، وإلى قبلكم يَأْتُمُّ المسلمون ، وقد عَلِمْتُمْ ما أخذ عليكم الرشيد هرون ، رحمة الله عليه وصلاته ، حين بايع لابنيه محمد وعبد الله بين أظهركم من العهد والميثاق ، لَتَنْصُرُنَّ المظلومَ منهما على الظالم ، والمبني عليه على الباغي ، والمغدور به على الغادر ، ألا وقد علمتم وعلمنا أن محمد ابن هرون قد بدأ بالظلم والبنى والغدر ، وخالف الشروط التي أعطاهها من نفسه في بطن البيت الحرام ، وقد حلَّ لنا ولكم خُلُمُهُ من الخلافة وتصييرها إلى المظلوم المبنى عليه ، المغدور به ، ألا وإنِّي أشهدكم أنني قد خلعت محمد بن هرون من الخلافة ، كما خلعت قَلَنْسُوتَني هذه من رأسي - وخلع قَلَنْسُوتُهُ عن رأسه ، فرمى بها إلى بعض الخدم تحته ، وكانت من بُرُودِ حَبْرَةٍ <sup>(٢)</sup> مسلسلة حمراء ، وأتى بقلنسوة سوداء هاشمية فَلَبَسَهَا - ثم قال : قد بايعت لعبد الله المأمون أمير المؤمنين بالخلافة ، ألا قوموا إلى البيعة لخليفكم ، فصعد جماعة من الوجوه إليه إلى المنبر رجل فرجل ، فبايعه لعبد الله المأمون بالخلافة وخلع محمداً .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٧٠ )

## ١٠٨ - خطبة الأمين وقد تولى الأمر عنه

ولما رأى الأمين الأمر قد تولى عنه ، وأنصاره يتسلَّلون فيخرجون إلى طاهر ، أمر بإحضار كل من كان معه في المدينة من اتقواد والجند ، فأشرف عليهم وقال :

[١] أى لتأدية فريضة الحج . [٢] برود حبرة : صرب من البرود اليمانية ، يقال : برود حبرة مثل غلبة على الوصف والإضافة ، وبرود حبرة ، وليس حبرة موضعاً أو شيئاً معلوماً ، إنما هو وحي كقولك : ثوب قرمز ، والقرمز : صبغه

« الحمد لله الذى يرفع ويضع ، ويُعْطِي وَيَمْنَع ، وَيَقْبِضُ وَيَنْسُط ، وإليه المصير ، أحمده على نوائب الزمان ، وخِذْلان الأعداء ، وتشتت الرجال ، وذهاب الأموال ، وحُلُول النوائب ، وتوفد المصائب ، حمداً يَدْخُلُ به أَجْزَلُ الجزاء ، وَيَرْفِدُنِي <sup>(١)</sup> أَحْسَنُ العزاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كما شهد لنفسه ، وشهدت له ملائكتُهُ ، وأن محمداً عبده الأمين ، ورسوله إلى المسلمين صلى الله عليه وسلم ، آمينَ رَبِّ العالمين .

أما بعد : يا معشر الأبناء ، وأهل السُّبْقِ إلى الهدى ، فقد علمتم غفلى كانت أيام الفضل بن الربيع وزيراً على ومشير ، فادَّت <sup>(٢)</sup> به الأيام بما لَزِمَنِي به من الندامة في الخاصة والعامة ، إلى أن نَبَّهْتُمُونِي فانتبَهْتُ ، واستعتموني في جميع ما كَرِهْتُم من نفسى وفيكم ، فبذلتُ لكم ما حواه مُلْكِي ، ونالته مقدرتي ، مما جَمَعْتُهُ وَوَرِثْتُهُ عن آبائى ، فقوِّدْتُ <sup>(٣)</sup> من لم يحِزْ ، واستكفيتُ من لم يَكْفِ ، واجتهدت - عَلمَ الله - في طلب رضاكم بكلِّ ما قَدَرْتُ عليه ، واجتهدتُم - عَلمَ الله - في مَسَاءَتِي في كلِّ ما قَدَرْتُم عليه ، من ذلك توجيهُي إليكم على ابن عيسى شيخكم وكبيركم ، وأهل الرأفة بكم ، والتحنُّن عليكم ، فكان منكم ما يطول ذِكْرُهُ ، فغفرتُ الذنوبَ ، وأحسنْتُ واحتملت ، وعزَّيْتُ نفسى عند معرفتى بشذوذ الظفر ، وحرصى على مقامكم مَسْلُحَةً <sup>(٤)</sup> بخُلُوان مع ابن كبير صاحب دعوتكم ، وَمَنْ عَلَى يَدَيْ أَيْهِ <sup>(٥)</sup> كَانَ غَرْكُمْ ، وبه تَمَّتْ طاعتكم : عبد الله بن حميد ابن قَحْطَبَةَ ، فصرتم من التائب عليه إلى ما لا طاقة له به ، ولا صبرَ عليه ، يقودكم

[١] رَفَدَهُ وَأَرْفَدَهُ : أَعْطَاه . [٢] طَالُوهُ وَلَمْ يَلَهُ . [٣] أَى اخْتَفَضَهُ قَالِدَا .

[٤] السِّلْحَةُ : الْقَوْمُ ذَوُو سِلَاحٍ . [٥] مَنِ جَدَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمِيدٍ بْنُ قَحْطَبَةَ ، وَهُوَ قَحْطَبَةُ ابْنُ شَيْبَةَ الطَّائِي ، أَحْمَدُ النُّعَاةِ الْمُبَاسِيَةِ وَالْقَوَادِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الْجِيُوشَ الْأُمَوِيَّةَ - انظر الجزء الثانى ص ٤٩٥ .



رجل منكم وأنتم عشرون ألفاً إلى عامين ، وعلى سيدكم متوثبين ، مع سعيد الفرد ، سامعين له مطيعين ، ثم وثبتم مع الحسين عليّ ، فخلعتموني وشتتموني ، وانهبتموني وجبستموني وقيدتموني ، وأشياء منعتوني من ذكرها ، حقد قلوبكم ، وتلكي<sup>(١)</sup> طاعتكم أكبر وأكثُر ، فالحمد لله حمد من أسلم لأمره ، ورضي بقدره ، والسلام .

وكانت عاقبة أمره أن قتل سنة ١٩٨ هـ وحمل رأسه إلى المأمون بخراسان .

(تاريخ الطبري ١٠ : ٢٠٥ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٠٥)

## ١٠٩ - إستعطاف الفضل بن الربيع للمأمون

وقال المأمون للفضل بن الربيع<sup>(٢)</sup> لما ظفر به : « يا فضل ، أكان من حقّ عليك وحقّ آبائي ونعمهم عند أهلك وعندك أن تثلّبتني<sup>(٣)</sup> وتَسبّيتني وتَحَرَّضَ على دمي ؟ أتحبّ أن أفعل بك ما فعلته بي ؟ » فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن عُذري يُحَقِّدُك إذا كَانَ واضحاً جليلاً ، فكيف إذا حَفَّتْ<sup>(٤)</sup> الصوبُ ، وقَبَحَتْه الذنوبُ ، فلا يضيقُ عني مِنْ عَفْوِكَ ما وَسِعَ غيري منك ، فأنت كما قال الشاعر<sup>(٥)</sup> فيك :

صَفُوحٌ عَنِ الْأَجْرَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ      مِنْ الْمَقُولِ يَعْرِفُ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمًا  
وَلَيْسَ يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِهِ الْأَذَى      إِذَا مَا الْأَذَى لَمْ يَنْشَأْ بِالْكَرْهِ مُسْلِمًا

(زمر الآداب ٢ : ١٦٣)

[١] مسهل عن تلكثر . [٢] توفى سنة ٢٠٨ . [٣] ثلّبه كفره : لانه وعابه .

[٤] هكنا في الأصل ، وربما كلن « أخته » لقوله قبل : « إذا كان واضحاً » .

[٥] هو الحسين بن رباح بن أبي الضحاک .

## ١١٠ - خطبة طاهر بن الحسين ببغداد بعد مقتل الأمين

ودخل طاهر بن الحسين ببغداد يوم الجمعة بعد قتل الأمين ، فصلى بالناس وخطبهم خطبة بليغة ، وقد حضره من بنى هاشم والقواد وغيرهم جماعة كثيرة قال :

« الحمد لله مالك الملك ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُمِيزُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، يَدْرِي الْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُسْذِينَ ، وَلَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ، إِنْ ظَهَرَ غَلَبَتْنَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَيْدِينَا وَلَا كَيْدِنَا ، بَلْ اخْتَارَ اللَّهُ لِلْخَلَافَةِ ، إِذْ جَعَلَهَا عِمَادًا لِدِينِهِ ، وَقَوَامًا لِعِبَادِهِ ، وَصَبَّطَ الْأَطْرَافَ ، وَسَدَّ الشُّغُورَ ، وَإِعْدَادِ الْعُدَّةَ ، وَجَمَعَ الْقِيَمَ ، وَإِقْضَا الْحُكْمَ ، وَنَشَرَ الْعَدْلَ ، وَإِحْيَاءَ السُّنَّةِ ، بَعْدَ إِذْ بَالَ الْبَطَالَاتُ ، وَالتَّلَذُّ بِمُوقِ الشَّهَوَاتِ ، وَالْمُخْلَدُ إِلَى الدُّنْيَا مُسْتَحْسَنٌ لِدَاعِي غُرُورِهَا ، مُتَحَلِّبٌ دِرَّةً<sup>(١)</sup> نِعْمَتَهَا ، أَلْفُ لُزْهَرَةٍ رَوْضَتِهَا ، كَلِفٌ بَرَوْتِ بِهَجَّتِهَا ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ وَفَا، مُوَعِدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ بَنَى عَلَيْهِ ، وَمَا أَحْلَى بِهِ مِنْ بَأْسِهِ وَتَقَمَّتْهُ ، لَمَّا نَكَبَ<sup>(٢)</sup> عَنْ عَهْدِهِ ، وَارْتَكَبَ مَعْصِيَتَهُ ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ ، وَغَيَّرَ نَاهِيَهُ ، وَعَظَمْتَ مُؤْذِبَهُ ، فَتَمَسَّكُوا بِدَقَائِقِ عِصْمِ<sup>(٣)</sup> الطَّاعَةِ ، وَاسْتَلْكَوْا مَنَاجِي سَبِيلِ الْجَمَاعَةِ ، وَاحْذَرُوا مَصَارِعَ أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ ، الَّذِينَ قَدَحُوا زِنَادَ الْفِتْنَةِ ، وَصَدَعُوا شَجَبَ الْأَلْفَةِ ، فَأَغْقَبَهُمُ اللَّهُ خَسَارَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » . ( تاريخ الطبري ١٠ : ٢٠٦ ، والمقد الفريد ٢ : ١٥٠ )

[١] الدرّة : اللّبن . [٢] عدل .

[٣] جم عصام ككتاب ، وعصام القربة : وباطنها وسيرها التي تحمل به .

## خطب المأمون (توفي سنة ٢١٨ هـ)

١١١ - خطبته وقد ورد عليه نعي الرشيد

خطب الناس بمرو حين ورد عليه نعي الرشيد ، فقال :

« إن ثمرة الصبر الأجر ، وثمره الجزع الوزر ، والتسليم لأمر الله عز وجل فائدة جليلة ، وتجارة مربحة ، فالموت حوضٌ مورود ، وكأسٌ مشروب ، وقد أتى على خليفتم ما أتى على نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، فما كان إلا بعداً دعي فأجاب ، وأمر فأطاع ، وقد سدد أمير المؤمنين ثلثه ، وقام مقامه ، وفي أعناقكم من العهد ما قد عرفتم ، فأحسنوا العزاء على إمامكم الماضي ، واغتنبوا بالنعماء والوفاء في خليفتم الباقي ، يا أهل الدنيا : الموت نازل ، والأجل طالب ، وأمس واعظ ، واليوم مغتَم ، وغدٌ منتظر » .

١١٢ - خطبته وقد سلم الناس عليه بالخلافة

ولما بلغه بخراسان قتل أخيه ، وأقبل الناس للتسليم عليه بالخلافة ، صعد المنبر ، حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، ثم قال :

« أيها الناس : إني جعلتُ لله على نفسي ، إن أسترعاني أموركم أن أطيعه فيكم ، ولا أسفك دماً عهداً لا تحيله حدوده ، وتسفكه فرائضه ، ولا آخذ لأحد مالا ، ولا أثاماً ، ولا نَحْلَةً <sup>(١)</sup> تحزُم على ، ولا أحكم بهوأي ، في غضبي ولا رضاي ، إلا ما كان في الله وله ، جعلتُ كله لله عهداً مؤكداً ، وميثاقاً مشدداً ،

إِنِّي أَفِي رَغْبَةً فِي زِيَادَتِهِ إِيَّائِي فِي نِعْمَتِي ، وَرَهْبَةً مِنْ مَسْأَلَتِهِ إِيَّائِي عَنْ حَقِّهِ وَخَلْقِهِ ، فَإِنْ غَيَّرْتُ أَوْ بَدَلْتُ كُنْتُ لِلْغَيْرِ مُسْتَأْهِلاً ، وَلِلشَّكْلِ مُتَرَضّاً ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ ، وَأَرْغَبُ إِلَيْهِ فِي الْمَعُونَةِ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَنْ يَحُولَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَعْصِيَتِهِ .

### ١١٣ - خُطْبَتُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ، ومستوجب على خلقه ، أحمدُه وأستعينه ، وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولتؤمن كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده ، والعمل لما عنده ، والتجنب لوعده ، والخوف لوعيده ، فإنه لا يسلم إلا من اتقاء ورجاء ، وعمل له وأرضاه ، فاتقوا الله عباد الله ، وبادروا آجالكم بأعمالكم ، وابتاعوا ما بقي بما يزول عنكم ، وترحلوا فقد جُذِبَكم ، واستعدُّوا للموت فقد أغلظكم ، وكونوا قوماً صبيحَ بهم فانتبهوا ، وعلِّموا أن الدنيا ليست لهم بدارٍ فاستبدلوا ، فإن الله لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترككم سدى ، وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به ، وإن غايةَ تنقُّصها اللحظة ، وتهديمها الساعة الواحدة ، لجديرة بقصر المدة ، وإن غائباً يَحْدُوه <sup>(١)</sup> الجديدان : الليل والنهار لحريٍّ بسرعة الأوبة ، وإن قادمًا يحلُّ بالفوز أو بالشقوة لمستحقٍّ لأفضل المدة ، فأتقِ عبدُ ربِّه ، ونصح نفسه ، وقدم توبته ، وغلب شهوته ، فإن أجله مستور عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان موكلٌ به ، يزين له المعصية ليركبا ، ويعني التوبة ليسوفها ، حتى تهجم عليه

مَنِيَّتُهُ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا ، فَيَالِهَا حَسْرَةً عَلَى ذِي غَفْلَةٍ ، أَنْ يَكُونَ عَمْرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً ، أَوْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مَنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ ، وَلَا تَقْصُرُ بِهِ عَنْ طَاعَتِهِ غَفْلَةٌ ، وَلَا تَحُلَّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ فَرْعَةٌ . إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ، وَيُجِيبُهُ الْخَيْرَ ، وَإِنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٣ ، والقد الفريد ٢ : ١٤٨ )

## ١١٤ - خطبته يوم الأضحي

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب تشريفه ، وعظم حرمة ، ووفق له من خلقه صفوته ، وابتلى فيه خليله ، وفدى فيه من الذبح نبيه ، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر ، ومتقدم الأيام المددوات من النفر<sup>(١)</sup> ، يوم حرام ، من أيام عظام ، في شهر حرام ، يوم الحج الأكبر ، يوم دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن بتعظيمه ، قال الله جل وعز : « وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ، فَكُلُوا مِنْهَا ، وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ، ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ، وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ، وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأَحْلِلْتُمْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ<sup>(٢)</sup> » ففقرُّوا إلى الله في

[١] يوم النفر : اليوم الذي ينفر فيه الناس من مي ، وهو بعد يوم النفر ( ويوم النفر بالفتح : اليوم الذي بعد يوم النحر ، لأنَّ الناس يفرُّون في منازلهم ) .

[٢] رحلا : أي مشاة ، جمع راجل كقائم وقيام ، وعلى كل ضامر : أي وركبا ما على بكل ضامر ، أي بغير مهزول ، يأتين : أي الضواصر ، صفة لضاير حملا على المعنى ، من كل فج عميق : أي طريق بعيد ، ليشهدوا منافع لهم : دينية ودنيوية ، في أيام معلومة : هي عشر ذي الحجة ، وقيل : أيام النحر ، من

هذا اليوم بذابحكم ، وعظموا شأراً لله ، واجملوها من طيب أموالكم ، وبصحة التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : « لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ »<sup>(١)</sup> ، ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبي والوصية بالتقوى ، ثم قال بعد ذكر الجنة والنار : عَظُمَ قَدْرُ الدَّارَيْنِ ، وارتفع جَزَاهُ الْعَمَلَيْنِ<sup>(٢)</sup> ، وطالت مدة الفريقين ، أَفْهَ اللَّهُ ، فَوَافَقَهُ إِنْه الْجِدُّ لَا اللَّيْبَ ، وإنه الحق لا الكذب ، وما هو إلا الموت والبعث ، والميزان والحساب والقصاص والصراط ، ثم العقاب والثواب ، فمن نجا يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد خاب ، الخير كله في الجنة ، والشر كله في النار .

(عيون الأخبار ٢ : ص ٢٥٤ ، والبعد الفريد ٢ : ١٤٨)

### ١١٥ — خطبته يوم الفطر

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم عيد وسنة ، واجتهال ورغبة ، يوم ختم الله به صيام شهر رمضان ، وافتتح به حج بيته الحرام ، فجعله خاتمة الشهر ، وأول أيام شهر الحج ، وجعله مُمَقِّباً لمفروض صومكم ، ومُتَنَفِّلاً قيامكم ، أَحَلَّ فِيهِ الطَّعَامَ لَكُمْ ، وَحَرَّمَ فِيهِ الصِّيَامَ عَلَيْكُمْ ، فاطلبوا إلى الله حوائجكم ، واستغفروه لتفريطكم ، فإنه يقال : « لَا كَبِيرَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ ، وَلَا صَغِيرَ مَعَ إِصْرَارٍ » ، ثم التكبير والتحميد ، وذكر النبي عليه الصلاة والسلام ، والوصية بالتقوى ، ثم قال : فاتقوا الله عباد الله ، وبادروا الأمر الذي أُعْتَدِلَ فِيهِ يَقِينُكُمْ ، ولم يُخْتَصِرْ<sup>(٣)</sup> الشك فيه أحدكم ، وهو الموت المكتوب عليكم ، فإنه لَا تُسْتَقَالُ بَعْدَهُ عَثْرَةٌ ، وَلَا تُحْطَرُّ قَبْلَهُ تَوْبَةٌ ، واعلموا أنه لا شيء قبله إلا دونه ، ولا شيء بعده

بومة الأنعام : الأيل والبقرة والغنم التي تتحرر للنعايا ، ثم يغضوا عنهم : أي يزولوا أو ساخهم وشتمهم من نحو قس الأشرار ، وحلق الناة ، وغير ذلك . [١] أي يرفع إليه منكم العمل الصالح . [٢] أي عمل الخير وعمل الخير . [٣] يختصر .

إلا فوقه ، ولا يمين على جَزَعه وَعَلَّوْهُ <sup>(١)</sup> وَكُرْبَهُ ، ولا يمين على القبر وظلمته ،  
وَضِيقِهِ وَوَحْشَتِهِ ، وَهَوْلِ مَطْلَعِهِ وَمَسْأَلَةِ مَلَائِكَتِهِ ، إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي  
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، فَن زَلَّتْ عِنْدَ الْمَوْتِ قَدَمُهُ ، فَقَدْ ظَهَرَتْ نِدَامَتُهُ ، وَفَاتَتْهُ اسْتِقَاتُهُ ،  
وَدَعَا مِنَ الرَّجْعَةِ إِلَى مَا لَا يُجَابُ إِلَيْهِ ، وَبَذَلَ مِنَ الْفِدْيَةِ مَا لَا يَقْبَلُ مِنْهُ ، فَاللَّهُ  
أَلَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ، وَكُونُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَأَعْطَوْهَا ، إِذْ مُنِمَهَا الَّذِينَ طَلَبُوهَا ،  
فَإِنَّهُ لَيْسَ يَتَمَنَّى الْمُقَدِّمُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هَذَا الْمَهَلَّ الْمَبْسُوطَ لَكُمْ ، وَاحْذَرُوا  
مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ ، وَاتَّقُوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْمَعُكُمْ اللَّهُ فِيهِ لَوْضِعَ مَوَازِينِكُمْ ، وَنَشْرَ صُفُوفِكُمْ  
الْحَافِظَةِ لِأَعْمَالِكُمْ ، فَلْيَنْظُرْ عَبْدٌ مَا يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا يَثْقُلُ بِهِ ، وَمَا يُعْلِ <sup>(٢)</sup> فِي  
صَحِيفَتِهِ الْحَافِظَةِ لِمَا عَلَيْهِ وَلَهُ ، فَقَدْ حَكَى اللَّهُ لَكُمْ مَا قَالَ الْمَفْرُطُونَ عِنْدَهَا ، إِذْ  
طَالَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْهَا ، قَالَ : « وَوَضَعَ الْكِتَابُ قَتَرِي الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا  
فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا ، مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا  
أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا » ، وَقَالَ : « وَنَضَعُ  
الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ <sup>(٣)</sup> » أَيَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ  
خَرْدَلٍ أُنْزِلَتْ بِهَا وَكَفَى بِنَاصِيئِهِ » ، وَلَسْتُ أَنُهَاكُمْ عَنِ الدُّنْيَا بِأَعْظَمِ مَا نَهَيْتُكُمْ الدُّنْيَا  
عَنِ نَفْسِهَا ، فَإِنَّ كُلَّ مَا بِهَا يَنْهَى عَنْهَا ، وَكُلَّ مَا فِيهَا يَدْعُو إِلَى غَيْرِهَا ، وَأَعْظَمُ  
مِمَّا رَأَتْهُ أَعْيُنُكُمْ مِنْ عَجَائِبِهَا ذِمَّ كِتَابِ اللَّهِ لَهَا ، وَنَهَى اللَّهُ عَنْهَا ، فَإِنَّهُ يَقُولُ :  
« فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ » ، وَقَالَ : « إِنَّمَا  
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ .. الْآيَةُ » ، فَاتَّقُوا بِعَمَلِكُمْ بِهَا ، وَبِإِخْبَارِ اللَّهِ عَنْهَا ،

[١] العَلَّوْ : مَا يَصِيبُ لِلرِّيشِ عِنْدَ حَشْرَةِ اللَّوْتِ مِنْ وَعْدَةٍ وَاضْطِرَابٍ . [٢] عِلَى

[٣] الْقِسْطُ : الْعَدْلُ ، مَصْدَرٌ بِهِ اللَّبَالَةُ أَوْ ذَوَاتُ الْقِسْطِ .

واعلموا أن قوماً من عباد الله أدركتهم عصمة الله فخذروا مصارعها ، وجانبوا خدائعها ، وآثروا طاعة الله فيها ، فأدرَكوا الجنة بما تركوا منها .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٥ ، والحد الفريد ٢ : ١٤٨ )

## ١١٦ — خطبة ابن طباطبا العلوي

وخطب محمد <sup>(١)</sup> بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، حين انتهب قائدُ جيوشه أبو السرايا السريُّ ابن منصور قصرَ العباس بن موسى بن عيسى ، فقال :

« أما بعدُ : فإنه لا يزال يَتَلَنِّفُنِي أن القائل منكم يقول : إن بني العباس فينا لنا ، نخوضُ في دماءهم ، وَتَرْتَعُ في أموالهم ، وَيَقْبَلُ قولنا فيهم ، وَتُصَدِّقُ دعوانا عليهم ، حُكْمُ بلا عِلْمٍ ، وَعَزْمُ بلا رَوِيَّةٍ ! عَجَبًا لِمَنْ يُطْلَقَ بذلك لسانه ، ويحدِّثُ به نفسه ! أ بكتاب الله تعالى حَكَمَ ، أَم لِسْتَةٍ نبيه صلى الله عليه وسلم أَتَبِعَ ؟ أَيْ مَنِي <sup>(٢)</sup> معه طَمِعَ ، أَمْ بَسْطَ يَدِي له بالجود أَمَلُ ؟ هِيَهَات ! فَازْذُو الحقِّ بما نَوَى ، وَأَخْطَأْ ذُو الباطل بما تَمَنَّى ، حَقُّ كُلِّ ذِي حقٍّ في يده ، وكل

[١] خرج بالكوفة لمصر خلون من جادى الآخرة سنة ١١٩٩ هـ يدعو إلى الرضى من آل محمد ، والعمل بالكتاب والسنة ، وكان القيم بأمره في تدبير الحرب ، وقيادة جيوشه أبا السرايا السري بن منصور وكان سبب خروجه صرف للأموال ظاهر بن الحسين عما كان إليه من أعمال البدل التي افتتحها ، وتوجيه إلى ذلك الحسن بن سهل ، فلما قبل ذلك تحدث الناس بالبراق أن الفضل بن سهل قد غلب على الأمون ، وأنه قد أزاله قسراً حجة فيه عن أهل بيته ، ووجوه قواده من الحاشية والعامية ، وأنه يرمي الأمور على هواه ، ويستبد بالرائى دونه ، فغضب لذلك بالبراق من كل يها من بني هاشم ، ووجوه الناس ، وأقوا من غلبة الفضل على للأمون ، واجتروا على الحسن بن سهل بذلك ، وهاجت الفتى في الأمصار ، فكان أول من خرج بالكوفة ابن طباطبا المذكور ، فوجه إليه الحسن بن سهل زهير بن السيب في عشرة آلاف قواصم فهزموه واستباحوا مكرهه ، فلما كان من غد اليوم الذي كانت فيه الوقعة (وذلك يوم الخميس ليلة خلت من رجب سنة ١١٩٩) مات ابن طباطبا فجاءه ، فذكر أن أبا السرايا سمع ، وذلك أن ابن طباطبا لما أحرز ما في عسكر زهير منه أبا السرايا ، وحظره عليه ، وكان الناس له مطيعين ، فلم أبو السرايا أنه لا أمر له معه نفسه . [٢] في الأصل : « أَيْ مَنِي » وهو تحريف ، والصواب ما ذكرته .



مُدَّعٍ عَلَى حَجَّتِهِ ، وَيَلُ لِمَنْ اغْتَضَبَ حَقًّا ، وادعى باطلا ، أفلح مَنْ رَضِيَ بِحُكْمِ اللَّهِ ، وخاف من أرغم الحقُّ أنْفَه ، الْعَدْلُ أَوْلَى بِالْأَثَرَةِ وَإِنْ رَغِمَ الْجَاهِلُونَ ، حُقِّ لِمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ يَحْتَنِبَ الْمُنْكَرَ ، ومن سلك سبيل العدل أن يصبر على مرارة الحق ، كل نفس تسمو إلى هَمَّتْهَا ، وَنِعَمَ الصَّاحِبُ الْقِنَاعَةَ .

أيها الناس ، إن أكرم العبادة الوَرَعَ ، وأفضل الزاد التقوى ، واعملوا في دنياكم ، وتروّدوا لآخرتكم ، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وإياكم والمصيبة وَحِمَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّهُمَا يَحَقِّقَانِ الدِّينَ ، وَيُورِثَانِ النِّفَاقَ ، وَلَا تَعَاوُنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، يَصْلُحْ لَكُمْ دِينُكُمْ ، وَتَحْسُنِ الْمَقَالَةَ فِيكُمْ . الحقُّ أبلجُ ، والسبيل منهج ، والباطل لَجَلَجُ <sup>(١)</sup> ، والناس مختلفون ، ولكلٍّ في الحق سعة ، من حَارَبَنَا حَارَبَنَا ، ومن سَالَمَنَا سَالَمَنَا ، والناس جميعاً آمِنُونَ إِلَّا رَجُلًا نَصَبَ لَنَا نَفْسَهُ ، وَأَعَانَ عَلَيْنَا بِمَالِهِ ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَفُولَ : وَرَجُلٌ قَالَ فِينَا يَتَنَاوَلُ مِنْ أَعْرَاضِنَا : لَقُلْتُ ، وَكَفَى ، حَسْبُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَصْنَعُهُ ، وَسَيُكْفِي الظَّالِمُونَ »

(مواسم الأدب ٢ : ١١٣)

## ١١٧ - استعطاف إبراهيم بن المهدي المأمون

لما ظفر المأمون بعمه إبراهيم بن المهدي <sup>(٢)</sup> أمر بإدخاله عليه ، فجاء إبراهيم يحجُّل <sup>(٣)</sup> في قيوده ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال له المأمون : لا سلم الله عليك ، ولا حفظك ، ولا رعاك ، ولا كَلَاكَ <sup>(٤)</sup>

[١] أبلج : أى واضح بين ، والمنهج : الطريق الواضح ، والباطل الجلج : أى يتردد فيه صاحبه ، فلا يصيب مخرجاً . [٢] كان المأمون قد عهد بالخلافة لعلّ الرضا بن موسى الكاظم ، فلما سمع العباسيون ببغداد ( وكان المأمون بمرو حاضرة خراسان ) ماضيه المأمون من قتل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي ، أنكروا منه ذلك ، وحلوه من الخلافة ، وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي سنة ٢٩١ هـ ، ولما علم المأمون بذلك جد في السير إلى بغداد ، وهرب عمه إبراهيم وتوارى . [٣] حجّل للقيد كضرب ونصر : رفع رجله ، وترتب في مشيه على رجله . [٤] كَلَاكَ : حرسه .

يا إبراهيم ، فقال له إبراهيم : على رِسْلِكَ <sup>(١)</sup> يا أمير المؤمنين ، ولِي <sup>(٢)</sup> النارُ مُحْكَمٌ في القصاص ، والْمَفْؤُ أَوْقَبُ لِلتَّقْوَى ، ومن مُدُّ له الاغترار في الأمل ، هُجِمَتْ به الأناةُ على التُّلَفِ <sup>(٣)</sup> وقد أصبح ذنبِي فوق كل ذنب ، كما أن عفوك فوق كل <sup>(٤)</sup> عفو ، فإن تماقِبَ فَبِحَقِّكَ ، وإن تَعَفُّ فبِفَضْلِكَ ، ثم قال :

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ  
غَضَبُكَ أَوْ لَا فَاصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهُ  
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي فَعَالِي مِنَ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

فأطرق المأمون ملياً ، ثم رفع رأسه فقال : إني شاورت أبا إسحق <sup>(٥)</sup> والعباس في قتلك فأشارا عليَّ به ، قال : فما قلتَ لهما يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلتُ لهما : بدأنا له بإحسان ، ونحن نستأمره فيه ، فإن غيرَ فاقه يُنِيرُ ما به ، قال : أمّا أن يكونا قد نصحاك في عِظَمِ قدر الملك ، وما جرّت عليه عادةُ السياسة فقد فعلا ، ولكن أينت أن تستجلب النصر إلا من حيثُ عَوَدَكَ اللهُ ، ثم استعبر با كيّا ، فقال له المأمون : ما يُيكيك ؟ قال : جَذَلًا ، إذ كَانَ ذَنْبِي إِلَى مِنْ هَذِهِ صِفَتُهُ فِي الْإِنْعَامِ ، ثم قال : يا أمير المؤمنين إنه وإن كان جُرْمِي يبلغُ سَفْكَ دَمِي ، فحلم أمير المؤمنين وتفضله يُبْلِغُنِي عَفْوَه ، ولي بسدّها شفاعَةُ الإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ ، وَحُرْمَةُ الْأَبِ بَعْدَ الْأَبِ ، قال المأمون : « الْقَدْرَةُ تَذْهَبُ الْحَفِظَةُ <sup>(٦)</sup> ، والندمُ تَوْبَةٌ ، وعَفْوُ اللهِ بَيْنَهُمَا ، وهو أكبرُ ما يحاول ، يا إبراهيم : لقد حَبِيتُ إِلَى الْعَفْوِ ، حَتَّى خِفْتُ

[١] المهل والتؤدة . [٢] صاحبه . [٣] وفي رواية : « ومن تناوله الاغترار بما مدّ له من أسباب الرخاء ، أمن مادية العمر » . [٤] وفي رواية : « وقد أصبحت فوق كل ذنب ذنب ، كما أصبح كل ذي منور ذنوب » ، وفي أخرى : « وقد جعلك الله فوق كل ذنب ، كما جعل كل ذي ذنب ذنوب » . [٥] أبو إسحق هو النعمان أخو للمأمون ، والعباس هو ابن للمأمون . [٦] الحفيظة : الضبط ، وفي رواية الألف أن هذه الجملة من قول إبراهيم بن الهادي .

أَنْ لَا أُوجِرَ عَلَيْهِ ، أَمَا لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا لَنَا فِي الْمَقْوِ مِنَ اللَّذَّةِ ، لَتَقَرَّبُوا إِلَيْنَا بِالْجَنَائِاتِ ، لَا تُثْرِبُ<sup>(١)</sup> عَلَيْكَ ، يَنْفِرُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي حَقِّ نَسَبِكَ مَا يَلُغُّ الصَّفْحَ عَنْ زَلَّتِكَ ، لِبَلَّغِكَ مَا أَمَلْتُ حَسَنُ تَوْصُلِكَ ، وَلَطِيفُ تَنْصُلِكَ » ، ثُمَّ أَمْرُ بَرْدٍ مَالَهُ وَضِياعِهِ ، فَقَالَ :

رَدَدْتَ مَالِي ، وَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِهِ      وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَّقْتَ دَمِي  
فَأُبْتُ مِنْكَ - وَمَا كَأَفَاتُهَا - يَدِي      هُمَا الْحَيَاتَانِ مِنْ وَفَرٍ وَمِنْ عَدَمٍ<sup>(٢)</sup>  
وَقَامَ عَلَيْكَ بَنِي فَاحْتِجَّ عِنْدَكَ لِي      مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ  
فَلَوْ بَدَّلْتُ دَمِي أَبْنَى رِضَاكَ بِهِ      وَالْمَالُ ، حَتَّى أَسْأَلَ النَّعْلَ مِنْ قَدَمِي  
مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَاوِيَةَ رَجَعَتْ      إِلَيْكَ ، لَوْلَمْ تَهْبِهَا كُنْتَ لَمْ تُكَلِّمْ  
(الأغاني ٩ : ٥٧ ، والفقد العربد ١٤٢ : ١ ، والأمال ٢٠٢ : ٣ ، وزهر الآداب ٣ : ١٩١)

### ١١٨ - إبراهيم بن المهدي وبختيشوع الطيب

تنازع إبراهيم بن المهدي هو وبختيشوع الطيب بين يدي أحمد بن أبي دؤاد القاضي ، في مجلس الحكم ، في عقارٍ بناحية السَّوَادِ<sup>(٣)</sup> ، فزَرَى عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup> ابن المهدي ، وأغلظ له بين يدي أحمد بن أبي دؤاد ، فأحفظه<sup>(٥)</sup> ذلك ، فقال : « يَا إِبْرَاهِيمَ إِذَا نَازَعْتَ أَحَدًا فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ ، فَلَا أَعْلَمَنَّ أَنَّكَ رَفَعْتَ عَلَيْهِ صَوْتًا ، وَلَا أَشَرْتَ إِلَيْهِ يَدًا ، وَلِيَكُنْ قَصْدُكَ أَمَّا<sup>(٦)</sup> ، وَطَرِيقُكَ نَهْجًا<sup>(٧)</sup> ، وَرِيحُكَ سَاكِنَةً ، وَكَلَامُكَ مُتَدَلِّيًا ، وَوَفَّ مَجَالِسَ الْحُكُومَةِ حَقُوقَهَا ، مِنْ التَّوْقِيرِ وَالتَّعْظِيمِ وَالِاسْتِكَانَةِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى الْوَاجِبِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَشْبَهُ بِكَ ، وَأَشْكَلُ لِمَذْهَبِكَ فِي

[١] لَا لَوْمَ . [٢] الْيَدُ : النِّعْمَةُ .

[٣] سَوَادُ الْمَرَاقِ ، وَالْعَقَارُ : كُلُّ مَا ثَابَتْ لَهُ أَصْلُ كَالْدارِ وَالْخَلِّ ، وَجَمْعُ عَقَارَاتٍ .

[٤] عَابَهُ . [٥] أَغْضَبَهُ . [٦] الْأَمْرُ : الْقَصْدُ الْوَسِيطُ . [٧] وَاضِعًا .

تَحْدِكَ<sup>(١)</sup> ، وَعَظِيمَ خَطَرِكَ<sup>(٢)</sup> ، وَلَا تَسْجَلْ ، قَرُبَ مَجْلَى تَهَبُ رَيْثَا<sup>(٣)</sup> ، وَاللَّهِ  
يَمُصِّبُكَ مِنَ الزَّلَالِ ، وَخَطَلَ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ ، وَيَمِ نَعْمَتُهُ عَلَيْكَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى  
أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ .

قال إبراهيم : « أصلحك الله أمرت بسداد ، وحضضت على رشاد ،  
ولست بمائدٍ إلى ما يشلم<sup>(٤)</sup> مُرُوءتي عندك ، ويُسْقِطُنِي مِنْ عَيْنِكَ ، ويُخْرِجُنِي  
مِنْ مَقْدَارِ الرَّاجِبِ إِلَى الْعِذَارِ ، فَهَأَنَّا مُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الْبَادِرَةِ ، اعْتِذَارَ  
مُقَرَّبٍ بِذَنْبِهِ ، بِأَخِيعٍ بِجُرْمِهِ<sup>(٥)</sup> ، فَإِنَّ الْفَضْبَ لَا يَزَالُ يَسْتَفْرِثُنِي بِمَوَادِّهِ ، فَيَرْدُنِي  
مِثْلَكَ بِحِلْمِهِ ، وَتِلْكَ عَادَةُ اللَّهِ عِنْدَنَا مِنْكَ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَقَدْ وَهَبْتَ  
حَقِّي مِنْ هَذَا الْقَمَارِ لِبَنِي إِسْرَافِيلَ<sup>(٦)</sup> ، فَلَيْتَ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَعُولُ<sup>(٧)</sup> بَارِئُ<sup>(٨)</sup> الْجَنَايَةِ ،  
وَلَمْ يَتَلَفْ مَالٌ أَفَادَ مَوْعِظَةً ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ . »

( الطرد الغربد ١ : ٢٧ ، وزمر الآداب ١ : ٢٢٢ )

### ١١٩ - استعطاف إسحاق بن العباس المأمون

وقال المأمون لإسحاق بن العباس : « لَا تَحْسَبْنِي أَغْفَلْتُ إِجْلَابَكَ مَعَ  
ابْنِ الْمَهْدِيِّ ، وَتَأْيِيدَكَ لِرَأْيِهِ ، وَإِقَادَكَ لِنَارِهِ ، قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَرَجِي  
أَمْسُ مِنْ أَرْحَامِهِمْ ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِأَخَوْتِهِ : « لَا تَنْزِيبَ<sup>(٩)</sup>  
عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » ، وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
أَحَقُّ وَارِثٍ لِهَذِهِ الْمِنَةِ ، وَتُمَثِّلُ<sup>(١٠)</sup> لِحِلَالِ الْغَفْوِ وَالْفَضْلِ . »

قال : هيهات ! تلك أجرام جاهلية ، غفا عنها الإسلام ، وجُرْمُكَ جَرَمٌ فِي  
إِسْلَامِكَ ، وَفِي دَارِ خِلَافَتِكَ . قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاللَّهِ لَلْمُسْلِمِ أَحَقُّ بِإِقَالَةِ

[١] أصلك . [٢] ضررك . [٣] إطاء . [٤] عيب وبقيس . [٥] مقر .

[٦] يزيد ويرجع . [٧] الأرض : الدية .

[٨] لا لوم . [٩] امتثل طريقته : تبعها فلم يهبطها .

المثرة، وغفران الزلة من الكافر، هذا كتاب الله بيني وبينك، يقول الله تعالى :  
 « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ  
 لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ  
 النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » فهي للناس يا أمير المؤمنين سنة دخل فيها  
 المسلم والكافر، والشريف والمشرؤف » قال : صدقت ، اجلس ، ورّيت بك  
 زنادي ، ولا برحت أرى من أهلك أمثالك .

( القند العريد ١ : ١٤٢ ، وزهر الآداب ٢ : ١٩٣ )

## ١٢٠ - أحد وجوه بغداد يمدح المأمون حين دخلها

لما دخل المأمون بغداد ، تلقّاه وجوه أهلها ، فقال له رجل منهم : « يا أمير  
 المؤمنين ، بارك الله لك في مقدّمك ، وزاد في نعمتك ، وشكرك عن رعتك ،  
 تقدّمت من قبلك ، وأتعبت من بعدك <sup>(١)</sup> ، وآيسّت أن يُعاني مثلك ، أمّا فيما  
 مضى فلا نعرفه ، وأمّا فيما بقي فلا نرجوه ، فنحن جميعاً ندعوك ، ونثنى  
 عليك ، خصّص لنا جنابك ، وعذب ثوابك ، وحسنت نظرتك ، وكرّمت  
 مقدّرتك ، جبرت الفقير ، وفككت الأسير ، فإنك يا أمير المؤمنين كما  
 قال الأول :

ما زلت في البذل والنوال وإطلاق لسانٍ يجرّمه غلق <sup>(٢)</sup>

حتى تمنّى البراء أنهم عندك أسرى في القيّد والحلق <sup>(٣)</sup>

( القند العريد ١ : ١٣٧ )

[١] إذ أنه يجهد أن يلحق بك فلا يستطيع . [٢] العاني : الأسير ، والعلق : أهله مع غلق  
 الرمن إذا استحقه الرمن ، وذلك إذا لم يتحكك في الوقت المعروط . [٣] البراء ككرام جمع برء .

## ١٢١ - أحد أهل الكوفة يمدح المأمون

وقدم وفد من الكوفة إلى بغداد ، فوقفوا للمأمون فأعرض عنهم ، فقال شيخ منهم : « يا أمير المؤمنين ، يذك أحق يد بتقيل ، لعلوها في المكارم ، وبُعْدُها من المآثم ، وأنت يوسف الغفور في قلة التريب ، مَنْ أَرَادَكَ بِسوء جعله الله حَصِيدَ سَيْفِكَ ، وَطَرِيدَ خَوْفِكَ ، وَذَلِيلَ دَوْلَتِكَ » ، فقال يا عمرو : نعم الخطيب خطيبهم ، اقض حوائجهم . (مروج الذهب ٢ : ٣١٩)

## ١٢٢ - محمد بن عبد الملك بن صالح بين يدي المأمون

ودخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض ضياعهم ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، محمد بن عبد الملك بين يديك ، ربيب دولتك ، وسليل نعمتك ، وَغُضْنُ من أغصان دَوْحَتِكَ <sup>(١)</sup> ، أتاؤن في الكلام ؟ قال : نعم ، قال : « أَسْتَمْنَحُ الله حَيَاةَ دِينِنَا وَدَيَانَا ، وَرِعَايَةَ أَدْنَانَا وَأَقْصَانَا بِقَائِكَ ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عَمْرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا ، وَفِي أَثَرِكَ مِنْ آثَارِنَا ، وَيَقِيكَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا ، هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِفَضْلِكَ ، الْمَهَارِبِ إِلَى كَذْفِكَ وَظُلْمِكَ ، الْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَتِكَ وَعَدْلِكَ » ، ثم تكلم في حاجته ، فقضاها . (القد الفرید ١ : ١٤٦)

## ١٢٣ - الحسن بن سهل يمدح المأمون

وقال الحسن بن سهل <sup>(٢)</sup> يوماً للمأمون :

« الحمد لله يا أمير المؤمنين على جزيل ما آتاك ، وَسَنِيَّ ما أعطاك ، إذ قَسَمَ لك الخلافة ، وَوَهَبَ لك معها الحُجَّةَ ، وَمَكَّنَكَ بالسلطان ، وَحَلَّاهُ لك بالعدل ،

[١] البوحة : الشجرة الطيبة .

[٢] وزير المأمون بعد أخيه الفضل بن سهل ، وتزوج لمأمون ابنته بوران ، وتوفي سنة ٢٣٦ هـ .

وَأَيْتُكَ بِالظَّفَرِ، وَشَفَعَهُ لَكَ بِالْعَفْوِ، وَأَوْجِبَ لَكَ السَّعَادَةَ، وَقَرَنَهَا بِالسِّيَادَةِ، فَمَنْ  
فُسِّحَ<sup>(١)</sup> لَهُ فِي مِثْلِ عَطِيَّةِ اللَّهِ لَكَ؟ أَمْ مَنْ أَلْبَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ زِينَةِ الْمَوَاهِبِ  
مَا أَلْبَسَكَ؟ أَمْ مَنْ تَرَادَفَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ تَرَادُفُهَا عَلَيْكَ؟ أَمْ هَلْ حَاوَلَهَا  
أَحَدٌ وَارْتَبَطَهَا بِعِثْلِ مَحَاوَلَتِكَ؟ أَمْ أَى حَاجَةٍ بَقِيَتْ لِرِعِيَّتِكَ لَمْ يَجِدْهَا عِنْدَكَ؟  
أَمْ أَى قِيَمٍ لِلإِسْلَامِ انْتَهَى إِلَى عَنَائِكَ وَدَرَجَتِكَ؟ تَعَالَى اللَّهُ تَعَالَى، مَا أَعْظَمَ  
مَا خَصَّ الْقُرْنَ الَّذِي أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ! أَى نِعْمَةٍ طَبَّقَتْ<sup>(٢)</sup> الْأَرْضُ  
بِكَ إِنْ أَذَى شُكْرُهَا إِلَى بَارِئِهَا وَالنِّعَمِ عَلَى الْعِبَادِ بِهَا؟ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ السَّمَاءَ  
فِي فَلَكِهَا ضِيَاءَ يُسْتَنِيرُ بِهَا جَمِيعَ الْخَلَائِقِ، فَكُلُّ جَوْهَرٍ زَاهٍ حَسَنُهُ وَنُورُهُ، فَهَلْ  
لَبَسَتْهُ زِينَتُهُ إِلَّا بِمَا اتَّصَلُ بِهِ مِنْ نُورِكَ؟ وَكَذَلِكَ كُلُّ وَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيَائِكَ، سَعِدَ  
بِأَفْعَالِهِ فِي دَوْلَتِكَ، وَحَسُنَتْ صَنَائِعُهُ عِنْدَ رِعِيَّتِكَ، فَإِنَّمَا نَالَهَا بِمَا أَيْدَتْهُ مِنْ  
رَأْيِكَ وَتَدْيِيرِكَ، وَأَسْعَدَتْهُ مِنْ حَسَنِكَ وَتَقْوِيمِكَ». (زهر الآداب ٣: ٢٠٠)

## ١٢٤ - يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ يَمْدَحُ الْمَأْمُونِ

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِيَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ<sup>(٣)</sup>: صِفْ لِي حَالِي عِنْدَ النَّاسِ، فَقَالَ:

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ انْقَادَتْ لَكَ الْأُمُورُ بِأَزِمَّتِهَا، وَمَلَكَتْكَ الْأُمَةُ فَضُولَ  
أَعْيُنِهَا، بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، وَالْحُبَّةِ لَكَ، وَالرَّفَقِ مِنْكَ، وَالْعِيَاذِ بِكَ، بِعَذْلِكَ فِيهِمْ،  
وَمِنْكَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى لَقَدْ أَنْسَيْتَهُمْ سَلَفَكَ، وَآيَسْتَهُمْ مِنْ خَلْفِكَ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ  
الَّذِي جَعَلْنَا بِكَ بَعْدَ التَّقَاطُعِ، وَرَفَعْنَا فِي دَوْلَتِكَ بَعْدَ التَّوَاضُعِ ».

[١] أى وسع. [٢] ملأت وسمت، والاستفهام للتعظيم.

[٣] من ولد أكثم بن صبيح التميمي، وكان فقيها عالما بالفقه بصيرا بالأحكام، وقد غلب على المأمون،  
حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جليلا، وقلده قضاء القضاة، وتدير أهل مملكته، فكانت الوزراء  
لا تعمل في تدبير الملك شيئا إلا بعد مطامعة يحيى بن أكثم، وتوفي سنة ٢٤٦ هـ، وعمره ٨٣ سنة.

فقال : يا يحيى ، أتُحْيِرُكُم أَمْ أَرْجُو أَلَا ؟ قال : قلت : وهل يمتنع فيك وصف ، أو  
يتعذر على مادحك قول ، أو يُفَحِّمُ فيك شاعر ، أو يتلجلج فيك خطيب ؟  
( الصناعتين ص ٤٠ )

## ١٢٥ — أحد بنى هاشم والمأمون

أذنب رجل من بنى هاشم ذنباً ، فَعَنَّفَهُ المأمون ، فقال :  
« يا أمير المؤمنين من كانت له مثلُ ذالتي ، وَلَيْسَ ثوبُ حُرْمَتِي ، وَمَتَّ  
يُمِثِّلُ قُرَابِي ، غُفِرَ له فوقَ زُلَّتِي » فَأعْجَبَ المأمونَ كَلَامُهُ وُصِفَ عنه .  
( الأملال ٢ : ١٣٦ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٩ )

## ١٢٦ — رجل يتظلم إلى المأمون

وتظلمَ رجل إلى المأمون من عامل له فقال :  
« يا أمير المؤمنين ، ما تَرَكْتُ لِي فِئْئَةً إِلَّا قَضَّيْتُهَا ، وَلَا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبْتُ بِهِ ،  
وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّمْتُهَا <sup>(١)</sup> ، وَلَا ضَيْمَةً إِلَّا أَضَاعْتُهَا ، وَلَا عِلْقًا <sup>(٢)</sup> إِلَّا عَلِقْتُه ، وَلَا عَرَصًا  
إِلَّا عَرَضْتُ له ، وَلَا مَاشِيَةً إِلَّا أَمَشْتُهَا <sup>(٣)</sup> ، وَلَا جَلِيلًا إِلَّا أَجْلَلْتُه ، وَلَا دَقِيقًا  
إِلَّا دَقَّقْتُه » ، فمَجِبَ من فصاحته وقضى حاجته . ( زهر الآداب ٢ : ١٣٧ )

## ١٢٧ — عمرو بن سعيد والمأمون

وقال عمرو بن سعيد بن سلم : كانت عليَّ قُوَّةٌ أَتَوُّبُهَا فِي حَرَسِ المأمونِ ،  
فَكُنْتُ فِي نَوْبِي لَيْلَةً ، فَخَرَجَ مُتَفَقِّدًا مَنَ حَضَرَ ، فَعَرَفْتُهُ وَلَمْ يَعْرِفْنِي ، فقال :  
من أنت ؟ قلت : عمرو ، عَمَرُكَ اللهُ ، ابنُ سعيد ، أَسْعَدَكَ اللهُ ، ابنُ سلم ، سَلَّمَكَ

[١] للرد احتيازها ، والأصل فيه غلة : أى وضع فى عقه أو يده الخلل ( بالضم ) وهو القيد .

[٢] اللقن : اللبس من كل شيء ، وعلقه ، وعلق به كفرح أجبه ، أو هو « علقه » مبدعاً مبدعاً

للجهول ، علق امرأة : رأى أحبا . [٣] امشيت ماقو الضرع : أخذ جيده .



الله ، فقال : أنت تَكَلُّوْنَا منذ الليلة ؟ قلت : الله يَكُلُّوك قَبْلِي ، وَهُوَ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فقال المأمون :

إِنْ أَخَاكَ الصَّدَقَ مَنْ بِسْمِي مَعَكَ      وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ  
وَمَنْ إِذَا صَرَفَ الزَّمَانَ صَدَعَكَ      بَدَّدَ شِمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ  
( زهر الآداب ٢ : ١٣٧ )

## ١٢٨ — الحسن بن رجاء والمأمون

ودخل المأمون بمض الدواوين ، فرأى غلامًا جميلًا على أذنه قَلَمٌ ، فقال : مَنْ أَنْتَ يَا غَلام ؟ فقال :

« أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، النَّاشِئُ فِي دَوْلَتِكَ ، الْمُتَقَلِّبُ فِي نِعْمَتِكَ ، الْمُؤَمِّلُ لخدمَتِكَ ، خَادِمُكَ وَابْنُ خَادِمِكَ : الْحَسَنُ بْنُ رَجَاءٍ » ، فقال : أَحَسَنْتَ يَا غَلامُ ، وَبِالْإِحْسَانِ فِي الْبَدِيهَةِ تَفَاضَلْتَ الْعُقُولُ ، وَأَمْرٌ بِرَفْعِ مَرْتَبَتِهِ .

( زهر الآداب ٢ : ١٧٣ )

## ١٢٩ — سعيد بن مسلم والمأمون

وقال سعيد بن مُسْلِمٍ بن قُتَيْبَةَ لِلْمَأْمُونِ :

« لَوْلَمْ أَشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا عَلَى حُسْنِ مَا أَبْلَانِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ قَصْدِهِ إِلَى بَحْدِيهِ ، وَإِشَارَتِهِ إِلَى بَطَرَتِهِ ، لَقَدْ كَانَ فِي ذَلِكَ أَعْظَمُ الرَّفْعَةِ ، وَأَرْفَعُ مَا تُوجِبُهُ الْحُرْمَةُ » .

فقال : « يَفْعَلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَجِدُ عِنْدَكَ مِنْ حُسْنِ الْإِفْهَامِ إِذَا حَدَّثْتَ ، وَحُسْنِ الْفَهْمِ إِذَا حَدَّثْتَ ، مَا لَمْ يَجِدْهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِمَّنْ

مضى ، ولا يظن أنه يحُدُّ عند أحدٍ مِّن بَقِي ، فإنك لَتَسْتَقْصِي حديثي ، وَتَقِفَ عند مَقاطعِ كلامي ، وَتُخْبِرَ بما كنتُ أَغْلُظُهُ مِنْهُ . ( زمر الآداب ١ : ١٧٢ )

### ١٣٠ - أبوزهمان يعظ سعيد بن مسلم

وقال سعيد بن مسلم : « كنت والياً بِأَرْمِينِيَّةَ ، فَفَتَرَ <sup>(١)</sup> أبوزهمان التَّلَاقِيَّ على بابي أياماً ، فلما وصل إلى مَثَلِ يَنْ يَدِي قَامَ مَيْنِ السَّمَاوِيْنَ <sup>(٢)</sup> وقال :  
« والله إني لأَعْرِفُ أَقْوَاماً لَوْ عَلِمُوا أَنَّ سَفَا التُّرَابِ يُقِيمُ مِنْ أَوْدٍ <sup>(٣)</sup> أَصْلَابَهُمْ ، لَجَمَلُوهُ مُسَكَّةً <sup>(٤)</sup> لازماً فِيهِمْ ، إِثَاراً لِلتَّنْزِهِ عَنْ عَيْشِ رَقِيقِ الْحَوَاشِي ، أَمَا وَاللَّهِ إني لَبَعِيدُ الْوَسْئَةِ ، بَطِيءُ الْعَطْفَةِ ، إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يَتَّقِنِي عَلَيْكَ إِلَّا مَثَلُ مَا يَصْرِفُنِي عَنْكَ ، وَلَأنَّ أَكُونَ مُقِلًّا مُقَرَّبًا ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُكْثِرًا مُبْتَدِّئًا ، وَاللَّهِ مَا نَسْأَلُ عَمَلًا لَا نَضْبِطُهُ ، وَلَا مَالًا إِلَّا نَحْنُ أَكْثَرُهُنَّ ، وَهَذَا الْأَمْرُ الَّذِي صَارَ إِلَيْكَ فِي يَدَيْكَ ، كَانَ فِي يَدِ غَيْرِكَ ، فَأَمْسَوْا وَاللَّهِ حَدِيثًا ، إِنْ خَيْرًا نَخِيرُهُ ، وَإِنْ شَرًّا فَتَشِرُّ ، فَتَجَبَّبْ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ بِحَسَنِ الْبَشَرِ ، وَلِيَنِ الْجَانِبِ ، فَإِنْ حُبَّ عِبَادِ اللَّهِ مَوْصُولٌ بِحُبِّ اللَّهِ ، وَبَنَظْمِهِمْ مَوْصُولٌ بِنَفْسِ اللَّهِ ، لِأَنَّهُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَرُقَبَاؤُهُ عَلَى مَنْ أَعْوَجَّ عَنْ سَبِيلِهِ . ( البيان والتبيين ٢ : ١٠٥ )

### ١٣١ - وصية طاهر بن الحسين

لابنه عبد الله لما ولَّاه المأمون الرِّقَّةَ ومصر وما بينهما <sup>(١)</sup> سنة ٢٠٦ هـ  
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَمَا بَعْدُ : فَمَلِكٌ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَخَشِيَّتِهِ وَمِرَاقَبَتِهِ وَمَزَالَتِهِ سَخَطُهُ وَحِفْظُ رِعْيَتِكَ ، وَالزَّمْ مَا أَلْبَسَكَ اللَّهُ مِنْ

[١] مَكْتُوبٌ . [٢] السَّمَاوِيْنَ مِنَ النَّاسِ : الْجَانِبَانِ ، يُقَالُ : مَعَى بَيْنِ السَّمَاوِيْنَ .

[٣] أَعْوَجَّ . [٤] السَّكَّةُ : مَا يَمْلِكُ الْأَيْدِي مِنَ الْغَنَاءِ وَالشَّرَابِ ، أَوْ مَا يَنْبَغِي بِهِ مِنْهَا .

[٥] أَهْبَتَا هَذَا الْكِتَابَ هَذَا لِأَنَّهُ فِي عِبَادِ الْوَصَالِ .

العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومستول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يعصك الله ، وينجيك يوم القيامة من عذابه ، وألم عقابه ، فإن الله قد أحسن إليك ، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وأزمتك المدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذب<sup>(١)</sup> عنهم ، والدفع عن حريمهم وَيَفْضَتَهُمْ<sup>(٢)</sup> ، والحقن لدمائهم ، والأمن لسبيلهم<sup>(٣)</sup> ، وإدخال الراحة عليهم في معاشهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك ، وموقفك عليه ، ومسائلك عنه ، ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ، ففرغ لذلك فِكْرَكَ وعقلك وبصرك ورؤيتك ، ولا يَذْهَبْكَ<sup>(٤)</sup> عنه ذاهل ، ولا يَشْغَلْكَ<sup>(٥)</sup> عنه شاغل ، فإنه رأس أمرك ، وملاك شأنك ، وأول ما يوقفك الله به لرشدك ، وليكن أول ما تلزم به نفسك ، وتنسب إليه فعالك ، المواظبة على ما اقترض الله عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سننهما ، في إسباغ<sup>(٦)</sup> الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتّل<sup>(٧)</sup> في قراءتك ، وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ، ولتصدق فيها لربك نيتك ، واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك ، وأدأب عليها فإنها كما قال الله : تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمثابرة على خلافته ، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده ، وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة<sup>(٨)</sup> الله وتقواه ، ولزوم ما أنزل الله في كتابه

[١] الدفع . [٢] البيضة : حوزة كل شيء .

[٣] وفي مقدمة ابن خلدون : لسربهم ، والسرب : النفس . [٤] ذهلت عن الشيء ( كفتح ) غفلت وقد يصعد بنفسه . فيقال ذهنت ، والأكثر أن يصعد بالهزة ، فيقال : أذهلت فلان عن الشيء .

[٥] شغله من باب فتح وأشمله لمة جيدة أو قليلة أو رديئة . [٦] أسبغ الوضوء : وفي كل عضو حقه .

[٧] تمهل ولا تعجل . [٨] استخار الله : طلب منه الخيرة .

من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، وإثم ما جاءت به الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قم فيه بما يحق لله عليك ، ولا تمل عن العدل فيما أحيت أو كرهت ، لقريب من الناس أو بعيد ، وآثر الفقه وأهله ، والدين وحملته ، وكتاب الله والماملين به ، فإن أفضل ما ترين به المرء الفقه في دين الله ، والطلب له ، والحث عليه ، والمعرفة بما يتقرب به إلى الله ، فإنه الدليل على الخير كله ، والقائد له ، والآمر به ، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها ، وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله عز وجل ، وإجلالا له ، ودَرَكا للدرجات العُلا في المعاد ، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمره ، والهيبة لسلطانك ، والأنسة بك ، والثقة بمدلك ، وعليك بالاعتقاد في الأمور كلها ، فليس شيء أئين نفعا ، ولا أحضر أمنا ، ولا أجمع فضلا من التقصد ، والتقصد داعية إلى الرشد ، والرشد دليل على التوفيق ، والتوفيق قائد إلى السعادة ، وقوام الدين والسنن الهادية بالاعتقاد ، فأثره في دنياك كلها ، ولا تقصّر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة ، والسنن المروفة ، ومعالج الرشد ، فلا غاية للاستكثار من البر والسمي له ، إذا كان يُطلب به وجه الله ومَرْضَاتُه ، ومرافقة أوليائه في دار كرامته ، واعلم أن القصد في شأن الدنيا يُورث العز ويحصن من الذنوب ، وإنك لن تحوِط<sup>(١)</sup> نفسك ومن يليك ، ولا تستصلح أمورك بأفضل منه ، فأتِه واحتد به تتم أمورك ، وترد مقدرتك ، وتصلح خاصتك وعامتك ، وأحسن الظن بالله عز وجل تستقم لك رعيته ، والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها ، تستدِم به النعمة عليك ، ولا تتهمن أحدا من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره ،

فإن إيقاع النهم بالبرآء، والظنون السيئة بهم مأثم، واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك، واطرد عنك سوء الظن بهم، وارفضه فيهم، يُعينك ذلك على اصطاعتهم<sup>(١)</sup> ورياضتهم، ولا يحدنَّ عدو الله الشيطانُ في أمرِكَ مَفْخَرًا، فإنه إنما يكتفى بالقليل من وهَنِكَ<sup>(٢)</sup>، فيُدخل عليك من الذم في سوء الظن ما ينقصك لَذَاذَةَ عيشك، واعلم أنك تجد بحسنِ الظن قوةً وراحة، وتُكفَى به ما أحبت كفايته من أموركَ، وتدعوبه الناس إلى محبتك، والاستقامة في الأمور كلها لك، ولا ينعكسُ حسنُ الظن بأصحابك والرافة برعيتك، أن تستعمل المسألة والبحث عن أموركَ، والمباشرة لأُمور الأولياء، والحياطة للرعية، والنظر فيما يُثمينها وَيُصْلِحُها، بل لتكن المباشرة لأُمور الأولياء، والحياطة للرعية، والنظر في حوائجهم وَحَمْلُ مَثَوْناتهم، آثَرَ عندك مما سوى ذلك، فإنه أفومُ للدين، وأحيا للسنة، وأخلص نيتك في جميع هذا، وتقرّد بتقويم نفسك تقرّد من يعلم أنه مسئول عما صنع، ومجزى بما أحسن، ومأخوذ بما أساء، فإن الله جعل الدين حِرْزًا وَعِزًّا، ورفع من اتبعه وعزّزه، فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى، وأقيم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه، ولا تعطل ذلك ولا تتهاون به، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة، فإن في تفریطك في ذلك كما يُفسد عليك حسن ظنك، واعزم على أمرِكَ في ذلك بالسنن المعروفة، وجانب الشبهة والبِدعات، يَسَلِّمْ لك دينك، وتقم لك مرء وتك، وإذا عاهدت عهداً فَبِ به، وإذا وعدت

[١] اصطانتك لنفسى: اخترتك لحاجة أمر أستطيعك إياه.

[٢] الوهن بسكون الهاء وفتحها: الضعف.

الخير فَأَنْجِزْهُ ، واقبل الحسنة وادفع بها ، وَأَغْمِضْ عن عيب كل ذى عيب من  
 رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وَأَبْغِضْ أهله ، وَأَقْصِ  
 أهل النيمة ، فَإِنْ أُولَ فساد أُمِرْكَ فى عاجل الأمور وآجلها تقرب الكذوب  
 والجُرْأَةُ على الكذب ، لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنيمة خاتمتها ، لأن  
 النيمة لا يسلم صاحبها ، وقائلها لا يسلم له صاحب ، ولا يستقيم لطيعها أمر ،  
 وأحب أهل الصدق والصلاح ، وأعز الأشراف بالحق ، وواصل الضعفاء ، وصل  
 الرحم ، واجتنب سوء الأهواء والجَوْر ، واصرف عنهما رأيك ، وأظهر براءتك من ذلك  
 لرعيتك ، وأنعم بالعدل فى سياستهم ، وقم بالحق فيهم ، وبالمعرفة التى تنتهى بك  
 إلى سبيل الهدى ، وانكفِ نفسك عند المنصب ، وآثر الوقار والحلم ، وإياك  
 والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله ، وإياك أن تقول : إني مُسَلِّطٌ أَفْعَلُ  
 ما أشاء ، فَإِنْ ذلك سريع بك إلى قصص الرأى ، وقلة اليقين بالله وحده  
 لا شريك له ، وأخلص لله النية فيه واليقين به ، واعلم أن الملك لله ،  
 يُعْطِيهِ من يشاء ، وينزعهُ من يشاء ، ولن تجد تغير النعمة وحلول النعمة إلى  
 أحد ، أسرع منه إلى حَمَلَةِ النعمة من أصحاب السلطان ، والمبسوط لهم فى الدولة ،  
 إذا كفروا بنعم الله وإحسانه ، واستطالوا بما آتاهم الله من فضله ، ودع عنك  
 شره نفسك ، وتكن ذخائرك وكنوزك التى تَدَّخِر وتكثير البر والتقوى والمعدلة ،  
 واستصلاح الرعية وصحارة بلادهم ، والتفقد لأموالهم والحفظ لِدَنَمَائِهِمْ <sup>(١)</sup> والإفائة  
 للمهوضم ، واعلم أن الأموال إذا كثرت وذُخِرَتْ فى الخزائن لا تُقْشِر ، وإذا

كَانَتْ فِي إِصْلَاحِ الرِّعْيَةِ وَإِعْطَاءِ حَقُوقِهِمْ ، وَكَفِّ الثُّلُوثَةِ عَنْهُمْ ، نَمَتْ وَرَبَّتْ  
وَصَلَحَتْ بِهِ الْعَامَّةُ ، وَتَزِينَتْ بِهِ الْوَلَاةُ ، وَطَابَ بِهِ الزَّمَانُ ، وَاعْتَقِدَ فِيهِ الْعِزُّ  
وَالنِّعْمَةُ ، فَلْيَكُنْ كَنْزُ خَزَائِنِكَ تَقْرِيقَ الْأَمْوَالِ فِي عِمَارَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَوَفَّرْ  
مِنْهُ عَلَى أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قِبَلَكَ حَقُوقَهُمْ ، وَأَوْفِ رِعْيَتِكَ مِنْ ذَلِكَ حِصَصَهُمْ ،  
وَتَمَهَّدْ مَا يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ وَمَعَاشَهُمْ ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَرَّتِ النِّعْمَةُ عَلَيْكَ ،  
وَاسْتَوْجِبْتَ الْمَزِيدَ مِنَ اللَّهِ ، وَكُنْتَ بِذَلِكَ عَلَى جَبَايَةِ خَرَاجِكَ ، وَجَمْعِ أَمْوَالِ  
رِعْيَتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرُ ، وَكَانَ الْجَمْعُ لِمَا شَمِلَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْلَسَ  
لِطَاعَتِهِمْ ، وَأَطِيبَ نَفْسًا لِكُلِّ مَا أُرِدْتَ ، فَاجْهَدْ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَدْتَ لَكَ فِي  
هَذَا الْبَابِ ، وَلْتَعَظُمَ حِسْبَتُكَ فِيهِ ، فَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ مَا أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ حَقِّهِ ،  
وَاعْرِفْ لِلشَّاكِرِينَ شُكْرَهُمْ وَأَتْبِعْهُمْ عَلَيْهِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُنْسِيكَ الدُّنْيَا وَغُرُورَهَا  
هَوْلَ الْآخِرَةِ ، فَتَهَاوَنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ التَّهَاوُنَ يَوْجِبُ التَّفْرِيطَ ، وَالتَّفْرِيطَ  
يُورِثُ الْبُورَ ، وَلِيَكُنْ عَمَلُكَ لِلَّهِ وَفِيهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَارْجُ الثَّوَابَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ  
أَسْبَغَ عَلَيْكَ نِعْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَأَظْهَرَ لَدَيْكَ فَضْلَهُ ، فَاعْتَصِمِ بِالشُّكْرِ ، وَعَلَيْهِ  
فَاعْتَمِدْ ، يَزِدُّكَ اللَّهُ خَيْرًا وَإِحْسَانًا ، فَإِنَّ اللَّهَ يُثِيبُ بِقَدْرِ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ ، وَسِيرَةِ  
الْمُحْسِنِينَ ، وَقَضَى الْحَقَّ فِيمَا حَمَلَ مِنَ النِّعَمِ ، وَأَلْبَسَ مِنَ الْعَافِيَةِ وَالْكَرَامَةِ ، وَلَا  
تَحْقِرَنَّ ذَنْبًا ، وَلَا تَمْلَأَنَّ حَاسِدًا ، وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا ، وَلَا تَصِلَنَّ كُفُورًا ، وَلَا  
تَدَاهِنَنَّ عَدُوًّا ، وَلَا تَصْدَقَنَّ نَمَامًا ، وَلَا تَأْمَنَنَّ غَدَارًا ، وَلَا تَوَالِيَنَّ فَاسِقًا ، وَلَا  
تَتَّبِعَنَّ غَاوِيًا ، وَلَا تَحْمَدَنَّ مُرَائِيًا ، وَلَا تَحْقِرَنَّ إِنْسَانًا ، وَلَا تَرُدَّنَّ سَائِلًا فَقِيرًا ، وَلَا  
تَجْمِينَ <sup>(١)</sup> بَاطِلًا ، وَلَا تَلَا حِظْنَ مُضْحَكًا ، وَلَا تُخْلِفَنَّ وَعْدًا ، وَلَا تَرْهَوْنَ نَفَرًا ،

ولا تُظهِرن غضباً ، ولا تأتين بدخاً <sup>(١)</sup> ، ولا تمشين مَرَحاً ، ولا تركبن سَفَهًا <sup>(٢)</sup> ، ولا تقرطن في طلب الآخرة ، ولا ترفع للنمام عيناً ، ولا تُنمِضن عن الظالم رهبة منه أو غفافة ، ولا تطلبن ثواب الآخرة بالدنيا ، وأكثِرْ مشاورة الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب ، وذوى العقل والرأى والحكمة ، ولا تُدْخِلن في مشورتك أهل الدقة <sup>(٣)</sup> والبخل ، ولا تسمعن لهم قولاً ، فإن ضررهم أكثر من منفعتهم ، وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت في أمر رعيتك من الشُّعْ ، واعلم أنك إذا كنت حريصاً كنت كثير الأخذ قليل العطية ، وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلاً ، فإن رعيتك إنما تستقد على عبتك ، بالكف عن أموالهم وترك الجور عنهم ، ويدوم صفاء أوليائك لك ، بالإفضال عليهم وحسن العطية لهم ، فاجتنب الشُّعْ ، واعلم أنه أول ماعصى به الإنسان ربه ، وأن العاصي بمنزلة خزي ، وهو قول الله عز وجل : « وَمَنْ يُوقِ شُوعَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ، فسهّل طريق الجود بالحق ، واجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظاً ونصيباً ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فأعِدْهُ لنفسك خُلُقًا ، وارضَ به عملاً ومذهباً ، وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبتهم ، وأذِرْ عليهم أرزاقهم ، ووسّع عليهم في معاشهم ، ليذهب بذلك الله فاتحهم ، ويقوم لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصاً وانسراحاً ، وحسبُ ذى سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمةً في عدله ، وحِيطَةً <sup>(٤)</sup> وإنصافه ، وعنايته وشفقته ، وبره

[١] البغى : الكبر . [٢] وفي اللقمة : « ولا تركبن سفياً » .

[٣] وفي اللقمة : « أهل الرِّثَّة » . [٤] في اللقمة : « وعطيته » .



وتوسعته ، فزایل مكرورة أحد البابين باستشعار تكلمة الباب الآخر ، ولزوم العمل به ، تلقَ إن شاء الله نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً ، واعلم أن القضاء من الله بالمكان الذي ليس به شيء من الأمور ، لأنه ميزان الله الذي يستدل عليه الأحوال في الأرض ، وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح الرعية ، وتأمين السبل ، وينتصف المظلوم ، ويأخذ الناس حقوقهم ، وتحسن الميشة ، ويؤدى حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجري السنن والشرائع ، وعلى مجاريها يتنجز الحق والعدل في القضاء ، واشتد في أمر الله ، وتورع عن النطف <sup>(١)</sup> ، وامض لإقامة الحدود ، وأفلل المجلة ، وابعد من الضجر والقلق ، واقنع بالقسم ، ولتسكن ريحك ، ويقر جدك ، واتفع بتجربتك ، وانتبه في صمتك ، واسدّد <sup>(٢)</sup> في منطقك ، وأنصف الحضم ، وقف عند الشبهة ، وأبلغ في الحجة ، ولا يأخذك في أحد من رعيك محابة ولا محاماة <sup>(٣)</sup> ولا لوم لأم ، وتثبت وتأن وراقب ، وانظر وتدبر ، وتفكر واعتبر ، وتواضع لربك ، وارأف <sup>(٤)</sup> بجميع الرعية ، وسلط الحق على نفسك ، ولا تسرعن إلى سفك دم ( فإن الدماء من الله بمكان عظيم ) انتها كألها بغير حقها ، وانظر هذا الخراج الذى قد استقامت عليه الرعية ، وجعله الله للإسلام عزاً ورفعة ، ولأهله سمة ومنعة ، ولعدوه وعدوم كبتاً <sup>(٥)</sup> وغيظاً ، ولأهل الكفر من معاديبهم ذلاً وصغاراً ، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ، ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه ، ولا عن غني لغناه ، ولا عن كاتب لك ، ولا أحد من خاصتك ، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال

[١] النطف : اللب والشر والساد . [٢] سدّد كضرب : صار سديداً .

[٣] ورد المقمة : « ولا جملة » . [٤] من باب كرم وقطع وطرب .

[٥] كبته : صرعه وأخزاه ، ورد العدو ببيظه وأذله .

له ، ولا تَكَلِّفْنِ أَمْرًا فِيهِ شَطَطٌ ، واجعل الناس كلهم عَلَى مَرِّ الْحَقِّ ، فَإِنْ ذَلِكَ أَجْمَعُ لَأَقْتَهُمْ ، وَأُزِمَ لِرِضَا الْعَامَةِ ، واعلم أَنَّكَ جُعِلْتَ بَوْلَايَتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتِكَ ، لِأَنَّكَ رَاعِيَهُمْ وَفَيْمُهُمْ ، تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ عَفْوٍ وَمَقْدَرَتِهِمْ ، وَتَنْفِقُهُ فِي قِيَامِ أَرْحَمِ وَصْلَاهُمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدَمِ ، فَاسْتَعْمِلْ عَلَيْهِمْ فِي كَوْنِ عَمَلِكَ ذَوِي الرَّأْيِ وَالتَّيْدِيرِ وَالتَّجَرِبَةِ وَالْخُبْرَةِ بِالْعَمَلِ ، وَالْعِلْمِ بِالسِّيَاسَةِ وَالْمَغَافِ ، وَوَسَّعْ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ ، فَإِنْ ذَلِكَ مِنَ الْحَقُوقِ الْإِلَازِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقَلَّدْتَ وَأُسْنِدَ إِلَيْكَ ، وَلَا يَشْمَلَنَّكَ عَنْهُ شَاغِلٌ ، وَلَا يَصْرَفَنَّكَ عَنْهُ صَارِفٌ ، فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقَمْتَ فِيهِ بِالْوَاجِبِ ، اسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ وَحَسَنَ الْأَحْدُوثِ فِي عَمَلِكَ ، وَاحْتَرَزْتَ النَّصَحَةَ مِنْ رَعِيَّتِكَ ، وَأَعْنَيْتَ عَلَى الصَّلَاحِ ، فَدَرَّتْ الْخَيْرَاتُ يِلْدَكَ ، وَفَشَتْ الْعِمَارَةُ بِنَاحِيَّتِكَ ، وَظَهَرَ الْخِصْبُ فِي كَوْنِكَ ، فَكُنْ خَرَّاجًا ، وَتَوَفَّرَ أَمْوَالُكَ ، وَقَوِيَ بِذَلِكَ عَلَى ارْتِبَاطِ جَنْدِكَ ، وَإِرْضَاءِ الْعَامَةِ بِإِفَاضَةِ الْعَطَاءِ فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ ، وَكَانَتْ مَحْمُودِ السِّيَاسَةِ ، مَرْضَى الْعَدَلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ ، وَكَانَتْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ذَا عَدَلٍ وَقُوَّةٍ وَآلَةٌ وَعُدَّةٌ ، فَنَافِسَ فِي هَذَا وَلَا تَقْدِمْ عَلَيْهِ شَيْئًا ، تَحْمَدُ مَنِّبَةَ أَمْرِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَاجْعَلْ فِي كُلِّ كَوْرَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَالِكَ ، وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِيرَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ، حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ حَامِلٍ فِي عَمَلِهِ ، مُعَايِنٌ لِأَمْرِهِ كُلِّهِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَ بِأَمْرٍ ، فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ ، وَرَجُوتَ فِيهِ حَسَنَ الدِّفَاعِ وَالنَّصِصِ وَالصَّنْعِ فَأَمُضِهِ ، وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ ، وَارْجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ ، ثُمَّ خُذْ فِيهِ عُذَّتَهُ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرٍ مِنْ أَمْرِهِ قَدْ وَاتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَقَوَّاهُ <sup>(١)</sup> ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ

أهلكه وتقض عليه أمره ، فاستعمل الحزم في كل ما أردت ، وبأشده بعد عون الله بالقوة ، وأكثر استخارة ربك في جميع أمورك ، وافترغ من عمل يومك ، ولا تؤخره لعدك ، وأكثر مباشرة بنفسك ، فإن لعد أموراً وحوادث تُلْهِيك عن عمل يومك الذي أخرت ، واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، فإذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين ، فَشَغَلَكَ ذلك حتى تُعْرض عنه ، فإذا أمضيت لكل يوم عمله أُرْحَتَ نفسك وبدنك ، وأحكمت أمور سلطانك ، وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طويتهم ، وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك ، فاستخلصهم وأحسن إليهم ، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل مئونتهم ، وأصلح حالهم ، حتى لا يجدوا خللتهم <sup>(١)</sup> مَسًّا ، وأفرد نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظلمته إليك ، والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أخفى مسألة ، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ، وثرم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك ، لتنظر فيها بما يُصلح الله به أمرهم ، وتعاهد ذوى البأساء ويتامام وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال ، اقتداء بأمير المؤمنين - أعزه الله - في العطف عليهم والصلة لهم ، ليُصلح الله بذلك عيشتهم ، ويرزقك به بركة وزيادة ، وأَجِرِ للأضراء من بيت المال ، وَقَدِّم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجراية <sup>(٢)</sup> على غيرهم ، وانصب لمرضى المسلمين دُوراً تؤويهم ، وقوَّاماً يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، وأسقفهم بشهواتهم ، ما لم يؤدِّ ذلك إلى سرف في بيت المال ، واعلم أن الناس

إذا أعطوا حقوقهم وأفضلَ أمانيتهم ، لم يُرضهم ذلك ، ولم تُلبِ أقتسهم دون رفع حوائجهم إلى ذلاتهم ، طمعاً في نيل الزيادة وفضل الرفق منهم ، وربما برّم<sup>(١)</sup> المتصفح لأموال الناس ، لكثرة ما يرد عليه ، ويشغل فكره وذمته منها ما يناله به مؤنة ومشقة ، وليس من يرغب في المدل ، ويعرف محاسن أموره في العاجل ، وفضل ثواب الآجل ، كالذي يستقبل ما يقربه إلى الله ، ويلتمس رحمته به ، وأكثر الإذن للناس عليك ، وأبرز لهم وجهك ، وسكن لهم أحراسك ، واخفِض لهم جناحك ، وأظهر لهم بشرك ، ولين لهم في المسألة والمنطق ، واغطف عليهم بحودك وفضلك ، وإذا أعطيت فأعط بسماحة وطيب نفس ، والتمس الصليحة والأجر غير مكدر ولا متان ، فإن العطية على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله ، واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى من قبلك من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والأمم البائدة ، ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله ، والوقوف عند محبته ، والعمل بشريته وسنته ، وإقامة دينه وكتابه ، واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا إلى سخط الله ، واعرف ما تجمع ممالك من الأموال ، وما ينفقون منها ، ولا تجمع حراماً ، ولا تُنفق إسرافاً ، وأكثر عجاسة العلماء ومشاورتهم وغالطتهم ، وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها ، وإثارة مكارم الأمور ومعالها ، وليكن أكرم دُخلائك وخاصتك عليك ، من إذا رأى عيباً فيك لم يمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في سر ، وإعلامك ما فيه من النقص ، فإن أولئك أنصح أوليائك ، ومظاهريك لك . وانظر ممالك الدين بحضرتك وكتابك ، فوقت لكل رجل منهم في كل يوم

وقتاً يدخل عليك فيه ، بكتبه ومؤامره وما عنده من حوائج عمالك ، وأمر كورك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمك وبصرك وفهمك وعقلك ، وكرّر النظر إليه والتدبير له ، فما كان موافقاً للحزم والحق فأمنه ، واستخبر الله فيه ، وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه والمسأله عنه ، ولا تمنّ على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه إليهم ، ولا تقبل من أخدمهم إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين ، ولا تضعن المعروف إلا على ذلك ، وتفهم كتابي إليك ، وأكثر النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله على جميع أمورك واستخبره ، فإن الله مع الصلاح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك وأفضل رعيتك ، ما كان لله رضا ، ولدينه نظاماً ، ولأهله عزاً وتمكيناً ، وللذمة والملة عدلاً وصلاحاً ، وأنا أسأل الله أن يصلح عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءك ، وأن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك ، حتى يملك أفضل أمثالك نصيباً ، وأوفر حظاً ، وأسنام ذكراً وأمرأ ، وأن يهلك عدوك ومن ناوأك وبغى عليك ، ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز الشيطان عنك ووساوسه ، حتى يستعلى أمرك بالعز والقوة والتوفيق ، إنه قريب محيب .

وذكروا أن طاهراً لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد ، تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه ، وشاع أمره حتى بلغ المأمون ، فدعا به وقرأ عليه ، فقال : ما بقى أبو الطيب (يعنى طاهراً) شيئاً من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى والسياسة ، وإصلاح الملك والرعية ، وحفظ البيضة ، وطاعة الخلفاء ، وتقويم

الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به وتقدم ، وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال في نواحي الأعمال .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٢٥٨ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٣٣٩ )

### ١٣٢ - خطبة عبد الله بن طاهر

خطب عبد الله بن طاهر الناس ، وقد تيسر لقتال الخوارج <sup>(١)</sup> فقال :  
« إنكم فئة الله ، المجاهدون عن حقه ، الذابون عن دينه ، الذائدون عن محارمه ،  
الداعون إلى ما أمر به ، من الاعتصام بحبله ، والطاعة لولاه أمره ، الذين جعلهم  
رعاة الدين ، ونظام <sup>(٢)</sup> المسلمين ، فاستنجزوا موعود الله ونصره ، بمجاهدة عدوه ،  
وأهل معصيته ، الذين أشيروا <sup>(٣)</sup> وتمردوا ، وشقوا المصا ، وفارقوا الجماعة ، ومرقوا  
من الدين ، وسمّوا في الأرض فساداً ، فإنه يقول تبارك وتعالى : « إِنْ تَنْصُرُوا  
اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » ، فليكن الصبر معقلكم الذي إليه تلجئون <sup>(٤)</sup> ،  
وعُدَّتكم التي بها تستظherون ، فإنه الوزر المنيع ، الذي دلّم الله عليه ، والجنة <sup>(٥)</sup>  
الحصينة التي أمركم الله بلباسها ، غُضُّوا أبصاركم ، وأخفّوا أصواتكم في مصافكم ،  
وأمضوا قدماً على بصائركم ، فارغبوا إلى ذكر الله ، والاستعانة به كما أمركم الله ،

[١] الوارد في كتاب « الفرق بين الفرق » أن للأمن بن طاهر بن الحسين قتال حمزة بن أكرم  
- مكنا فيه ، وفي الليل والجل حمزة بن أدرك بالذل - وهو زعيم مركة الحزبية إحدى فرق الخوارج  
الجمادية ، وقد عاش في سحستان وخراسان ومكران وقوهستان وكرمان ، وهزم الجيوش الكثيرة ،  
وكان ظهوره في أيام هرون الرشيد سنة ١٧٩ ، وفي الناس في ثقته إلى أن مضى صدر من أهم خلافة  
للأمن ، فلما تمكن للأمن من الخلافة كتب إليه كتاباً استدعاه فيه إلى طاعته ، فما ازداد إلا هتواً ،  
فبعث قتاله طاهر بن الحسين ، فقاتلته بينه وبين حمزة حروب قتل فيها من الفريقين بمقدار ثلاثين ألفاً ،  
أكثرهم من أتباع حمزة ، وانزح حمزة إلى كرمان ، ثم استدعى للأمن طاهر من خراسان ، فطع فيها  
حمزة ، وأقبل بجيشه من كرمان ، فخرج إليه عبد الرحمن التيسابوري في عشرين ألفاً فهزموه ، وقتلوا  
الأوف من أصحابه ، واهلت منهم حمزة جريحاً ، ومات في مرضه - انظر ص ٧٩ - .

[٢] النظام : السك ينظم فيه ، وملاك الأمر . [٣] بطروا .

[٤] للجبأ والمصم ، وكذا الوزر . [٥] كل ما بقي .

فإنه يقول: «إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَابْتُتُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»  
أيدكم الله بعز الصبر، وَلِيَكُم بِالْحَيَاةِ وَالنَّصْرِ. (العنكبوت ٢: ١٥٥)

١٣٣ - العباس بن المأمون والمعتمد (المتوفى سنة ٢٢٧ هـ)

قال العباس بن المأمون: لما أفضت الخلافة إلى المعتمد دخلت، فقال:  
هذا مجلس كنت أكرمه الناس للجلسى فيه، فقلت: «يا أمير المؤمنين، أنت  
تعفو عما تيقنته، فكيف تعاوب على ما توهمت؟»، فقال: لو أردت عقابك،  
لتركت عتابك». (زهر الآداب ٣: ٩١)

١٣٤ - استعطاف تميم بن جميل للمعتمد

كَانَ تَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ السَّدُوسِيُّ قَدْ خَرَجَ بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ  
مِنَ الْأَعْرَابِ، فَعَظُمَ أَمْرُهُ، وَبَعُدَ ذِكْرُهُ، فَكَتَبَ الْمَعْتَمِدُ إِلَى مَالِكِ بْنِ طَوَاقٍ  
فِي النَّهْوِ إِلَى إِلَيْهِ، فَبَدَّدَ جَمْعَهُ، فَظَفَّرَ بِهِ، فَحَمَلَهُ مُوثَقًا إِلَى الْمَعْتَمِدِ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ  
أَبِي دُوَادٍ: مَا رَأَيْنَا رَجُلًا عَيْنَ الْمَوْتِ، فَهَاهُنَا، وَلَا أَذْهَلَهُ عَمَّا كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ  
أَنْ يَفْعَلَ إِلَّا تَمِيمَ بْنَ جَمِيلٍ، فَإِنَّهُ أَوْفَى بِهِ الرَّسُولُ بَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَعْتَمِدِ، فِي  
يَوْمِ الْمَوَكِبِ، حِينَ يَجْلِسُ لِلْعَامَةِ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، دَعَا بِالنَّطْعِ<sup>(١)</sup>  
وَالسِّيفِ فَأَخْضَرَا، فَجَلَسَ تَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا وَلَا يَقُولُ شَيْئًا، وَجَعَلَ  
الْمَعْتَمِدُ يَصْعَدُ النَّظَرَ فِيهِ وَيَصُوبُهُ، وَكَانَ جَسِيمًا وَسِيمًا<sup>(٢)</sup>، وَرَأَى أَنْ يَسْتَنْطِقَهُ  
لِيَنْظُرَ أَيْنَ جَنَائِهِ وَلِسَانُهُ مِنْ مَنْظَرِهِ، فَقَالَ: يَا تَمِيمُ إِنْ كَانَ لَكَ عَذْرُ فَأْتِ بِهِ،  
أَوْ حُجَّةٌ فَأُدْلِ بِهَا، فَقَالَ: أَمَّا إِذَا قَدْ أَذِنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنِي أَقُولُ:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ،

ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، جَبَرَ بِكَ صَدْعَ الدِّينِ ، وَلَمْ يَكْ شَعَثَ  
المسلمين ، وأوضع بك سُبُلَ الْحَقِّ ، وَأَخَذَ بِكَ شِهَابَ الْبَاطِلِ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
إِنَّ الذُّنُوبَ تُخْرِسُ الْأَلْسِنَةَ الْفَصِيحَةَ ، وَتُغْمِي الْأَفْئِدَةَ الصَّحِيحَةَ ، وَلَقَدْ عَظُمَتِ  
الْجَرِيرَةُ ، وَانْقَطَعَتِ الْحُجَّةُ ، وَكَبُرَ الذَّنْبُ ، وَسَاءَ الظَّنُّ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَفْوُكَ أَوْ  
اتِّقَاؤُكَ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَقْرَبَهُمَا مِنِّي ، وَأَسْرَعُهُمَا إِلَيَّ ، أَوْلَاهُمَا بِامْتِنَانِكَ ،  
وَأَشَبَّهُمَا بِخِلَافَتِكَ ، ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنَّطْعِ كَأَمَّا  
وَأَكْبَرُ ضَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي  
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُدْلِي بِسُذُرٍ وَحُجَّةٍ  
يَعِزُّ عَلَى الْأَوْسِيِّ بْنِ تَغْلِبٍ مَوْفِقُ  
وَمَا جَزَعَنِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَلِمَانِي  
وَلَكِنْ خَلَقَ صَبِيئَةً قَدْ تَرَكْتَهُمْ  
كَأَنِّي أَرَامُ حِينَ أَنْتَ إِلَيْهِمْ  
فَإِنْ عَشْتُ عَاشُوا خَافِضِينَ بِغِيْطَةٍ  
فَكَمْ قَاتِلِي لَا يَتَّبِعِدُ اللَّهُ رُوحَهُ  
فَتَبَسُّمُ الْمُقْتَصِمِ وَقَالَ : « كَادَ وَاللَّهِ بِأَتَعِمَّ أَنْ يَسْبِقَ السِّيفُ الْعَدْلَ » (١) ، أَذْهَبَ

[١] مَسْلُوبٌ . [٢] غَضَبُهُ كَسَفَ وَضَرْبُ خَدِّهِ وَلَطْفُهُ وَغَرِيْبُهُ . [٣] كَثُرَ فِيهِمُ الْمَوْتُ .  
[٤] الْعَدْلُ كَقِسِّ وَجِبِ : الْقَوْمُ ، وَهُوَ مِثْلُ ، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ حَبِيبَةُ بْنُ أَدَّ بْنِ طَابِغَةَ ، وَكَانَ لَهُ ابْنَانِ  
يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا سَمِدٌ ، وَلِلْآخَرِ سَعِيدٌ ، فَتَرَتِ لَيْلُ لُصْبَةٍ تَحْتَ اللَّيْلِ ، فَوَجَّهَ ابْنَهُ فِي طَلَبِهَا فَتَقَرَّعَا ، فَوَجَدَهَا  
سَمِدَ فَرَدَّاهَا ، وَفَضَى سَعِيدٌ فِي طَلَبِهَا ، فَتَلَقَى الْمَرْثُ بْنُ كَعْبٍ ، وَكَانَ عَلَى النَّعْلَامِ بَرْدَانِ ، فَسَأَلَهُ الْمَرْثُ إِيَّاهَا  
فَأَبَى عَلَيْهِ فَقَتَلَ وَأَخَذَ بَرْدِيَهُ ، فَكَانَ ضَبَّةٌ إِذَا أَسَى فَرَأَى تَحْتَ اللَّيْلِ سَوَادًا . قَالَ : أَسَمِدٌ أَمْ سَعِيدٌ ؟  
فَكَتَبَ ضَبَّةً بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ ، ثُمَّ إِذَا حُجَّ نَوَالِي عَصَاكَ ، فَتَقَى بِهَا الْمَرْثُ بْنُ كَعْبٍ ، وَرَأَى عَلَيْهِ



فقد غفرت لك الصبوة<sup>(١)</sup> ، وَوَهَبْتُكَ لِلصَّبِيَّةِ ، ثم أمر بفك ثوبه وخلع عليه ، وعقد له بشاطئ الفرات . ( القدر الفريد ١ : ١٤٥ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٩ )

### ١٣٥ — بين يدي سليمان بن وهب وزير المهدي بالله

ولما ولى المهدي بالله<sup>(٢)</sup> بن الواثق بن المعتصم سليمان بن وهب وزارته ، قام إليه رجل من ذوى حُرْمَتِهِ ، فقال : « أعزَّ الله الوزير ، أنا خادمك ، المؤمل لدولتك ، السعيد بأيامك ، المنطوي القلب على ودك ، المنشور اللسان بمدحك ، المُرْتَمَنَ بشكر نعمتك » . ( زهر الآداب ٣ : ١٩٧ )

### ١٣٦ — أحمد بن أبي دواد والواثق ( المتوفى سنة ٢٣٣ هـ )

دخل أحمد بن أبي دواد<sup>(٣)</sup> على الواثق فقال : ما زال اليوم قومٌ في ثَلْبِكَ وتقصك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنْ الْإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبَرَهُ<sup>(٤)</sup> مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، والله وليُّ جَزَائِهِ ، وعقابُ أمير المؤمنين من وزرائه ، وما ذلَّ يا أمير المؤمنين مَنْ أَنْتَ ناصِرُهُ ، وما ضاق من كنت جارا له ، فما قلتَ لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلت يا أبا عبد الله :

بردى ابنه سعيد فرفهما ، فقال له : هل أنت مخبري ما هذان البردان الاذان عليك ؟ هل بلى : لقيت غلاما ، وهما عليه فسألته لإيهما ، فأبى على قتلته ، وأخذت برديه هذين ، فقال صبية : سبيك هذا ؟ قال نعم ، فقال : فأعطنيه أنظر إليه فإني أظنه صارما ، فأعطاه الحرث سيفه ، فلما أخذه من يده هرب وقال : الحديث ذو شجون ، ثم ضربه به حتى قطعه ، فقيل له يا صبية : أفي الشهر الحرام لا تقول : سبى السيف المنزل . [١] جهلة الفتوة . [٢] تولى الخلافة سنة ٢٥٥ إلى سنة ٢٥٦ هـ .

[٣] هو القاضي أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد من كبار أئمة المعتزلة ، وصراء الاعزال ، كان مقربا من المأمون أثيرا عنده ، ولما ولى المعتصم الخلافة جعله قاضي القضاة ، وعزل يحيى بن أكثم ، وخص به أحمد ، حتى كان لا يفعل فعلا باطنا ولا ظاهرا إلا برأيه ، ولما مات للمعتصم ، وتولى بعده ابنه الواثق بالله حسن حال ابن أبي دواد عنده ، ثم فُلج في أول خلافة المتوكل ، فقتل ولده عمداً القضاة مكانه ، وتوفى سنة ٢٤٠ هـ . [٤] أى معظمه ، وفي قراءة « كبره » بضم الكاف .

وَسَعَى إِلَى مَيْبِ عَزَّةٍ مَعَشَرٌ جَمَلَ إِلَهُ خُدُودَهُنَ نِمَاحَهَا

(رمر الآداب ٣ : ٢٠٨ ، والقند العرود ١ : ١٤١)

### ١٣٧ - ابن أبي دؤاد والوائق أيضاً

وقال الواقي وما لاس أبي دؤاد نضجراً بكثرة حوائجه : قد أحليت بيوت الأموال بطلتك اللأدين بك ، والتوسلين إليك ، فقال :

« ما أمر المؤمن ، تأخُّ شكرها متصله بك ، وذخائرهما موصوله لك ، ومالي من ذلك إلا عِشْقُ اتصال الألسن بجلود المدح » ، فقال « والله لا سمعناك ما يريد في عشقتك ، ويقوى في همتك فينا ولنا » ، وأمر فأخرج له خمسة وثلاثين ألف درهم . (رمر الآداب ٢ : ٣١٠)

### ١٣٨ - ابن أبي دؤاد وابن الزيات

وكان بين القاصي أحمد بن أبي دؤاد وبين الوزير محمد بن عبد الملك الزيات<sup>(١)</sup> منافسه وشجاء ، حتى منع الوزير شخصاً كان يصحب القاصي ، ويختص بقضاء حوائجه ، من التردد إليه ، فبلغ ذلك القاصي ، فجاء إلى الوزير فقال له :

« والله ما أحييتك مكثراً بك من قلة ، ولا متمزراً بك من ذلة ، ولكن أمر المؤمنين ربك مرتبه أوجبته لما لك . فإن لقيناك فله ، وإن تأخرنا عنك فلك<sup>(٢)</sup> » (رويات الأعيان ١ : ٢٥)

[١] ورد باسمه ، والوائق من بعده ، ثم ذكره للتوكل كما سيأتي .

[٢] وكان الواقي قد أمر ألا يرى أحد من الناس ابن الزيات ، إلا قام له ، فكان ابن أبي دؤاد إذا رآه قام وراءه قال القلة يعلى .

## ١٣٩ - الجاحظ وابن أبي دؤاد

وكان الجاحظ مختصاً بمحمد بن عبد الملك الزيات ، منحرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد ، فلما نكسب ابن الزيات <sup>(١)</sup> ، هُجِل الجاحظ مفيداً من البصرة ، وفي عنقه سلسلة ، وعليه قيض مَمَل <sup>(٢)</sup> ، فلما دخل على القاضي أحمد قال له : « والله ما أعلمك إلا متناسياً للنعمه ، كفوراً للصبيحة ، معذناً للساوئ ، وما فتنتي باستصلاحي لك ، ولكن الأيام لا تُصْلِح منك ، لفساد طَوَيْتِكَ ، ورداءة دَخِيلَتِكَ ، وسوء اختيارك ، وغالب طباعك » .

فقال الجاحظ . « خَفَضَ عليك - أَيْدِكَ الله - فوالله لأن يكون لك الأمر على ، خيرٌ من أن يكون لي عليك ، ولأن أُمِي ، وَتُحْسِن ، أحسنُ في الأخذِ به عليك ، من أن أحسن وتسي ، وَلَأنْ تَعْمُو عني في حال قدرتك ، أجهل بك من الانتقام مني » .

فقال أحمد : والله ما علمتُك إلا كثير ترويق الكلام ، خلّ عنه القُلْ والقيد ، وأحسن إليه ، وصَدَّرَه في المجلس

( رهر الآداب ٢ : ١٠٦ ، واللبية والأمل ص ٣٩ )

[١] كان في مص التوكل من ابن الزيات شيء كثير ، وذلك أنه لما مات الوائقي (وهو أحو التوكل) . أشار ابن الزيات بثولية ولد الوائقي ، وأشار ابن أبي داود بثولية التوكل ، وقام في ذلك وقصد حتى عمه يده وألسه الردة ، وقتله بين عبيده ، وكان التوكل في أيام الوائقي مدخل على ابن الزيات في جهمه ويملط له في الكلام - يتفرغ بذلك إلى الوائقي - فخذ للتوكل ذلك عليه ، فلما ولي الخلافة ، أمهله أربعين يوماً حتى يطمش إليه ، ثم قص عليه وسعته ، واستصفى أمواله ، وكان ابن الزيات يئان وراته قد اتحد تنوراً من حديد ، وأطراف مساميره إلى داخل ، وهي قائمة مثل رؤوس المسالمة ، يصعب فيه من يستحقون العنوة وكان إذا مال أحدهم أرحمى أيها الورر . قال له : الرحمة حور في الطبيعة ، فلما اعتمله التوكل أمر مداخله . التنور ، وقيدته بحزمة عشر رطلا من الحديد ، فقال : يا أمير المؤمنين أرحمى ، فقال له : الرحمة حور ، الطابعة ، وفي في العذاب أربعين يوماً حتى مات سنة ٢٤٣ هـ .

[٢] السمل : الخلق من الثياب .

## ١٤٠ - أبو العيناء وابن أبي دؤاد

وقال أبو العيناء لابن أبي دؤاد : إن قوماً من أهل البصرة قَدِمُوا إِلَى  
 «سُرْمَنْ رَأَى» بِدَا عَلَى ، فقال : «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» ، فقلت : إن لهم مكرراً ،  
 فقال : «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» ، فقلت : إنهم كثير ، قال :  
 «كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» .

(زهر الآداب ٢ : ٣١٠ ، والقند المرید ١ : ١٤١)

تم الجزء الثالث

وبلغ

ذيل الجهرة



فهرس

# الجزء الثالث

من جمهرة خطب العرب

## الباب الرابع

الخطب والوصايا في العصر العباسي الأول

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم المصنف
خطبة أبي العباس السفاح وقد بويع بالخلافة	١	١
» داود بن عليّ	٢	٣
» داود بن عليّ وقد أرتج على السفاح	٣	٦
» أخرى له	٤	٧
» » للسفاح بالكوفة	٥	٧
» السفاح بالشام حين قتل مروان	٦	٨
» عيسى بن عليّ » »	٧	٨
» داود بن عليّ بمكة	٨	٩
خطبته بالمدينة	٩	١٠
خطبة أخرى له	١٠	١٠
خطبته وقد بلغه أن قوما أظهروا شكاة بني العباس	١١	١١
» وقد أرتج عليه	١٢	١٢
خطبة صالح بن عليّ	١٣	١٣
» سديف بن ميمون	١٤	١٣
» أبي مسلم الحراساني	١٥	١٥

المخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

١٦	١٧	خالد بن صفوان وأحوال السفاح
١٧	١٩	» » » ورجل من بني عبد الدار
١٨	٢٠	» » » يرثي صديقاً له
١٩	٢٠	» » » يمدح رجلاً
٢٠	٢٠	كلمات بليغة لخالد بن صفوان
٢١	٢١	عمارة بن حمزة والسفاح
	٢٢	خطب أبي جعفر المنصور
٢٢	٢٢	خطبته بمكة
٢٣	٢٢	» » بعد بناء يمشاد
٢٤	٢٣	» يمشاد
٢٥	٢٣	» وقد أخذ عبد الله بن الحسن وأهل بيته
٢٦	٢٦	» حين خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن
٢٧	٢٦	» وقد قتل أبا مسلم الخراساني
٢٨	٢٧	خطبة أخرى
٢٩	٢٧	قوله وقد قوطع في خطبته
٣٠	٢٨	المنصور يصف خلفاء بني أمية
٣١	٢٩	» » عبد الرحمن الداخل
	٢٩	وصايا المنصور لابنه المهدي
٣٢	٢٩	وصية له
٣٣	٣٠	» أخرى له
٣٤	٣١	» » »
٣٥	٣٣	خطبة النفس الزكية حين خرج على للنعور

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة  
الخطبة

وصية عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي لابنه	٣٦	٣٣
قوله وقد قتل ابنه محمد	٣٧	٣٤
امراة محمد بن عبد الله والمنصور	٣٨	٣٤
جعفر الصادق والمنصور	٣٩	٣٥
صفح المنصور عن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب	٤٠	٣٦
استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور	٤١	٣٧
» » » المنصور أيضاً	٤٢	٣٨
أبو جعفر المنصور والربيع	٤٣	٣٩
مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور	٤٤	٤٠
» » » رجل من الزهاد » » »	٤٥	٤٠
» الأوزاعي بين يدي المنصور	٤٦	٤٣
نصيحة يزيد بن عمر بن هبيرة المنصور	٤٧	٤٦
معن بن زائدة والمنصور	٤٨	٤٧
» » » وأحد زواره	٤٩	٤٨
للمنصور وأحد الأعراب	٥٠	٤٨
أعرابية تمرى بالمنصور وتهنئه	٥١	٤٨
خطبة محمد بن سليمان	٥٢	٤٩
وصية مسلم بن قتيبة	٥٣	٤٩
خطبة المهدي	٥٤	٥٠

مشاورة المهدي لأهل بيته في حرب خراسان ٥٢

مقال سلام صاحب الظالم ٥٥ ٥٣

» الربيع بن يونس ٥٦ ٥٤

» الفضل بن العباس ٥٧ ٥٥

مقال طي بن المهدي	٥٨	٥٧
» موسى بن المهدي	٥٩	٥٩
» العباس بن محمد	٦٠	٦٠
» هرون بن المهدي	٦١	٦٢
» صالح بن طي	٦٢	٦٤
» محمد بن الليث	٦٣	٦٤
» معاوية بن عبد الله	٦٤	٦٦
» للمهدي	٦٥	٦٨
» محمد بن الليث	٦٦	٧٠
» للمهدي	٦٧	٧١
ابن عتبة يعزى للمهدي ويمنه	٦٨	٧٤
يعقوب بن داود يستغف للمهدي	٦٩	٧٤
رجل من أهل خراسان يخاطب بمحضرة المهدي	٧٠	٧٥
مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي للمهدي	٧١	٧٥
عظة شبيب بن شيبة للمهدي	٧٢	٧٦
خطبته في تعزية المهدي بأبنته	٧٣	٧٦
خطبة أخرى له في مدح الخليفة	٧٤	٧٧
كلمات لشبيب بن شيبة	٧٥	٧٨
خطبة يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب يوم ولي الرشيد الخلافة	٧٦	٧٨
خطبة هرون الرشيد	٧٧	٨٠
وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين	٧٨	٨٢
خطبة لجعفر بن يحيى البرمكي	٧٩	٨٢
استغاث أم جعفر بن يحيى الرشيد	٨٠	٨٥



الخطبة أو الوصية

رقم  
الخطبة

خطبة يزيد بن يزيد الشيباني	٨١	٨٩
» عبد الملك بن صالح	٨٢	٩٠
عبد الملك بن صالح يعزى الرشيد ويهنته	٨٣	٩٠
غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح	٨٤	٩٠
قوله بعد خروجه من السجن	٨٥	٩٤
وصية عبد الملك بن صالح لابنه	٨٦	٩٥
» أخرى له	٨٧	٩٧
كلمات حكيمه لابن السماك	٨٨	٩٧
ابن السماك ولرشيد	٨٩	٩٧
الفتة بين الأمين والمأمون		٩٩
وفد الأمين إلى المأمون		
خطبة المباس بن موسى	٩٠	٩٩
» عيسى بن جعفر	٩١	١٠٠
» محمد بن عيسى بن نهيك	٩٢	١٠٠
» صالح صاحب المصلى	٩٣	١٠١
» المأمون	٩٤	١٠١
وصية السيدة زبيدة لعلی بن عيسى بن ماهان	٩٥	١٠٢
» الأمين لابن ماهان	٩٦	١٠٣
استهانة ابن ماهان بأمر طاهر بن الحسين	٩٧	١٠٤
حزم طاهر وقوة عزمه	٩٨	١٠٥
طاهر يشد عزيمه جنده	٩٩	١٠٦
وصف الفضل بن الربيع غفلة الأمين	١٠٠	١٠٧
وصية الأمين لأحمد بن يزيد	١٠١	١٠٨

١٠٩	١٠٢	مقال عبد الملك بن صالح للأمين
١١٠	١٠٣	الشنخ في جيش عبد الملك بن صالح
١١١	١٠٤	خطبة الحسين بن علي بن عيسى بن ملهان يدعو إلى خلع الأمين
١١٢	١٠٥	» محمد بن أبي خالد
١١٣	١٠٦	إطلاق الأمين من سجنه ورده إلى مجلس الخلافة
١١٤	١٠٧	خطبة داود بن عيسى يدعو إلى خلع الأمين
١١٥	١٠٨	» الأمين وقد تولى الأمر عنه
١١٧	١٠٩	استعطاف الفضل بن الربيع للأمن
١١٨	١١٠	خطبة طاهر بن الحسين يفتاد سد مقتل الأمين
١١٩		خطب المأمون
١١٩	١١١	خطبته وقد ورد عليه نعي الرشيد
١١٩	١١٢	» وقد سلم الناس عليه بالخلافة
١٢٠	١١٣	» يوم الجمعة
١٢١	١١٤	» يوم الأضحى
١٢٢	١١٥	» يوم الفطر
١٢٤	١١٦	خطبة ابن طباطبا العلوي
١٢٥	١١٧	استعطاف إبراهيم بن المهدي للأمن
١٢٧	١١٨	إبراهيم بن المهدي ومختيشوع الطيب
١٢٨	١١٩	استعطاف إسحاق بن العباس للأمن
١٢٩	١٢٠	أحد وجوه بغداد يمدح للمأمون حين دخلها
١٣٠	١٢١	أحد أهل الكوفة يمدح للمأمون
١٣٠	١٢٢	محمد بن عبد الملك بن صالح بين يدي للمأمون

الخطبة أو الوصية

رقم  
المصنف

رقم  
الخطبة

الحسن بن سهل يمدح للآمون	١٢٣	١٣٠
يحيى بن أكرم يمدح للآمون	١٢٤	١٣١
أحد بنى هاشم وللآمون	١٢٥	١٣٢
رجل يتظلم إلى للآمون	١٢٦	١٣٢
عمرو بن سعيد وللآمون	١٢٧	١٣٢
الحسن بن رجاء وللآمون	١٢٨	١٣٣
سعيد بن مسلم وللآمون	١٢٩	١٣٣
أبوزهان يعط سعيد بن مسلم	١٣٠	١٣٤
وصية طاهر بن الحسين لابنه عبد الله لما ولاه الآمون الرقة ومصر وما بينهما	١٣١	١٣٤
خطبة عبد الله بن طاهر	١٣٢	١٤٦
العباس بن الآمون والمعتصم	١٣٣	١٤٧
استعطاف تميم بن جميل للمعتصم	١٣٤	١٤٧
بين يدي سليمان بن وهب وزير المهدي بالله	١٣٥	١٤٩
أحمد بن أبي دواد والوائق	١٣٦	١٤٩
ابن أبي دواد والوائق أيضاً	١٣٧	١٥٠
ابن أبي دواد وابن الزيات	١٣٨	١٥٠
الجاحظ وابن أبي دواد	١٣٩	١٥١
أبو العيناء وابن أبي دواد	١٤٠	١٥٢

# فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

## ح -

- الحارث بن عبد الرحمن ٣٧  
الحسن بن رجاء ١٣٣  
الحسن بن سهل ١٣٠  
الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان ١١

## خ -

- خالد بن صفوان ٢٠ - ١٩ - ١٧

## د -

- داود بن علي  
٣ - ٦ - ٧ - ٩ - ١٠ - ١١ - ٢  
داود بن عيسى ١١٤

## ر -

- الربيع بن يونس ٥٤ - ٣٩

## ز -

- السيدة زبيدة ١٠٢

## س -

- سديف بن ميمون ١٣  
سميد بن مسلم ١٣٣  
سلام (صاحب الظالم) ٥٣

## ش -

- شبيب بن شعبة ٧٨ - ٧٧ - ٧٦

## أ -

- إبراهيم بن للهدى ١٢٧ - ١٢٥  
ابن السماك ٩٧  
ابن طباطبا العلوي ١٢٤  
ابن عتبة ٧٤  
أبو جعفر للنصور ٢٢ - ٢٣ - ٢٦ -  
٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٦  
أبوزمان العلوي ١٣٤  
أبو العباس السفاح ١ - ٧ - ٨  
أبو مسلم الخراساني ١٥  
أحمد بن أبي دواد ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥٢  
إسحاق بن العباس ١٢٨  
أم جعفر بن يحيى ٨٥  
الأمين ١٠٣ - ١٠٨ - ١١٥  
الأوزاعي ٤٣

## ت -

- تميم بن جميل ١٤٧

## ج -

- الجاحظ ١٥١  
جعفر الصادق ٣٥  
جعفر بن يحيى البرمكي ٨٢

الفضل بن العباس ٥٥

- م -

الأمون ١٠١-١١٩-١٢٠-١٢١-١٢٢

محمد بن أبي خالد ١١٢

محمد بن سليمان ٤٩

محمد بن عبد الملك بن صالح ١٣٠

محمد بن عيسى بن نهيك ١٠٠

محمد بن الليث ٦٤-٧٠

مسلم بن قتيبة ٤٩

معاوية بن عبد الله ٦٦

معن بن زائدة ٤٧

المهدي ٥٠-٦٨-٧١

- ن -

النفس الزكية ٣٢

- ه -

الهادي ٥٩

هرون الرشيد ٦٢-٨٠-٨٢

- ي -

يحيى بن أكرم ١٣١

يزيد بن عمر بن هبيرة ٤٦

يزيد بن مزيد الشيباني ٨٩

يعقوب بن داود ٧٤

يوسف بن القاسم بن صبيح ٧٨

تم فهرس أعلام الخطباء

- ص -

صالح (صاحب الصلى) ١٠١

صالح بن عبد الجليل ٧٥

صالح بن علي ١٣-٦٤

- ط -

طاهر بن الحسين

١٠٥-١٠٦-١١٨-١٣٤

- ع -

العباس بن الأمون ١٤٧

العباس بن محمد ٦٠

العباس بن موسى ٩٩

عبد الله بن الحسن ٣٣-٣٤

عبد الله بن طاهر ١٤٦

عبد الملك بن صالح

٩٠-٩١-٩٤-٩٥-٩٧-١٠٩

عثمان بن خزيم ٣٨

علي بن عيسى بن ماهان ١٠٤

علي بن المهدي ٥٧

عمارة بن حمزة ٢١

عمرو بن سعيد ١٣٢

عمرو بن عبيد ٤٠

عيسى بن جعفر ١٠٠

عيسى بن علي ٨

- ف -

الفضل بن الربيع ١٠٧-١١٧

جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	صفحة	سطر
أرومض	وأرومض	٤	٢١
لأولي	لأولي	١٧	٨
ثقلت	ثقلت	٣٩	٧
إن	(تخذف)	٤٣	١٠
النصوو	النصور	٤٤	٨
سجالها	سجالها	٥٣	٩
الخطب	الخطب	٥٧	١٠
٣٠	٣٠	٦٠	١٠
بالمعدة	بالمعدة	٦٩	١٤
حسنة	حسنة	٧٧	١٨
الرشد	الرشد	١٠٠	٥
كل أوصيك	كل ما أوصيك	١٠٣	١٩

ذِيكَ

جَمْعُهُ خَطُّ الْعَرَبِ

فِي عَصُورِ الْعَرَبِ فِي الزَّاهِرَةِ

وَيَحْوِي خَمْسَةَ أَبْوَابٍ :

الباب الأول : فِي خُطْبِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ وَالْمَغَارِبَةِ

» الثَّانِي : فِي خُطْبِ وَوَصَايَا مُجْهُولِ عَصْرِهَا أَوْ قَاتِلِهَا

» الثَّالِثُ : فِي نَثْرِ الْأَعْرَابِ

» الرَّابِعُ : فِي خُطْبِ النِّكَاحِ

» الْخَامِسُ : فِي خُطْبِ مَنْ أُرْتِجَ عَلَيْهِمْ وَنَوَادِرُ طَرِيفَةٍ

لِبَعْضِ الْخُطَبَاءِ .

## فهرس المآخذ

- فتح الطيب ، للمقرى : الجزء الأول - الثانى - الرابع
- مطمع الأفس ، للفتح بن خاقان :
- المعجب ، فى تلخيص أخبار المغرب ، :
- لمحي الدين بن على المراكشى
- الإحاطة : فى أخبار غرناطة ، للسان :
- الدين بن الخطيب :
- الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
- الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى : » الثالث عشر - السابع عشر
- صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : » الأول
- نهاية الأرب : لشهاب الدين التويرى : » السابع
- عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
- الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول
- المقد الفريد : لابن عبد ربه : » الأول - الثانى - الثالث
- زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : » الأول - الثانى - الثالث
- البيان والتبيين : للجاحظ : » الأول - الثانى - الثالث
- أمالى السيد المرتضى : » الرابع
- مجمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : » الأول - الثانى
- تاريخ الأم والملوك : لابن جرير الطبرى : » السابع - الثامن
- مروج الذهب : للمسعودى : الجزء الثانى



- : الصناعتين ، لأبي هلال العسكري
  - : بلاغات النساء : لابن أبي طاهر طيفور
  - : سرح العيون : لابن نباتة المصري
  - : سيرة عمر بن عبد العزيز : لابن الجوزي
  - : مواسم الأدب للسيد جعفر اليتي العلوي : الجزء الثاني
  - : بلوغ الأرب : للسيد محمود شكرى الألوسى : « الثالث
  - : مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح
- 



## الباب الأول

في

### خطب الأندلسيين والمغاربة

١ - خطبة عبد الرحمن الداخل ( المتوفى سنة ١٧١ هـ )

يوم حربه مع يوسف الفهري صاحب الأندلس

لما اشتد الكرب بين يدي عبد الرحمن الداخل <sup>(١)</sup> ، يوم حربه مع يوسف الفهري <sup>(٢)</sup> صاحب الأندلس ، ورأى شدة مُقاساة أصحابه قال :  
« هذا اليوم هو أسُّ ما يُنْفَى عليه ، إِمَّا ذاك الدهر ، وإِمَّا عزَّ الدهر ،  
فاصبرُوا ساعةً فيما لا تشتهون ، تَرْبَحُوا بها بقيةَ أعماركم فيما تشتهون » .  
ولما أُنْحِيَ أصحابه على أصحاب الفهري بالقتل يوم هزيمتهم على قرطبة قال :

---

[١] هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان اللعروف بالداخل ، وذلك أنه لما أصاب دولتهم بالمرق ما أصابها ، وتبع الفلاح من بقي من بني أمية بالقتل والإهلاك ، فرَّ عبد الرحمن إلى الأندلس ، واستطاع بهيمته أن يؤسس هناك دولة أورثها عقبه حبة من البحر ، وهي دولة بني أمية في المغرب من سنة ١٢٨ إلى سنة ٤٢٢ هـ ، وكانت خاصة ملكها قرطبة ، وهي مدينة على نهر الروادي الكبير .  
[٢] يوسف الفهري هو ابن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع بن أبي القبيصان ، وأمه معاوية بن أفرنجية والمغرب ، وكانت ولاية يوسف الفهري الأندلس سنة ١٢٩ فمات له تسع سنين وتسعة أشهر ، وبعثه انتقل سلطانه إلى بني أمية .

« لَا تَسْتَأْصِلُوا شَأْفَةَ <sup>(١)</sup> أَعْدَاءِ تَرْجُونَ صِدَاقَهُمْ ، وَاسْتَبْقُوا لَأَشَدَّ عِدَاوَةً مِنْهُمْ »  
- يشير إلى استبقائهم ، لِيُسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ - . (نح الطيب ٢ : ٧٠)

## ٢ - عبد الرحمن الداخل ورجل من جند قنسرين

ولما أذعن يوسف صاحب الأندلس لعبد الرحمن ، واستقر ملكه ، استحضر  
الوفود إلى قُرْبَطَةِ ، فَاثْنَالُوا <sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ ، وَوَالَى الْقَعُودَ لَهُمْ فِي قَصْرِهِ عِدَّةَ أَيَّامٍ ، فِي  
مَجَالِسَ يَكْلَمُ فِيهَا رُؤَسَاءُ مَ وَوُجُوهُهُمْ ، بِكَلَامِ سَرْمَ ، وَطَيَّبَ نَفُوسَهُمْ .  
وَفِي بَعْضِ مَجَالِسِهِمْ هَذِهِ مَثَلُ يَنْ يَدِيهِ رَجُلٌ مِنْ جَنْدِ قَنْسَرِينَ <sup>(٣)</sup>

يَسْتَجِدِيهِ ، فَقَالَ لَهُ :

« يَا بَنِي الْخُلَافَةِ الرَّاشِدِينَ ، وَالسَّادَةِ الْأَكْرَمِينَ ، إِلَيْكَ فَرَزْتُ ، وَبِكَ  
عُذْتُ ، مِنْ زَمَنِ ظُلُومٍ ، وَدَهْرِ غَشُومٍ ، قَلَّلَ الْمَالُ ، وَكَثَّرَ النِّعَالَ ، وَشَعَّتْ <sup>(٤)</sup>  
الْحَالُ ، فَصَيَّرَ إِلَى نَدَاكَ الْمَالَ ، وَأَنْتَ وَلِيُّ الْحَمْدِ وَالْمَجْدِ ، وَالْمَرْجُوُّ لِلرَّفْدِ <sup>(٥)</sup> » .  
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مُسْرِعًا :

« قَدْ سَمِعْنَا مَقَالَاتِكَ ، وَقَصَيْنَا حَاجَتَكَ ، وَأَمَرْنَا بِعَوْنِكَ عَلَى دَهْرِكَ ، عَلَى  
كُرْهِنَا لِسُوءِ مَقَامِكَ ، فَلَا تَعُودَنَّ وَلَا سِوَاكَ لِمِثْلِهِ ، مِنْ إِرَاقَةِ مَاءٍ وَجْهَكَ بِتَصْرِيحِ  
الْمَسْأَلَةِ ، وَالْإِلْحَافِ فِي الطَّلْبَةِ <sup>(٦)</sup> ، وَإِذَا أَلَمَ بِكَ خَطْبٌ ، أَوْ حَزَبَكَ <sup>(٧)</sup> أَمْرٌ ،  
فَارْفَعِهِ إِلَيْنَا فِي رُقْعَةٍ لَا تَعْدُوكَ ، كَيْمَا نَسْتُرَ عَلَيْكَ خَلَّتَكَ ، وَنَكْفُ شِمَاتَ الْعَدُوِّ  
عَنْكَ ، بَعْدَ رَفْعِكَ لَهَا إِلَى مَالِكِكَ وَمَالِكِنَا - عَزَّ وَجْهَهُ - بِإِخْلَاصِ الدُّعَاءِ ،  
وَصَدَقَ النَّبِيُّ » .

[١] الشأفة : فرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب ، أو إذا قطعت مات صاحبها ، والأصل ،  
واستأصل الله شأفته : أذهب كما تذهب تلك الفرحة ، أو معناه أزاله من أصله .

[٢] اثنال : انصب ، أي تاجروا وتوافقوا عليه . [٣] بالشام .

[٤] شمت الأمر : فصره وفرقه . [٥] الرشد : المطاء والصلة .

[٦] الطلبة : الطلب . [٧] أي اشتد عليك ، والحلقة : الحاجة .

وأمر له بجائزة حسنة ، وخرج الناس يتمجبون من حسن منطقه ، وبراعة أدبه ، وكفّ فيما بعدُ ذوو الحاجات عن مقابلته بها شفاهاً في مجلسه .

( مع الطيب ٢ : ٦٨ )

٣ - عبد الرحمن الداخل ورجل من جنده يهنئه بفتح سرقسطة ولما فتح عبد الرحمن الداخل سَرَقُسْطَةَ <sup>(١)</sup> ، وَحَصَلَ في يده ثأرُها الحسين الأنصاري ، وامتلى نصره فيها إلى غاية أمله ، أقبل خواصه يهثونهُ ، جُرى بينهم أحدٌ من لا يُؤايبه به من الجند ، فهتأه بصوت عال ، فقال له عبد الرحمن : « وَأَقْبَلْ لَوْلَا أَنْ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمٌ أُسْبِغَ عَلَى فِيهِ النِّعْمَةُ مَنْ هُوَ فَوْقِي ، فَأَوْجِبَ عَلَى ذَلِكَ أَنْ أُنْعِمَ فِيهِ عَلَى مَنْ هُوَ دُونِي ، لِأَصْلَيْتُكَ مَا تَعَرَّضْتَ لَهُ مِنْ سُوءِ التَّكَالِ ، مَنْ تَكُونُ ؟ حَتَّى تُقْبَلَ مُهْتَبًا رَافِعًا صَوْتَكَ ، غَيْرَ مُتَلَجِّجٍ وَلَا مُتَهَيِّبٍ لِمَكَانِ الْإِمَارَةِ ، وَلَا عَارِفٍ بِقِيَمَتِهَا ، حَتَّى كَأَنَّكَ تُخَاطَبُ أَبَاكَ أَوْ أَخَاكَ ! وَإِنْ جِهَلْتُكَ لِيَحِيلَ عَلَى الْعَوْدِ لِمُثْلِهَا ، فَلَا تُجِدْ مِثْلَ هَذَا الشَّافِعِ فِي مِثْلِهَا مِنْ عِقَابَةٍ . » فقال : « وَلَعَلَّ فَتُوحَاتِ الْأَمِيرِ يَقْتَرِنُ اتِّصَالُهَا بِاتِّصَالِ جَهْلِي وَذُنُوبِي ، فَتَنْفَعَنِي إِلَى مَتَى أَتَيْتَ بِمِثْلِ هَذِهِ الزَّلَّةِ ، لَا أَعِدُ مِنْهُ إِلَهَ تَعَالَى . »

فَهَلَّلَ وَجْهَ الْأَمِيرِ ، وَقَالَ : لَيْسَ هَذَا بِاعْتِذَارٍ جَاهِلٍ ، ثُمَّ قَالَ : نَبْهَوْنَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِذَا لَمْ تَجِدُوا مَنْ يَنْبَهِنَا عَلَيْهَا ، وَرَفَعَ رُتْبَتَهُ وَزَادَ فِي عَطَائِهِ . ( مع الطيب ٢ : ٧٠ )

٤ - تَأْدِيبُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ لِابْنِهِ الْمُنْذَرِ

كَانَ الْمُنْذَرُ بْنُ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ <sup>(٢)</sup> سَيِّئُ الْخُلُقِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ ، كَثِيرُ الْإِسْفَاءِ إِلَى أَقْوَالِ الْوُشَاةِ ، مُفْرِطُ الْقَلَقِ مِمَّا يُقَالُ فِي جَانِبِهِ ، مُعَاقِبًا عَلَى

[١] مدينة على نهر إبرة . [٢] هو عبد الرحمن الأوسط ( الثاني ) ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، حكم الأندلس من سنة ٢٠٦ إلى سنة ٢٢٨ هـ .

ذلك من يقدر على معاقبته ، مكرر التشكى ممن لا يقدر عليه لوالده الأمير عبد الرحمن ، فطال ذلك على الأمير ، فأمر ثقةً من ثقاته أن يبنى منقطع عن العمران بناءً يُسكن فيه ابنه ، والأيدع أحداً من أصحابه يزوره ، فلما استقر المنذر فى ذلك المكان ، وبقي وحده ، ونظر إلى ما سلبه من الملك ، ضجّر وقال للثقة : عسى أن يصلنى غلمانى وأصحابى آنسُ بهم ! فقال له : إن الأمير أمر ألا يصلك أحد ، وأن تبقى وحدك ، لتستريح مما يرفع لك أصحابك من الوشاية ، فعلم أن الأمير قصد بذلك مخنته وتأديبه ، فكتب إليه يشكو استيحاظه <sup>(١)</sup> بمكانه ، فلما وقف الأمير على رفقته ، وعلم أن الأدب بلغ به حقه استدعاه ، فقال له :

« وصلت رقعتك ، تشكو ما أصابك من توحش الانفراد ، فى ذلك الموضع ، وترغب أن تأنس بمخولك <sup>(٢)</sup> وعبيدك وأصحابك ، وإن كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول سكناك فى ذلك المكان ، وما فعلت ذلك عقاباً لك ، وإنما رأييناك تكثر الضجّر والتشكى من القال والقال ، فأردنا راحتك بأن نحجب عنك سماع كلام من يرفع لك وينمّ ، حتى تستريح منهم » .

فقال له : « سماع ما كنت أضجر منه ، أخف على من التوحد والتوحش ، والتخطى مما أنا فيه من الرفاهية والأمر والنهى » .

فقال له : « فإذا قد عرفت وتأدبت ، فارجع إلى ما اعتدته ، وعول على أن تسمع كأنك لم تسمع ، وترى كأنك لم تر ، وقد قال النبى صلى الله

[١] وسى الكتاب : « لى قد توحشت فى هذا الموضع توحشاً ما عليه من مزيد ، وعدمت فيه من كنت آس إليه ، وأصبحت مسلوب المز ، فقيد الأمر والنهى ، فإن كان ذلك عقاباً لذنب كبير ارتكبه ، وعلمه مولاى ولم أعلمه ، فأبى صابر على تأديبه ، ضارِع إليه فى عفوه وصفحه .

وبنى أمير المؤمنين ونظمه لكاهن ، لا طار بمافعل الدهر»

[٢] الخول : مثال الخدم والمختم وزنا ومعنى .

عليه وسلم : « لو تكاشفتُم ما تدافتم » ، واعلم أنك أقربُ الناسِ إلىَّ ، وأحبُّهم فيَّ ، وبعد هذا فما يخلو صدرك في وقت من الأوقات عن إنكارٍ عليَّ ، وسُخْطٍ لما أفضله في جانبك ، أو جانب غيرك ، مما لو أطلعني الله تعالى عليه لسأني ، لكن الحمد لله الذي حَفِظَ ما بين القلوب ، بِسَرٍّ بعضها عن بعض ، فيما يحول فيها ، وإنك لنو حِمَّةٍ ومَطْمَحٍ ، ومن يكن هكذا يَصْبِرُ وَيُنْفِضُ وَيَحْمِلُ ، وَيُبْدِلُ بالمقابِ الثوابَ ، ويصيرُ الأعداء من قبيل الأصحاب ، ويصير من الشخص على ما يسوء ، فقد يَرَى منه بعد ذلك ما يَسُرُّ ، ولقد يَخْفُ على اليوم مَنْ قاسيتُ من فله وقوله ما لو قَطَعْتهم عضواً عضواً لِمَا ارتكبه مني ، ما شفيتُ منهم غيظي ، ولكن رأيت الإغضاء والاحتمال ، لا سيما عند الاقتدار أولى ، ونظرت إلى جميع مَنْ حولي مِمَّنْ يُحْسِنُ وَيُسِيءُ ، فوجدت القلوب متقاربةً بعضها من بعض ، ونظرت إلى المسيء يعود محسناً ، والمحسن يعود مسيئاً ، وصرتُ أُنْذِمُ على من سَبَقَ له مني عقاب ، ولا أُنْذِمُ على من سَبَقَ له مني ثواب ؛ فالزَمَ يا بني مَعَالِيَ الأمور ، وإنَّ جَماعها في التناضى ، ومن لا يتناضى لا يسلم له صاحب ، ولا يُقَرَّبُ منه جانبٌ ، ولا يَنال ما تَرُقَّى إليه همته ، ولا يظفر بأمله ، ولا يجد مُميناً حين يَحْتَاج إليه .

فَقَبِلِ المنذريده وانصرف ، ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده ، حتى تَخَلَّقَ بالخلق الجميل ، وبلغ ما أوصاه به أبوه ، ورُفِعَ قدره . (فتح الطيب ٢ : ٣٢٧)

ه — عبد الرحمن الأوسط وابنه المنذر أيضا

وقال له أبوه يوماً : إن فيك لثيباً مُفَرِّطاً ، فقال له : حَقُّ لفرج أنت أصله أن يعلو ، فقال له : يا بني ، إن السيون تَمُجُّ التَّيَّاءَ ، والقلوب تَنْفِرُ عنه ، قال :

يا أبى ، لى من العز والنسب وعلو المكان والسلطان ما يَحِلُّ<sup>(١)</sup> عن ذلك ، وإنى لم أر العيون إلا مُقْبِلَةً عَلَى ، ولا الأسماع إلا مُصْغِيَةً إِلَى ، وإن لهذا السلطان رَوْتَقاً يُرِيْقُهُ التَّبَذُّلُ ، وَعُلُوّاً يَحْفِضُهُ الانْبِساطُ ، ولا يصونه ويشرِّفه إلا التَّيَّةُ والانتِقباض<sup>(٢)</sup> ، وإن هؤلاء الأندال ، لهم ميزان يَسْبُرُونَ<sup>(٣)</sup> به الرجل منا ، فَإِنْ رَأَوْهُ رَاجِحاً ، عَرَفُوا لَهُ قَدْرَ رَجَاحَتِهِ ، وَإِنْ رَأَوْهُ نَاقِصاً عاملوه بنقصه ، وصَيَّرُوا تَوَاضِعَهُ صِفراً ، وتَحَفُّضَهُ خِصَّةً ، فقال له أبوه : لَهْ أَنتَ ! فابْقَ وما رأيتَ .  
( فتح الطيب ٢ : ٣٢٩ )

## ٦ — يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط وأحد خدامه

ومدح بعض الشعراء يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط ، فأمر له بـمال جزيل ، فلما كَانَ مثل ذلك الوقت ، جاءه بمدحٍ آخَرَ ، فقال أحدُ خُدَّامِ يعقوب : هذا اللئيم له دَيْنٌ عِنْدَنَا يَقْتَضِيهِ ! فقال الأمير :

« يا هذا ، إِنْ كَانَ اللهُ تَعَالَى خَلَقَكَ مَجْبُولاً عَلَى كُرْهِ رَبِّ الصَّنَائِعِ ، فَاجْرِ عَلَى مَا جَبَلَتْ عَلَيْهِ فِي نَفْسِكَ ، وَلَا تَكُنْ كَالْأَجْرِبِ يُعْدِي غَيْرَهُ ، وَإِنْ هَذَا رَجُلٌ قَصَدْنَا قَبْلُ ، فَكَانَ مِنَّا مَأْشُوراً<sup>(١)</sup> بِهِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى الْعُودَةِ ، وَقَدْ ظَنَ فِينَا خَيْراً ، فَلَا تَخَيِّبْ ظَنَّهُ ، وَالْحَدِيثُ أَبَدًا يَحْفَظُ الْقَدِيمَ ، وَقَدْ جَاءَنَا عَلَى جِهَةِ التَّهْنِئَةِ بِالْعَمْرِ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُطِيلَ عَمْرَنَا ، حَتَّى يَكْثُرَ تَرَدَادُهُ ، وَيُذَيِّمَ نَعْمَانَا حَتَّى

[١] فى الأصل : « يحمل » ، وأرى صوابه : « يحل » .

[٢] جرى فى ذلك على سنن أى مسلم الحراسانى ، وكان يقول لقواده إذا أخرجهم : « لا نكموا الناس الارمزاً ، ولا تلغظوم الاشزرا ، لتتلى صدورهم من هيتكم » — انظر العقد الفريد ٢ : ٢٩٩ —

[٣] السبر : امتحان غور الجرح . [٤] أضر : مرج .

نجد ما تُنعم به عليه ، ويحفظ علينا مَرُوءتنا ، حتى يعيننا على التجمل معه ، ولا يُثِلِّينا بجلِيس مثلك ، يَقْبِضْ أَيْدِيَنَا عن إساءة الأيادي .

وأمر للشاعر بما كان أمر له به قبلُ ، وأوصاه بالعود عند حلول ذلك الأوان ما دام العمر . (عج الطيب ٢ : ٢٢٠)

٧ — وفاء الوزير ابن غانم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز واعتذاره عنه لدى الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط

كان الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم صديقاً للوزير هاشم بن عبد العزيز ، ثابتاً على مودته ، فلما قَضَى الله على هاشم بالأمر ، أجرى السلطان محمد بن عبد الرحمن الأموي<sup>(١)</sup> ذِكْرَه في جماعة من خُدَّامه ، والوليد حاضرٌ ، فنسبه إلى الطيش والمَجَلَّة والاستبداد برأيه ، فلم يكن فيهم من اعتذر عنه غير الوليد ، فقال :

« أصلح الله تعالى الأمير ، إنه لم يكن على هاشم التخيُّر في الأمور ، ولا الخروج عن المقدور ، بل قد استعمل جهده ، واستفرغ نصحه ، وقضى حقَّ الإقدام ، ولم يكن مِلاكُ النصر يده ، فغذله من وثيق به ، وَنَكَّلَ عنه من كان معه ، فلم يُرحِّحْ قَدَمَه عن موطن حِفَاظِهِ ، حتى مُلِكَ مُقْبِلًا غير مُدْبِر ، مُبْلِيًا غير فَشِلٍ ، جُوزِي خيراً عن نفسه وسلطانهِ ، فإنه لا طريقَ للملام عليه ، وليس عليه ما جتته الحرب النشوم ، وأيضاً فإنه ما قصد أن يمحود بنفسه لإرضاء للأمير ، واجتتاباً لِسُخْطِهِ ، فإذا كان ما أَعْتَمَدَ فيه الرضا جالبَ التقصير ، فذلك معدودٌ في سوء الحظ .

[١] هو الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، حكم الأندلس من سنة ٢٣٨ الى سنة ٢٧٣ هـ ، وكان غزاه لأهل العرك والخلاف ، وديماً أوغلاً في بلاد العدو ستة أشهر أو أكثر يحرق وينهب ، وله في العدو وقعة وادي سليط ، وهي من أهمات الواقع لم يعرف مثلها في الأندلس قبلاً .



فأعجب الأمير كلامه ، وشكر له وفاءه ، وأقصر عن تنقيد هاشم ، وسمى  
في تخلصه . ( خج الطيب ٢ . ٢٣٠ )

## ٨ — خطبة منذر بن سعيد البلوطي<sup>(١)</sup> ( المتوفى سنة ٣٥٥ هـ )

في الاحتفال بقدم رسل ملك الروم

روى المؤرخون أن الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله<sup>(٢)</sup> ، بلغ من عزّة  
الملك ، ورفعة السلطان بالأندلس ، أن كانت ملوك الروم والإفرنجة تزدلف إليه ،  
تطلب مهادنته ، وتهدى إليه أنفس الذخائر ، ومن جملتهم قسطنطين بن ليون  
صاحب القسطنطينية ، فقد رغب في موادعته ، وبعث إليه سنة ٣٣٨ هـ  
وفداً من قبله بهدية له ، فتأهب الناصر لورودهم ، واحتفل بقدمهم احتفالاً  
رائعاً ، أحب أن يقوم فيه الخطباء والشعراء بين يديه ، لتذكّر جلالة ملكه ،  
وعظيم سلطانه ، وتصف ما تهباً من توطيد الخلافة في دولته ، وتقدم إلى الأمير  
الحكم ابنه ووليّ عهده ، بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ، فأمر الحكم  
صنيعه الفقيه محمد بن عبد البر بالتأهب لذلك ، وكان يدعى من القدرة على تأليف  
الكلام ما ليس في وسع غيره ، وحضر المجلس السلطاني ، فلما قام يحاول التكلم ،  
بهره هول المقام ، وأبهة الخلافة ، فلم يهتد إلى لفظة ، بل غشي عليه وسقط

[١] ولد سنة ٢٦٥ هـ ، وتوفى سنة ٣٥٥ هـ ، وكان خطيباً بليغاً عالماً بالجدل حاذقاً فيه ، شديد المارضة  
حاضر الجواب عتيده ، ثاب المحبة ، ولي بقرطة قضاء الجماعة — المبر عنه في المشرق بقضاء القضاة —  
لعبد الرحمن الناصر ، ثم لابنه الحكم السقنصر ، ستة عشر عاماً من سنة ٣٢٩ إلى سنة ٣٥٥ ، لم يحفظ  
عليه فيها جور في قضية ، ولا قسم بغير سوية ، ولا ميل لهوى .

[٢] هو عبد الرحمن الثالث ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثاني ابن الحكم بن هشام بن  
عبد الرحمن الداخل ، حكم الأندلس من سنة ٣٠٠ هـ إلى سنة ٣٥٠ هـ ، وهو أول من تسمى من أمراء بني  
أمية بالأندلس بأمر المؤمنين عندما التأت أمر الخلافة بالشرق ، وغلب موالى الترك على بني العباس ، وبلغه  
أن الفتندرقته مولاة مؤنس المظفر سنة ٣١٧ هـ .

إلى الأرض ، فقيل لأبي عليّ التّالّي - صاحب الأمالي ، وهو حينئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق - : ثمّ فارّقه هذا الوهمي<sup>(١)</sup> ، فقام فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثمّ انقطع به القول ، فوقف ساكناً متفكراً في كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه ، فلما رأى ذلك منذر بن سعيد البلوطي - وكان ممن حضر في زُمرّة الفقهاء - قام من ذاته بدرجة من مِرقاته ، فوصل افتتاح أبي عليّ لأول خطبته بكلام كان يسُحّه سحاً ، كأنما كان يحفظه قبل ذلك بمدة ، فقال :

« أما بعد حمد الله ، والثناء عليه ، والتّعداد لآلائه ، والشكر لنعمائه ، والصلاة والسلام على محمد صفيّه وخاتم أنبيائه ، فإن لكلّ حادثة مقاماً ، ولكل مقام مقال ، وليس بعد الحقّ إلا الضلال ، وإنّي قد قُدتُ في مقام كريم ، بين يدَي ملك عظيم ، فأصنؤا<sup>(٢)</sup> إلى معشر الملأ بأسماعكم ، وأثّقنوا عني<sup>(٣)</sup> بأقْدنكم ، إن من الحق أن يقال للمُحقّ صدقتَ ، وللبُطل كذّبتَ ، وإنّ الجليل تعالى في سمائه ، وتقدّس في صفاته وأسمائه ، أمر كليمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه ، أن يذكرّ قومه بأيام الله جل وعزّ عندهم ، وفيه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ، وإنّي أذكّركم بأيام الله عندهم ، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين ، التي لمت شعْصَكم ، وأمنت سِرْبَكم<sup>(٤)</sup> ، ورفعت قوتكم ، بعد أن كتم قليلاً فكثركم ، ومستضعفين فقواكم ، ومُستذلّين فنصركم ، ولآه الله رعايتكم ، وأسند

[١] الوهمي : اللقي في العهد . [٢] التي في كتب اللغة : « أصنى إليه ميمه : أماله ، وأسى

إليه : مالٍ بهمه نحوه » ولعل زيادة الباء في « بأسماعكم » من النسخ لا من الخطيب .

[٣] مكنا و فتح الطيب ، ولى مطبع الأعس : « ومنوا على بأقْدنكم » .

[٤] السرب : النفس .

إليه إمامتكم ، أيام ضَرَبَتِ الفتنَةُ سُرَادِقَهَا على الآفاق ، وأحاطت بكم شُملُ النفاق ، حتى صرتم في مِثْلِ حَدَقَةِ البعير ، من ضيق الحال ، ونكد العيش والتغيير ، فاستبدلتم بخلافته من الشدة الرخاء <sup>(١)</sup> ، وانتقلتم يُمْنُ سياسته إلى تمهيد كَنَفِ العافية بعد استيطان البلاء .

أُنشِدُكم بالله معاشِرَ الملأ ، ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها ، والسُّبُلُ مخوفة فأمّتها ، والأموال متهبة فأحرزها وحصنها ؟ ألم تكن البلاد خراباً فعمرها ، وتغور المسلمين مُتَهَضِّمَةً فحماها ونصرها ؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ، وتلا فيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بإمامته ، حتى أذهب الله عنكم غيظكم ، وشقَى صدوركم ، وصِرْتُمْ يداً على عدوكم ، بعد أن كَانَ بِأُسْكُمْ بينكم .

فَأُنشِدُكم الله ، ألم تكن خلافته قُفْلُ الفتنَةِ بعد انطلاقتها من عقالها ؟ ألم يَتَلَوَّفَ صَلَاحَ الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها ؟ ولم يَكِلْ ذلك إلى القواد والأجناد ، حتى باشره بالقوة والمُهْجَةِ والأولاد ، واعتزل النسوان ، وهجر الأوطان ، ورَفَضَ الدُّعَا ، وهي محبوبة ، وترك الرُّكُونَ إلى الراحة ، وهي مطلوبة ، بِطَوِيَّةٍ صحيحة ، وعزيمة صريحة ، وبصيرة ثابتة ، نافذة ثاقبة ، وريح هابئة غالبة ، وَنُصْرَةٌ من الله واقعة واجبة ، وَسُلْطَانٌ قاهر ، وَجَدٍ ظاهر ، وسيف منصور ، تحت عدل مشهور ، متحملاً للنَّصَبِ ، مستقلاً لما ناله في جانب الله من التعب ، حتى لانت الأحوال بعد شدتها ، وانكسرت شوكة الفتنَةِ عند حِدَّتِهَا ، ولم يبق لها غَارِبٌ إِلَّا جَبَهُ <sup>(٢)</sup> ، ولا نَجَّمَ <sup>(٣)</sup> لأهلها قَرْنٌ إِلَّا جَدَّهُ ،

[١] في الأصل « فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء » والصواب ما ذكرنا :

[٢] الغارب : الكلل ، أو ما ين السام والعتق ، وجته : قطعه .

[٣] في الأصل : « نجح » وهو تحريف ، والصواب « نجم » أي ظهر وطلع ، وجده : قطعه .

فأصبحتم بنعمة الله إخوانا ، ويلمَّ أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعوانا ، حتى تواترت لديكم الفتوحات ، وفتح الله عليكم بخلافه أبواب الخيرات والبركات ، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم ، وآمال الأقبصين والأذنين مستخدمة إليه وإليكم ، يأتون من كل فجٍ عميق ، وبلد سحيق <sup>(١)</sup> ، لأخذ حبل <sup>(٢)</sup> يئنه وبينكم جُملة وتفصيلا ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، ولن يخلف الله وعده ، ولهذا الأمر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة بادية ، تدل على أحوال باطنة خافية ، دليلها قائم ، وجفنها غير نائم « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَهَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَنَسْتَعْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَعْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَدَدٍ خَوْفِهِمْ أَمْنًا » ، وليس في تصديق ما وعد الله ارتياب ، ولكل نبأ مستنقر ، ولكل أجل كتاب ، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، واسألوه المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين <sup>(٣)</sup> خلافة أمير المؤمنين - أيده الله بالعصمة والسداد ، وألمهه خالص التوفيق إلى سبيل الرشاد - أحسن الناس حالاً ، وأنعمهم بالآ ، وأعزهم قراراً ، وأمنهم داراً ، وأكثفهم جَمْعاً ، وأجلهم صنْماً ، لا تُهاجون ولا تُدَادون ، وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون ، فاستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناجحة لإمامكم ، والتزام الطاعة لخليفكم وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإن من نزع يده من الطاعة ، وسعى في تفريق الجماعة ، وتَرَق من الدين ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

[١] سحيق : بعيد . [٢] أى مهاجمة يئنه وبينكم . [٣] هكذا في فتح الطيب ، ومطبع الأتس ، ولعلّ سوابه : « أصبحتم بخلافة أمير المؤمنين » .

وقد علمتم أن في التعلق بِمِصْرَتِهَا ، والتمسك بِمِرْوَتِهَا ، حفظ الأموال ، وَحَقْنُ الدماء ، وصَلَحُ الْخَاصَةِ وَالذَّمَاءُ <sup>(١)</sup> ، وَأَنْ يَدَاوِمَ <sup>(٢)</sup> الطَّاعَةُ تُقَامُ الْحُدُودُ ، وَتَوْفَى الْعُهُودُ ، وَبِهَا وَصِلَتِ الْأَرْحَامُ ، وَوَضَحَتِ الْأَحْكَامُ ، وَبِهَا سَدَّ اللَّهُ الْخَلْلَ ، وَأَمَّنَ السَّبَلَ ، وَوَطَأَ الْأَكْنَافَ ، وَرَفَعَ الْإِخْتِلَافَ ، وَبِهَا طَابَ لَكُمْ الْقَرَارُ ، وَاطْمَأْنَنَ بِكُمْ الدَّارُ ، فَاعْتَصِمُوا بِمَا أَمَرَكمُ اللَّهُ بِالْإِعْتِصَامِ بِهِ ، فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ » ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَحَاطَ بِكُمْ فِي جَزِيرَتِكُمْ هَذِهِ مِنْ ضُرُوبِ الْمُشْرِكِينَ ، وَصُنُوفِ الْمُلْحِدِينَ السَّاعِينَ فِي شَقٍّ عَصَاكُمْ ، وَتَفْرِيقِ مَلِكِكُمْ ، الْآخِذِينَ فِي مَخَاذِلِ دِينِكُمْ ، وَهَتْكِ حَرِيمِكُمْ ، وَتَوْهِينِ دَعْوَةِ نَبِيِّكُمْ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، وَعَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَخْتِمُ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، مُسْتَنْفِرًا اللَّهَ الْغَفُورَ الرَّحِيمَ ، فَهُوَ خَيْرُ النَّافِرِينَ .

وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه ، وثبات جنانه ، وبلاغة لسانه ، وكان الناصر أشدهم تمجيباً منه ، فولاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء ، ثم توفى محمد بن عيسى القاضي ، فولاه قضاء الجماعة بقرطبة ، وأقره على الصلاة بالزهراء . ( فتح الطيب ١ : ١٧٢ ، ومطبع الأضواء ص ٤٣ )

## ٩ — خطبة أخرى له

وخطب منذر بن سعيد يوماً — وأراد التواضع — فكان من فصول خطبته ، أن قال :

« حتى متى ، وإلى متى ، أعظ ولا أتعظ ، وأزجر ولا أنزجر ؟ أدل الطريق

[١] الدماء : جماعة الناس . [٢] في الأصل : « يقوم » ، وأظنه : « يدوام » .

إلى المستدلين ، وأبقي مقبياً مع الحائرين اكلا ، إن هذا هو البلاء المبين ! إن  
 مِنِ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ ، وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ، أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا  
 وَارْحَمْنَا ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ، اللَّهُمَّ فَرِّغْنِي لِمَا خَلَقْتَنِي لَهُ ، وَلَا تَشْغَلْنِي بِمَا  
 تَكْفَلْتَنِي بِهِ ، وَلَا تَحْزِمْنِي وَأَنَا أَسْأَلُكَ ، وَلَا تَعَذِّبْنِي وَأَنَا أَسْتَغْفِرُكَ ،  
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . ( فتح الطيب ١ : ٣٣٣ )

١٠ - أحد حساد الرمادى الشاعر والمنصور بن أبى عامر

( المتوفى سنة ٣٩٤ هـ )

وقال المنصور بن أبى عامر المَعافِرِيّ <sup>(١)</sup> يوماً لأبى صر يوسف الرمادى  
 الشاعر : كيف ترى حالك معي ؟ فقال : « فوق قدرى ، ودونَ قدرك <sup>(٢)</sup> » ،  
 فأطرقَ المنصور كالنضبان ، فَأَنْسَلَ الرمادى وخرج وقد نَدِمَ على ما بَدَرَ منه ،  
 وجعل يقول : أَخْطَأْتُ ! لا والله ، مَا يُفْلِحُ مع الملوك من ياملهم بالحق ، مَا كَانَ  
 مَرَرْنِي لو قلت له : إِنِّي بِلَفْتِ السَّمَاءِ ، وَتَمَنَّقْتُ بِالْجُوزَاءِ ! وَأَنْشَدَ :  
 مَتَى يَأْتِ هَذَا الْمَوْتُ لَا يُلْفِ حَاجَةً لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا  
 وكان فى المجلس من يحسُّده على مكانه من المنصور ، فوجد قُرْصَةً فقال :

[١] هو المنصور أبو طاهر محمد بن عبد الله بن طاهر بن أبى طاهر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك  
 المَعافِرِيّ . دخل جده عبد الملك الأندلس مع طارق ، وكان طليعاً فى قومه ، وله فى الفتح أثر ، وكان  
 الحكم بن الناصر قد استوزر ابن أبى طاهر ، وفوض إليه أموره ، وتوفت حاله عنده ، ثم توفى الحكم  
 سنة ٣٩٦ هـ ، وولى بعده ابنه هشام ، وكانت سنة تسع سنين ، فحدث ابن أبى طاهر عنه بالطلب عليه  
 لعمر سنة ، وتم له ما أُمِّلَ ، فطلب عليه ، وترجع على سرير الملك ، وأمر أن يحيا بحجة الملوك ، وتسمى  
 بالحاج المنصور ، وعمدت الكتب والمخطوطات والأوامر باسمه ، وأمر بالبناء له على للتأبر باسمه عقب الفداء  
 للثغفة ، ولم يبق لهشام من رسوم الخلافة أكثر من الفداء له على المأبر ، وكتابة اسمه فى السكة والطور ،  
 وهلك المنصور أعظم ما كان ملكاً سنة ٣٩٤ هـ لسبع وعشرين سنة من ملكه .

[٢] يريد « ودون ما ينبغي أن يطلبه منك لثلى » .

« وَصَلَّ اللَّهُ لِمَوْلَانَا الظَّفَرَ وَالسَّعْدَ ، إِنَّ هَذَا الصِّنْفَ صَنَفُ زُورٍ وَهَذَانِ ، لَا يَشْكُرُونَ نِعْمَةً ، وَلَا يَرْعَوْنَ إِلَّا <sup>(١)</sup> وَلَا ذِمَّةً ، كَلَابُ مَنْ غَلَبَ ، وَأَصْحَابُ مَنْ أَخْصَبَ ، وَأَعْدَاءُ مَنْ أَجْدَبَ ، وَحَسْبُكَ مِنْهُمْ أَنْ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ فِيهِمْ : « وَالشُّعْرَاءُ يَنْبِئُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ » وَالْإِبْتِمَادُ مِنْهُمْ أَوْلَى مِنَ الْإِقْتِرَابِ ، وَقَدْ قِيلَ فِيهِمْ : مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ ، الصَّدَقُ يُسْتَحْسَنُ إِلَّا مِنْهُمْ ؟ » .

\* \*

فرغ المنصور رأسه - وكان مُحَامِي أهل الأدب والشعر - وقد اسودَّ وجهه ، وظهر فيه الغضب المفرط ، ثم قال :

« مَابَالُ أَقْوَامٍ يُشِيرُونَ فِي شَيْءٍ لَمْ يُسْتَشَارُوا فِيهِ ، وَيَسِيثُونَ الْأَدَبَ بِالْحُكْمِ فِيمَا لَا يَذَرُونَ ، أَيْرِضَى أَمْ يُسْخِطُ ؟ وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمُبْتِغِ لِلشَّرِّ دُونَ أَنْ يُبْتِغِ ، قَدْ عَلِمْنَا غَرْضَكَ فِي أَهْلِ الْأَدَبِ وَالشُّعْرَاءِ ، وَحَسَدُكَ لَهُمْ ، لِأَنَّ النَّاسَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

مَنْ رَأَى النَّاسَ لَهُ فَضْلٌ - سَلَا عَلَيْهِمْ حَسَدُهُ

وَعَرَفْنَا غَرْضَكَ فِي هَذَا الرَّجُلِ خَاصَّةً ، وَلَسْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَبْلِغُ أَحَدًا غَرْضَهُ فِي أَحَدٍ ، وَلَوْ بَلَّغْنَاكُمْ بَلَّغْنَا فِي جَانِبِكُمْ ، وَإِنَّكَ ضَرَبْتَ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ <sup>(٢)</sup> ، وَأَخْطَأْتَ وَجْهَ الصَّوَابِ ، فَزِدْتَ بِذَلِكَ احْتِقَارًا وَصَغَارًا ، وَإِنِّي مَا أَطْرَقْتُ مِنْ كَلَامِ الرَّمَادِيِّ إِنْكَارًا عَلَيْهِ ، بَلْ رَأَيْتُ كَلَامًا يَحِلُّ عَنِ الْأَقْدَارِ الْجَالِيَةِ ، وَتَمَجَّجْتُ مِنْ تَهْدِيهِ لَهُ

[١] الْإِلَّ : الْعَهْد .

[٢] مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ : « ضَرْبٌ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ » وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ طَعَنَ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ .

بسرعة ، واستنباطه له على قلة من الإحسان الغامر ، ما لا يستنبطه غيره بالكثير ،  
والله لو حكمته في بيوت الأموال ، لرأيت أنها لا ترجع ما تكلم به قلبه ذرة ،  
ولما لم أن يعود أحد منكم إلى الكلام في شخص ، قبل أن يؤخذ معه فيه ، ولا  
تحكموا علينا في أولياننا ، ولو أبصرتم منا التغير عليهم ، فإننا لا نغير عليهم  
بفضأ لهم ، وانحرافاً عنهم ، بل تأديباً وإنكاراً ، فإننا من نريد إيماده لم نظهر له  
التغير ، بل ننبذه مرة واحدة ، فإن التغير إنما يكون لمن يُراد استبقاؤه ، ولو  
كنت مائل السمع لكل أحد منكم في صاحبه ، لفرقم أيدي سباً<sup>(١)</sup> ،  
وجوبنت أنا عجائب الأجر ، وإنني قد أطلتكم على ما في ضميري ، فلا تعدلوا  
عن مَرْضاتي ، فتجنبوا سُخْطِي بما جئتموه على أنفسكم .



ثم أمر أن يُردَّ الرمادي ، وقال له : أعد على كلامك ، فارتاع ، فقال :  
الأمر على خلاف ما قدرت ، الثواب أولى بكلامك من العقاب ، فسكن  
لثأنيته ، وأعاد ما تكلم به .

فقال المنصور : « بلغنا أن النعمان بن المنذر حشاً فَمَ التابغة بالدُّر ، لكلام  
استملحه منه ، وقد أمرنا لك بما لا يقصُر عن ذلك ، ما هو أنوة وأحسن مائدة ،  
وكتب له بمال وخِلَع وموضع يعيش منه ، ثم رد رأسه إلى المتكلم في شأن  
الرمادي - وقد كان يفوص في الأرض لو وجد ، لشدة ما حلَّ به مما رأى وسمع -

[١] من أمثلهم أيضاً : « ذهبوا أيدي سباً ، وخرقوا أيدي سباً ، وأيادي سباً » ، واليد : الطريق  
أي فرق م طريقهم التي سلكوها كما تحرق أهل سباً في مذاهب مختلفة . ضرب للتلذذ ، لأنه لما غرق مكانهم ،  
وذبت جثثهم ، تبعوا في البلاد - انظر القصة في الجزء الأول صفحة ٣٤٥ - وقد بنوا أيدي سباً ،  
وأيدي سباً على السكون لكونه مركباً تركيب خفة هم .



وقال : « وَالْعَجَبُ مِنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ : الابتعاد من الشعراء أولى من الاقتراب ، نعم ، ذلك لمن ليس له مفاخر ، يريد تخليدها ، ولا أيادٍ يرغب في نشرها ، فأين الذين قيل فيهم :

على مُكثَرِهم رَزَقُ مَنْ يَعتَرِهم      وعند المُقَلِّينَ السَّاحَةُ وَالْبَذَلُ<sup>(١)</sup>  
وَأين الذي قيل فيه :

إنما الدنيا أبو دُلْفٍ      بين مَبْدَاهِ وَمُخْتَصَرِهِ  
فإذا وَلَّى أبو دُلْفٍ      وَلَّت الدنيا على أثرِهِ<sup>(٢)</sup>

أما كان في الجاهلية والإسلام أكرم ممن قيل فيه هذا القول ؟ بل ، ولكن مُحبَّة الشعراء والاحسان إليهم ، أحييتْ غابرَ ذِكْرهم ، وَخَصَّتْهم بمفاخرِ عصرهم ، وغيرهم لم تخلد الأمداح<sup>(٣)</sup> مَا يَزِمهم ، فَذَثَرِ ذِكْرهم ، وَدَرَسَ نَفْرُهم .

( نقح الطيب ٢ : ٢٢٦ )

١١ - ابن اللبانة الشاعر وعز الدولة بن المعتصم بن صمادح

لما مات المعتصم بن صمادح<sup>(١)</sup> ملك المَرِيَّة ركب البحر ابنته وولّى عهده الواثق عز الدولة ، وفارق المُلْك كما أوصاه والده المعتصم .

[١] البيت لرهير بن أبي سلمى من قصيدة في مدح آل هرم بن سنان .

[٢] البيتان لعلّ بن جبلة الأنباري الملقب بالكوك من قصيدة قالها في مدح أبي دلف انقاسم بن عيسى المجلي - وكان حواداً ممدحاً - وفيها يقول :

كل من في الأرض من عرب بين يديه إلى حضرة  
مستعير منه مكرمة يكتسبها يوم مفتخره

وهذا البيتان الأخيران أحفظا عليه المأمون ، فطلبه حتى ظفر به ، فنزل لسانه من فاه ، وقال : بل حرب ولم يزل متوارياً منه حتى مات ، قال صاحب الأعاني : « وهذا هو الصحيح من القولين ، والآخر شاذ » .  
[٣] لم أجد هذا الجمع في كتب اللغة ، وإنما الذي فيها : « المدحة بالكسر والمدح والأمدوحة بالضم : ما يمدح به ، والجمع مدح كمد ومدائح وأمادح » .

[٤] هو أحد ملوك الطوائف بالأندلس ، وكان صاحب المَرِيَّة « بلد بالأندلس على الساحل الجنوبي » ، وكان منافقاً للمعتد بن عباد صاحب إشبيلية حاوله ، وقد سعى به لدى أمير الرابطين يوسف بن تاشفين

قال أبو بكر بن اللبانة الشاعر: ما علمت حقيقة جَوْرِ الدهر، حتى اجتمعت  
بِجَايَةٍ<sup>(١)</sup> مع عز الدولة بن المعتصم، فإني رأيت منه خيراً من يُجْتَمَعُ به، كأنه  
لم يخلق الله تعالى إلا للملك والرياسة، وإحياء الفضائل، ونظرت إلى همته تَنِمُّ  
من تحت مُحمّله، كما يَنِمُّ فِرْنْدُ<sup>(٢)</sup> السيف وَكَرْمُهُ من تحت الصَّدَأِ، مع حفظه  
لفنون الأدب والتواريخ، وحسن استماعه وإسماعه ورقة طباعه، ولطافة ذهنه،  
ولقد ذكرته لأحد من صحبته من الأدباء في ذلك المكان، ووصفته بهذه  
الصفات، فتشوّق إلى الاجتماع به، وَرَغِبَ إلى أن أَسْتَأْذِنَه في ذلك، فلما  
أعلمت عز الدولة قال:

« يا أبا بكر، إنك لتعلم أنا اليوم في مُحمول وصَنيق، لا يَتَسَمَّعُ لنا معهما، ولا  
يُحْمِلُ بنا الاجتماع مع أحد، لا سِياً مع ذى أدب ونباهة، يلقانا بين الرحمة،  
ويزورنا بمنّة التفضل في زيارتنا، ونكابد من ألفاظ توجّهه، وألحاظ تفجّحه،  
ما يحدّد لنا هماً قد بلى، وَيُخْجِئُ كدّاً قد فني، ومالنا قدرة على أن نجود عليه  
بما يَرْضَى عن همتنا، فدَعْنَا كأننا في قبر، تدرّع لسِهام الدهر، بدرع الصبر،  
وأما أنت فقد اختلطت بنا اختلاط اللحم بالدم، وامتزجت امتزاج الماء بالخر،  
فكأننا لم نكشف حالنا لسوانا، ولا أظهرنا ما بنا لغيرنا، فلا نحمل غيرك بمحملك» .  
قال ابن اللبانة: فلا والله مسمى بلاغة لا تصدّر إلا عن سَدَّاد، وقسِ أية  
متمكنة من أعنة البيان، وانصرفت مثلاً:

وأفسد ما بينهما، وكان ابن عباد قد استنصر ابن تاشفين لصد ظفرة الإسبان، فصر بجيشه من مراكش  
إلى الأندلس، وأبلى بلاء حسناً في قتلهم حتى دارت عليهم العثرة في وقعة الزلاقة، ثم مال على ملوك  
الطوائف، فاكسح دولهم، ودانت له الأندلس. [١] بجاية: بلد بالقرب من ساحل بلاد الجزائر.  
[٢] جومرة.

لسان الفتى نصف، ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم  
وكان ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم<sup>(١)</sup>

(فتح الطيب ٢ : ٢٢٨)

## ١٢ - دفاع ابن الفخار عن القاضي الوحيدى

بحضرة ابن تاشفين

لما تألب بنو حسون على القاضي أبى محمد عبد الله الوحيدى قاضى مالقة<sup>(٢)</sup> ،  
انبرى للدفاع عنه العالم الأصولى أبو عبد الله بن الفخار ، فقصده إلى حضرة  
الإمامة « مراکش » ، وقام فى مجلس أمير المسلمين ، يوسف بن تاشفين ، وقد  
غص بأربابه ، فقال :

« إنه لمقام كريم ، نبداً فيه بحمد الله على الدنو منه ، ونصلى على خيرة أنبيائه ،  
محمد الهادى إلى الصراط المستقيم ، وعلى آله وصحابه نجوم الليل الأبهيم<sup>(٣)</sup> ،  
أما بعد ، فإننا نحمد الله الذى اصطفاك للمؤمنين أميراً ، وجعلك للدين الحنيفي  
نصيراً وظهيراً ، وتفزع إليك مما دهمنا<sup>(٤)</sup> فى حماك ، ونبت إليك ما لحقنا من  
الضيم ، ونحن تحت ظل علاك ، ويأبى الله أن يذهم من احتسى بأمر المسلمين ،  
ويصاب بضيم من أدرج بحصنه الحصين ، شكوى قت بها بين يديك ، فى  
حق أورك الذى عصفه<sup>(٥)</sup> مؤيده ، لتسمع منها ما تختبره برأيك وتنفذه ، وإن  
قاضيك ابن الوحيدى الذى قدمته فى مالقة للأحكام ، ورضيت ببدله فيمن بها

[١] اليتان لزمير بن أبى سلمى من ملقته . [٢] بلد بالأندلس على الساحل الجنوبي .

[٣] الأسود . [٤] دهمه كسمع ومنع : غشه .

[٥] عصفه كصفه : أصاب عصفه ، والمراد بمؤيده بنو حسون ، والمعنى : إن بنى حسون - وكانوا  
أحق بتأييد أورك وتوطيده - قد أرووه وأوهوه بضرهم لأحكام القاضي ، والظن فيها ، أو معنى  
عصفه : نصره ، فالمراد بمؤيده القاضي الوحيدى ، والمعنى على ذلك ، إن القاضي القائم بأورك يدأب على  
نصره ، وتثبت دعامه ، بانتهاجه طريق الحق فى حكمه ، ولو غضب من جراء ذلك فريق من الرعية .

من الخاصة والموام ، لم يزل يَدُلُّ على حسن اختيارك بحُسن سيرته ، وَيُرَضِّي  
اللهَ تعالى وَيُرَضِّي النَّاسَ بظاهره وسريته ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْكَ مِنْ سُوءٍ ، وَلَا دَرَيْنَا  
له موقف خِزْي ، ولم يزل جاريًا على مَا يُرَضِّي الله تعالى ويرضيك ويريضينا ،  
إلى أن تمرضت بنوحشون للطنن في أحكامه ، والهدّ من أعلامه ، ولم يعلموا  
أن احتضام المقدّم ، راجع على المقدّم ، بل جَمَحُوا في لجأهم ، فَمَمُوا وَصَمُوا ،  
وقمّلوا وأمضوا ما به تمّوا ، وإلى السُّحْب يَرْفَع الكفّ من قد جَفَّ عنه مَسِيلٌ  
عين ونهر .

فلا سمّعه بلاغة أعقبت نصره ونصر صاحبه . ( غح الطب ٢ : ٢٤٠ )

١٣ — موعظة ابن أبي رندة الطرطوشي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ

للأفضل بن أمير الجيوش

دخل ابن أبي رندة الطرطوشي<sup>(١)</sup> مرة على الأفضل<sup>(٢)</sup> بن أمير الجيوش

فوعظه ، وقال له :

« إن الأمر الذي أصبحت فيه من الملك ، إنما صار إليك بموت من كان  
قبلك ، وهو خارج عن يدك ، بمثل ما صار إليك ، فاتق الله فيما خولك من هذه  
الأمة ، فإن الله عز وجل سائلك عن التَّعْيِيرِ والتَّعْطِيرِ والفَتِيلِ<sup>(٣)</sup> ، واعلم أن الله

[١] هو الفقيه العالم أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الهجري الطرطوشي  
( بضم الطاءين ، وقد تنفع الطاء الأولى ، نسبة إلى طرطوشة من بلاد الأندلس ) ويعرف بابن أبي رندة  
وكان زاهداً حليماً متورطاً متقلداً من الدنيا قولاً لحن ، وحل إلى الشرق ، ودخل بغداد والبصرة ،  
وسكن الشام مدة ، ودرس بها ، وكان الأفضل بن أمير الجيوش يكرهه ، فلما ولي بعده للأمن بن البطامي  
أكرم الطرطوشي إكراماً كثيراً ، وله ألف الشيخ « سراج الملوك » وتوفى بالإسكندرية سنة ٥٢٠ هـ .

[٢] هو الوزير الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش المشهور ، وكان أبوه بدر الجمالي حاكم عكا ، فأرسل  
إليه الخليفة الفاطمي المستنصر بمأله القدوم إلى مصر لإصلاح أحوالها للضغينة إذ ذاك ، فقدم إليها ، وتولى  
شؤونها ، وأقام موعظاً ، وصارت له فيها الكلمة النافذة ، ثم لابنه الأفضل .

[٣] التَّعْيِيرُ : القشرة التي في ظهر النواة ، والتَّعْطِيرُ : القشرة الرقيقة التي بين النواة والتمر ، والفَتِيلُ :  
ما يكون في شق النواة .

عز وجل<sup>(١)</sup> آتى سليمان بن داود ملك الدنيا بحذافيرها ، فسخر له الإنس والجن والشياطين والطير والوحوش والبهائم ، وسخر له الريح تجري بأمره رخاء<sup>(٢)</sup> حيث أصاب ، ورفع عنه حساب ذلك أجمع ، فقال عز من قائل : « هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ<sup>(٣)</sup> أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » ، فاعذ ذلك نعمة كما عدّتموها ، ولا حسيبها كرامة كما حسبتُموها ، بل خاف أن يكون استدراجاً من الله عز وجل فقال : « هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ، لِيَبْلُوَنِي<sup>(٤)</sup> أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ » ، فافتح الباب ، وسهل الحجاب ، وانصر المظلوم . (فتح الطيب ١ : ٢٦٣)

## ١٤ - خطبة ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين (الموتى سنة ٥٣٤ هـ)

استدعى محمد بن عبد الله بن تومرت<sup>(١)</sup> مؤسس دولة الموحدين أصحابه ، قبل موته بأيام يسيرة ، وقد أراد أن يستخلف عليهم عبد المؤمن بن علي ، فلما حضروا بين يديه قام :

[١] الرخاء : الريح اللينة . [٢] أى فأعطاه من شئت . [٣] بلاه : اختبره .

[٤] هو محمد بن عبد الله بن تومرت من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب ، ولد سنة ٤٨٥ هـ ، ورحل إلى المغرب سنة ٥٠١ هـ في طلب العلم ، وانتهى إلى بغداد ، وقيل إنه اتى أبا حامد الغزالي ، ثم رجع إلى المغرب ، وعلقت دعوته في أول الأمر في صورة أمر بالمعروف ، فانه عن المنكر ، فانه بمس القوم ، وخرج هو وأصحابه إلى السوس ، وشرع في التدريس والدعاة إلى الخير ، وما زال يستميل القلوب حتى كثرت شيعته ، ثم جعل يذكر الهدى ويشوق إليه ، وجع الأحاديث التي جاءت فيه ، فلما قرر في فرسهم فضيلة الهدى ، ادعى ذلك لنفسه ، وتسمى بالهدى ، ورفع نسيبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وادعى إنه من نسل الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وصرح بدعوى العصبة لنفسه ، وأنه الهدى المصوم ، وروى في ذلك أحاديث كثيرة حتى استغفر عندهم أنه للهدى ، فبايروه على ذلك ، ولما كانت سنة ٥١٧ هـ جهر جيشاً عظيماً - وكانت مراکش تحت إمرة الرابطين - فقال : اتعدوا هؤلاء المارقين المبدئين الذين تسموا بالرابطين ، فادعوم إلى إمارة المنكر ، وإحياء المروء ، وإزالة البدع ، وإلزام الملاحين بالهدى المصوم ، فإن أجاؤكم فهم إخوانكم ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم فقد أباحت لكم السنة قتالهم ، وأمر على الجيش عبد المؤمن بن علي ، فخرجوا إلى مراکش فلقبهم الرابطون

فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على محمد نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم  
أنشأ يترضى عن الخلفاء الراشدين ، رضوان الله عليهم ، ويذكر ما كانوا عليه من  
الثبات فى دينهم ، والمزينة فى أمرهم ، وأن أحدهم كان لا تأخذه فى الله لومة لائم ،  
وذكر من حدّ عمر رضى الله عنه ابنة فى الحجر ، وتصميمه على الحق ، فى أشباه  
لهذه الفصول ، ثم قال :

فاتقرضت هذه المصابة ، نضر الله وجوهها ، وشكر لها سعيها ، وجزاها  
خيراً عن أمة نبيها ، وخبطت الناس فتنة تركت الحليم حيران ، والعالم متجاهلاً  
مذهاباً ، فلم ينتفع العلماء بملهم ، بل قصّدوا به الملوك ، واجتلبوا به الدنيا ،  
وأمالوا وجوه الناس إليهم ، فى أشباه لهذا القول ، إلى هلم جراً .

ثم إن الله سبحانه - وله الحمد - منّ عليكم - أيّها الطائفة - بتأييده ،  
وخصّكم من بين أهل هذا العصر بحقيقة توحيدة ، وقبض<sup>(١)</sup> لكم من<sup>(٢)</sup>  
ألفاكم ضلّالاً لا يهتمدون ، وعمياً لا تبصرون ، لا تعرفون معروفاً ، ولا تشكرون  
منكراً ، قد فشّت فيكم البدع ، واستهوتكم الأباطيل ، وزين لكم الشيطان  
أصايل وتزهاك<sup>(٣)</sup> ، أنزّه لسانى عن النطق بها ، وأربأ<sup>(٤)</sup> بلفظى عن

قريباً منها بجيش ضخم أسيرم الوزير بن على بن يوسف بن تاشفين ، فعموم إلى ما أسرم به ابن تورمت  
فردوا عليهم أسوأ ردّ ، ثم التفت الثثنان ، فانهم أصحاب ابن تورمت وقتل منهم خلق كثير ، فلما رجع  
القوم إلى ابن تورمت جبل يهون عليهم أسر المزيعة ، ويغرّر فى غوسهم أن قلام جهاد ، لأنهم ذابون  
من دين الله ، فزادهم ذلك بصيرة فى أمرهم ، وحرصاً على لقاء عدوهم ، وجعلوا يشتنون الغارات على نواحي  
مراكش ويحطون ويهدون ولا يغفون على أحد من قدروا عليه ، وكثر الداخلون فى طاعتهم ، ولم يزل  
أصحابه ظاهرين ، وأحوال المرابطين تخطّ ، واضطاض دولتهم يتراد ، إلى أن تولى ابن تورمت سنة ٥٠٢٤ هـ  
بعد أن أسس الأمور ، وأحكم التدبير ، وقام بأسر اللوحدين من بعده عبد المؤمن بن على . وقد استوفى له  
الأمر بموت على بن يوسف بن تاشفين ملك المرابطين سنة ٥٠٣٧ هـ .

[١] أتاح لكم وسبب وهياً . [٢] معنى نفسه . [٣] جمع ترجمة : وهو الباطل .

[٤] ارفع

ذكرها ، فهذا كم الله به بعد الضلالة ، وبصركم بعد العمى ، وجمعكم بعد الفرقة ، وأعزكم بعد الذلة ، ورفع عنكم سلطان هؤلاء المارقين<sup>(١)</sup> ، وسيورثكم أرضهم وديارهم ، ذلك بما كسبته أيديهم ، وأضرته قلوبهم ، ومآ ربك بظلام للعبيد .  
فجددوا لله سبحانه خالص نيآتكم ، وأرووه من الشكر قولاً وفعلًا ما يُركى به سعيكم ، ويتقبل أعمالكم ، وينشر أمركم ، واحذروا الفرقة واختلاف الكلمة ، وشتات الآراء ، وكونوا يداً واحدةً على عدوكم ، فإنكم إن فعلتم ذلك ، هابكم الناس ، وأسرعوا إلى طاعتكم ، وكثر أتباعكم ، وأظهر الله الحق على أيديكم ، وإلا تفعلوا شملكم الذل ، وعمكم الصغار<sup>(٢)</sup> ، واحتقرتكم العامة ، فتخطفتكم الخاصة ، وعليكم في جميع أموركم بمنزج الرافة بالنفظة ، واللين بالعنف ، واعلموا مع هذا أنه لا يصلح أمر آخر هذه الأمة ، إلا على الذي صلح عليه أمر أولها .  
وقد اخترنا لكم رجلاً منكم ، وجعلناه أميراً عليكم ، هذا بعد أن بلّوناه<sup>(٣)</sup> في جميع أحواله ، من ليله ونهاره ، ومدخله ومخرجه ، واختبرنا سيرته وعلايته ، فرأيناه في ذلك كله ثبّتاً<sup>(٤)</sup> في دينه ، متبصراً في أمره ، وإني لأرجو أن لا يخلف الظن فيه ، وهذا المشار إليه هو : « عبد المؤمن » ، فاسمعوا له وأطيعوا ما دام سامعاً مطيعاً لربه ، فإن بدّل أو نكص على عقبيه ، أو ارتاب في أمره ، ففي الموحدين - أعزهم الله - بركة وخير كثير ، والأمر أمر الله يقلده من شاء من عباده .

فبايع القوم عبد المؤمن ، ودعاهم ابن قومت .

( المعجب ، في تاريخ أخبار المغرب ص ١٠٨ )

## ١٥ — مقال لسان الدين بن الخطيب ( المتوفى سنة ٧٧٦ هـ ) في الحَضِّ على الجهاد

وقال لسان الدين بن الخطيب <sup>(١)</sup> في الحَضِّ على الجهاد :

« أيها الناس - رَحِمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى - :

إخوانكم المسلمون بالأندلس قد دَهَمَ العدوُّ - قَمَصَهُ اللَّهُ تَعَالَى - ساحتهم ،  
ورام الكفرُ - خَذَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى - استباحتهم ، وَرَحَقَتْ أحزاب الطواغيت  
إليهم ، وَمَدَّ الصليبُ ذِراعَيْهَ عليهم ، وأيديكم - بِعِزَّةِ اللَّهِ تَعَالَى - أقوى ، وأنتم  
المؤمنون أهلُ البرِّ والتقوى ، وهو دينكم فانصُرُوهُ ، وَجِوَارُكُمْ القريب فلا  
تُخْفِرُوهُ <sup>(٢)</sup> ، وسبيل الرشَدِ قد وَضَعَ فلتُبْصِرُوهُ ، الجهادُ الجهادُ فقد تميَّنَ ،  
الجارُ الجارُ فقد قرَّرَ الشرعُ حقَّه وَبَيَّنَّ ، اللَّهُ اللَّهُ في الإسلام ، اللَّهُ اللَّهُ في أُمَّة  
محمد عليه الصلاة والسلام ، اللَّهُ اللَّهُ في المساجد المعمورة بذكر الله ، اللَّهُ اللَّهُ في  
وطن الجهاد في سبيل الله ، قد استغاثت بكم الدين فأغيثُوهُ ، قد تأكَّدَ عهد الله

[١] هو لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد المشهور بابن الخطيب خاتمة أدباء الأندلس ، ولد بفنطاة  
سنة ٧١٣ هـ ، وكان أول أمره في عداد كتاب السلطان أبي الحجاج يوسف أحد ملوك بني الأحمر ، ثم  
اصطفاه وجهه وزمره ، وفُتِّسَ إليه شئون مملكته ، ولما مات أبو الحجاج ، وخلفه ابنه محمد أقره على  
الوزارة ، ثم وثب إسماعيل أخو السلطان على ملكه ، فاضطرَّ أن يهادنه إلى الغرب مع وزيره لسان الدين ،  
فلما تحسنت الأحوال عاد محمد إلى ملكه ، وبقى مدة كتب له فيها ابن زمرك أحد تلاميذ لسان الدين ، ثم عاد  
لسان الدين إلى فنطاة ، وحلَّ مكانه من سلطانه ، فألب ذلك نار الحسد في ابن زمرك وأصاره ، فسوا  
به إليه حتى أحفظوه عليه ، فهرب إلى الغرب - وكان في حوزة بني مرين ، ثم من البربر - حكموا للغرب  
بعد اللوحدين من سنة ٦٦٨ إلى سنة ٨٩٠ هـ - فأكرمه سلطان الغرب عبد العزيز ، وخطب ابن الأحمر  
في أهل وولده ، فجهَّم إليه إلى أن مات ( عبد العزيز ) ، وتكرَّه أحد أمراء بني مرين على ابن عبد العزيز ،  
وساعده ملك بني الأحمر بشرط تسليمه ابن الخطيب ، وتمَّ له أمره ، وقبض عليه ، وسجن بفاس ، ونظر  
في كلاتيه في كتابه « الحجة » وأُنفِيَ الظهاء بقتله ، ففسد عليه من خلقه في سجنه سنة ٧٧٦ هـ .

[٢] وكان سلطانه محمد بن أبي الحجاج أسفروا إلى ملوك بني مرين يستجدم على الإِسْبَان .

[٣] أخفروه : غدر به ونقض عهده .



وحاشاكم أن تكفؤوه ، أَعِينُوا إِخْوَانَكُمْ بِمَا أَمَكُن مِنَ الْإِعَانَةِ ، أَعَانَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى  
عند الشدائد ، جَدِّدُوا عَوَائِدَ الْخَيْرِ ، يَصِلِ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ جَمِيلَ الْعَوَائِدِ ، صَلَوَا  
رَحِمِ الْكَلِمَةِ (١) ، وَاسُوا بِأَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ تِلْكَ الطَّوَائِفُ الْمُسْلِمَةُ ، كَتَابُ اللَّهِ  
بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ، وَالسِّنَةُ الْآيَاتِ تُنَادِيكُمْ ، وَسَنَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمَةٌ  
فِيكُمْ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَقُولُ فِيهِ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَذِلَّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ  
تُنَجِّيْكُمْ » ، وَمِمَّا صَحَّ عَنْهُ قَوْلُهُ : « مَنْ أَغْبَرَتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُمَا  
اللَّهُ عَلَى النَّارِ » ، « لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ » ، « مَنْ جَهَّزَ  
غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا » ، أَدْرِكُوا رَمَقَ الدِّينِ قَبْلَ أَنْ يَفُوتَ ، بَادِرُوا عَلِيلَ  
الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ، احْفَظُوا وَجُوهَكُمْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ يَسْأَلُكُمْ عَنْ عِبَادِهِ ،  
جَاهِدُوا فِي اللَّهِ بِالْأَلْسُنِ وَالْأَقْوَالِ حَقَّ جِهَادِهِ :

مَازَا يَكُونُ جَوَابُكُمْ لِنَبِيِّكُمْ      وَطَرِيقُ هَذَا الْعُذْرِ غَيْرُ مُمَهَّدٍ  
إِنْ قَالَ : لَمْ فَرَطْتُمُو فِي أُمَّتِي      وَتَرَكْتُمُوهُمُ لِلْعُدُوِّ الْمُعْتَدِي ؟  
تَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْمُعْقِبَةَ لَمْ تُخَفِ      لَكُنِيَ الْحَيَّامُ مِنْ وَجْهِ ذَلِكَ السَّيِّدِ

اللَّهُمَّ اعْطِفْ عَلَيْنَا قُلُوبَ الْعِبَادِ ، اللَّهُمَّ بُثِّ لَنَا الْحَيَّةَ فِي الْبِلَادِ ، اللَّهُمَّ دَافِعْ عَنِ  
الْحَرِيمِ وَالضَّعِيفِ وَالْأَوْلَادِ ، اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَى أَعْدَائِكَ ، بِأَحْبَائِكَ وَأَوْلِيَائِكَ ،  
بِاخْيَارِ النَّاصِرِينَ ، اللَّهُمَّ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ  
الْكَافِرِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

(فتح الطيب ٤ : ٣)

١٦ - ما خاطب به لسان الدين تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني

وخاطب لسان الدين بن الخطيب تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني

لما قصدتها عقب ما شرع في جواره ، فقال :

« السلام عليك ثم السلام ، أيها المولى الهمام ، الذى عرف فضله الإسلام ، وأوجبت حقه العلماء الأعلام ، وخفقت بعز نصره الأعلام ، وتنافست في إقناذ أمره ونبيه السيوف والأقلام ، السلام عليك أيها المولى الذى قسم زمانه بين حكمه فصل ، وإمضاء فصل ، وإحراز فصل <sup>(١)</sup> ، وعبادة قامت من اليقين على أصل ، السلام عليك يا مقرر الصدقات الجارية ، ومُشيع البطون الجامعة ، وكامى الظهور العارية ، وقادح زناد العزائم الوارية ، ومكتب الكتاب الغازية ، في سبيل الله تعالى والسرايا <sup>(٢)</sup> السارية ، السلام عليك يا حجة الصبر والتسليم ، ومتلقى أمر الله تعالى بالخلق المرضي والقلب السليم ، ومفوض الأمر في الشدائد إلى السميع العليم ، ومُعَلِّبُ البَنان الطاهر في اكتاب الذكر الحكيم ، كَرَّمَ الله تعالى تَرْبَتَكَ وَقَدَّمَهَا ، وطيب رُوحَكَ الزَكِيَّةَ وَأَنَسَهَا ، فلقد كنت للدمر جَمَلاً ، وللإسلام ثَمَلاً <sup>(٣)</sup> ، وللمستجير مُجِيراً ، وللمظلوم ولياً ونصيراً ، لقد كنت للمحارب صَدْرًا ، وفي المواقب بَذْرًا ، وللموهاب بحرًا ، وعلى العباد والبلاد ظِلًّا ظليلاً وَسِتْرًا ، لقد فَرَعْتَ <sup>(٤)</sup> أعلامُ عِزِّكَ الثنايا ، وأجزأت همَّتكَ للملوك الأرض الهدايا ، كأنك لم تَعْرِضَ الجنود ، ولم تَنْشُرَ البُود <sup>(٥)</sup> ، ولم تبسُطِ المعدل

[١] الحصل : الطلبة في الضال . [٢] السرايا جمع سرية وهو من غسة أخص إلى ثمانية

أو أربعمائة . [٣] الثمال : النبات الذى يقوم بأمر قومه .

[٤] فرعت : طلت ، والثنايا : جمع ثنية كهفية ، وهي القبة ، أو الجبل ، أو الطريقة فيه .

[٥] البود جمع بند كشس : وهو العلم الكبير .

المحدود ، ولم تُوجد الجود ، ولم تُزِن الرِّكْع السُّجُود ، فتوسَّدت الثرى ، وأطلَّت  
الكَرْزى ، وشربت الكأس التى يشربها الورى ، وأصبحت ضارِع<sup>(١)</sup> الخدّ ،  
كليل الخدّ ، سالِكامَن الأب والجدّ ، لم تَجِدْ بعد انصرام أجلك ، إلا صالح  
عملك ، ولا صَحِبْتَ لقبرك ، إلا رابِحَ تجرُّك<sup>(٢)</sup> ، وما أسلفت من رضاك وصبرك ،  
فنسأل الله تعالى أن يؤنس اغترابك ، ويحود بسحاب الرحمة تُرابك ، وينفعك  
بصدق اليقين ، ويحملك من الأئمة المتقين ، وَيُعْلِي درجتَكَ فى عِلِّيِّين<sup>(٣)</sup> ،  
ويحملك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصّديقين .

وَلِيَهْنِكَ أَنْ صَيَّرَ اللهُ تعالى ملكَكَ من بعدك ، إلى نَيْرِ سَعْدِكَ ، وبارق  
رَعْدِكَ ، وَمُنْجَزَ وَعْدِكَ ، أَرْضَى وَلَدِكَ ، وَرِيحَانَةَ خَلْدِكَ<sup>(٤)</sup> ، وَشَقَّةَ<sup>(٥)</sup> نَفْسِكَ ،  
والسَّرحَةَ المباركة من غَرْسِكَ ، ونور شمسِكَ ، وهوصلَّ عملك البرّ إلى رَمْسِكَ ،  
فقد ظهر عليه أثر دعواتك ، فى خَلَوَاتِكَ ، وأعقاب صلواتك ، فَكَلِمَتُكَ وَالْمَتَّةُ لله  
تعالى بافية ، وَحَسَنَتُكَ إلى محلّ القبول راقية ، يَرَعَى بك الوسيلة ، ويتمّ مقاصدك  
الجليلة ، أعانه الله تعالى ببركة رضاك على ما قلَّده ، وَعَمَرَ بِتَقْوَاهُ يَوْمَهُ وَغَدَهُ ،  
وأبعد فى السعد أمدّه ، وأطلق بالخير يده ، وجعل الملائكة أنصاره والأقدار عُددَه .  
وإِنِّى أَيُّهَا المولى الكريم ، البرّ الرحيم ، لما اشتدَّنى ، وَرَاشَنِي<sup>(٦)</sup> وَبَرَّانِي ،  
وتعبَّدنى بإحسانه ، واستعمل فى استخلاصى خَطَّ بَنَانِهِ ، وَوَصِيَّةَ لِسَانِهِ ، لم أجد  
مكافأةَ إِلَّا التَّقَرُّبَ إِلَيْكَ وإليه برِّائَتُكَ ، وإغراء لِسَانِي بِتَخْلِيدِ عَلَيَّائِكَ ، وتعفير

[١] ذليل . [٢] تحرّجاً وتحرارة .

[٣] اسم لأعلى الجنة ، أو هو كتاب جامع لأعمال الخير . [٤] الخدّ : النفس والقلب ،

[٥] الشقة : نصف الفى إذا شق ، والرحمة : الشجرة العظيمة .

[٦] راش السهم : ألقى عليه الريش ، وراشى الصديق : أحسنه وسقاه وكساه وأصلح حاله .

الْوَجْنَةُ فِي حَرَمِكَ ، وَالْإِشَادَةُ بِعَدِّ الْمَمَاتِ بِمَجْدِكَ وَكَرَمِكَ ، فَفَتَحْتَ الْبَابَ فِي هَذَا الْغُرُضِ ، إِلَى الْقِيَامِ بِحَقِّكَ الْمَفْتَرَضِ ، الَّذِي لَوْلَاهُ لَاتَّصَلَّتِ الْغَفْلَةُ عَنْ أَدَائِهِ وَتَعَادَتِ ، فَتَأَيَّسَتِ الْأَلْسُنُ وَلَا كَادَتْ ، مُتَحِيزًا بِالسَّبْقِ ، إِلَى أَدَاءِ هَذَا الْحَقِّ ، بِإِدْنَاءِ زِيَارَةِ قَبْرِكَ الَّذِي هُوَ رَحْلَةُ الْغُرْبِ ، مَا نَوَيْتَهُ مِنْ رَحْلَةِ الشَّرْقِ ، وَمَا أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَأَقْطَعَهُ أَثَرُ مَوَاقِعِ الْإِسْتِحْصَانِ ، وَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ الشُّكْرِ وَالتَّنْوِيهِ وَالْإِحْسَانِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَحْمِلُهُ عَمَلًا مَقْبُولًا ، وَيَبْلُغُ فِيهِ مِنَ الْقَبُولِ مَأْمُولًا ، وَيَتَفَعَّلُ مِنْ ضَائِقَتِهِ مِنْ سَلَفِكَ الْكَرَامِ بِالْمَغْفِرَةِ الصَّبِيَّةِ ، وَالتَّحِيَّاتِ الطَّيِّبَةِ ، فَنِمِّمُ الْمُلُوكَ الْكِبَارَ ، وَالْخُلَفَاءَ الْأَبْرَارَ ، وَالْأُئِمَّةَ الْأَخْيَارَ ، الَّذِينَ كَرُمَتْ مِنْهُمْ السَّيَرُ وَحَسُنَتِ الْأَخْبَارُ ، وَسَعَدَ بِعَرْمَاتِهِمُ الْجِهَادِيَّةُ الْمُؤْمِنُونَ وَشَقِيَ الْكَفَّارُ ، وَصَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى عَوْدًا وَبَدَأًا عَلَى الرَّسُولِ الَّذِي اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ فَهُوَ الْمَصْطَفَى الْمُخْتَارُ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ السَّادَةُ الْأَبْرَارُ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا . ( تَقِيعُ الطَّيْبِ : ١٣٥ )

## ١٧ - وَصِيَّةُ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ لِأَوْلَادِهِ

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُرْوَعُهُ الْجَمَامُ الْمَرْقُوبُ ، إِذَا شِئِمَ <sup>(١)</sup> نَجْمُهُ الْمُتَقَوَّبُ ، وَلَا يَبْتَفَتُهُ الْأَجَلُ الْمَكْتُوبُ ، وَلَا يَقْجُوهُ الْفِرَاقُ الْمَتَوَّبُ ، مُلْهِمُ الْهَدْيِ الَّذِي تَطْمِئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ ، وَمَوْضِعُ السَّبِيلِ الْمَطْلُوبِ ، وَجَاعِلُ النَّصِيحَةِ الصَّرِيحَةِ مِنْ قِسْمِ الْوَجُوبِ ، لَا سِيَّمَا لِلْوَلِيِّ الْمَحْبُوبِ ، وَالْوَلَدِ الْمُنْسُوبِ ، الْقَائِلِ فِي الْكِتَابِ الْمُعْجِزِ الْأَسْثُوبِ : « أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ <sup>(٢)</sup> » ، « وَوَصَّى بِهَا

[١] مِنْ شَأْنِ الْبَرِّ : فَطَرَّاهُ ابْنُ بَحْصَدٍ ، وَأَبْنُ بَطْرِ . [٢] وَتَعْلَمُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ : « إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ اللَّوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَدَلِي قَالُوا مَا تَعْبُدُ إِلَّا إِلَهَكَ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » .

إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ<sup>(١)</sup> ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ،  
أكرم من زُرْتُ على نوره جُيُوبُ الغيوب ، وأشرف مَنْ خُلِعَتْ عليه حُلُلُ  
المهابة والعِصمة ، فلا تَقْتَحِمُهُ<sup>(٢)</sup> الميُونُ ، ولا تَصِمُهُ الميُوبُ ، والرضا عن آله  
وأصحابه الثابرين على لسان<sup>(٣)</sup> الاستقامة بالهوى المغلوب ، والأملِ المسلوب ،  
والاقتداء الموصِّلِ المرغوب ، والعزِّ والأمن من اللُّغُوبِ<sup>(٤)</sup> ، وبعد : فإنِّي لما  
علاني المَشِيبَ بِقِمَّتِهِ<sup>(٥)</sup> ، وقادني الكِبَرُ بِرُمَّتِهِ<sup>(٦)</sup> ، وَأَدَّ كَرَّتُ الشَّبابُ بِمدِّ  
أُمَّتِهِ<sup>(٧)</sup> ، أَسِفْتُ لِمَا أَضْمْتُ ، وَنَدِمْتُ بِمدِّ الفِطَامِ على مَارَضَتُ ، وتأكدَ  
وجوبُ نصحي لمن لَزِمَنِي رَعْيُهُ ، وتعلَّقَ بِيَنِي سَعْيُهُ ، وأُمِلْتُ أَنْ تَعْدَى إِلَى  
نَمْرَةٍ استقامته وأنا رهين قَوَاتِ ، وفي بَرَزَخِ أَمْوَاتِ ، ويأمنُ العُثُورُ في الطريقِ  
التي اقتَضَتْ عِثَارِي ، إن سلك - وعسى ألا يكون ذلك - على آثَارِي ، فقلت  
أخاطبُ الثلاثةَ الوَلَدَ ، وثمراتِ الخَلَدِ<sup>(٨)</sup> بعد الضَّرَاعَةِ إلى الله تعالى في توفيقهم ،  
وإيضاح طريقتهم ، وَجَمْعَ تَفْرِيقهم ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَى مَنْهُمْ بِحَسَنِ الْخَلْفِ ،  
والتَّلَافِ مِنْ قَبْلِ التَّلَفِ ، وَأَنْ يَرْزُقَ خَلْفهم التمسك بهدى السَّلَفِ ، فهو وَلِيّ  
ذلك ، والهادي إلى خير المسالك : اعلموا هداكم الله تعالى الذي بأنواره تهتدي

[١] وتنام الآية الكريمة : « إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ ، قَالَ أَسَلْتُ رَبَّ الْمَالِكِينَ ، وَوَصَّى بِهَا  
إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ » .

[٢] تردده وتحفزه ، ووصفه : طابع . [٣] اللسان : الرسالة .

[٤] اللغوب : أشد الإعياء . [٥] اللئمة : أعلى كل شيء .

[٦] الزمة بالقلم ويكرر : قطعة من جبل .

[٧] الأمة هنا : الحين ، اقتبسه من قوله تعالى : « وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ »

[٨] الخلد : القلب والنفس .

الضلال ، و برِضاه تُرْفَع الأغلال ، وبالتماس قُرْبِه يحصل الكمال ، إذا ذهب  
 المال ، وأخْلَقَتِ الآمال ، وتَبَرَّأت من عَيْنِها الشمال ، أُنَى مُودِّعِكُمْ وإن سَأَلْنِي  
 الرَّذَى ، وَمُقَارِقُكُمْ وإن طال المَدَى ، وما عَدَا جَمَادَا ، فكيف وأدواتُ  
 السَّفَرِ تُجْمَع ، ومنادى الرحيل يُسْمَع ، ولا أَقْلُ للحيب المودِّع ، من وصية  
 مُحْتَضَرٍ ، وَجَلَالَةُ مُقْتَصِرٍ ، وَرِثِيَّةٌ <sup>(١)</sup> تُعْقَدُ فِي خِنَصِرٍ ، ونصيحةٌ تكون نَشِيدَةً <sup>(٢)</sup>  
 وَاجِ مُبْصِرٍ ، تتكفل لكم بحسن العواقب من بعدى ، وتوضِّع لكم من الشفقة  
 والحنو قَصْدِي ، حسبما تضمن وَعْدُ اللَّهِ من قبل وَعْدِي ، فهي أَرْبُكُمْ الذى  
 لا يَتَغَيَّرُ وَقْفُهُ ، ولا يَنَالُكم المَكْرُوهُ ما رَفَّ عَلَيْكم سَقْفُهُ ، وكأَنى بِشبابكم قد  
 شاخ ، وَبِرَاحِلِكُمْ قد أَنَاخ ، وبِنَاشِطِكُمْ قد كَسِلَ ، واستبدل الصَّابَ <sup>(٣)</sup> من  
 القَسَلِ ، ونُصُولُ <sup>(٤)</sup> الشَّيْبِ تروِّعُ بِأَسَلٍ ، لا بل السَّامُ <sup>(٥)</sup> من كل حَدَبٍ قد  
 نَسَلٍ ، وَالْمَعَادُ اللَّحْدُ ولا نَسَلٍ ، فبالأمس كُتِمَ فِرَاحُ حِجْرٍ <sup>(٦)</sup> ، واليوم أبناءُ  
 عَسْكَرٍ حَجْرٍ ، وغداً شيوخُ مَضْيَعَةٍ وَهَجْرٍ ، والقبورُ فَاغِرَةٌ <sup>(٧)</sup> ، والنفوس عن  
 المألوفات صاغرة ، والدنيا بأهلها ساخرة ، والأولى تَعْقِبُهَا الآخِرَةُ ، والحازم من لم  
 يَتَمَظَّ به فى أمرٍ ، وقال : « يَدِي لا يَدِي تَهْمُرُو <sup>(٨)</sup> » ، فاقنوها من وَصِيَّةٍ ،

[١] الرثية : خيط يقطر في الإصبع عند كبر .

[٢] الصاب : صارة شجر مر . [٣] الصول جمع فصل : وهو جديدة الرمح والسيف ،  
 والأسل : الرماح . [٤] السام : اللوث ، والمذب : ما ارتفع من الأرض ، ونسل كفرت : أضرع  
 والمعاد : للرج . [٥] أى كالفرخ في حجر أمها وحضنها ، والحجر : الكثير من كل شيء ، وجيش  
 حجر : كثير جدا . [٦] أى فاحشة أهواها للوقت .

[٧] هو مثل قاتله الزباء ملكة الجزيرة ، وذلك أنها كانت دعت جديدة الأبرش ملك ما على شاطئ  
 الدرات إلى زواجها ، فلما استقرَّ عندها قتله ثأراً بأبيها - وكان جديدة قد قتله - فاحتل مولاه صغيراً لثأر  
 منها ، فلدغ أمه وأثر آثاراً بطوره ، ثم خرج إلى الزباء ، وأظهر أن عمرو بن صدق - ابن أخت جديدة -  
 قتل ذلك به ، وأنه زعم أنه مكر بخاله جديدة وغره من الزباء ، فلما استرسلت إليه ووثقت به ، زين لها

وَمَرَامٍ<sup>(١)</sup> فِي النَّصْحِ قَصِيَّةٌ ، وَخُضُّوا بِهَا أَوْلَادَكُمْ إِذَا عَقَلُوا ، لِيَجِدُوا زَادَهَا إِذَا  
 اتَّقَلَوْا ، وَحَسْبِي وَحَسْبُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ عَمَلًا ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ  
 أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَلَا رِضَىٰ الدُّنْيَا مِنْزِلًا ، وَلَا لَطْفَ بَعْنٍ أَصْبَحَ عَنْ فِتْنَةِ الْخَيْرِ مُنْعَزِلًا ،  
 وَلِتُلَقِّنُوا تَلْقِينًا ، وَتَعَلَّمُوا عِلْمًا يَقِينًا ، أَنْكُمْ لَنْ تَجِدُوا بَعْدَ أَنْ أَتَقَرَّدَ بِذَنْبِي ،  
 وَيَفْتَرِشَ التُّرَابَ جَنْبِي ، وَيَسْمَعَ انْسِكَابِي ، وَتَهْرُولَ عَنِ الْمَصْلَى رِكَابِي ، أُخْرِصَ  
 مَنِي عَلَى سَعَادَةٍ إِلَيْكُمْ تُجَلِّبُ ، أَوْ غَايَةِ كَمَالٍ بِسَبِّكُمْ تُرْتَادُ وَتُطَلَّبُ ، حَتَّى لَا يَكُونَ  
 فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا أَوْزَفُ<sup>(٢)</sup> مِنْكُمْ ظِلًّا ، وَلَا أَشْرَفُ مَحَلًّا ، وَلَا أَغْبَطُ مَهَلًّا وَعَلَا<sup>(٣)</sup> ،  
 وَأَقْلُ مَا يَوْجِبُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُصَيِّخُوا<sup>(٤)</sup> إِلَى قَوْلِي الْآذَانَ ، وَتَسْتَلِمُوا صُحُوحَ  
 نُصْحِي فَقَدْ بَانَ ، وَسَأُعِيدُ عَلَيْكُمْ وَصِيَّةَ لُقْمَانَ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ :  
 « وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ : يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ  
 عَظِيمٌ » - « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ  
 عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ، وَلَا تُصَعِّرْ<sup>(٥)</sup> خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا

أَنْ تَبْتِهَ إِلَى الْمَرَاقِ لِيَحْمِلَ إِلَيْهَا مِنْ طَرَائِفِهَا وَنِيَابِهَا وَطَبِيبِهَا ، وَأَنْهَا سَتَصِيبُ فِي ذَلِكَ أَرْبَاعًا عِظَامًا ، فَأَذِنَتْ  
 لَهُ وَقَدِمَ الْمَرَاقِ ، وَآتَى الْحَبْرَةَ مَتَكْرَأً ، وَزَوَّدَهُ عَمْرُو بِصُوفِ الْبَزِّ وَالْأَمْتَةِ ، وَرَجَعَ إِلَى الرَّبَاءِ ، فَانْجَبَهَا  
 مَا رَأَتْ وَسَرَّهَا ، وَازْدَادَتْ بِهِ تَقَةً ، وَجَهْرُهُ ثَابِتَةً ، سَارَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عَمْرُو فَجَهَرَهُ وَعَادَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ عَادَ  
 الثَّلَاثَةَ وَجَمَعَ ثَقَاتَ مِنْ رِجَالِ عَمْرُو ، وَحَمَلَهُمْ فِي النَّفَرَاتِ عَلَى الْجِبَالِ ، وَسَارَ إِلَى الزَّبَاءِ ، وَدَخَلَتْ الْإِبِلُ الْمَدِينَةَ  
 - وَكَانَ الزَّبَاءُ قَدْ حَذَرَتْ عَمْرًا ، وَانْخَذَتْ مَقَالًا إِلَى حِصْنٍ لَهَا فِي دَاخِلِ مَدِينَتِهَا ، وَمَاتَتْ : إِنْ جَاءَنِي أَمْرٌ  
 دَخَلْتُ النَّفَقَ إِلَى حِصْنِي - وَدَلَّ قَصِيرٌ عَمْرًا عَلَى بَابِ النَّفَقِ ، فَلَمَّا خَرَجَتْ الرِّجَالُ مِنَ النَّفَرَاتِ صَاحُوا بِأَهْلِ  
 الْمَدِينَةِ وَوَصَّوْا فِيهِمُ السَّلَاحَ ، وَقَامَ عَمْرُو عَلَى بَابِ النَّفَقِ ، وَأَمْلَتْ الزَّبَاءُ تَرِيدَ النَّفَقَ ، فَأَبْصَرَتْ عَمْرًا مَعْرِفَتَهُ  
 - بِالصُّورَةِ الَّتِي صَوَّرَتْ لَهَا - فَصَبَّتْ خَاتَمَهَا وَكَانَ فِيهِ السَّمُّ ، وَقَالَتْ : « يَبْدُو لَأَبِيدَ عَمْرُو » فَدَهَبَتْ مِثْلًا ،  
 وَتَقَالَمَا عَمْرُو جَلَّهَا بِالسَّيْفِ وَقَتْلَهَا ، وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا ، وَانْكَأَمَا رَاجِعًا إِلَى الدِّيرَاقِ .

[١] سَرام : جَمْعُ سَرَمٍ ، وَقَصِيَّةٌ : بَعِيدَةٌ .

[٢] وَزَفٌ : الْطَّلُ : اتَّسَعَ وَطَالَ وَامْتَدَّ . [٣] النَّهْلُ : الشَّرْبُ الْأَوَّلُ ، وَالْعَلُّ وَالطَّلُّ : الشَّرْبُ  
 الثَّانِي أَوْ الشَّرْبُ بَعْدَ الشَّرْبِ تَبَاقًا . [٤] أَصْلَحَ لَهُ : اسْتَمْعَ . [٥] صَعَّرَ خَدَّهُ : أَمَالَه كِبَرًا .

تَشْرِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ،  
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ، إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » ، وأعيد وصية  
خليل الله وإسرائيل، حُكِّمَ <sup>(١)</sup> مَا تَضَمَّنَهُ حُكْمُ تَزْيِيلِهِ : « يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى  
لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » والدين الذي ارتضاه واصطفاه ،  
وأكمله ووفاه ، وقرره مُصْطَفَاهُ ، من قبل أن يتوفاه ، إذا أُعْمِلَ فِيهِ اتِّقَادُ ،  
فهو عمل واعتقاد ، وكلاهما مُقَرَّرٌ ، ومستمدٌّ من عقل أو قَلْ محرر ، والعقل  
متقدِّمٌ ، وبنائه مع رَفَضِ أَخِيهِ مُتَهَدِّمٌ ، فالله واحد أحد ، فَرَدَّ صَمَدٌ <sup>(٢)</sup> ،  
ليس له والد ولاولد ، نَزَّهَ عَنِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ، وَسَبَقَ وَجُودُهُ وَجُودَ الْأَكْوَانِ ،  
خَالِقُ الْخَلْقِ وَمَا يَعْمَلُونَ ، الَّذِي لَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ، الْحَيُّ الْعَلِيمُ الْمُدَبِّرُ  
الْقَدِيرُ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ، أَرْسَلَ الرِّسْلَ رَحْمَةً لَتَدْعُوا النَّاسَ  
إِلَى النِّجَاةِ مِنَ الشَّقَاءِ ، وَتَوَجَّهَ الْحُجَّةُ فِي مَصِيرِهِمْ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ ، مُؤَيَّدَةً بِالْمُعْجَزَاتِ  
الَّتِي لَا تَنْتَصِفُ أَنْوَارُهَا بِالْإِخْتِفَاءِ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَى تَوَاتُرِهَا دَعْوَى الْإِتْفَاءِ ، ثُمَّ  
خَتَمَ دِيْوَانَهُمْ بِبَنِيٍّ مِلَّتَنَا الْمَرْعِيَةَ الْمَحَلَّ ، الشَّاهِدَةَ عَلَى الْمَلَكِ ، فَتَلَخَّصَتْ الطَّاعَةُ ،  
وَتَعَيَّنَتِ الْأَمْرَةُ الْمُطَاعَةُ ، وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ إِلَّا ارْتِقَابُ السَّاعَةِ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَبَضَهُ  
إِذْ كَانَ بَشَرًا ، وَتَرَكَ دِينَهُ يَضُمُّ مِنَ الْأُمَّةِ نَشْرًا <sup>(٣)</sup> ، فَنَ تَبِعَهُ لِحَقِّ بِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ  
نُوطَ <sup>(٤)</sup> عَنْهُ فِي مَنْسَبِهِ ، وَكَانَتْ نَجَاتُهُ عَلَى قَدَرِ سَبَبِهِ ، رُوي عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : « تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدِي ، كِتَابَ اللَّهِ  
وَسُنَّتِي » ، فَمَضُوا عَلَيْهِمَا بِالنَّوَاجِذِ <sup>(٥)</sup> .

[١] إسرائيل : محبوب عليه السلام ، والحكم : الحكمة ، وهو يدل من وصية .

[٢] الصمد : السيد ، لأنه صمد أي يصمد في قضاء الحاجج . [٣] النفر : النفر ، ومنه :

« اللَّهُمَّ احْشُرْ لِعَمْرِي » . [٤] أي أبعد عنه وطرد ، يقال طأطأ النجار : أي بعث .

[٥] أقصى الأضراس .



فاعملوا يا بني بوصية من ناصح جاهد ، ومُشفقٍ شفقةً والد ، واستشعروا حبةً الذي توافرت دواعيه ، وعُوا مَرَّاشِدَ هَذِيهِ ، فَيَا فَوْزَ وَاعِيهِ ! وَصِلُوا السَّبَبَ بِسَبَبِهِ ، وَآمِنُوا بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ ، مُجْمَلًا أَوْ مُفَصَّلًا عَلَى حَسَبِهِ ، وَأَوْجِبُوا النِّجْلَةَ لِصَحْبِهِ ، الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِصَحْبَتِهِ ، وَاجْعَلُوا مُحِبَّتَكُمْ إِيَّاهُمْ مِنْ تَوَابِعِ مُحِبَّتِهِ ، وَاشْمَلُوهُمْ بِالتَّوْقِيرِ ، وَفَضِّلُوا مِنْهُمْ أَوْلَى الْفَضْلِ الشَّهِيرِ ، وَتَبَرَّءُوا مِنْ الْعَصْبِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَذْكُرْ عَلَيْهَا دَاعٍ ، وَلَا تَنَعَ النَّشَاجِرَ يَنْبَغُ أَدْنُ وَاعٍ ، فَهُوَ عَنَوَانُ السَّدَادِ ، وَعَلَامَةُ سَلَامَةِ الْإِعْتِقَادِ ، ثُمَّ اسْحَبُوا فَضْلَ تَمْظِيهِمْ عَلَى فَقْهَاءِ الْمِلَّةِ ، وَأَعْمَتِهَا الْحِلَّةَ <sup>(١)</sup> ، فَهِيَ صَقْلَةُ نُصُولِهِمْ ، وَفُرُوعُ نَاشِئَتِهِ مِنْ أَصُولِهِمْ ، وَوَرَثَتُهُمْ وَوَرِثَةُ رَسُولِهِمْ ، وَاعْمَلُوا أَنْتَى قَطَمْتُمْ فِي الْبَحْثِ زَمَانِي ، وَجَعَلْتُ النُّظْرَ شَانِي ، مِنْذُ بَرَأْنِي اللَّهُ تَعَالَى وَأَنْشَانِي ، مَعَ نُبْلِ <sup>(٢)</sup> يَمْتَرِفُ بِهِ الشَّانِي ، وَإِدْرَاكِ يَسْلَمُهُ الْعَقْلُ الْإِنْسَانِي ، فَلَمْ أَجِدْ خَاطِبَ وَرَقٍ ، وَلَا مَصِيبَ عَرَقٍ ، وَلَا نَازِعَ خِطَامٍ ، وَلَا مُتَكَلِّفَ فِطَامٍ ، وَلَا مُقْتَحِمَ بَحْرِ طَامٍ ، إِلَّا وَغَايَتُهُ الَّتِي يَقْصِدُهَا قَدْ نَصَّتْهَا الشَّرِيعَةُ وَسَبَقَتْهَا ، وَفَرَعَتْ <sup>(٣)</sup> ثَنِيَّتَهَا وَارْتَقَتْهَا ، فَعَلَيْكُمْ بِالزَّامِ جَادَّتْهَا <sup>(٤)</sup> السَّائِلَةُ ، وَمَصَاحِبَةُ رَفَقَتْهَا الْكَامِلَةُ ، وَالْإِهْتِدَاءُ بِأَقَارِمَا غَيْرِ الْآفَلَةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ ، وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : « وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَإِنَّ يُقْبَلَ مِنْهُ رَهْوٌ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » ، وَقَدْ عَلَتْ شَرَائِعُهُ ، وَرَاعَ الشُّكُوكَ رَائِعُهُ ، فَلَا تَسْتَنْزِلُكُمْ الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ ، وَابْذُلُوا دُونَهُ النُّفُوسَ فِعْلَ الْمُهْتَدِينَ ، فَلَنْ يَنْفَعَ مَتَاعٌ بَعْدَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ أَبَدَ الْآبَدِينَ ، وَلَا يَضُرُّ مَفْقُودٌ مَعَ الْفُوزِ بِالسَّعَادَةِ وَاللَّهُ أَصْدَقُ الْوَاعِدِينَ ،

[١] جمع جليل . [٢] النبل : الذكاء والنجابة ، والثاني : البنفس .

[٣] فرعه : علاه ، والثنية : القبة ، أو الجبل أو الطريقة إليه أو إليه .

[٤] المجادة : الطريق الواضح ، والسابقة مع الطرق : السلوك .

ومتاع الحياة الدنيا أَحْسَنُ مَا وَرِثَ الْوَلَدُ عَنْ الْوَالِدَيْنِ ، اللَّهُمَّ قَدْ بَلَغْتُ فَأَنْتَ  
 خَيْرُ الشَّاهِدِينَ ، فَاحْذَرُوا الْمَعَاطِبَ الَّتِي تَوْجِبُ فِي الشَّقَاءِ الْخُلُودَ ، وَتُسْتَعْدِي  
 شَوْءَ الرَّجْوَهِ وَتُضَيِّعُ الْجُلُودَ ، وَاسْتَمِيزُوا بِرِضَا اللَّهِ مِنْ سُخْطِهِ ، وَارْبُثُوا بِنُفُوسِكُمْ  
 عَنْ غَمَطِهِ ، وَارْضُوا آمَالَكُمْ عَنِ الْقَنُوعِ بِرُؤُوسِ قَدْ خَدَعَ أَسْلَافَكُمْ ، وَلَا تَحْمَدُوا  
 عَلَى جِيْفَةِ الْمَرَضِ الزَّائِلِ اثْتِلَافَكُمْ ، وَاقْنَعُوا مِنْهُ بِمَا تَيْسَّرُ ، وَلَا تَأْسُوا<sup>(١)</sup> عَلَى  
 مَا فَاتَ وَتَعَذَّرَ ، فَإِنَّمَا هِيَ دُجَّةٌ<sup>(٢)</sup> يَنْسَخُهَا الصَّبَاحُ ، وَصَفْقَةُ يَتَعَاقِبُهَا الْخَسَارُ أَوْ  
 الرِّيحُ ، وَدُونَكُمْ عَقِيدَةُ الْإِيمَانِ فَشُدُّوا بِالنَّوَاجِذِ عَلَيْهَا ، وَكَفِّكُمْوَا الشُّبَّةَ أَنْ  
 تَذْتَوُّ إِلَيْهَا ، وَعَلِّمُوا أَنْ الْإِخْلَالَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ خَرَقٌ لَا يَرْفُوهُ<sup>(٣)</sup> عَمَلٌ ، وَكُلُّهُ  
 مَا سَوَى الرَّاعِي هَمَلٌ ، وَمَا بَعْدَ الرَّأْسِ فِي صَلَاحِ الْجِسْمِ أَمَلٌ ، وَتَعَسَّكُوا بِكِتَابِ  
 اللَّهِ تَعَالَى حِفْظًا وَتِلَاوَةً ، وَاجْعَلُوا حِمْلَهُ عَلَى حِمْلِ التَّكْلِيفِ عِلَاوَةً ، وَتَفَكَّرُوا فِي  
 آيَاتِهِ وَمَعَانِيهِ ، وَامْتَلُوا أَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيهِ ، وَلَا تَتَأَوَّلُوهُ وَلَا تَتَلَوَّافِيهِ ، وَأَشْرِبُوا  
 قُلُوبَكُمْ حُبًّا مِنْ أَنْزَلِ عَلَى قَلْبِهِ ، وَأَكْثَرُوا مِنْ بَوَاعِثِ حُبِّهِ ، وَصَوَّنُوا شَعَائِرَ  
 اللَّهِ صَوْنًا مُحْتَرِمًا ، وَاحْفَظُوا الْقَوَاعِدَ الَّتِي يَنْبَنِي عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ حَتَّى لَا يَنْغَرِمَ ،  
 اللَّهُ أَفْهَمُ فِي الصَّلَاةِ ذَرِيعَةُ النَّجَلَةِ ، وَخَاصَّةُ الْمَلَكَةِ ، وَحَاقِنَةُ الدَّمِ ، وَغَنَى الْمُسْتَأَجِرِ  
 الْمُسْتَعْدِمِ ، وَأُمُّ الْعِبَادَةِ ، وَحَافِظَةُ اسْمِ الْمَرَاqَبَةِ لِعَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَالنَّاهِيَةُ  
 عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، إِنْ عَرَّضَ الشَّيْطَانُ عَرَضَهَا ، وَوَطَأَ لِنَفْسِ الْأُمَّارَةِ سَمَاءَهَا  
 وَأَرْضَهَا ، وَالْوَسِيلَةُ إِلَى بَلِّ الْجَوَانِحِ بِرُؤُودِ الذِّكْرِ ، وَلِإِصَالِ ثُخْفَةِ اللَّهِ إِلَى مَرِيضِ  
 الْفِكْرِ ، وَضَامِنَةُ حَسَنِ الْعَشْرَةِ مِنَ الْجَارِ ، وَدَاعِيَةُ لِلْمَسَالِمَةِ مِنَ الْفَجَّارِ ، وَالْوَالِئَةُ

[١] وَلَا تَحْزَنُوا . [٢] الْمَجْنَةُ : الطَّلَّةُ .

[٣] رَفَأَ التَّوْبَ كَتَبَ : لَمْ يَخْرُقْهُ ، وَضَمَّ يَحْضُهُ إِلَى يَمِينِهِ .

بِسِمَةِ السَّلامَةِ ، وَالشَّاهِدَةِ لِلْمَدْبُورِ بِرَفْعِ الْمَلَامَةِ ، وَغَسُولٌ <sup>(١)</sup> الطَّبْعُ إِذَا شَانَهُ طَبَعَ ،  
وَالْخَيْرُ الَّذِي كُلُّ مَاسِوَاهُ لَهُ تَبَعٌ ، فَاصْبِرُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ عَلَى وَظَائِفِهَا ، بَيْنَ بَدْءٍ وَإِعَادَةٍ ،  
فَالْخَيْرُ عَادَةٌ ، وَلَا تَفْضَلُوا عَلَيْهَا الْأَشْغَالَ الْبَدَنِيَّةَ ، وَتَوَضُّؤُوا عَلَى الْعَلِيَّةِ الدِّينِيَّةِ ،  
فَإِنْ أَوْقَاتُهَا الْمَعِينَةُ بِالْإِنْفِلَاتِ تَنْبَسُ <sup>(٢)</sup> ، وَالْفَلَكَ بِهَا مِنْ أَجْلِكُمْ لَا يُجْبَسُ ،  
وَإِذَا قُورِنَتْ بِالشَّوَاغِلِ فَلَهَا الْجَاهُ الْأَصِيلُ ، وَالْحُكْمُ الَّذِي لَا يَنْبِرُهُ الْغُدُوُّ  
وَلَا الْأَصِيلُ ، وَالْوِظَائِفُ بَعْدَ أَدَائِهَا لَا تَقُوتُ ، وَأَيْنَ حَقٌّ مِنْ يَمُوتُ مِنْ حَقِّ  
الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ؟ وَأَحْكُمُوا أَوْضَاعَهَا إِذَا أَقْتَمْتُمُوهَا ، وَأَتَّبِعُوهَا النَّوَافِلَ  
مَا أَطَقْتُمُوهَا ، فَبِالْإِتْقَانِ تَفَاضَلَتْ الْأَعْمَالُ ، وَبِالْمُرَاعَاةِ اسْتَحَقَّتِ الْكَمَالُ ، وَلَا  
شُكْرَ مَعَ الْإِهْمَالِ ، وَلَا رِنَجَ مَعَ إِضَاعَةِ رَأْسِ الْمَالِ ، وَذَلِكَ أُخْرَى بِإِقَامَةِ  
الْفَرَضِ ، وَادْعَى إِلَى مُسَاعَدَةِ الْبَعْضِ الْبَعْضَ .

وَالطَّهَارَةُ الَّتِي هِيَ فِي تَحْصِيلِهَا سَبَبُ مُوَصَّلٍ ، وَشَرْطُ لِمَشْرُوطِهِ مُحْصَلٌ ،  
فَاسْتَوْفُوهَا ، وَالْأَعْضَاءَ نَظَّفُوهَا ، وَمِيَاهَهَا بَنِيْرَ أَوصَافِهَا الْحَمِيدَةِ فَلَا تَصْفُوهَا ،  
وَالْحُجُولَ وَالْفُرَرَ <sup>(٣)</sup> فَاطْلُبُوهَا ، وَالنِّيَّاتِ فِي كُلِّ ذَلِكَ فَلَا تُهْمَلُوهَا ، فَالْبِنَاءُ  
بِأَسَاسِهِ ، وَالسَّيْفُ بِرِاسِهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْوُظُفَةَ مِنْ صَلَاةٍ وَطَهْرٍ ، وَذَكَرَ  
مَجْهُورٌ وَغَيْرُ مَجْهُورٍ ، تَسْتَفْرِقُ الْأَوْقَاتَ ، وَتَنَازِعُ شَتَّى الْخَوَاطِرِ الْمَفْتَرِقَاتِ ،

[١] الفَسُولُ كَمَجْهُورٍ وَتَوَرُّ : الْمَاءُ يَمْتَلِئُ بِهِ ، وَفِي الْأَصْلِ « فَاسُولٌ » وَمَوْ تَحْرِيفٌ ، وَالطَّبِيعُ :  
الْشَّيْءُ وَالْعَبِيبُ . [٢] أَيْ تَذْهَبُ وَتَضَيِّعُ ، يُقَالُ : انْبَسَّ الرَّحْلُ إِذَا ذَهَبَ ، وَفِي الْأَصْلِ « تَبَسَّ »  
وَأَرَادَ مَحْرَمًا .

[٣] الْمَجْجُولُ جَمْعُ حَبْلٍ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ : وَهُوَ الْحُلَعَالُ ، وَالرَّادِ بِهَا هُنَا الْأَطْرَافُ ، وَطَائِفَا  
اسْتِيعَابِ غَسَلِهَا ، وَالْفُرَرُ جَمْعُ غُرَّةٍ بِالضَّمِّ وَهِيَ الْوُجْهَةُ ، وَالرَّادُ بِطَوِيلِهَا فِي الْوُضُوءِ : غَسَلَ مَقْدَمَ الرَّأْسِ  
مَعَ الْوُجْهِ ، وَغَسَلَ صَفْحَةَ الصَّقِ ، وَجَمَلَةُ الْمَعْنَى : أَنَّهُ يَأْمُرُ بِإِسْبَاحِ الْوُضُوءِ ، وَفِي الْمَدِينَةِ الشَّرِيفِ :  
« أُمِّتِي الْفَرُّ الْمُحْجَجُونَ » وَالْفَرُّ جَمْعُ الْفَرِّ مِنَ الْبَرَّةِ ، وَهِيَ بِيَاضٌ فِي جِهَةِ الْبَرَسِ دُونَ الْبَرَمِ ،  
يُقَالُ : فَرَسٌ أَفْرٌ وَغَرَاءٌ ، وَالْمَجْجُولُ : الْفَرَسُ الَّذِي يَرْتَهَقُ الْبِيَاضُ فِي قَوَائِمِهِ فِي مَوْضِعِ الْقَدَمِ لَمَّا يَبِضُ  
مَوَاضِعَ الْوُضُوءِ مِنَ الْوُجْهِ وَالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ ، اسْتَعَارَ أَثَرَ الْوُضُوءِ فِي الْوُجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ مِنَ الْبِيَاضِ  
الَّذِي يَكُونُ فِي وَجْهِ الْفَرَسِ وَبِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ .

فلا يضبطها إلا مَنْ صَبَطَ قَسَهُ بِعِقَالٍ ، واستعاضَ صَدَّاهُ بِعِقَالٍ <sup>(١)</sup> ، وإن تراخى قَهَقَرٌ <sup>(٢)</sup> الباعُ ، وَسَرَقَتْهُ الطَّبَاعُ ، وَكَانَ لما سواها أَضْيَعُ ، فشيئُ الضَّيَاعِ .  
والزَّكَاةُ أَخْتَهَا الْحَيِيَّةُ ، وَلَدَتْهَا الْقَرِيْبَةُ ، مفتاحُ السَّعَادَةِ بِالْعَرَضِ الزَّائِلِ ،  
وشكرانُ المسْتَوِلِ عَلَى الضَّنْدِ مِنْ دَرَجَةِ السَّائِلِ ، وَحَقُّ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَالٍ مِنْ أَغْنَاهُ ، لِمَنْ أَجْهَدُهُ فِي الْمَعَاشِ وَعَنَاهُ <sup>(٣)</sup> ، مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مَلَّءَ يَدَهُ وَإِخْلَاءَ يَدِ  
أَخِيهِ ، وَلَا عِلَّةَ إِلَّا الْقَدَرُ الَّذِي يُخْفِيهِ ، وَمَا لَمْ يَنْتَلِ حُظَّ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا خَيْرَ فِيهِ ،  
فاسْمَحُوا بِفَرِيقِهَا لِلْحَاضِرِ لِإِخْرَاجِهَا ، فِي اخْتِيَارِ عَرَضِهَا وَتَاجِهَا ، وَاسْتَحْيُوا  
مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ تَبْخَلُوا عَلَيْهِ يَمِضُ مَا بَدَّلَ ، وَخَالَفُوا الشَّيْطَانَ كُلَّمَا عَذَلَ ،  
وَإِذَا كَرُوا خُرُوجَكُمْ إِلَى الْوُجُودِ لَا تَمْلِكُونَ ، وَلَا تَدْرُونَ أَيْنَ تَسْلُكُونَ ،  
فَوَهَبْ وَأَنْدِرْ ، وَأُورِدْ بِفَضْلِهِ وَأَصْدِرْ ، لِيَرْتَّبَ بِكُرْمِهِ الْوَسَائِلَ ، أَوْ يَقِيمَ  
الْحُجَجَ وَالْدَّلَائِلَ ، فَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ بِمَالِهِ ، وَاعْتَمِنُوا رِضَاهُ يَمِضُ نَوَالُهُ .  
وصِيَامُ رَمَضَانَ عِبَادَةُ السَّرِّ الْمُقَرَّبَةِ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ، الْمَحْصُونَةُ <sup>(٤)</sup> لِمَنْ يَعْلَمُ السَّرَّ  
وَأَخْفَى ، مُؤَكَّدَةُ بِصِيَامِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْآثَامِ ، وَالْقِيَامُ بِيَرِّ الْقِيَامِ ، وَالْاجْتِهَادُ  
وَالِثَارُ الشَّهَادِ ، عَلَى الْمِهَادِ ، وَإِنْ وَسِمَ الْاعْتِكَافُ فَهُوَ مِنْ سُنَنَةِ الْمَرْعِيَةِ ، وَلَوْ أَحَقَّهُ  
الشَّرْعِيَّةُ ، فَبِذَلِكَ تَحْمُسُنُ الْوُجُوهَ ، وَتَحْصُلُ مِنَ الرَّقَّةِ عَلَى مَا تَرْجُوهُ ، وَتَذْهَبُ  
قَسْوَةُ الطَّبَاعِ ، وَيَمْتَدُّ فِي مَيْدَانِ الْوَسَائِلِ الْبَاعِ ، وَالْحُجَجِ مَعَ الْإِسْتِطَاعَةِ الرُّكْنُ  
الْوَاجِبُ ، وَالْفَرَضُ عَلَى الْعَيْنِ لَا يَحْجُبُهُ الْحَاجِبُ ، وَقَدْ بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْرَهُ فِيمَا فَرَضَ عَنْ رَبِّهِ وَسُنَّهَ ، وَقَالَ : « لَيْسَ لَهُ جِزَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا

[١] صواب العبارة « واستعاضَ بِصَدَّاهُ صَقَالًا » يقال : استبدل الشيء بغيره إذا أخذته مكانه ( ومنه ترى أن الباء داخلة على التروك ) واعتاضه منه واستعاضه ( والباء كمن ) .  
[٢] قهقر وقهقرى : رجع القهقرى . [٣] أنه . [٤] الخالصة .

الجنة ، ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ، فكونوا ممن يسمع تغييره ويطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه . هذه عُهد الاسلام وفروضة ، وتقود مهزه وعروضه ، خافطوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يؤاويكم <sup>(١)</sup> ظاهرين ، وتلقوا الله لامبدلين ولا مغيرين ، ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين .

واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب ، وتجلى محاسنها من بعد الانتقاب <sup>(٢)</sup> ، فعليكم بالعلم النافع دليلا بين يدي السامع ، فالعلم مفتاح هذا الباب ، والموصل إلى اللباب ، والله عز وجل يقول : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ » والعلم وسيلة النفوس الشريفة ، إلى المطالب المنيقة ، وشرطه الخشية لله تعالى والخيفة ، وخاصة الملائ الأعلى ، وصفة الله في كتبه التي تتلى ، والسبيل في الآخرة إلى السعادة ، وفي الدنيا إلى النحلة <sup>(٣)</sup> عادة ، والأذخر الذي قليله يشفع ، وكثيره ينفع ، لا يغلبه الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ، ولا يبتزه الدهر إذا نال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ، من لم يتله فهو ذليل ، وإن كثرت آماله ، وقليل ، وإن جم ماله ، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطى حسابكم ، فالتسوه لبنكم ، واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم ، وانجلوم على جمعه ودزسه ، واجعلوا طباعهم ترى لغرضه ، واستسهلوا ما ينالهم من تعب من جراه <sup>(٤)</sup> ، وسهر يهجر له الجفن كراه ، تعقدوا لهم ولاية عز لا تغزل ، وتجلوم وثابة رفعة لا يحط فارغها ولا يستنزل ، واختاروا العلوم التي يتعمقها الوقت ، فلا ينالها

[١] يادبكم ، وظاهرين : فالين . [٢] أي بعد الاختفاء ، من انتبت المرأة لبست الثياب .

[٣] نحلة : أعطاه ، والاسم النحلة . [٤] يقال : فعلت ذلك من جراه ومن جرائه بالتشديد

ويغفان ، ومن جريرته : أي من أجله ، والهكري : النوم .

في غيرِه <sup>(١)</sup> المقت ، وخير العلوم علوم الشريعة ، وما تَجَمَّ بِمَنَاجِهَا المَرِيمة <sup>(٢)</sup> ،  
من علوم لسان لا تستغرق الأعمارَ فصولها ، ولا يضابق ثمراتِ المعاد حصولها ،  
فإنها هي آلات لغير ، وأسباب إلى خير منها وخير ، فن كَانَ قابلا للازدياد ،  
وَأَلَّتِي هَمَّتْ ذَا انقياد ، فليخصَّ تجويد القرآن بتدعيه ، ثم حِفْظ الحديث ومعرفة  
صحيحه من سَنَقِيه ، ثم الشروع في أصول الفقه فهو العلم العظيم المِنَّة ، المَهْدِي  
كنوز الكتاب والسُّنة ، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجِلَّة ، والتدرج في  
طرق النظر بصحيح الأدلة ، وهذه هي الغاية القصوى في المِلَّة ، ومن قَصُر  
إدراكه عن هذا المَرْنَى ، وتَقَاعَدَ عن التي هي أسمى ، فَلْيَزِرِ الحديثَ بمد تجويد  
الكتاب وإحكامه ، وليقرأ المسائل الفقهية على منذهب إمامه ، وإياكم والعلوم  
القديمة ، والفنون المهجورة النسيمة ، فأكثرُها لا يُفيد إلا تشكيكا ، ورأيا  
ركيكا ، ولا يُشِيرُ في المأجلة إلا اتحام الميون ، وتطريق الظنون ، وتطويق  
الاحتقار ، وسممة الصنار ، وخول الأقدار ، والخسْف من بعد الإبدار ، وجادة  
الشريعة أعزَق في الاعتدال ، وأوفق من قطع العمر في الجدال ، هذا ابن  
رُشد <sup>(٣)</sup> قاضي المصر ومُفتيه ، وهلمسُ الرشد ومُؤليه ، عادت عليه بالسَّخطة

[١] غير الدم: أحداه للنيرة ، والضير فيه يمد على الوقت . [٢] النسيمة .

[٣] هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، أعظم فلاسفة الأندلس وأطبائها ، ولد سنة ٥٢٠ هـ  
ودرس علوم الدين والفلسفة والطب ، واصل ييوسف بن عبد المؤمن زعيم الوحديين ، وشرح له فلسفة  
أرسطو ، وقد ولاه قضاء إشبيلية ، ثم استدعاه إلى مراكش ، وجه طيبة الحاس ، ثم جبه ماضي القضاء  
بقرطبة ، ولما ولي بعده ابنه للنصور باقة علت مكاة ابن رشد عنده ، فأثار ذلك حسد خصومه ، فكادوا  
له عند السلطان واتهموه أنه يبعد القرآن ، وينشط الفلسفة وطوم الأوائل بدلا من علوم الدين ، وينصر  
مذهب القدماء في القول بألوهية بعض الكواكب ، فعزله للنصور من قضاء قرطبة ، ثم فغا عنه ،  
واستدعاه إلى مراكش ، ولم يزل مقامه بها ، فمات سنة ٥٩٥ هـ ، وقد ترجم أكثر كتبه إلى اللغات  
الأجنبية ، وعليها عول الأوروبيون في نهضتهم الحديثة .

الشيعة ، وهو إمام الشريعة ، فلا سبيل إلى اقتحامها ، والتورط في ازدحامها ، ولا تخطوا جامكم <sup>(١)</sup> بجامها ، إلا ما كان من حساب ومِساحة ، وما يعود بِمَجْدَوِي فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة ، وما سوى ذلك فمحجور ، وَضَرَمَ <sup>(٢)</sup> مَسْجُور ، وممقوت مهجور ، وَأُمُرُوا بالمعروف أمراً رفيقاً ، وانتهوا عن المنكر نهياً حَرِيّاً بالاعتدال حَقِيقاً ، وَأَغْيِطُوا مَنْ كَانَ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ مُقِيقاً ، واجتنبوا ما تُنْهَوْنَ عنه حتى لا تسلكوا منه طريقاً ، وأطيعوا أمر من ولّاه الله تعالى من أموركم أمراً ، ولا تقربوا من الفِتْنَةِ جَمْعاً ، ولا تَدْخُلُوا في الخلاف زيداً ولا عمراً ، وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وَأَهْمَ مَا أَضْرَى <sup>(٣)</sup> عليه الآباءُ ألسنة البين ، وأكرم منسوب إلى مذهبه ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ ، وإياكم والكذب ، فهو العَوْرَةُ التي لا تُوَارَى ، وَالسَّوْءَةُ التي لا يُرْتَابُ في عارها ولا يُتَمَارَى ، وأقل عقوبات الكذاب ، بين يَدَيَّ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ ، أَنْ لَا يُقْبَلَ صِدْقُهُ إِذَا صَدَّقَ ، ولا يَمُوءَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ بِالْحَقِّ نَاطِقٌ ، وعليكم بالأمانة فالخيانة لُومٌ ، وفي وجه الديانة كُلوْمٌ <sup>(٤)</sup> ، ومن الشريعة التي لَا يُعْذَرُ بِجَهْلِهَا ، أداء الأمانات إلى أهلها ، وحافظوا على الْحِشْمَةِ وَالصَّيَانَةِ ، ولا تَجَزَّؤُوا مَنْ أَقْرَضَكُمْ دِينَ الْخِيَانَةِ ، ولا توجدوا للْعَذْرِ قَبُولاً ، ولا تُقَرِّبُوا عَلَيْهِ طَبْعاً مَجْبُولاً ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنْ الْعَهْدُ كَانَ مَسْئُولاً ، ولا تستأثروا بِكَتْزٍ وَلَا خَزَنٍ ، ولا تَذْهَبُوا لِغَيْرِ مَنَاصِحَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي سَهْلٍ وَلَا حَزَنٍ ، ولا تَبْغُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَ هُمْ فِي كَيْلٍ أَوْ وَزَنٍ ، واللهُ اللَّهُ أَنْ تُعِينُوا فِي مَفْكَ الدَّمَاءِ

[١] الجام : إزاء من فضة . [٢] جمع ضربة بالتحريك وهي الجرة والدار ، وسجر التور : أجهاد

[٣] ضرى بالشئ كتبت : اعتاده وأولع به ، ويمدى بالهز والضميف ، يقال : أضربته وضربتته :

لمى أغربته به . [٤] الكلوم جمع كلم بالفتح وهو الجرح .

ولو بالإشارة أو الكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام ، واعلموا أن الإنسان في  
فُسحة ممتدة ، وَسُبُلُ اللَّهِ تَعَالَى غير مُنْسَدَّة ، ما لم يُنْفِذ إلى الله تعالى بأمانه ،  
وَيَمَسَّ الدَّمِ الحَرَامِ يده أو لسانه ، قال الله تعالى في كتابه : الَّذِي هَدَى بِهِ  
سَنَنًا قَوِيمًا ، وَجَلَّى مِنَ الْجَهْلِ والضلال ليلًا يَهِيًا : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا  
فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » ،  
واجتناب الزنا وما تَمَلَّقَ به ، مِنْ أَخْلَاقٍ مِنْ كَرُمَتِ طِبَاعِهِ ، وامتند في سبيل  
السعادة بآغِهِ ، لو لم تَلَقِ نورَ الله الذي لم يَهْدِ شُعَاعُهُ ، فَالْحَلَالُ لم تَصْنُقْ عن  
الشهوات أنواعه ، ولا عُدِمَ إقْنَاعُهُ ، ومن غَلَبَتْ غَرَائِرُ جَهْلِهِ ، فليَنْظُرْ : هل  
يُحِبُّ أَنْ يُزْنِيَ بِأَهْلِهِ ؟ والله قد أَعَدَّ لِلزَّانِي عَذَابًا وَيْلًا ، وقال : « وَلَا تَقْرُبُوا  
الزَّوْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا » ، والحُرَامُ الكَبِيرُ ، ومفتاح الجرائم  
والجرائر <sup>(١)</sup> ، والله لم يجعله الله في الحياة شرطًا ، والمحَرَّمُ قد أغْنَى عنه بالحلال  
الذي سَوَّغَ وأعطى ، وقد تركها في الجاهلية أقوامٌ لم يَرْضَوْا لمَقُولِهِمْ بالفَسَادِ ،  
ولا لِنَفْسِهِمْ بِالْمَضَرَّةِ في مَرْضَاةِ الأجساد ، والله تعالى قد جعلها رَجَسًا عَرْمًا  
على العباد ، وَقَرَنَهَا بِالْأَنْصَابِ والأزلام في مُبَايَنَةِ السَّدَادِ <sup>(٢)</sup> ، ولا  
تَقْرَبُوا الرِّبَا ، فإنه من مَنَاهِي الدين ، والله تعالى يقول : « وَذَرُوا مَا بَقِيَ  
مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . وقال : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَحْزَبٍ مِنْ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ » في الكتاب المين ، ولا تَأْكُلُوا مَالَ أَحَدٍ بِظُلْمٍ يُبْغِيهِ ، وَاتْرَعُوا

[١] الجرائر جمع جيرة : وهي الجريمة .

[٢] يَنْفِرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَاللَّيْسَرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ

رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .



الطَّعْمُ<sup>(١)</sup> عن ذلك حتى تذهب ريحُه ، و التمسوا الحلال يَسْنَى فيه أحدُكم على قَدَمه ، ولا يَكِلْ خِيَارَه إِلَّا للثقة من خَدَمه ، ولا تَلَجُّثُوا إِلَى التَّشَابِهِ إِلَّا عند عَدَمه ، فهو في السُّلُوكِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَصْلُ مشروط ، والمحافظُ عليه مَفْبُوط ، وإياكم والظلم ، فالظالم ممقوت بكل لسان ، مُجَاهِدٌ اللَّهُ تَعَالَى بِصَرِيحِ الْعِصْيَانِ ، « وَالظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » كما ورد في الصَّحاحِ الْحِسانِ ، والنِّمَّةُ فسادٌ وَشَتَاتٌ ، لا يَبْقَى عَلَيْهِ مُنَاتٌ<sup>(٢)</sup> ، وفي الحديث : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ<sup>(٣)</sup> » واطْرَحُوا الحَسَدَ ، فإِذَا سَادَ حَسُودٌ ، وإِذَا كَمَّ الْغِيبةُ : فبابُ الْخَيْرِ مَعَهَا مَسْدُودٌ ، والبخلُ ، فَأَرِئِي الْبَخِيلَ وهو مودودٌ ، وإِذَا كَمَّ وما يُتَذَرُّ مِنْهُ ، فَوَاقِعُ الْخِزْيِ لَا تُسْتَقَالُ عَثَرَاتُهَا ، وَمَطْنِاتُ الْفَضَائِحِ لَا تَوْمَنُ غَمَرَاتُهَا ، وَتَفْقَدُوا أَنْفُسَكُمْ مَعَ السَّاعَاتِ ، وَأَفْسُوا السَّلَامَ فِي الطَّرِيقَاتِ وَالْجَمَاعَاتِ ، وَرِقُّوا عَلَى ذَوِي الزَّمَانَاتِ<sup>(٤)</sup> وَالْعَاهَاتِ ، وَتَاجَرُوا مَعَ اللَّهِ بِالصَّدَقَةِ يُزِيحُكُمْ فِي الْبُضَاعَاتِ ، وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ وَحْدَهُ فِي الشَّدَائِدِ ، وَاذْكُرُوا الْمَسَاكِينَ إِذَا نَصَبْتُمْ الْمَوَائِدَ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْيَسِيرِ مِنْ مَالِهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ ، وَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ الْمُحْتَاطُ لِعِيَالِهِ ، وَارْعَوْا حَقُوقَ الْجَارِ ، وَاذْكُرُوا مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْآثَارِ ، وَتَعَاهَدُوا أَوْلَى الْأَرْحَامِ ، وَالْوِشَائِحِ<sup>(٥)</sup> الْبَادِيَةِ الْإِتِحَامِ ، وَاحْذَرُوا شَهَادَةَ الزُّورِ : فَإِنَّهَا تَقْطَعُ الظُّهْرَ ، وَتُفْسِدُ السَّرَّ وَالْجَهْرَ ، وَالرِّشَاءَ ، فَإِنَّهَا تَحْطُّ الْأَقْدَارَ ، وَتَسْتَدْعِي الْمَذَلَّةَ وَالصَّغَارَ ، وَلَا تَسَاحَوْا فِي لُئِمَةٍ قَمَرٍ<sup>(٦)</sup> ، وَلَا تَشَارِكُوا أَهْلَ الْبَطَالَةِ فِي أَمْرِ ، وَصُونُوا الْمَوَاعِيدَ مِنَ الْإِخْلَافِ ، وَالْأَيْمَانَ مِنْ حِنْثِ الْأَوْغَادِ وَالْأَجْلَافِ ، وَحَقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْإِزْدِرَاءِ

[١] الطعم : المصوبة . [٢] المنات : ما يعت به أي يتوسل . [٣] القنات : الغمام .

[٤] الرماة : الباعة .

[٥] الوشائج جمع وشيجة : وهي اشتباك الأجزاء . [٦] قره : غلبه في لعب القمار .

والاعتساف، ولا تلهجُوا بِالْأَمَالِ الْعِجَافِ<sup>(١)</sup> ولا تَكْلَفُوا بِالْكُهَانَةِ وَالْإِرْجَافِ،  
 واجعلوا العمرين معاشٍ ومعاد ، وخصوصيةً وابتعاد ، واعلموا أن الله سبحانه  
 بِالْمِرْصَادِ ، وأن الخلق بين زرع وحصاد ، وأَقْلُوا بِغَيْرِ الْحَالَةِ الْبَاقِيَةِ الْمَهْمُومَ ، واحذروا  
 القَوَاطِيعَ عَنِ السَّعَادَةِ كَمَا تُحَذِّرُ السُّمُومَ ، واعلموا أن الخير أو الشر في الدنيا مُحَالٌ  
 أَنْ يَدُومَ ، وَقَابِلُوا بِالصَّبْرِ أَذِيَّةَ الْمُؤْذِنِ ، ولا تمارضوا مَقَالَاتِ الظَّالِمِينَ ، فَاللهُ لِمَنْ  
 بُنِيَ عَلَيْهِ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ، ولا تستعظموا حوادث الأيام كلما نزلت ، ولا تَضِجُوا  
 لِلْأَمْرَاضِ إِذَا أَعْضَلَتْ ، فَكُلُّ مُنْقَرِضٍ حَقِيرٍ ، وكلُّ مُنْقَضٍ وَإِنْ طَالَ قَصِيرٌ ،  
 وَانْتَظَرُوا الْفَرَجَ ، وَانْتَشِقُوا مِنْ جَنَابِ اللَّهِ تَعَالَى الْأَرْجَ<sup>(٢)</sup> ، وَأَوْسِعُوا بِالرَّجَاءِ  
 الْجَوَاحِجَ ، وَاجْنَحُوا إِلَى الْخَوْفِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى فَطُوبَى لِمَنْ عِبَدَ إِلَيْهِ جَاحِجٌ ، وَتَضَرَّعُوا  
 إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِعْدَاءِ ، وَاجْنَحُوا إِلَيْهِ فِي النَّبَاسِ وَالضَّرَاءِ ، وَقَابِلُوا نِعْمَ اللَّهِ تَعَالَى  
 بِالشُّكْرِ الَّذِي يَقِيدُ بِهِ الشَّارِدَ ، وَيَعْتَذِبُ الْوَارِدَ ، وَأُسْهِمُوا<sup>(٣)</sup> مِنْهَا لِلْمَسَاكِينِ  
 وَأَفْضِلُوا عَلَيْهِمْ ، وَعَيَّنُوا الْحُظُوظَ مِنْهَا لَدَيْهِمْ ؛ فَمَنْ الْآثَارُ : « يَا عَائِشَةُ أَحْسَنِي جِوَارِ  
 نِعْمِ اللَّهِ ، فَإِنَّهَا قَلَّمَا زَالَتْ عَنْ قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَيْهِمْ » ، وَلا تَطْمَنُوا فِي النِّعَمِ وَتَقْصُرُوا  
 عَنْ شُكْرِهَا ، وَتَغْلِبَكُمْ<sup>(٤)</sup> الْجَهَالَةُ بِسُكْرِهَا ، وَتَتَوَهَّمُوا أَنَّ سَعْيَكُمْ جَلَبَهَا ، وَجِدَّكُمْ  
 حَلَبَهَا ، فَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَلا فِعْلَ إِلَّا لِلَّهِ إِذَا نُفِطِرَ بَيْنَ  
 الْيَقِينِ ، وَاللَّهُ اللَّهُ لَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ، وَلا تُذْهِبُوا بِذَهَابِ زَيْنِكُمْ ، وَلِيَلْتَزِمَ  
 كُلُّ مِنْكُمْ لِأَخِيهِ ، مَا يَشْتَدُّ بِهِ تَوَاضُعِهِ ، بِمَا أَمَكْنَهُ مِنْ إِخْلَاصِ وَبَرٍّ ، وَمِرَاقَةِ  
 فِي عِلَانِيَةِ وَسْرٍ ، وَلِلْإِنْسَانِ مِزِيَّةٌ لَا تُجْهَلُ ، وَحَقٌّ لَا يُهْمَلُ ، وَأَظْهَرُوا التَّعَاوُدَ

[١] العجاف جمع عجفاء : وهم الهرولة . [٢] الأرج : تومع ربح الطيب .

[٣] أسهم له : أعطاه سهماً . [٤] في الأصل : « وتغلبكم » ، وأراد محرفاً عن « وتغلبكم » .

والتناصر، وَصَلُوا التَّعَاهُدَ وَالتَّزَاوَرَ، تُرْغِمُوا بِذَلِكَ الْأَعْدَاءَ، وَتَسْتَكَذِرُوا الْأَوْدَاءَ،  
وَلَا تَتَنَافَسُوا فِي الْحُظُوظِ السَّخِيفَةِ، وَلَا تَتَهَارَشُوا تَهَارُشَ السَّبَاعِ عَلَى الْجَيْفَةِ،  
وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَعْرُوفَ يَكْتَدِرُ بِالْأَمْتَانِ، وَطَاعَةُ النِّسَاءِ شَرٌّ مَا أَفْسَدَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ،  
فَإِذَا أَسَدَيْتُمْ مَعْرُوفًا فَلَا تَذْكُرُوهُ، وَإِذَا بَرَزْتُمْ فَاسْتُرُوهُ، وَإِذَا أَعْظَمَ النِّسَاءُ  
أَمْرًا فَاحْقِرُوهُ، وَاللَّهُ اللَّهُ لَا تَنْسُوا مُقَارَضَةَ سَجَلِي<sup>(١)</sup>، وَبَرُّوا أَهْلَ مَوَدَّتِي مِنْ  
أَجْلِ، وَمَنْ رَزَقَ مِنْكُمْ مَالًا بِهَذَا الْوَطَنِ الْفَلَقِ الْمُهَادِ، الَّذِي لَا يَصْلَحُ لِغَيْرِ الْجِهَادِ،  
فَلَا يَسْتَهْلِكُهُ أَجْمَعٌ فِي الْمَقَارِ، فَيَصْبِحُ عُرْضَةً لِلذَّائَةِ وَالْإِحْتِقَارِ، وَسَاعِيًا لِنَفْسِهِ  
- إِنْ تَغَلَّبَ الْعَدُوُّ عَلَى بَلَدِهِ - فِي الْإِفْتِضَاحِ وَالْإِفْتِقَارِ، وَمَعْوَقًا عَنِ الْإِنْتِقَالِ،  
أَمَامَ الثُّوبِ الثَّقَالِ، وَإِذَا كَانَ رِزْقُ الْعَبْدِ عَلَى الْمَوْلَى، فَالْإِجْمَالُ فِي الطَّلَبِ أَوْلَى،  
وَازْهَدُوا جَهْدَكُمْ فِي مَصَاحِبَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا، خَيْرُهَا لَا يَقُومُ بِشَرِّهَا، وَنَفْعُهَا لَا يَقُومُ  
بِضَرِّهَا، وَأَعْقَابُ مَنْ تَقَدَّمَ شَاهِدَةٌ، وَالتَّوَارِيخُ لِهَذِهِ الدَّعْوَى عَاصِدَةٌ، وَمَنْ  
بُلِيَ بِهَا مِنْكُمْ فَلْيَسْتَظْهِرْ بِسَعَةِ الْإِحْتِمَالِ، وَالتَّقَلُّلِ مِنَ الْمَالِ، وَلْيَحْذَرْ مُعَادَاةَ  
الرِّجَالِ، وَمَزَلَاتِ الْأَدْلَالِ، وَفَسَادِ الْخِيَالِ، وَمُدَاخَلَةِ الْعِيَالِ، وَإِفْشَاءِ السَّرِّ،  
وَسُكْرِ الْإِغْتِرَارِ، فَإِنَّهُ دَابُّ الْغَرِّ، وَلَيْسَ الدِّيَانَةُ، وَيُؤْثِرُ الصَّمْتُ وَيُلَازِمُ  
الْأَمَانَةَ، وَيَمِيزُ مِنْ رِضَا اللَّهِ عَلَى أَوْضَحِ الطَّرِيقِ، وَمَهْمَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ قَصْدٌ  
أَقْرَبَهُمَا إِلَى الْحَقِّ، وَلْيَقِفْ فِي التَّمَسُّسِ أَسْبَابَ الْجَلَالِ دُونَ الْكِبَالِ غَيْرِ النِّقْصَانِ،  
وَالزَّعَازِعُ تَسْلَمُ اللَّذَنُ<sup>(٢)</sup> اللَّطِيفِ مِنَ الْأَغْصَانِ، وَإِيَّاكُمْ وَطَلَبَ الْوَلَايَاتِ رَغْبَةً  
وَاسْتِجْلَابًا، وَاسْتَظْهَارًا عَلَى الْخُطُوبِ وَغِلَابًا، فَذَلِكَ ضَرَرٌ بِالْمُرُوءَاتِ وَالْأَقْدَارِ،  
دَائِعٌ إِلَى الْفُضِيحَةِ وَالْعَارِ، وَمَنْ أُمْتُحِنَ بِهَا مِنْكُمْ اخْتِيَارًا، أَوْ جُبِرَ عَلَيْهِ إِكْرَاهًا

[١] السجل : النصب . واللحن : إنكم مدينون لي بما قدمت لكم من معروفي ، فلا تسوا أن تردوه  
لي يا كرام من أودته . [٢] اللذن اللين ۝

ولإثارة ، فليتلق وظائفها بِسَمَةِ صدره ، وينزل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ، فالولايات فِتْنَةٌ وَنَحْنَةٌ ، وَأَسْرٌ وَإِخْنَةٌ ، وهى بين إخطاء سعادة ، وإخلال بعبادة ، وتوقع عزل ، وإدالة <sup>(١)</sup> بإزاء بيع جد بهزل ، ومزلة قدم ، واستتباع ندم ، ومآل المركله موت ومعاد ، واقترب من الله وابتماد ، جملكم الله ممن نعمة بالتبصير والتنبه ، ومن لا ينقطع بسببه عمل أليه ، هذه - أسعدكم الله - وصيتى التى أصدرتها ، وتجارتى التى لربكم أدرتها ، فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ، وبقدر ما أمضيت من فروعها ، واستنشيت من دروعها ، اقتنيت من المناقب الفاخرة ، وحصلتم على سعادة الدنيا والآخرة ، وبقدر ما أضعتم لآلها النفيسة القيم ، استكثرتم من بواعث الندم ، ومهما سئتم إطالتها ، واستغزرتهم مقاتلتها ، فاعلموا أن تقوى الله فذلك <sup>(٢)</sup> الحساب ، وضابط هذا الباب ، كأن الله خليفتى عليكم فى كل حال ، فالدينا مناخ ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ، فالوعيد للالتقاء ، دار البقاء ، جمل الله من وراء خطته النجاة ، وفقق بضائنها المزجاة <sup>(٣)</sup> ، بطائفه المرتجاة ، والسلام عليكم من حبيكم المودع ، والله سبحانه يُلْئِمُهُ <sup>(٤)</sup> حيث شاء من شغل متصدع ، والدكم محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله وبركاته . (نصح الطبيب ٤ : ٤١٩)

## ١٨ - خطبة وعظية له

وصدرعته على لسان واعظ :

« الحمد لله الولي الحميد ، المبدئ المعيد ، البعيد فى قربه من العبيد ، القريب

[١] للإدالة : الغلبة . [٢] فذلك حساب كدمرج : أنهاء وفرغ منه ، عترة من قوله إذا أجل حساب : فذلك كذا وكذا . [٣] بصاة مرجاة : رجوة أو قلة يردعها ويدفعها من رآها رغبة عنها ، وعن السلة تقياً : روجها . [٤] لأم الجرح والصدع كقطع والأمة : سده .

في بعده وهو أقرب من حبل الوريد <sup>(١)</sup> ، مُنحني ربيع العارفين بتحيات حياة التوحيد ، ومُفني نفوس الزاهدين بكنوز احتقار الافتقار إلى العَرَض الزهيد ، ومُخلص خواطر المُحَقِّقِينَ من سجون دُجُون <sup>(٢)</sup> التقييد ، إلى فُسْح التجريد ، نَحْمَدُه وله الحمد المتَّظِمَةُ دُرُرُه في سُلوْك الدوام ، ومُسموط <sup>(٣)</sup> التأييد ، حَمْد من زَرَه أحكام وَحْدَانِيَّتِه ، وأعلام فَرْدَانِيَّتِه ، عن مَرَابِط التقييد ، ومَخَابِط الطَّبْع البليد ، ونشكره شكرَ من افتتح بشكره أبواب المريد ، ونشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو شهادةً تَنصُطِي بها معالم الخلق ، إلى حضرة الحق ، على كَبَدِ التَّفَرِيد ، ونَشْهَدُ أن محمدًا عبده ورسوله قِلَادَةُ الْجِيدِ المَجِيد ، وهلال العيد ، وَقَدْ لَكِ الحساب وبيت القَصِيد ، المخصوص بمنشور الإِدْلَال <sup>(٤)</sup> ، وإقطاع الكال ، بين مقام المُراد ومقام المُريد ، الذي جمعه السبب الأَوْصَلُ في نَجْمَةِ الناجي وسعادة السعيد ، وخاطب الخلائق على لسانه الصادق بِحُجَّتِي الوعد والوعيد ، فكان مما أوحى به إليه ، وأنزل المَلَك به عليه ، من الذكر الحميد ، لِيَأْخُذَ بِالْحُجَزِ <sup>(٥)</sup> والأطواق من العذاب الشديد : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ، إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَقِيدٌ ، وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ، وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ، لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا

[١] عرق في العنق . [٢] أى ظلام التقييد ، والدجون جمع دجن بالفتح : وهو إبليس النيم الأرض وأقطار السماء . [٣] سموط جمع سمط بالكسر : وهو خيط النظم . [٤] أدل عليه : وثني بمحبته . [٥] الحز جمع حزمة كفرصة : وهي مقعد الإزار ، ومن السراويل موضع التكة .

فَكشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَ كَفَبَصْرِكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة  
تقوم ببعض حقه الأكيد ، وتَسْرَى إلى تَرْبَتِهِ الزَّكِيَّةِ من ظهور المواجد الجاثية  
على البريد :

قَدِمْتُ لَتَذَكِيرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُنْصِيفًا لَذَكَّرْتُ نَفْسِي فِي أَحْوَجُ لَذَكَّرِي  
إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنِّي لِنَفْسِي وَعَظْتُ فَيَا لَيْتَ شَمْرِي كَيْفَ أَفْعَلُ فِي الْأُخْرَى ؟  
آه ، أَيُّ وَعْظٍ بَعْدَ وَعْظِ اللَّهِ تَعَالَى يَا أَجَابَنَا يُسْمَعُ ، وَفِي مَاذَا - وَقَدْ تَيَّنَ الرُّشْدُ  
مِنَ النَّيِّ - يُطْمَعُ ؟ يَا مَنْ يُعْطَى وَيَنْعَى ، إِذَا لَمْ تُعْمِ الصَّنِيعَةَ فَمَاذَا نَصْنَعُ ؟ أَتَجْعَلُنَا  
بِقُلُوبِنَا يَا مَنْ يُفَرِّقُ وَيَجْمَعُ ، وَكَيْفَ حَدِيدَهُمَا بِنَارِ خَشْيَتِكَ ، فَقَدْ اسْتَمَادَ نَبِيُّكَ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ عَيْنٍ لَا تَذْمَعُ : اْعْمَلُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنْ  
الْحِكْمَةَ صَالَةً الْمُؤْمِنِ يَأْخُذُهَا مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ ، وَمِنْ الْجَلَدِ وَالْحَيَوَانِ ، وَمَا  
أَمْلَأَ الْمَلَوَانَ (١) ، فَإِنَّ الْحَقَّ نَوْرٌ لَا يَضَاهُ أَنْ صَدَرَ مِنَ الْحَامِلِ ، وَلَا يَقْصُرُ  
بِمَحْمُولِهِ احْتِقَارُ الْحَامِلِ ، وَأَنْتُمْ تَدْرُونَ أَنْكُمْ فِي أَطْوَارِ سَفَرٍ لَا تَسْتَقِرُّ لَهَا دُونَ  
الْغَايَةِ رِحْلَةً ، وَلَا تَتَأَنَّى مَعَهَا إِقَامَةً وَلَا مُهْلَةً ، مِنَ الْأَصْلَابِ إِلَى الْأَرْحَامِ إِلَى  
الْوُجُودِ ، إِلَى الْقُبُورِ إِلَى النُّشُورِ إِلَى إِحْدَى دَارَتِي الْبَقَاءِ ، أَفَى اللَّهِ شَكٌّ ؟ فَلَوْ  
أَبْصَرْتُمْ مَسَافِرًا فِي الْبَرِّيَّةِ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْقَرِشٍ ، وَيُمَهْدُ وَيَعْرِشُ ، أَلَمْ تَكُونُوا تَضْحَكُونَ  
مِنْ جَهْلِهِ ، وَتَتَحَبَّبُونَ مِنْ رَكَكَةِ عَقْلِهِ ؟ وَوَاللَّهِ مَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ،  
وَشَوَائِلُكُمْ عَنِ اللَّهِ ، الَّتِي فِيهَا اجْتِهَادُكُمْ ، إِلَّا بَقَاءُ سَفَرٍ (٢) فِي قَفَرٍ ، أَوْ إِعْرَاسٌ فِي  
لَيْلَةٍ نَمَرٍ (٣) ، كَأَنَّكُمْ بِهَا مُطَرَّحَةٌ تَعْبُرُ فِيهَا الْمَوَاشِي ، وَتَلْبُو الْعِيُونَ عَنْ خَبَرِهَا

[١] المَلَوَانِ : الْعَيْلُ وَالْهَارُ .

[٢] السَّرُّ : جَمَاعَةُ السَّافِرِينَ . [٣] أَعْرَسَ الْقَوْمَ وَعَرَّسُوا : نَزَلُوا فِي آخِرِ الْعَيْلِ لِلِاسْتِرَاحَةِ ،

وَعَرَّ الْحَاجَّ مِنْ مَنَى كَضَرْبٍ غَرًّا وَغَوْرًا . انْظُرْ ج ٣ ص ١٢١ .

المتلاشى « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ » ما بعد  
 المَقِيلِ إِلَّا الرِّحِيلَ ، ولا بعد الرحيل إِلَّا المنزِلُ الكريم ، أو المنزل الويل ، وإنكم  
 تَسْتَقْبِلُونَ أَمْوَالًا ، سَكَرَاتُ الْمَوْتِ بَوَاكِرُ حَسَابِهَا ، وَعَتَبُ أَبْوَابِهَا ، فلو  
 كَشِفَ الْغُطَاءُ عَنْ ذَرَّةٍ مِنْهَا ، لَنَهَلَتْ الْعُقُولُ وَطَاشَتْ الْأَلْبَابُ ، وما كل  
 حَقِيقَةٍ يشرحها الكلام ، « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ  
 الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ » ، أفلا أعددتُم لهذه الْوَزْطَةِ حِيلَةً ، وأظهرتم  
 للاهتمام بها نَحِيلَةً <sup>(١)</sup> ؟ أتمويلًا على عفوه مع المقاطعة ؟ وهو القائل في مقام  
 التهديد : « إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » ، أأمنًا من مكره مع المنابذة ؟ « وَلَا يَأْمَنُ  
 مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ » أطمعًا في رحمته مع المخالفة ؟ وهو يقول :  
 « فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ » ، أُمُشَاقَّةً وَمَعَانِدَةً ؟ « وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ  
 شَدِيدُ الْعِقَابِ » ، أشكًا في الله ؟ فَمَا لَوْ نُعِيدِ الْحِسَابَ ، وَنُقَرَّرَ الْعَقْدُ ، وَنَتَّصِفَ  
 بدعوة الحق <sup>(٢)</sup> (أَوْ غَيْرَهَا) من اليوم ، يُفَقَّدُ عَقْدُ الْعُقَاثِدِ عِنْدَ التَّسَاهُلِ بِالْوَعْدِ <sup>(٣)</sup> ،  
 فالعالمُ يُذْهِبُ الْأَصْبَعَ الْوَجِيعَةَ ، والعارف يَضْمَدُ لَهَا مَبْدَأَ الْعَصَبِ .

هكذا هكذا يكون النعمى هكذا هكذا يكون الغرور

« يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » وما عدا  
 مما بدا ، ورسولُكم الحريص عليكم الرءوف الرحيم يقول لكم : « الْكَيْسُ  
 مِنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وَهَمَلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ؛ وَالْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَعْنَى  
 عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي » ، فَمَلَامٌ بِمَدِّ هَذَا الْمَعْوَلِ ، وماذا يتأوَّل ؟ اتقوا الله تعالى في

[١] الخيلة الظن . [٢] أى أن الرء إذا لم يحجب لوعيد الله حسابا ، واسترسل في اقرار الملقى  
 والوَبَاطِ ، أنفى به ذلك إلى زلزلة القبيحة ، ولو أنه كان خالسا الإيمان لارعوى عما نهى عنه .

قوسكم وَأَنْصَحُوهَا ، وَاعْتَمُوا فُرْصَ الْحَيَاةِ وَارْتَجُّوهَا ، « أَنْ تَقُولَ نَفْسُ  
يَا حَسْرَةً عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّاحِرِينَ » ، وتنادى  
أخرى : « هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ؟ » ، ونستنيت أخرى : « يَا لَيْفَ مَا نُرِيدُ  
فَتَمَكَّنْ خَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَمَكَّنُ » ، وتقول أخرى : « رَبِّ أَرْجِنُونِي » ، فَرَحِمَ  
الله من نظر لنفسه ، قبل غُرُوبِ شمسهِ ، وَقَدَّمَ لِنَفْسِهِ مِنْ أَمْسِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْحَيَاةَ  
تَجْرُ إِلَى الْمَوْتِ ، وَالنَّفْلَةَ تَقُودُ إِلَى الْفَوْتِ ، وَالصَّعَةَ مَرْكَبُ الْأَلَمِ ، وَالشَّبِيهَةَ  
سَفِينَةٌ تَقْطَعُ إِلَى سَاحِلِ الْمَرَمِ .

وإن شاء قال بعد الخطبة :

« إِخْوَانِي ، مَا هَذَا التَّوَانِي ؟ وَالْكَلْفُ بِالْوُجُودِ الْغَانِي ، عَنِ الدَّائِمِ الْبَاقِي ،  
وَالدَّهْرِ يَقْطَعُ الْأَمَانِي ، وَهَادِمُ اللَّذَاتِ قَدْ شَرَعَ فِي تَقْضِ الْمُبَانِي ، أَلَا مَتَّبِعِي فِي  
حَالِ هَذِهِ الْمَعَانِي ، أَلَا مَرْتَحِلٍ عَنْ مَتَابِعِ هَذِهِ الْمَتَانِي ؟ »

أَلَا أَدُنُّ تُعْصِي إِلَيَّ سَمِيعَةً أَحَدْتُهَا بِالصَّدَقِ مَا صَنَعَ الْمَوْتُ  
مَدَدْتُ لَكُمْ صَوْتِي فَأَوَاهُ حَسْرَةً عَلَى مَا بَدَأَ مِنْكُمْ فَلَمْ يُسْمَعْ الصَّوْتُ  
هُوَ الْقَدَرُ الْآتِي عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ خُوبُوا مِيرَاحًا قَبْلَ أَنْ يَقَعَ الْفَوْتُ

يَا كَلْفًا بِمَا لَا يَدُومُ ، يَا مَفْتُونًا بِثُرُورِ الْوُجُودِ لِلْمَدُومِ ، يَا صَرِيحَ جِدَارِ الْأَجْلِ  
الْمُهْدُومِ ، يَا مُشْتَغِلًا بَيْنِيَانِ الطَّرِيقِ قَدْ ظَهَرَ الْمُنَاخُ وَقَرُبَ الْقُدُومُ ، يَا غَرِيقًا فِي  
فِي بَحَارِ الْأَمَلِ مَا عَسَاكَ تَعُومُ ! يَا مُكَلَّلَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَلَمَعَ السَّرَابِ <sup>(١)</sup> ،  
لَا بَدَأَ أَنْ تَهْجُرَ الْمَشْرُوبَ وَتَتْرَكَ الْمَطْعُومَ ، دَخَلَ سَارِقُ الْأَجْلِ بَيْتَ صَمْرِكَ ،  
فَسَلَبَ النَّشَاطَ وَأَمَتْ تَنْظُرَ ، وَطَوَسَى الْبَسَاطَ وَأَمَتْ تُكْرَبَ <sup>(٢)</sup> ، وَاقْلَعَ جَوَاهِرَ

[١] للماني جمع من وهو للقول .

[٢] السراب : ما يرى وسط الظلمة كأنه ماء . [٣] كره النعم كعصر : اشتد عليه .



الجوارح ، وقد وقع بك النهب ، ولم يبقَ إلا أن يحمل الوسادة على أنفك ويقعد .

لو خُفِّفَ الوجدُ عني دعوتُ طالبِ نارِ

« كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا » ، كيف التواخي والفوت مع الأنفاس يُنتظر ، كيف الأمان وهاجم الموت لا يُنتقي ولا يذر ، كيف الركون إلى الطمع الفاضح وقد صحَّ الخبر ؟ من فكر في كرب الحُمار <sup>(١)</sup> تنقَّصت عنده لذَّة البئذ ، من أحسَّ بلفظ <sup>(٢)</sup> الحريق فوق جداره ، لم يُصنغ بصوته لِغُمة العود ، من تيقَّن بذل العزلة ، هان عليه ترك الولاية .

ما قامَ خيرُك يا زمانُ بشره أُولَى لنا ما قلَّ منك وما كفى

أوحى الله سبحانه إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه : أَنْ صَغَّ يَدُكَ عَلَى مَنْ ثَوْر ، فَبَعَدَ مَا حَاذَتْهُ مِنْ شَعْرِهِ تَعِيشَ سَنِينَ ، فقال : يارب وبعد ذلك ؟ قال : تموت ، قال : يارب فالآن .

رأى الأمرَ يُفْضَى إِلَى آخِرٍ فَصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلًا

إذا شعرت نفسك بالليل إلى شيء فَأَعْرِضْ عَلَيْهَا غُصَّةَ فِرَاقِهِ « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنِّي نَفْسٌ ، وَيَخْجِي مَنْ حَيَّ عَنِّي نَفْسٌ » فالفروح به هو المحزون عليه ، أين الأحباب مرؤا ؟ فياليت شعري أين استقروا ؟ استكانوا والله واضطربوا ، واستغاثوا مَنْ سَبَقَكَ <sup>(٣)</sup> بأوليائهم فضرؤا ، وليتهم إذ لم ينفعوا ما ضرؤا ، فالمنازل من بعدم خالية خاوية ، والعروش ذابلة ذاوية ، والعظام من بعد التفاصيل متشابهة متساوية ، والمساكن تَنُدُّبُ في أطلالها الذئابُ العاوية .

[١] الحمار : صداع الجر وإذاها . [٢] أي برميهِ . [٣] هكذا في الأصل ، وكان يمكن أن يقول : « واستغاث من سبقك بأوليائهم » إلا أن يخرج على أن « من » مبتدأ مؤخر كما في قوله تعالى : « ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ » وقوله : « وَأَسْرُوا النَّبِيِّ الَّذِينَ ظَلَمُوا » أو « من »

صَحْتُ بِالرَّيْبِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا      لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ عِضَى الْغَرِيبِ ؟  
وَيَجْتَبِ الدَّارَ قَبْرُ جَدِيدٍ      مِنْهُ يَسْتَسْقِي الْمَكَانُ الْجَدِيدُ  
غَاثَ قَلْبِي فِيهِ عِنْدَ التَّجَاهِي      قُلْتُ : هَذَا الْقَبْرِ فِيهِ الْحَبِيبُ <sup>(١)</sup>  
لَا نَسْلُ عَنْ رَجْعَتِي كَيْفَ كَانَتْ      إِنَّ يَوْمَ الْيَتِيمِ يَوْمَ عَصِيبُ  
بِاقْتِرَابِ الْمَوْتِ عَلَّتْ نَفْسِي      بَعْدَ إِنْفِي ، كُلُّ آتٍ قَرِيبُ

أَيْنَ الْمَعْمَرُ الْخَالِدُ ، أَيْنَ الْوَلَدُ أَيْنَ الْوَالِدُ ، أَيْنَ الطَّارِفُ أَيْنَ التَّالِدُ ، أَيْنَ الْمَجَادِلُ أَيْنَ  
الْمُجَالِدِ ؟ هَلْ تَحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرَأً ؟ <sup>(٢)</sup> وَجْوهَ عَلَاهُنَّ الثَّرَى ،  
وَصَحَائِفُ تَقْضُ ، وَأَعْمَالُ عَلَى اللَّهِ تُعْرَضُ ، بِمَحْتِ الزُّهَادِ وَالْعُبَادِ ، وَالْعَارِفُونَ  
وَالْأَوْتَادُ ، وَالْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ يُهْتَدَى بِهِمُ الْعِبَادُ ، عَنْ سَبَبِ الشَّقَاءِ الَّذِي لَا سَمَادَةَ  
بَعْدَهُ ، فَلَمْ يَحْدُوا إِلَّا الْبَعْدَ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى ، وَسَبَبِهِ حُبُّ الدُّنْيَا ، « لَنْ تَجْتَمِعَ أُمَّتِي  
عَلَى ضَلَالَةٍ » .

هَجَرْتُ حَبَائِي مِنْ أَجْلِ لَيْلِي      فَمَا لِي بَعْدَ لَيْلِي مِنْ حَبِيبِ  
وَمَاذَا أُرْتَجِي مِنْ وَصْلِ لَيْلِي      سَتَجْزِي بِالْقَطِيعَةِ عَنْ قَرِيبِ

وَقَالُوا : مَا أوردَ النَّفْسَ الْمَوَارِدَ ، وَفَتَحَ عَلَيْهَا بَابَ الْخُتْفِ إِلَّا الْأَمَلُ ، كَلِمَا قَوْمَتَهَا  
مَثَاقِفُ الْحُدُودِ ، فَتَحَ لَهَا أَرْكَانَ الرُّخَصِ . كَلِمَا عَقَدَتْ صَوْمَ الْعَزِيمَةِ ، أَهْدَاهَا  
طُرْفُ الثَّرُورِ فِي أَطْبَاقِ « حَتَّى وَإِذَا وَلَكِنْ وَرُبَّمَا » فَأَفْرَطَ الْقَلْبُ فِي تَقْلِيلِهَا  
حَتَّى أَفْطَرَ :

مَا أَوْبَقَ الْأَنْفُسَ إِلَّا الْأَمَلُ      وَهُوَ غَرُورٌ مَا عَلَيْهِ تَمَلُّ  
يَقْرُضُ مِنْهُ الشَّخْصُ وَهَمَّ مَالَهُ      حَالٌ ، وَلَا مَاضٍ ، وَلَا مُسْتَقْبَلُ

ما فوق وجه الأرض نفس حية  
لَوْ أَنَّهُمْ مِنْ غَيْرِهَا قَدْ كُونُوا  
مَا نَمَّ إِلَّا لَقَمٌ قَدْ هَيْئَتِ  
وَالْوَعْدِ حَقٌّ، وَالْوَرَى فِي غَفْلَةٍ  
أَيْنَ الَّذِينَ شَيَّدُوا وَاعْتَرَسُوا  
أَيْنَ ذَوِّ الرِّاحَاتِ زَادَتْ حَسْرَةً  
إِذْ جُنِبُوا إِلَى الثَّرَى وَانْتَقَلُوا<sup>(١)</sup>  
لَمْ تَدْفَعْ الْأَحْبَابُ عَنْهُمْ غَيْرَ أَنَّ  
اللَّهُ فِي نَفْسِكَ أَوْلَى مِنْ لَهُ  
لَا تَتْرَكْنَهَا فِي عَمَى وَحَيْرَةٍ  
حَقَّرَهَا الْفَانِي، وَحَاوَلَ زُهْدَهَا  
وَفِذَ إِلَى اللَّهِ بِهَا مَضْطَرَةً<sup>(٢)</sup>  
هُوَ الْفَنَاءُ، وَالْبَقَاءُ بَعْدَهُ  
يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ يَا حَسْرَتَهَا  
يَوْمَ يُؤْتَى النَّاسُ مَا قَدْ عَمِلُوا

يَا طَرْدُ<sup>(٣)</sup> المخالفة، أَنْكُمْ مُدْرَكُونَ فَاسْتَبِقُوا بَابَ التَّوْبَةِ، فَإِنَّ رَبَّ تِلْكَ الدَّارِ يُخِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ « فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا هَذَا كُمْ »، يَا طُفَيْلِيَّةَ الْهَمَّةِ، دُسُّوا أَنْفُسَكُمْ بِزُمرِ التَّائِبِينَ، وَقَدْ دُعُوا إِلَى اللَّهِ دَعْوَةَ الْحَبِيبِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَكُلٌ فَلَا أَقْلٌ مِنْ طَيْبِ الْوَلِيَّةِ، قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: إِذَا عَقَدَ التَّائِبُونَ الصَّلَاحَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، انْتَشَرَتْ رَعَايَا الطَّاعَةِ فِي عِمَالَةِ الْأَعْمَالِ، « وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

[١] جنبه: دفعه . [٢] أى اتقى الله فى شكك الذى هو أولى . . . الخ .

[٣] فد: أمر من وفد أى أقدم . [٤] الطريدة: ما طردت من ميد أو غيره

وَوَضَعَ الْكِتَابُ ، معاني هذا المجلس والله نَسِيمُ سَحَرٍ ، إذا أَسْتَنَشَقَهُ مَخْمُورُ  
الْعَفْلَةِ أَفَاق ، سَعُوطٌ <sup>(١)</sup> هذا الوعظ يَنْقُضُ <sup>(٢)</sup> إِنْ شَاءَ اللَّهُ زَكَمَةَ الْبَطَالَةِ ، إِنْ  
الَّذِي أَتَزَلَ الدَّاءُ أَتَزَلَ الدَّوَاءُ ، إِكْسِيرٌ <sup>(٣)</sup> هذا الكتاب يَلْقَبُ بِحِكْمَةِ جَابِرٍ <sup>(٤)</sup> ،  
الْقُلُوبِ الْمُنْكَسِرَةِ عَيْنٍ مِنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ « إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى  
يَسْمِعُهُمُ اللَّهُ » إلهي دُنَّا مِنْ حَيْرَةٍ يَنْضِلُ فِيهَا - إِلَّا إِنْ هَدَيْتَ - الدَّلِيلُ ،  
وَأَجَرْنَا مِنْ غَمْرَةٍ <sup>(٥)</sup> وكيف - إِلَّا بِإِغَاثَتِكَ - السَّبِيلُ ، قُومٌ صَدِيقٌ مِنْ مَرٍّ  
الْأَزْمَانِ مِنْهَا الصَّقِيلُ ، وَنَبَأٌ يَحْنُو بِهَا عَنِ الْحَقِّ الْمَقِيلُ ، وَأَذَانٌ أَنْهَضَهَا الْقَوْلُ  
الثَّقِيلُ ، وَعَثَرَاتٌ لَا يَقْبَلُهَا إِلَّا أَنْتَ يَا مُقِيلَ الْعَثَرَاتِ يَا مُقِيلَ ، أَنْتَ حَسْبُنَا  
وَنَسْمُ <sup>(٦)</sup> الْوَكِيلُ . ( فتح الطيب ٤ : ٨٥ )

## ١٩ - وصية موسى بن سعيد العنسى <sup>(٧)</sup> لابنه

قال أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى :

لما أردت النهوض من ثمر الإسكندرية إلى القاهرة ، أول وصولي إلى

[١] في الأصل « سوط » وأراه محرّفاً من « سعوط » كما يدل عليه سياق الكلام ، والسعوط : الهواء  
يصب في الأفق . [٢] في الأصل « ينقض » وأراه « ينقض » أي ينضب .  
[٣] الإكسير : الكيباء .

[٤] يريد جابر بن حيان . قال ابن الفطحي في تلويح الحكاء في ترجمته : « هو جابر بن حيان الصوري  
الكوفي ، وكان مضافاً في العلوم الطبيعية ، وفي صناعة الكيباء . . . الخ » وذكره ابن زيدون في  
رسالته المغزلية ، فقال : « وأظهرت جابر بن حيان على سر الكيباء » قال ابن نباتة في شرح البيوت :  
« وأما جابر بن حيان للذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة في كتاب يعتمد عليه ، وهذا دليل على قول  
أكثر الناس إنه اسم موضوع وضعه للمعتون في هذا الفن » ، وزعموا أنه كان في زمن جعفر الصادق ،  
وأنه إذا قال في كتيبه : قال لي سيدي ، وصمت من سيدي ، فإنه يسمي به جعفر الصادق ، وقد نعمنا لك  
أن جعفر الصادق توفي سنة ١٤٨ هـ .

[٥] النمرة : الشمة . [٦] أورد للفري في فتح الطيب لسان الدين عتب ذلك كلاماً آخر في الوصية  
وهو على نمط ما أوردناه لك فافطره هناك إن شئت .

[٧] هو الكاتب الفخير أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى ، من سلالة  
عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه ، وقد توفاه به ابن هود ملك الأندلس ، وولاه الجزيرة الخضراء ، وهو

الإسكندرية، رأى أبي أن يكتب لى وصية أجعلها إماماً فى الغربية ، فبقى فيها أياماً إلى أن كتبها عنه ، وهى هذه :

أودِعْكَ الرَّحْمَنُ فِي غُرْبَتِكَ	مُرْتَقِبًا رُمَحَاءَ فِي أَوْبَتِكَ
وما اختارى كَانَ طَوَّعَ النَّوَى	لكننى أَجْرَى عَلَى بُغْيَتِكَ <sup>(١)</sup>
فلا تُطِلْ حَبْلَ النَّوَى ، إِنِّى	وَاللهِ أَشْتَاقُ إِلَى طَلْعَتِكَ
مَنْ كَانَ مَفْتُونًا بِأَبْنَائِهِ	فَإِنِّى أَمَعَنْتُ فِي خِبرَتِكَ
فاختَصِرِ التَّوَدِيعَ أَخْذًا ، فَمَا	لِى نَاطِرُهُ يَقْوَى عَلَى فِرْقَتِكَ
واجعل وَصَاتِي نُصْبَ عَيْنٍ ، وَلَا	تَبْرَحْ مَدَى الْيَآمِ مِنْ فِكْرَتِكَ
خُلَاصَةَ الْعَمْرِ الَّتِي حُنُكْتُ	فِي سَاعَةٍ زُفْتُ إِلَى فِطْمَتِكَ <sup>(٢)</sup>
فَلتَجَارِبِ أُمُورٌ إِذَا	طَالَعَتْهَا تَشَحَّدُ مِنْ غَفْلَتِكَ
فَلَا تَنْهَمْ عَنْ وَغِيهَا سَاعَةً	فَإِنهَا عَوْنٌ إِلَى يَقْظَتِكَ <sup>(٣)</sup>
وَكُلِّ مَا كَابَدْتَهُ فِي النَّوَى	إِيَّاكَ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ هِمَّتِكَ
فليس يُدْزِى أَصْلُ ذِي غُرْبَةٍ	وإنما تُعْرِفُ مِنْ شِيمَتِكَ

ممن رحل من علماء الأندلس إلى الشرق ، وتوفى بالإسكندرية سنة ٦٤٠ هـ ٦٧ طاما . وكان أبوه محمد وزيراً جليلاً بيد الصيت ، على الفكر ، رفيع الهمة ، كثير الأموال ، وكان ذا حظوة لدى الموحدين ، وولى لهم أعمالاً كثيرة براكش وإشبيلية وغرناطة ، واتصلت ولايته على أعمال غرناطة ، وكان من شيوخها وأعيانها .

وكان جده عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بنى سعيد تحت طاعة على بن يوسف بن تاشفين ملك البربر ، إلى أن استبد بها سنة ٥٣٩ هـ .

وابنه أبو الحسن على هو متهم كتاب : « الغرب فى أخبار الغرب » ، وكان السبب فى تأليفه هو جده عبد الملك بن سعيد ، ثم تهم ابنه محمد بن عبد الملك ، ثم تهم ما بقى منه ابنه موسى بن محمد ، ثم أدبى على الجميع فى إتمامه على بن موسى ، وقد ذكر فى خطبته أنه بدئ فيه من سنة ٥٣٠ هـ ، ومنتها إلى غرة سنة ٦٤١ هـ ، وكان مولد أبى الحسن بغرناطة سنة ٦١٠ هـ ، ووفاته بنونس سنة ٦٨٥ هـ [١] النوى : البعد . [٢] حنك : أجهكت . [٣] الیقظة بالحريك وسكنه للشر .

وكل ما يُفْضِي لِمُذِرٍ فلا      تجمله في الغربة من إزبتك<sup>(١)</sup>  
 ولا تجالِسْ مَنْ فشا جهلهُ      وأقصد لمن يرغب في صنعتك  
 ولا تجادل أبدأ حاسداً      فإنه أذعى إلى هيتك  
 وامنسِ الهوى نى مظهر عفة      وأبع رضا الأعين عن هيتك  
 أفضِ التحياتِ إلى أهلها      ونبه الناس على ربتك  
 وأنطق بحيثُ النوى مستقبح      واصمت بحيث الخير في سكتك  
 ولا تزل مجتبعاً طالباً      من دهرك الفرصة في وثبتك  
 وكلما أبصرمتها أمكنت      نب واقفا بالله في مكتك<sup>(٢)</sup>  
 ورج على رزقك من بابك      وأقصد له ما عشت في بكرتك  
 وأياس من الود لدى حاسد      ضد ، ونافسه على خطبك<sup>(٣)</sup>  
 وفقر الجهد ، فمن قصده      قصدك لا تعبه في بغضتك  
 ووف كلاً حقه ، ولكن      تكسر عند الفخر من حدتك  
 ولا تكن تخفّر ذا رتبة      فإنه أنفع في غرتك  
 وحيثما خيمت فاقصد إلى      مُحبة من رجوه في نصرتك  
 وللرزايا ونبة ، مالمها      إلا الذي تدخر من عدتك  
 ولا تقل : ( أسلم لي وحدتي )      فقد تقاسى النك في وحدتك  
 والتزم الأحوال وزناً ولا      ترجع إلى ما قام في شهوتك  
 وتجل العقل محكاً ، وخذ      كلاً بما يظهر في نقدتك  
 واعتبر الناس بالفاظهم      وأحب أخيراً رغبت في محبتك

[١] الإربة : الحاجة . [٢] للكنة بفتح فسر : التمكن والقدرة ، وسكة لشعر .

[٣] في الأصل « وأس من الود . . . » وقد أصلحه « وأياس » وبه يستقيم المعنى .

بعد اختبارٍ منك يَقْضِي بما  
يَحْسُنُ فِي الْآخِذِ مِنْ خِلَاطِكَ<sup>(١)</sup>  
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ نُصْحَهُ  
وَفِكْرُهُ وَقَفَّ عَلَى عَثْرَتِكَ  
إِيَّاكَ أَنْ تَقْرَبَهُ ، إِنْهُ  
عَوْنٌ مَعَ الدَّهْرِ عَلَى كَرْبَتِكَ  
وَأَقْنَعُ إِذَا مَا لَمْ تَجِدْ مَطْمَعًا  
وَأَطْمَعُ إِذَا انْعَشْتَ مِنْ عُسْرَتِكَ  
وَأَنْتُمْ نَمُوْا النَّبْتَ قَدْ زَارَهُ  
غَيْبُ النَّدَى ، وَاسْمُ إِلَى قَدْرَتِكَ  
وَإِنْ نَبَا دَهْرٌ قَوَظُنْ لَهُ  
جَاشَكَ ، وَانْظُرْهُ إِلَى مَدَّتِكَ  
فَكُلْ ذِي أَمْرِ لَهُ دَوْلَةٌ  
فَوْفَ مَا وَافَاكَ فِي دَوْلَتِكَ  
وَلَا تُضَيِّعْ زَمَنًا مُمَكِّنَا  
تَذَكَّارُهُ يَذْكُرُ لِي لَظَى حَسْرَتِكَ  
وَالشَّرَّهْمَا أَسْطَمَتَا لَا تَأْتِيهِ  
فِيهِ حَوْزٌ عَلَى مُهْجَتِكَ<sup>(٢)</sup>

\* \*

يَا بُنَيَّ الَّذِي لَا نَاصِحَ لَهُ مِثْلِي ، وَلَا مَنصُوحَ لِي مِثْلُهُ ، قَدْ قَدِمْتُ لَكَ فِي هَذَا  
النَّظْمِ مَا إِنْ أَخْطَرْتَهُ بِخَاطِرِكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ ، رَجَوْتُ لَكَ حَسْنَ الْعَاقِبَةِ إِنْ شَاءَ  
اللَّهُ تَعَالَى ، وَإِنْ أَخَفَّ مِنْهُ لِلْحِفْظِ ، وَأَعْلَقَ بِالْفَكْرِ ، وَأَحَقَّ بِالْقَدَمِ قَوْلُ الْأَوَّلِ :

١ يَزِينُ الْغَرِيبَ إِذَا مَا اغْتَرَبَ ثَلَاثٌ ، فَهِنَّ : حُسْنُ الْأَدَبِ

وَتَانِيَةٌ : حُسْنُ أَخْلَاقِهِ وَثَالِثَةٌ : اجْتِنَابُ الرِّيبِ

وَإِذَا اعْتَبَرْتَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ ، وَلَزِمْتَهَا فِي الْغُرْبَةِ ، رَأَيْتَهَا جَامِعَةً نَافِعَةً ، لَا يَلْحَقُكَ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَعَ اسْتِمَالِهَا نَدَمٌ ، وَلَا يَفَارِقُكَ بَرٌّ وَلَا كَرَمٌ ، وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

يُعَدُّ رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسِيبٍ

[١] الخلطة مثل العفرة وزنا ومعنى ، والخلطة بالعم : اسم من الاختلاط ، مثل الفرة من الانتراف .

[٢] حازه حوزا : جمعه وضمه وامتلكه كاختارته اختياراً ، والمعنى : أمك إن أتيت الشر استحوذ على

نفسك وتعللك .

إذا حَلَّ أرضًا عاشَ فيها بقله وما عاقِلٌ في بلدةٍ بغيرِ  
وما قَصَّرَ القائل حيث قال :

واصْبِرْ على خَلْقٍ من ثُمَاثِرُهُ وَدَارِهِ ، فالليْبُ مَنْ دَارَى  
وَاتَّخَذَ النَّاسَ كُلَّهُمْ سَكَنًا وَمَثَلَ الْأَرْضِ كُلَّهَا دَارًا  
وَأَصْغَرَ يَا بُنَى إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ يَقِيْمَةُ الدَّهْرِ <sup>(١)</sup> ، وَسَلَّمُ الْكِرْمِ وَالصَّبْرِ :

وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَ <sup>(٢)</sup>

إِذْ حُسْنُ الْخُلُقِ أَكْرَمُ تَزِيلٍ ، وَالْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنْزِلٍ ، وَلَتَكُنْ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ  
فِي أَدِيبٍ مُتَغَرِّبٍ : « وَكَانَ كَلِمًا طَرَأَ <sup>(٣)</sup> عَلَى مَلِكٍ ، فَكَأَنَّهُ مَعَهُ وَلَدٌ ، وَإِلَيْهِ قَصْدٌ ،  
غَيْرَ مُسْتَرِيبٍ بِدَهْرِهِ ، وَلَا مُنْكَرٍ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ » ، وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى  
صَحْبَةٍ مِنْ أَخَذَ بِمَجَامِعِ هَوَاهُ <sup>(٤)</sup> ، فَاجْعَلِ التَّكْلِفَ لَهُ سُلْمًا ، وَهُبْ فِي رَوْضِ  
أَخْلَاقِهِ هَيُوبَ النَّسِيمِ ، وَخُلْ بِطَرَفِهِ حُلُولَ الْوَسَنِ <sup>(٥)</sup> ، وَاتَّزِلْ بِقَلْبِهِ تَزُولَ الْمَسْرَةِ ،  
حَتَّى يَتِمَّ لَكَ وَدَادُهُ ، وَيَخْلُصَ فَيْكَ اعْتِقَادُهُ ، وَطَهَّرْ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانَكَ ،  
وَأَغْلِقْ مِمَّاكَ ، وَلَا تُرَخِّصْ فِي جَانِبِهِ لِحُسُودَ لَكَ مِنْهُ ، يَرِيدُ إِبْهَادَكَ عَنْهُ لِمَنْفَعَتِهِ ،  
أَوْ حُسُودَ لَهُ يَفَارُ لِنَجْمِهِ بِصَحْبَتِكَ ، وَمَعَ هَذَا فَلَا تَقْتَرَّ بِطُولِ صَحْبَتِهِ ، وَلَا تَتَمَهَّدْ  
بِدَوَامِ رَقْدَتِهِ ، فَقَدْ يَنْبَغِي الزَّمَانُ ، وَيُغَيِّرُ مِنَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ، وَلَذَا قِيلَ : « إِذَا  
أَحْبَبْتَ فَأَحْبِبْ هَوْنًا مَّا ، فِي الْمُمْكِنِ أَنْ يَنْقَلِبَ الصَّدِيقُ عَدُوًّا ، وَالْعَدُوُّ صَدِيقًا »  
وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ عَقْلَهُ مِيزَانًا ، وَكَانَ كَالْمَرَاةِ يَتَلَقَّى كُلَّ وَجْهِ بِثَنَالِهِ ، وَجَعَلَ  
نُصْبَ نَازِلِهِ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ :

[١] يَحُلُّ : دَرَجَةُ بَقِيَّةٍ : أَيْ لَا تَنْظِرْ لَهَا ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُفْرَدٍ يَزِيدُ تَقْظِيرُهُ فَهُوَ يَتِيمٌ .

[٢] نَبَاتُهُ بِمَنْزِلِهِ : إِذَا لَمْ يَوَاقِفْهُ . [٣] طَرَأَ عَلَيْهِمْ كُنْصٌ : أَتَاهُمْ مِنْ مَكَانٍ ، أَوْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَانِبٍ .

[٤] النَّسِيمُ فِي هَذَا مَعْنَى « قَلْبُكَ » . [٥] الْوَسْنُ : الْتَمَسُ .



ولما صار ودّ الناس خيباً جزيتُ على ابتسام بابتسام<sup>(١)</sup>

وفي أمثال العامة : « من سبقك يوم فقد سبقك بعقل » ، فاختدِ بأمثلة من جرّب ، واستمع إلى ما خلد الماضون بعد جهدهم وتعبهم من الأقوال ، فإنها خلاصة عمرهم ، وزبدة تجاربهم ، ولا تتكلّ على عقلك ، فإن النظر فيما تعب فيه الناس طول أعمارهم ، وابتاعوه غالياً بتجاربهم ، يُربحك ويقع عليك رخيصاً ، وإن رأيت مَنْ له مروءة وعقل وتجربة ، فاستفد منه ، ولا تضيع قوله ولا فعله ، فإن فيما تلقاه تلقيحاً لعقلك ، وحشاً لك واهتداء .

وياك أن تعمل بهذا البيت في كلّ موضع : وَالْحَرْ يُخَذُّ بِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ : فقد قال أحدهم : ما قيل أضرّ من هذا البيت على أهل التجمل ، وليس كل ما تسمع من أقوال الشعراء يحسنُ بك أن تتبعه حتى تتدبره ، فإن كان موافقاً لعقلك ، مُصلِحاً لحالك ، فراع ذلك عندك ، وإلا فانبذه بُدء النواة ، فليس لكل أحد يُتَّبَعُ ، ولا كل شخص يُكَلَّم ، ولا الجود مما يُعْمُ به ، ولا حُسن الظن وطيب النفس مما يعامل به كل أحد ، والله درّ القائل :

وَمَالِي لَا أَوْفِي الْبَرِيَّةِ قِسْطَهَا عَلَى قَدْرِ مَا يُعْطَى وَعَقْلِي مِيزَانُ

وياك أن تُعْطِيَ من نفسك إلا بِقَدَرٍ : فلا تعامل الدُّونَ بمعاملة الكفء ، ولا الكفء بمعاملة الأعلى ، ولا تضيع عمرك فيمن يعاملك بالمطامع ، وَيُثْبِكَ على مصلحة حاضرة عاجلة ، بنائبة آجلة ، واسمع قول الأول :

وَبِعْ آجِلاً مِنْكَ بِالْعَاجِلِ : وَأَقْلِلْ مِنْ زِيَارَةِ النَّاسِ مَا اسْتَطَعْتَ ، وَلَا تَجْفُهُمْ بِالْجُمْلَةِ ، ولكن يكون ذلك بحيث لا يلحق منه مَلَلٌ ولا ضَجَرٌ ولا جفاء ،

ولا تَقُلْ أيضاً : أقمَدُ في كِسْرَيْتِي ، ولا أرى أحداً ، وأستريح من الناس ، فإن ذلك كسل داخ إلى الذل والمهانة ، وإذا علم عدوك أو صديق منك ذلك ، عاملاً بحسبه ، فازدراك الصديق ، وجسر عليك العدو ، وإياك أن يفرك صاحب عن أن تدخر غيره للزمان ، وتطعيه في عداوة سواه ، ففي الممكن أن يتنير عليك ، فتطلب إغاثة غيره عليه ، أو استثناء عنه ، فلا تجود ذخيرة قدّمتها ، وكان هو في أوسع حال ، وأعلى رأي ، بما دبره بحيلته في انقطاعك عن غيره ، فلواتفق لك أن تصحب من كل صناعة وكل رياسة ، من يكون لك عُدَّةٌ ، لكان ذلك أَوْلَى وأصوب ، وسَلَى فإني خير ، طال - والله - ما صحبْتُ الشخص أكثرَ عَمْرِي ، لأعتمد على سواه ، ولا أعتد إلا إياه ، منخدماً بسراجه ، موثقاً في جبال خطابه ، إلى أن لا يحصل لي منه غير العَصِّ على البنان ، وقول : لو كان ولو كان ! ولا يحملنك أيضاً هذا القول أن تظنه في كل أحد ، وتمجّل المكافأة ، وليكن حسن الظن بمقدار ما ، واصبر بمقدار ما ، وَالْفَظَن لا تخفى عليه غَيَابُ الأحوال ، وفي الوجوه دلالات وعلامات ، وأصغر إلى القائل :

ليس ذا وَجْهِ مَنْ يَضِيفُ ولا يَقْدِرُ ولا يدفع الأذى عن حَرِيمٍ<sup>(١)</sup>  
فمن يكن له وجه مثل هذا الوجه قَوْلٌ وَجْهَكَ عَنْهُ قَبْلَةَ تَرْضَاهَا ، وتحرصن جَهْدَكَ على أن لا تصحب أو تخدم إلا رَبَّ حِشْمَةٍ ونعمة ، وَمَنْ نشأ في رفاهية وثروة ، فإنك تنام معه في مهاد العافية ، وإن الجياد على أعرافها<sup>(٢)</sup> تجري ، وأهل الأحساب والمروءات يتركون منافهم متى كانت عليهم فيها

[١] ضافه يضيفه : نزل به ضيفاً ، وقرى الضيف كرمي : أحسن إليه .

[٢] الأعراف جمع عرق بالكسر وهو الأصل .

وَصَمَّةٌ ، وقد قيل في مجلس عبد الملك بن مروان : أَشْرَبَ مُصْعَبُ الْحِمَرِ ؟ فقال عبد الملك - وهو عدو له محارب له على الملك - : لو عَلِمَ مُصْعَبُ أَنَّ الْمَاءَ يُفْسَدُ مِرْوَنَةُ مَا شَرِبَهُ ؛ وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ .

يابني ، وقد علمت أن الدنيا دار مفارقة وتغير ، وقد قيل : « أَفْصَحَ مَنْ شَتَّتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ » ، فنتي فارتقت أحداً فَعَلَى حُسْنِي فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي : هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ؟ فَلَذَلِكَ قَالَ الْأَوَّلُ :

« وَلَمَّا مَضَى سَلَمٌ بِكَيْتٍ عَلَى سَلَمٍ » ، وَإِيَّاكَ وَالْبَيْتَ السَّائِرَ :

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بَدَارَ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخَزِيَّةٍ وَتَرَكْتَ عَارَا

واحرص على ما جمع قول القائل : « ثَلَاثَةٌ تُبْنِي لَكَ الْوَدَّ فِي صَدْرِ أَخِيكَ : أَنْ تَبْدَأَ بِالسَّلَامِ ، وَتَوْسِعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ » ، واحذر كل ما يَنْتَهِي لَكَ الْقَائِلُ : « كُلُّ مَا تَقْرُسُهُ تَجْنِيهِ إِلَّا ابْنَ آدَمَ ، فَإِنَّكَ إِذَا غَرَسْتَهُ يَقْلَمُكَ » وقول الآخر : « ابْنُ آدَمَ يَتَمَسَّكُنْ حَتَّى يَتِمَّ كُنْ » وقول الآخر : « ابْنُ آدَمَ ذُبَّ مَعَ الضَّعْفِ ، أَسَدٌ مَعَ الْقُوَّةِ » .

وإياك أن تثبت على صُحْبَةِ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ تُطِيلَ اخْتِبَارَهُ ، فيحكى أن ابن المقفع خطب من الخليل صُحْبَتَهُ ، فجأبه : « إِنْ الصُّحْبَةُ رِقٌّ ، وَلَا أَضْعُفُ رِقٌّ فِي يَدِكَ حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ مَلَكَتُكَ <sup>(١)</sup> » ، وَأَسْتَمِلُ <sup>(٢)</sup> مِنْ عَيْنٍ مَنْ تَعَاشَرَهُ ، وَتَفْقَدُ فِي فَلَتَاتِ الْأَلْسِنِ وَصَفَحَاتِ الْأُجُوهِ ، وَلَا يَحْمِلُكَ الْحَيَاءُ عَلَى السَّكُوتِ عَمَّا

١ [١] ملكة بالتحريك ، وملكاً مثلث الليم ، وملكاً مثلث اللام : احتواء قادراً على الاستيلاء به .

٢ [٢] من استملته الكتاب : سألته أن يمل به عليّ ، وللمى : استرشد وتبين من نظرات عينه إجابة .

ك هو أم مدو .

يضرك أن لا تبينه ، فإن الكلام سلاح السلم ، وبالأين يُعزف ألم الجرح ،  
واجمل لكل أمر أخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك .

وأكد ما أوصيك به أن تطرح الأفكار ، وتسلم للأقدار .

واقبل من الدهر ما أتاك به من قر عينا ببشه قعة

إذ الأفكار تجلب الموم ، وتضاعف النوم ، وملازمة القطوب ، عنوان  
المصائب والخطوب ، يستريب به صاحب ، ويشمت العدو المجاب ، ولا  
تض بالوساوس إلا نفسك ، لأنك تنصر بها الدهر عليك ، وفه در القائل :

إذا ما كنت للأحزان عوناً عليك مع الزمان فمن تلوم ؟

مع أنه لا يرد عليك الفات الحزن ، ولا يعوى بطول عتبك الزمن ، ولقد  
شاهدت بفرناطة شخصاً قد ألفت الموم ، وعشقت النوم ، من صغره إلى  
كبره ، لا تراه أبداً خلياً من فكره ، حتى لُقّب بصدر الموم ، ومن أعجب ما  
رأيت منه أنه يتنكد في الشدة ، ولا يتمل بأن يكون بعدها فرج ، ويتنكد في  
الرخاء خوفاً من أن لا يدوم .

ويُنشد : توقع زوالاً إذا قيل تم ، ويُنشد : وعند التناهي يقصر المتطاول .

وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب ، ومثل هذا ممره مخسور يمر ضياعاً .  
ومتى رفعك الزمان إلى قوم يدمون من العلم ما تحسنته حسداً لك ، وقصداً  
لتصغير قدرك عندك ، وترهيداً لك فيه ، فلا يحملك ذلك على أن تهمل في علمك ،  
وتركن إلى العلم الذي مدحوه ، فتكون مثل الغراب الذي أعجبه مشي الحجلة<sup>(١)</sup>

[١] الجبل بالتحريك : طائر على قدر العلم كالقطا أحمر اللعاز والرجلين ، والراححة حبة ، واسم حبه  
جلى بكسر فسكون قدح ولا نظير له سوى طري ( ومفرده طربان يفتح فكسر وهو دوية منتنة الريح )

فرام أن يتعلمه فَصَّصَ عليه ، ثم أراد أن يرجع إلى مشيه فَنَسِيَهُ ، فَبَقِيَ مُخْبِلًا  
المشي ، كما قيل :

إن الغراب (وكان يمشي مِشْيَةً فيما مضى من سالف الأجيال) (١)  
حَسَدَ الْقَطَا ، وأراد يمشي مشيها فأصابه ضَرْبٌ من الْعُقَالِ (٢)  
فَأَضَلَّ مِشْيَتَهُ ، وأخطأ مشيها فلذلك سَمَّوْهُ أَبَا بَرِّقَالٍ (٣)

ولا يُفْسِدُ خَاطِرُكَ مَنْ جَعَلَ يَدُومَ الزَّمانَ وأَهْلَهُ ، ويقول : « ما بَقِيَ في الدنيا  
كريم ولا فاضل ، ولا مكان يُرْتاحُ فيه » ، فإن الذين ترام على هذه الصفة ،  
أكثر ما يكونون ممن صَحِبَهُ الْحِرْمانَ ، واستحقت طَلْعَتَهُ للهِوانِ ، وَأَبْرَمُوا (٤)  
على الناس بالسؤال فقتوم ، وعجزوا عن طلب الأمور من وجوها ، فاستراحوا  
إلى الوقوع في الناس ، وإقامة الأعذار لأنفسهم بقطع أسبابهم ، وتعذير أمورهم ،  
ولا تُزِلُّ هذين البيتين من فكرك :

لِنْ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا فَأَخُو الْعِزِّ يَلِينُ  
فَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ

وقول الآخر :

تِهْ وَارْتَفِعْ إِنْ قِيلَ أَقْسَرُ ، وَانْخَفِضْ إِنْ قِيلَ أَثْوَى (٥)  
كَالْفَصْنِ يَسْقُلُ مَا أَكْتَسَى ثَمَرًا ، وَيَعْلُو مَا تَمَرَّى

[١] هذا البيت ليس مثبتاً في الأصل ، وقد أورده النعماني مع البيتين بعده في حياة الحيوان  
الكبرى ٢ : ٢٤٤ . [٢] المقال : داه في رجل الهابة إذا مشى ظلع ساعة ثم انبسط .  
[٣] من أزلت الهابة إذا أسرعت . [٤] أورد الفحل لازماً وهو متمد ، داه في كتب اللغة :  
« أبرمه فبرم كفره وتبرمه : أهله فل » . [٥] أقر : انخر .

لا قول الآخر :

الخير يَنْقُ وإن طال الزمانُ به      والشرُّ أخْبثُ ما أوعيتَ من زاد  
واعتمد في الناس ما قاله القائل :

ومن يَلْقَ خيراً يَحْمَدُ الناسُ أمره      ومن يَفْوَ لَا يَنْدَمُ على النِّى لَأَمَّا  
وقريبٌ منه قول القائل :

بقدر الصُّعُودِ يكون الهبوطُ      فإياك والرَّثَبَ العالِيه  
وكن في مكانٍ إذا ما سَقَطْتَ      تقوُّمٌ وربلاك في عافيه  
وَتَحْفَظُ بما تضمَّنه قول الآخر :

ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه      ذمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ  
وفه در القائل :

ما كلُّ ما فوق البسيطة كافياً      فإذا قَنِعْتَ فكلُّ شئٍ كافٍ  
والأمثال يَضْرِبُها لِنِى اللَّبِّ الحكيم ، وذو البَصَرِ يمشى على الصراط المستقيم ،  
والفطن يقنع بالقليل ، ويستدلُّ باليسير ، والله سبحانه خليفى عليك ،  
لَا رَبَّ سِوَاهُ . ( مع الطيب ١ : ٤٩٢ )

٢٠ - خطبة ابن الزيات المنزوعة الألف ( توفى سنة ٧٢٨ هـ )  
وخطب أحمد بن الحسن بن على بن الزيات (١) خطبة ألغيت الألف من  
حروضا على كثرة ترددها فى الكلام ، وهى :

[١] هو أحمد بن الحسن بن على بن الزيات الخطيب للصوف ، من أهل بلخ مائة وله سنة ٦٤٩ هـ ،  
وتولى سنة ٧٢٨ هـ . قال فيه لسان الدين بن الخطيب : « كان يفتح مجاله أكثر الأحيان بخطب غريبة ،  
يطبق بها مسائل الأغراض التى يفرع فيها ، ويظم الشعر دائماً فى مراجعته ومخاطبته ولجأته من غير  
أن ولا روية ، حتى اعتلوه ملكة ، واستعمل فى السفارات بين الملوك لفضى السخام ، وإصلاح الأمور ،  
فكانوا يوجبون حقه ، ويحسنون بركته ودعاه » وله تصانيف كثيرة ذكرها ابن الخطيب .

« حِذْتُ رَبِّي جَلٍّ مِنْ كَرِيمٍ مُحَمَّدٌ ، وَشَكَرْتُهُ عَزَّ مِنْ عَظِيمٍ مَعْبُودٌ ،  
وَنَزَّهْتُهُ عَنْ جَهْلٍ كُلِّ مُلْحِدٍ كَفُورٌ ، وَقَدَّسْتُهُ عَنْ قَوْلٍ كُلِّ مُفْسِدٍ غَرُورٌ .  
كَبِيرٌ لَوْ تَقَوَّمُ فِي فَهْمٍ لِحْدٌ <sup>(١)</sup> ، قَدِيرٌ لَوْ تَصَوَّرَ فِي رَسْمٍ لِحْدٌ <sup>(٢)</sup> ، لَوْ عَرَّتَهُ <sup>(٣)</sup>  
فِكْرُهُ تَصَوُّرٌ لَتَصَوَّرَ ، وَلَوْ حَدَّثَهُ فِكْرُهُ لَتَقَدَّرَ <sup>(٤)</sup> ، وَلَوْ فُهِمَتْ لَهُ كَيْفِيَّةُ لِبْطَلٍ  
قِدْمُهُ ، وَلَوْ عَلِمَتْ لَهُ كَيْفِيَّةُ لِحْصَلِ عَدَمُهُ ، وَلَوْ حُصِرَ فِي ظَرْفٍ لَقُطِعَ بَتَجَسُّمِهِ ،  
وَلَوْ قَهَرَ وَصَفَ لَصُدِعَ <sup>(٥)</sup> بَتَقْسَمِهِ ، وَلَوْ فُرِضَ لَهُ شَبَحٌ لَرَهِقَهُ <sup>(٦)</sup> كَيْفٌ .  
عَظِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْكِيبٍ قَطْرٌ ، عَلِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْتِيبٍ فِكْرٌ ، مَوْجُودٌ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ،  
يُمَسِّكُهُ ، مَعْبُودٌ مِنْ غَيْرِ وُجْهِ يَذْرِكُهُ ، كَرِيمٌ مِنْ غَيْرِ عِرَاضٍ يَلْحَقُهُ ، حَكِيمٌ مِنْ  
غَيْرِ عَرَضٍ يَلْحَقُهُ <sup>(٧)</sup> ، قَوِيٌّ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يَجْمَعُهُ ، عَلِيٌّ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يَرْفَعُهُ ،  
لَوْ وُجِدَ لَهُ جَنْسٌ لَمُورِضٌ فِي قِيُومِيَّتِهِ <sup>(٨)</sup> ، وَلَوْ ثَبَّتَ لَهُ حِسٌّ لَنُوزَعٌ فِي  
دَيُّومِيَّتِهِ <sup>(٩)</sup> .

ومنها : تَقَدَّسَ وَعَزَّ فَعْلُهُ ، وَتَنَزَّاهُ عَزَّ اسْمُهُ وَفَضْلُهُ ، جَلَّ قَاهِرُ قُدْرَتِهِ ، وَعَزَّ  
بَاهِرُ عِزَّتِهِ ، وَعَظُمَتْ صِفَتُهُ ، وَكَثُرَتْ مِثْنَتُهُ ، فَتَقَّ وَرَتَقَ ، وَصَوَّرَ وَخَلَقَ ،  
وَقَطَعَ وَوَصَلَ ، وَأَنَصَرَ وَخَذَلَ ، سَمَّاهُ عَمَدَةً مِنْ عَرَفَ رَبَّهُ ، وَرَهَبَ ذَنْبَهُ ،  
وَصَفَّتْ حَقِيقَةُ يَقِينِهِ قَلْبَهُ ، وَزَكَتْ <sup>(١٠)</sup> بَصِيرَةُ دِينِهِ لُبَّهُ ، رَبَطَ سِلَاطَ سُلُوكِهِ

[١] أى لعرّف ، من الحد : وهو التعريف . [٢] من التحديد ، أى لصارت له ذات محدودة ،  
ولو أنه قال : « قديم » بدل « قدير » لاسب أن يقول بعده : « لحد » بالجميم المفتوحة أى لصار  
جديداً حادثاً . [٣] عرته : أى اعترته وتناولته ، وفى الأصل « عرته » بالذال وأراه محرّفاً ،  
وتصوّر أى تمثل فى صورة ، يقال : صوّره فتصور . [٤] لتقدر : أى صار له قدر مجتم ، وفى  
الأصل « لتعذر » وأراه محرّفاً . [٥] صدع به : جهر . [٦] رهقه : غشه ولحقه .

[٧] يلحقه الأول : أى يناله ويأخذه ، ويلحقه الثانى بمعنى يصف به .

[٨] القيوم : من أسمائه تعالى ، أى الذى لا تد له . [٩] الديقومة : الدوام .

[١٠] زك : طهرت .

وَشَدَّ<sup>(١)</sup>، وَهَدَمَ صَرَحَ عُنُوهُ وَهَدَّ، وَحَرَسَ مَعْقِلَ عَقْلِهِ وَحَدَّ، وَطَرَدَ غُرُورَ غِرَّةِ<sup>(٢)</sup> وَرَدَّلَهُ<sup>(٣)</sup>، عِلِمَ عِلْمَ تَحْقِيقِ فَنَحَا نَحْوَهُ، تُقِرُّ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ بَثُوتَ رُبُوبِيَّتِهِ وَقِدَمَهُ، وَنَعْتَقِدُ صُدُورَ كُلِّ جَوْهَرٍ وَعَرَضٍ عَنْ جُودِهِ وَكَرَمِهِ، وَنَشْهَدُ بِتَبْلِيغِ عَمْدِ صَلي رَبِّهِ وَسَلَمٍ عَلَيْهِ، رَسُولِهِ وَخَيْرِ خَلْقِهِ، وَنُعَلِّينُ بَنِيهِ فِي تَبْيِينِ فُرْصَتِهِ، وَتَبْلِيغِ شَرْعِهِ، ضَرْبَ قُبَّةِ شَرْعِهِ فَتَنْسَخَتْ كُلُّ شَرْعٍ، وَجَدَّدَ عَزِيزَتُهُ قَقَمَعَ عَدُوَّهُ خَيْرَ قَقَعَ، قَوْمَ كُلِّ مَقَوْمٍ بِقَوْمٍ سَنَتِهِ، وَكَرِيمَ هَدْيِهِ، وَوَيْتَنَ لِقَوْمِهِ كَيْفَ يَرْكَنُونَ<sup>(٤)</sup>، فَازَاوَا بِقَصْدِهِ وَسَدِيدِ سَمِيهِ، بِشَرِّ مُطِيعِهِ فَظْفِيرِ بُرَحْمَتِهِ، وَحَذَرِ حَاصِيَتِهِ فَشَقِيَّ بِنَقْمَتِهِ .

وَبَدَ : فَقَدْ نَصَحْتُمْ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، وَهَدَيْتُمْ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، بُصِّرْتُمْ لَوْ كُنتُمْ تُبْصِرُونَ ، وَذُكِّرْتُمْ لَوْ كُنتُمْ تَذْكُرُونَ ، ظَهَرَتْ لَكُمْ حَقِيقَةُ نَشْرِكُمْ ، وَبَرَزَتْ لَكُمْ حَقِيقَةُ حَشْرِكُمْ ، فَكَمْ تَرْكُضُونَ فِي طَلْقِ<sup>(٥)</sup> غَفْلَتِكُمْ ، وَتَنْفَلُونَ عَنْ يَوْمِ بَعْتِكُمْ ، وَلِلْمَوْتِ عَلَيْكُمْ سَيْفٌ مُسَلُولٌ ، وَحُكْمٌ عَزِيزٌ غَيْرُ مَعْلُولٍ ، فَكَيْفَ بِكُمْ يَوْمَ يَأْخُذُ كُلٌّ بِذَنْبِهِ ، وَيُخَبَّرُ بِجَمِيعِ كَسْبِهِ ، وَيَفْرَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَحْبِهِ ، وَيَقْدَمُ نُصْرَةَ حِزْبِهِ ، وَيَسْتَنْتِلُ بِهِمْ وَكَرْبِهِ ، عَنْ صَدِيقِهِ وَزَيْبِهِ ، وَتُنْشَرُ لَهُ رُقْعَةٌ ، وَتَبَيَّنَ لَهُ بَقْعَةٌ ؟ فَرَبِّحْ عَبْدٌ نَظَرَ وَهُوَ فِي مَهَلٍ لِنَفْسِهِ ، وَتَرْمَلْ فِي رَضَى صَمَلٍ جَنَّةٍ لِحُلُولِ رَمْسِهِ<sup>(٦)</sup> ، وَكَسْرِ صَتَمِ شَهْوَتِهِ ، لِيَقَرَّ فِي مُجْبُوحَةٍ<sup>(٧)</sup> قُدْسِهِ .

[١] في الأصل « وشيد » وأراه عرقاً عن « شد » إذ هي التي تلام قولها بـ « ويط » .

[٢] المرة : العلة . [٣] ردله وأردله : مدّه ودلا .

[٤] ركن إلى الشيء : ركّونا : مال إليه وإطماناً ، أي بين لهم كيف يركنون إلى الحق والصواب .

وقد كانوا من قبل يسهون في ضلالتهم ويخطئون .

[٥] يقال : جرى الفرس طلقاً أو طلقين : أي شوطاً أو شوطين . [٦] الرس : العبر .

[٧] مجبوحة للكان : وسطه .



ومنها : قَتَبَةٌ - وَنَحْك - مِنْ سِنَتِكَ وَنَوْمِكَ ، وَتَفَكَّرَ فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ مُصِيبَتِكَ وَقَوْمِكَ ، هَتَفَ بِهِمْ مَنْ تَعَلَّمَ ، وَشَبَّ عَلَيْهِمْ مِنْهُ حَرَقٌ <sup>(١)</sup> مُظْلِمٌ ، نَفَرَبَتَ بِصَيْحَتِهِ رِبْعَهُمْ ، وَتَفَرَّقَتْ لَهْوُهُ جُوعُهُمْ ، وَذَكَ عَزِيزُهُمْ ، وَخَسِيَ رَفِيعُهُمْ ، وَصَمَّ سَمِيعُهُمْ ، فَخَرَجَ كُلُّ مِنْهُمْ عَنْ قَصْرِهِ ، وَرُمِيَ غَيْرَ مُؤَسَّدٍ فِي قَبْرِهِ ، فَهُمْ بَيْنَ سَعِيدٍ فِي رَوْضَةٍ مُقَرَّبٍ ، وَبَيْنَ شَقِيٍّ فِي حُفْرَةٍ مُعَذَّبٍ ، فَتَسْتَوِهُبُ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ عِصْنَةً مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَخُصُوصِيَّةً تَبْقَى مِنْ كُلِّ نَفْسٍ جَرِيئَةٍ .

(الإحاطة ، في أخبار غرناطة ١ : ١٥٤)

## ٢١ - خطبة القاضي عياض التي ضمنها سور القرآن

وخطب القاضي أبو الفضل عياض <sup>(٢)</sup> خطبة ضمنها سور القرآن ، فقال :  
« الحمد لله الذي افْتَتَحَ بِالْحَمْدِ كَلَامَهُ ، وَبَيَّنَّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ أَحْكَامَهُ ، وَمَدَّ فِي آلِ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءِ مَائِدَةَ الْأَنْعَامِ لِيُتِمَّ إِنْعَامَهُ ، وَجَمَلَ فِي الْأَعْرَافِ أَنْفَالَ تَوْبَةِ يُونُسَ وَالرَّكِيبِ أَهْلُ الْكِرَامَةِ ، وَسَبَّحَ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ، وَجَمَلَ النَّارُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، لِيُؤْمِنَ أَهْلُ الْخُبُرِ <sup>(٣)</sup> أَنَّهُ إِذَا أَتَى أَمْرُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فَلَا كَهْفَ وَلَا مَلْجَأَ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يُظْلَمُونَ قَلَامَةً ، وَجَمَلَ فِي حُرُوفِ كَهْفِغَصٍّ سِرًّا مَكْنُونًا ، قَدَّمَ بِسَبَبِهِ طَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ، لِيُظْهَرَ إِجْلَالُهُ وَإِعْظَامُهُ ، وَأَوْضَحَ الْأَمْرَ حَتَّى حَجَّ الْمُؤْمِنُونَ

[١] المرق : النار ولها .

[٢] هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض ولد سنة ٤٧٦ هـ ، ببته - بلد بمراكش على الساحل الشمالي - ودخل الأندلس طالباً للعلم ، فأخذ بمرطبة عن جماعة ، وجمع من الحديث كثيراً ، وكان له به كبير عناية ، وكان إمام وقته فيه ، وفي النحو واللغة ، واشتقوى يلبه سبعة ، ثم نقل منها إلى قضاء غرناطة ، وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤ هـ ، قال المقرئ بعد أن أورد هذه الخطبة : « وفي نفس من نسبها له شيء ، لأن نفس القاضي في البلاغة أعلى من هذه الخطبة ، والله تعالى أعلم » .

[٣] واد بين المدينة والشام ، وهو منازل نوح .

بِنُورِ الْفُرْقَانِ ، والشعراء صاروا كَالنَّمْلِ ذُلًّا وَصَغَارًا لِمَظْمَتِهِ ، وظهرت قَصَصُ الْعَنْكَبُوتِ قَامِنًا بِهَ الرُّومِ ، وَأَيَقِنُوا أَنَّهُ كَلَامُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى زَيْنٍ مِّنْ وَاقَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَوْضَحَ لِقِمَانُ الْحِكْمَةِ بِالْأَمْرِ بِالسُّجُودِ لِرَبِّ الْأَحْزَابِ ، فَسَبَّحَ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ أَهْلَ الطَّاغُوتِ ، وَأَكْسَبَهُمْ ذِلًّا وَخِزْيَا وَحْشَةً وَنِدَامَةً ، وَأَمَدَّ يَسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَأْيِيدِ الصَّافَّاتِ <sup>(١)</sup> ، فَصَادَ الزُّمَرُ يَوْمَ بَدْرِهِ ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ مَا أَوْقَعَ صِنَادِيدُهُمْ فِي الْقَلْبِ <sup>(٢)</sup> مَكْدُوسٌ وَمَكْبُوبٌ ، حِينَ شَأَلَتْ بِهِمُ النَّعَامَةُ <sup>(٣)</sup> ، وَغَفَرَ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ لِلْبَدْرِيِّينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ حِينَ فَصَّلَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، فَذَلَّ مِنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْمَذَابِ وَأَيْسَ مِنْ السَّلَامَةِ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُ أُرْهِمَ شُورَى يَدَيْهِمْ ، وَشَغَلَهُمْ زُخْرُفُ الْآخِرَةِ عَنْ دُخَانِ الدُّنْيَا ، فَجَنُّوا أَمَامَ الْأَحْقَافِ <sup>(٤)</sup> لِقِتَالِ أَعْدَاءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَخَلْفَهُ وَأَمَامَهُ ، فَأَعْطَوْا الْفَتْحَ وَبُوتُوا حُجُرَاتِ الْجَنَانِ ، وَحِينَ تَلَّوْا : قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ، وَتَدَبَّرُوا جَوَابَ قَسَمِ الدَّارِيَّاتِ <sup>(٥)</sup> وَالطُّورِ ، لَاحَ لَهُمْ نَجْمُ الْحَقِيقَةِ ، وَانْشَقَّ لَهُمْ قَرِ الْقَيْنِ ، فَنَافَرُوا السَّكَمَةَ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أُمَّتُهُمُ الرَّحْمَنُ إِذَا وَقَسَتْ الْوَاقِعَةَ ، وَاعْتَرَفَ بِالضَّعْفِ لَهُمُ الْحَدِيدُ ، وَهَزَمَ الْمُجَادِلُونَ ، وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، يُخْرِجُونَ يُؤْتِيهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ، حِينَ نَافَرُوا السَّلَامَةَ .

أَحْمَدُهُ حَمْدًا مِنْ أَمْتَحْتَهُ صَفُوفُ الْجَمْعِ فِي نَفَقِ التَّنَائُنِ ، فَطَلَّقَ الْحُرُمَاتِ حِينَ اعْتَبَرَ الْمُلُكَ وَعَامَتَهُ ، وَقَدْ سَمِعَ صَرِيحَ الْقَلَمِ وَكَأَنَّهُ بِالْحَاقَّةِ <sup>(٦)</sup> وَالْمَارِجِ يَمِينَهُ

[١] لِلثَّلَاثَةِ نَصَفَ شَوْسَهَا لِعِبَادَةِ . [٢] الْقَلْبِ : الْبُتْرِ .

[٣] شَأَلَتْ لِمَاتِهِمْ : خَفَّتْ مَنَازِلُهُمْ مِنْهُمْ ، أَوْ عَمَرَتْ كَلِمَتُهُمْ ، أَوْ ذَعَبَ مَزْمُ .

[٤] وَادِ بِالْمِنْ بِهَ مَنْزِلُ حَادٍ . [٥] الدَّارِيَّاتِ : الرِّيحُ تَمُرُّ بِالتُّرَابِ وَغَيْرِهِ .

وَرِثَالَهُ وَخَلْفَهُ وَأَمَامَهُ ، وَقَدْ نَاحَ نُوحُ الْجَنِّ فَزَمِّلَ <sup>(١)</sup> وَتَذَرُّ فَرَقًا مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَنْسَ بِمُرْسَلَاتِ النَّبَأِ ، فَزَنَعَ الْعُبُوسَ مِنْ تَحْتِ كُورِ الْعِمَامَةِ ، وَظَهَرَ لَهُ بِالْأَنْقِطَارِ التَّطْفِيفُ ، فَاَنْشَقَّتْ بُرُوجُ الطَّارِقِ بِتَسْبِيحِ الْمَلِكِ الْأَعْلَى وَغَشِيَتْهُ الشَّهَامَةُ ، فَوَرَبَّ الْفَجْرِ وَالْبَلَدِ وَالشَّمْسِ وَاللَّيْلِ وَالضُّحَى ، لَقَدْ انْشَرَحَتْ صُدُورُ الْمُتَّقِينَ ، حِينَ تَلَوْا سُورَةَ التِّينِ ، وَعَلِقَ الْإِيمَانُ بِقُلُوبِهِمْ ، فَكَلَّ عَلَى قَدَرِ مَقَامِهِ يُبِينُ ، وَلَمْ يَكُونُوا بِمَنْفَكَيْنِ دَهْرَهُمْ ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَصِيَامَهُ وَقِيَامَهُ ، إِذَا ذَكَرُوا الزُّلْزَلَةَ رَكَبُوا الْعَادِيَاتِ <sup>(٢)</sup> لِيُطْفِئُوا نُورَ الْقَارِعَةِ ، وَلَمْ يُلْهِمِهِمُ التَّكَاثُرَ حِينَ تَلَوْا سُورَةَ الْعَصْرِ وَالْمُزْمَرَةَ ، وَتَمَلَّوْا بِأَصْحَابِ الْفِيلِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ، وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ، أَرَأَيْتَهُمْ كَيْفَ جَعَلُوا عَلَى رءُوسِهِمُ مِنَ الْكُورِ عِمَامَةً ؟ فَالْكُورُ <sup>(٣)</sup> مَكْتُوبٌ لَهُمْ ، وَالْكَافِرُونَ خُذِلُوا ، وَهُمْ نُصِرُوا ، وَعُدِلَ بِهِمْ عَنْ لَهَبِ الطَّامَةِ ، وَبِسُورَةِ الْإِخْلَاصِ قَرَأُوا وَسَعَدُوا ، وَبِرَبِّ الْفَلَقِ <sup>(٤)</sup> وَالنَّاسِ ، اسْتَمَازُوا فَأَعْيَدُوا مِنْ كُلِّ حُزْنٍ وَغَمٍّ وَنَدَامَةٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، شَهَادَةً تُنَالُ بِهَا مَنَازِلُ الْكِرَامَةِ ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا غَرَّدَتْ فِي الْأَيْكِ حَمَامَةٌ . ( فتح الطيب ٤ : ٣٩١ )

## ٢٢ - خطبة سعيد بن أحمد المقرئ التي ضمنها سور القرآن

وخطب سعيد بن أحمد المقرئ <sup>(٥)</sup> خطبة على هذا النمط نصّها :

« الحمد لله الذي افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة ، ليصطفى من آل عمران

[١] تَزَلُّ بِبَيَابِهِ : تَلَفَّ بِهَا ، وَكُنَّا تَذَرُّ .

[٢] الْحِيلُ تَعْدُو فِي النَّزْوِ ، وَالْقَارِعَةُ الَّتِي تَحْرَعُ الْقُلُوبَ بِأَهْوَالِهَا .

[٣] الْكُورُ : نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ . [٤] الْفَلَقُ : الصُّبْحُ .

[٥] هُوَ سَعِيدُ بْنُ أَحْمَدَ الْقُرَيْيِّ عَمُّ أَحْمَدَ الْقُرَيْيِّ صَاحِبُ فَتْحِ الطَّيِّبِ .

رجالاً ونساءً، وفضلهم تفضيلاً، ومَدَّ مائدة إنعامه ورزقه، ليعرف أعراف أقاليم  
 كرمه وحقه على أهل التوبة، وجعل ليونس في بطن الحوت سبيلاً، ونجى هوداً  
 من كربه وحزنه، كما خلص يوسف من جُبه وسجنه، وسبَّح الرعدُ بحمده  
 ويمنه، واتَّخَذَ اللهُ إبراهيم خليلاً، الذي جعل في حجر الحجر من النحل شراباً  
 نوع باختلاف ألوانه، وأوحى إليه بخفي لطفه سبحانه، واتَّخَذَ منه كهفًا قد  
 شَيَّدَ بنيانه، وأرسل رُوحه إلى مريم فتَمَثَّلَ لها تمثيلاً، وفضَّلَ طه على جميع  
 الأنبياء، فأتى بالحج والكتاب المكنون، حيث دُعا إلى الإسلام قد أفلَحَ  
 المؤمنون، إذ جعل نور الفرقان دليلاً، وصَدَّقَ محمداً صلى الله عليه وسلم الذي  
 عَجَزَتِ الشُّعراءُ في صِدْقِ نَعْتِهِ، وشَهِدَتِ النَّمَلُ بِصِدْقِ بَعْتِهِ، وَيَتَن قِصَصِ  
 الأنبياء في مَدَّةِ مَكْنَتِهِ، ونَسَجَ النُّكَبُوتُ عليه في النار سِتْراً مَسْدُولاً،  
 وَمَثَلَتْ قُلُوبُ الرُّومِ رُعباً من هيئته، وتَعَلَّمَ لُقْمَانُ الحِكْمَةَ من حِكْمَتِهِ، وَهَدَى  
 أهل السَّجْدَةِ للإيمان بدعوته، وَهَزَمَ الأحزابَ وسَبَامَ وأَخْذَمَ أَخْذاً وَيلاً،  
 فَلَقَبَهُ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ يَسَّ، كما قَدْ حَكَمَهُ في الصَّافَّاتِ، وَيَتَن من  
 صِدْقِهِ بإظهار المعجزات، وفَرَّقَ زُمَرَ المُشْرِكِينَ، وصَبَّرَ على أقوالهم وهجرهم  
 هَجْراً جَيْلاً، فَنَفَرَ لَهُ غَافِرُ الذَّنْبِ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، وَفُصِّلَتْ رِقَابُ  
 المُشْرِكِينَ إذ لم يكن أمرهم شُورَى بينهم، وزَخَرَ منار الإسلام، وَخَفِيَ دُخَانُ  
 الشَّرْكِ، وَخَرَّتِ المُشْرِكُونَ جَائِئَةً، كما أَنْذَرَ أَهْلَ الأَحْقَافِ فلا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا،  
 وَأَذَلَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِشِدَّةِ الْقِتَالِ، وجاء الفتح للمؤمنين والنصر العزيز، وَحَجَرَ  
 الحُجُرَاتِ الخَرِيزَ، وَبَقِيَ الْقُدْرَةُ قَتْلُ الخَرَامُونَ<sup>(١)</sup> تَقْتِيلًا، كَلَّمَ مُوسَى عَلَى جَبَلِ

الطُّور ، فارتقى نجم محمد صلى الله عليه وسلم ، فاقتربت بطاعته مبادئ السرور ، وأوقع الرحمن واقعة الصبح على بساط النور ، فتعجب الحديد من قوته ، وكثرة المجادلة في أمته ، إلى أن أعيد في الحشر بأحسن مَقِيلَا ، امتحنه في صفِّ الأنبياء وصلى بهم إمامًا ، وفي تلك الجمعة مُائِت قلوبُ المناققين من الثغابن خُسُراً وإرغامًا ، فطلقَ وحرَّم ، تبارك الذي أعطاه المُلْك ، وعلمَ بالقلم ، ورتَّل القرآن ترتيلاً ، وعن علم الحافَّة كم سأل سائل فسأل الإيمان ، ودعا به نوح فنجاه الله تعالى من الطوفان ، وأتت إليه طائفة الجن يستمعون القرآن ، فأُنزل عليه : « يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا » ، فكم من مُدَثِّر يوم القيامة شفقةً على الإنسان إذا أُرسل مُرْسَلَاتِ الدِّمَع ، فعمَّ يتساءلون أهل الكتاب ، وما تقبل من نازعات المشركين إذا عَبَسَ عليهم مالك وتولَّاهم بالعذاب ، وَكُوِّرَت الشمس وانفطرت السماء ، وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً ، فَوَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ إذا انشقت السماء بالغمام ، وَطُوِيَت ذات البروج ، وَطَرَقَ طَارِقُ الْعُشُورِ بالنفخ للقيام ، وعزَّ اسم ربك الأعلى لغاشية الفجر ، فيومئذ لا بلد ولا شمس ولا ليل طويلا ، فَطُوبَى لِلْمُصْلِينَ الضحى عند انشراح صدورهم ، إذا حايِنوا التين والزيتون وأشجار الجنة ، فسجدوا بِأَقْرَأِ أَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ هَذَا النِّعَمَ الْأَكْبَرَ لِأَهْلِ هَذِهِ الدَّارِ مَا أَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، وَتَبَتَّلُوا تَبْتِيلًا ، ولم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب من أهل الزلزلة من صديق ولا خيم ، وتسوقهم كالعاديات إلى سواء<sup>(١)</sup> الجحيم ، وزلزلت بهم قارعة العقاب ، وقيل لهم : أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ، هذا عصر العقاب الأليم ، وَخُشِرَ الْهُمَزَةُ وَأَصْحَابُ الْفِيلِ إِلَى النَّارِ فَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا ، وقالت قريش ما أمتم من

هول الحشر، أرايت الذي يكذبُ بالدين كيف طُرِدَ عن الكوثر؟ وسيق الكافرون إلى النار، وجاء نصر الله والفتح، فَبَتَّ يَدَا أَبِي لَهَبٍ: إذ لا يجد إلى سورة الإخلاص سبيلا، فنعوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، ونعوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الذي فَسَقَ، وتوب إليه وتوكل عليه وَكُنْ بِاللهِ وَكِيلًا. (مع الطيب ٤: ٢٩٢)

## ٢٣ - خطبة الكفعمي التي ضمنها سور القرآن أيضا

وخطب الكفعمي <sup>(١)</sup> خطبة على هذا النمط أيضا نصها:

« الحمد لله الذي شرف النبي العربي بالسبع المثاني وخواتيم البقرة، من بين الأنام، وفضل آل عمران على الرجال والنساء، بما وهب لهم من مائدة الأنعام، ومنحهم بأعراف الأقال، وكتب لهم براءة من الآثام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي نجى يونس وهوذا ويوسف من قومهم، برعد الانتقام، وغذى إبراهيم في الحِجْرِ بلعاب النحل ذات الإسرار، فضاهى كهف مريم عليها السلام، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي هو طه الأنبياء، وحجج المؤمنين، ونور فرقان الملك العلّام، فالشعراء والنمل بفضلته تُخَبِّرُ، ولقصص المنكوبت الروم تذكُّر، ولقمان في سجده يشكر، والأحزاب كأبادي سبّا تُقَهَّر، وفاطريس لصافاته يُنَصَّر، وصاد مقلّة زُمره تنظر الأعلام، قال خم بقتال فتحه في حُجرات قافه قد ظهّرت، وذاريات طوره ونجمه وقره قد عَطِرت، وبالرحمن واقمة حديده يوم المجادلة قد نُصِرت، وأبصار معانديه في الحشر يوم

[١] قال صاحب معج الطيب في ترجمته: « هو إبراهيم بن علي بن حسن بن محمد بن صالح نبة إلى كفر عتمة قرية من قرى أعمال صدر كما يقول في النبة إلى بني عبد الله بن عبدري، وإلى حسن كينا: حمكي ».

الامتحان حَسَرَتْ (١) ، وَصَفَ جَمْعُهُ فَأُزِرَ إِذْ أَجْسَادُ الْمُنَاقِقِينَ بِالتَّغَابُنِ اسْتَعْرَتْ ،  
 وله الطلاق والتحرير وَمَقَامُ الْمَلِكِ وَالْقَلَمُ ، فَذَاهِيكَ بِهِ مِنْ مَقَامٍ ، وَفِي الْحَافَةِ ،  
 أَغْلَى اللَّهُ لَهُ الْمَارِجُ نُوحُ الْمَطْهَرِ ، وَخَصَّهُ مِنْ بَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ بِبَيِّنَاتٍ الْمُزْمَلِ ،  
 وَيَأْتِيهَا الْمُذْتَرُّ ، وَشَفَعُهُ فِي الْقِيَامَةِ إِذَا دَمَوْعُ الْإِنْسَانِ مُرْسَلَاتٌ كَلَمَاءُ الْمُتَفَجِّرِ ،  
 وَوَجْهُهُ عِنْدَ نَبَاِ النَّازِعَاتِ وَقَدْ عَبَسَ الْوَجْهَ كَالْهَلَالِ الْمُتَوَوِّرِ ، وَيَوْمَ التَّكْوِيرِ  
 وَالْإِنْفِطَارِ وَهَلَاكِ الْمُطْفِقِينَ وَانْشِقَاقِ ذَاتِ الْبُرُوجِ بِشَفَاعَتِهِ غَيْرِ مُنْضَجِرٍ ، وَقَدْ  
 حُرِستْ لِمَوْلَدِهِ السَّمَاءُ بِالطَّارِقِ الْأَعْلَى ، وَتَمَّتْ غَاشِيَةُ الْعَذَابِ إِلَى الْفَجْرِ عَلَى الْمَرْدَةِ  
 اللَّثَامِ ، فَهُوَ الْبَلَدُ الْأَمِينُ وَشَمْسُ اللَّيْلِ وَالضُّحَى الْمَخْصُوصُ بِالنَّشْرِاحِ الصَّدْرِ ،  
 وَالْمَفْضَلُ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ، الْمُسْتَخْرَجُ مِنْ أَمْشَاجِ (٢) الْمَلَقِ ، الطَّاهِرُ الْعَلِيُّ الْقَدَرِ ،  
 شَجَاعُ الْبَرِيَّةِ يَوْمَ الزَّلْزَالِ ، إِذْ عَادِيَاتُ الْقَارَعَةِ تَدُوسُ أَهْلَ التَّكَاثُرِ وَمُشْرِكِي الْعَصْرِ ،  
 أَهْلَكَ اللَّهُ بِهِ الْهَمَزَةَ وَأَصْحَابَ الْفِيلِ إِذْ مَكَرُوا بِقُرَيْشٍ وَلَمْ يَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَلَمْ  
 يَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ، الْمَخْصُوصُ بِالْإِيمَانِ الْحَنِيفِيِّ وَالْكَوْثَرِ السَّلْسَالِ ، وَالْمُؤَيَّدُ عَلَى أَهْلِ  
 الْجَنَّةِ بِالنَّصْرِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا تَبَيَّنَ يَدًا مُؤَاذِيَهُ ، وَنَعِمَ بِالتَّوْحِيدِ  
 مُؤَاوِيَهُ ، وَمَا أَفْصَحَ فَلَقُ الصَّبْحِ بَيْنَ النَّاسِ وَامْتَدَّ الظَّلَامُ .

(نزهة الطيب ٤ : ٣٩٥)



[١] حَسَرُ الْبَصَرِ كَفَرَبَ : كَلَّ فَهُوَ حَسِيرٌ . [٢] مَشَجَ بَيْنَهُمَا كَفَرَبَ : خَلَطَ ، وَالتَّيْنُ مَشَجٌ ،  
 وَاجْتَمَعَ أَمْشَاجُ كَيْتَيْهِمْ وَأَيْلَامُ .

## الباب الثاني

في

### خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها

#### ١ - خطبة أبي بكر بن عبد الله بالمدينة

لما وَلِيَ أبو بكر بن عبد الله المدينة <sup>(١)</sup> وطال مُكُنَّه عليها ، كَانَ يُلْفُهُ عن قوم من أهلها أنهم ينالون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسفاف من آخرين لهم على ذلك ، فأمر أهل البيوتات ووجوه الناس في يوم جمعة أن يقربوا من المنبر ، فلما فرغ من خطبة الجمعة قال :

« أيها الناس : إني قاتِلٌ قولا ، فن وعاء وأداة فعلى الله جَزَاؤُهُ ، ومن لم

---

[١] لا أعرف صاحب هذا الاسم والياً على المدينة ، وإنما اتفق قرأته في تاريخ الطبري أن أبا بكر بن عبد الله بن عمرو بن حزم الأنصاري ولي للمدينة من سنة ٩٦ إلى سنة ١٠٠ في خلافة سليمان بن عبد الملك ومحمد بن عبد العزيز « انظر تاريخ الطبري ، الجزء الثامن ، حوادث السنين من ٩٦ إلى ١٠٠ » وذكر أيضاً الفقيهندي في صبح الأعشى « ج ٤ : ص ٢٩٦ » أن أبا بكر بن عبد الله هذا ولي للمدينة أيام سليمان بن عبد الملك ، والطاهر أنه صاحب هذه الخطبة ، وإني لأستأس في ذلك بقوله : « وطال مكنته عليها » فقد تولاهما خمس سنين ، وبالعرض التي قبلت فيه الخطبة ، وأنت تذكر ما كان في العهد الأموي من اتساع دائرة الاختلاف الحزبي ، والنضال السياسي البعيد المدى ، وربما كان « عبد الله » اسماً آخر لأبيه محمد ، تسمى به تواضعاً ، وكان ذلك من طائفة السلب الصالح رضوان الله عليهم كثيراً ، الطاهر مثلاً كتاب عمر في صلح أهل إيليا « هنا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان » . ( الطبري ٤ : ١٥٩ ) .



يَعَهُ فَلَا يَعُدُّ مِنْ ذِمَّامِهَا <sup>(١)</sup> إِنْ قَصَّرْتُمْ عَنْ تَقْصِيلِهِ ، فَلَنْ تَعْجِزُوا عَنْ تَحْصِيلِهِ ،  
فَأَرْغَوْهُ أَبْصَارَكُمْ ، وَأَوْغَوْهُ أَسْمَاعَكُمْ ، وَأَشْمِرُوهُ <sup>(٢)</sup> قُلُوبَكُمْ ، فَاَلْمَوْعِظَةُ حَيَاةٌ ،  
وَالْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ « وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ <sup>(٣)</sup> السَّبِيلِ » ، « وَلَوْ شَاءَ لَهَذَا كُمْ أَجْمَعِينَ »  
فَاتُّوا الْهَدَى تَهْتَدُوا ، وَاجْتَنِبُوا النَّفَى تَرْشُدُوا ، « وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا  
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » ، وَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، أَمْرُكُمْ  
بِالْجَمَاعَةِ ، وَرِضَايَا لَكُمْ ، وَنَهَاكُمْ عَنِ الْفُرْقَةِ ، وَسَخِطَهَا مِنْكُمْ ، فـ « لَاتَّقُوا اللَّهَ  
حَقَّ تَقَاتِهِ <sup>(٤)</sup> وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا  
تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ،  
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا <sup>(٥)</sup> حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ  
مِنْهَا » ، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مَنْ تَبِعَ رِضْوَانَهُ ، وَتَجَنَّبَ سُخْطَهُ ، فَإِنَّمَا  
نَحْنُ بِهِ وَلَهُ .

وَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْدِّينِ ، وَاخْتَارَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَاخْتَارَ  
لَهُ أَصْحَابًا عَلَى الْحَقِّ ، وَوَزَّرَ أَدْوَانَ الْخَلْقِ ، اخْتَصَمَهُمْ بِهِ ، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ ، فَصَدَّقُوهُ  
وَنَصَرُوهُ ، وَعَزَّرُوهُ <sup>(٦)</sup> وَوَقَّرُوهُ ، فَلَمْ يَقْدِمُوا إِلَّا بِأَمْرِهِ ، وَلَمْ يُخْجِعُوا إِلَّا عَنِ رَأْيِهِ ،  
وَكَانُوا أَعْوَانَهُ بِمَهْدِهِ ، وَخُلَفَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَوَصَفَهُمْ فَأَحْسَنَ صِفَتِهِمْ ، وَذَكَرَهُمْ  
فَأَنَّى عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ - وَقَوْلُهُ الْحَقُّ - : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ  
عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكُوعًا سُجَّدًا ، يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

[١] أَيْ فَلَا يَخْرُجُ عَنْ حَرَمَتِهَا ، وَتَأْنِيتِ الضَّمِيرِ فِي « ذِمَّامِهَا » بِاعْتِبَارِ الْمَوْعِظَةِ أَوْ الْمَقَالَةِ .

[٢] أَيْ الزَّقْفُوهُ بِهِ . [٣] الْقَصْدُ : اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ ، أَيْ بَيَانُ الطَّرِيقِ السَّيِّمِ الْمَوْصِلِ إِلَى الْحَقِّ .

[٤] التَّقَاتُ : التَّقْوَى ، وَجَمْعُهَا تَقَاتٍ كَرَطِبَةٍ وَرَطَبٍ ، وَأَصْلُهَا وَقِيَةُ قَلْبٍ وَأَوَّاهَا الْمَضْمُونَةُ تَاهًا ، كَأَنَّ تَوَدُّهُ  
وَتَحَنُّنَهُ ، وَإِلْيَاءَ أَلْفَاءَ . [٥] الشِّفَا : حَرْفٌ كُلُّ شَيْءٍ .

[٦] التَّزْوِيرُ : التَّضْيِيقُ وَالتَّضْيِيقُ « وَهُوَ أَيْضًا أَشَدُّ الضَّرْبِ . مُنْدٌ » .

وَرِضْوَانًا ، سَيِّئَاتِهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ،  
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ <sup>(١)</sup> ، كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى  
عَلَى سَوَاقِهِ ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ، لِيَخْبِطَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ، فن غاظه كفر  
وخاب ، وَجَرَ وَخَسِرَ ، وقال الله عز وجل : « لِلْفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ  
أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَسْتَغْنُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، وَيَنْصَرُّونَ  
إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ، وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
يُجَاهِدُونَ مِنْ هَاجِرٍ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ  
عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ <sup>(٢)</sup> ، وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ نَفْسُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ ، وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ  
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ  
رَحِيمٌ » فن خالف شريطة الله عليه لهم ، وأمره إياه فيهم ، فلا حق له في الشيء  
ولا سهم له في الاسلام ، في آي كثيرة من القرآن .

فَرَفَتْ مَارِقَةً مِنَ الدِّينِ ، وفارقوا المسلمين ، وجموعهم عَصِيانٌ <sup>(٣)</sup> ، وتشعبوا  
أَحْزَابًا ، أَشَابَاتٍ وَأَوْشَابًا <sup>(٤)</sup> ، نَخَلَفُوا كِتَابَ اللَّهِ فِيهِمْ ، وثناؤه عليهم ، وأذوا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، نَخَبَاوْا وَخَسَرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ « ذَلِكَ هُوَ  
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ » . « أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُرِّيَ لَهُ سُوءٌ فَعَمَلَهُ

[١] أى ذلك مثلهم في الكتاب ، والشط : فراخ الزرع ، فَأَزَرَهُ أى هَوَّاهُ ، فَاسْتَوَى على سواده :  
أى كالنظام على أصوله وسبقاته . [٢] يُوْثِرُونَ : يفضلون ويهدمون ، والخصاصة : الحاجة والفقير .  
[٣] جمع عصاة كعدة : ومع الفقرة والقطعة . [٤] أَشَابَاتٍ جمع أَشَابَةٍ : ومع الأخلاط ، وأشبه  
كفره : خطئه ، والأوشاب جمع وشب كحل ، والأويش جمع وبش كسب : الأخلاط والفسقة .

وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَ هُمْ ؟ « مالى أرى عيوننا خُزراً <sup>(١)</sup> ، ورقابنا صُغراً <sup>(٢)</sup> ، وبطوننا  
يُجراً <sup>(٣)</sup> ، شَجَا لا يُسِيغه الماء <sup>(٤)</sup> ، وداء لا يُشْرِب فيه الدواء ، « أَفَنَضْرِبُ  
عَنْكُمْ اللَّهَ كَرَّ صَفْحًا أَنْ كُتِّمْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ؟ « كلا والله ، بل هو الهناء <sup>(٥)</sup>  
والطَّلَاء ، حتى يظهر المُذْر ، وَيَبُوح السَّرُّ ، وَيَضَعُ الْعَيْنُ ، وَيُسْوِسُ الْجَنْبُ <sup>(٦)</sup> ،  
فإنكم لم تُخْلِقُوا عَبَثًا ، ولم تُتْرَكُوا سُدًى ، وَيَحْكُمُ إِلَى لِسْتِ أَنْوَابًا <sup>(٧)</sup> أَعْلَمُ ،  
ولا بَدْوِيًّا أَفْهَمُ ، قد حَلَبْتُمْ أَشْطَرًا <sup>(٨)</sup> ، وَقَلْبَكُمْ أَبْطُنًا وَأَظْهَرًا ، فَعَرَفْتُمْ  
أَنْحَاءَكُمْ وَأَهْوَاءَكُمْ ، وَعَلِمْتُمْ أَنَّ قَوْمًا أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِالسُّنَنِهِمْ ، وَأَسْرَوْا الْكُفْرَ  
فِي قُلُوبِهِمْ ، فَضَرَبُوا بَعْضَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يِمْعَضُ ، وَوَلَدُوا  
الرَّوَايَاتِ فِيهِمْ ، وَضَرَبُوا الْأَمْثَالَ ، وَوَجَدُوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ مِنْ أَبْنَائِهِمْ  
أَعْوَابًا يَأْذَنُونَ <sup>(٩)</sup> لَهُمْ ، وَيُصْنِفُونَ إِلَيْهِمْ ، مَهْلًا مَهْلًا قَبْلَ وَقُوعِ الْقَوَارِعِ <sup>(١٠)</sup> ،  
وَطُولِ الرَّوَايَةِ ، هَذَا لِهَذَا وَمَعَ هَذَا <sup>(١١)</sup> ، فَلَسْتُ أَعْتَنِي <sup>(١٢)</sup> آتِيًا وَلَا تَائِبًا ،  
« عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ » ،

[١] جمع خُزراء مؤنث أخضر وصف من المزرر بالتحريك ، وهو الطر في أحد الشقين .

[٢] الصعر بالتحريك ميل في الوجه ، أو في أحد الشقين ، أو داء في البعير يلوي عنقه منه ، صعر

كفرح فهو أصعر . [٣] بحر بطنه كفرح أيضاً فهو أبحر : عظم ، والجمع بحر كحمر .

[٤] الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه ، لا يسيغه : أى لا يجعله سائماً سهل الدخول في الحلق .

[٥] الهناء : العطران ، يريد أنه يماجلهم كما تظلي الإبل المربي بالعطران لمدواتها .

[٦] ياح السرّ : ظهر ، وياح بسرّ : أظهره ، ووضع يمح وضعت واحدة ، ويسوس : أى يروض

ويذل ، مضاعف ساسه يسوسه . يقال : سوتت له أسراً إذا روتته وظلته ، والجنب : الصبب الذى لا يتقاد . [٧] الأناوى : الغريب عن القوم . [٨] اقتبسه من التل المشهور : « حلب الدهر

أشطره » وللإفاة شطران ، قادمان وآخران ، فكل خلفين شطر بفتح الشين - والحلب للناقة كالضرع للبقرة - وأشطره منصوب على البدل ، فكأنه قال : حلب أشطر الدهر ، والمنى : اختبر الدهر وعرف

خير . [٩] أذله وإليه كفرح : استنع . [١٠] القوارع جمع فارة : نوع الداهية الفاجئة ، والروائع جمع رائمة ، وهى للفرقة . [١١] أى هذا الذى أتهددكم به من القوارع والروائع ،

لهذا الذى تخوضون فيه ، ومفرون به . [١٢] اعتنشه : ظله .

فَأَسْرُوا خَيْرًا وَأُظْهِرُوا ، وَأَجْهَرُوا بِهِ وَأَخْلَصُوا ، فطالما مَشَيْتُمْ الْقَهْقَرَى  
نَاكِصِينَ ، وَلَيْعَلَّ مِنْ أَدْبَرٍ وَأَصْرٍ أَنَّهُمْ . وعظة بين يَدَيِ نِقْمَةٍ ، ولست أدعوك  
إلى أهواء تُتَّبَعُ ، ولا إلى رأى يُتَّبَعُ ، إنما أدعوك إلى الطريقة المثلى ، التى  
فيها خيرُ الآخرة والأولى ، فمن أجاب فإلى رشده ، ومن عصى فمن قصده ، فهُلِمَ  
إلى الشرائع الجَدَائِعِ <sup>(١)</sup> ، ولا تَوَلَّوْا عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، ولا تَسْتَبْدِلُوا الَّذِي هُوَ  
أَدْنَى <sup>(٢)</sup> بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ . بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا .

إِيَّاكُمْ وَبُيُوتَ <sup>(٣)</sup> الطَّرِيقِ ، فَمِنْهَا التَّرْنِيقُ وَالرَّهَقُ <sup>(٤)</sup> ، وعليكم بالمجادة ،  
فهي أسد <sup>(٥)</sup> وأوزد ، ودَعُوا الْأَمَانِيَّ فَقْدَارَدَتْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وليس للإنسان  
إلا ماسَعَى ، والله الآخِرَةُ وَالْأُولَى ، وَ « لَا تَقْرَأُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحَظَكُمْ » <sup>(٦)</sup>  
بِغَدَابٍ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى . « رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ،  
وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » .

( نهاية الأرب ٧ : ٢٥٦ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٢٠ )

[١] التى فى كتب الفقه : « جَدَائِعُ كَسَابٍ وَقَطَامٍ : السنة العديدة تجمع بالمال وتذهب به » وهذه  
الكلمة هى التى يسوغ أن تجمع على جَدَائِعٍ ، ولكنها لا تناسب المقام هنا ، فقل الأصل « الجَوَادِعُ »  
جمع جادعة : وهى الفاطمة ، يريد الفرائض الصحيحة الملقاة لأنها تطلع الباطل وترفعه كأنه يقول : اتبعوا  
المطلة الجامعة ، أو الجَدَائِعُ جمع جدوع كجدوز صينة مبالغة من جادعة ، وفى الصلح على نهاية الأرب  
« وله الجَوَادِعُ : أى التى تجمع الناس على اتباعها ، كما يدل عليه ما بعده » .

[٢] أى أخس وأدون قنوا ، وأصل الدنو : القرب فى المكان استبرأ نفسه كما استبرأ البدن لغيره  
والرفعة ، أو هو سهل عن أدنا من الدناوة ، وقد قرئ فى الآية الكريمة : « أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي  
هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ » . [٣] بيوت الطريق : الترحلات ( جمع رحلة كقبرة وهى الطريق

الصغيرة المنقبة من المجادة ، أى اسلكوا الطريق العلم طريق الجماعة ، ولا ترجوا فى سواه .

[٤] الترنيق : الضعف فى الأمر « وفى البصر واليد أيضاً » ، والرقيق : السهولة والحق والمصلحة ،  
وركوب العلم والعقائد المحارم . [٥] أفعل ، من السداد . [٦] أسعته : استأصله .

## ٢ - وصية أعمى من الأزدي لشاب يقوده

عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه قال : رأيت بَيْشَةَ<sup>(١)</sup> رجلاً من أزدي السَّراةِ أعمى ، يقوده شاب جميل ، وهو يقول له : « يَا سَمِيُّ ، لَا يُفْرُتْكَ أَنْ فَسَحَ الشَّبَابُ خَطُوكَ ، وَخَلَّى سَرَبَكَ ، وَأَرْفَقَهُ وَرَدَّكَ<sup>(٢)</sup> ، فَكَأَنَّكَ بِالْكِبَرِ قَدْ أَرَبَ ظَوْفَكَ ، وَأَثْقَلَ أَوْقَكَ ، وَأَوْهَنَ طَوْفَكَ<sup>(٣)</sup> ، وَأَتَمَّبَ سَوْفَكَ ، فَهَدَجْتَ بَعْدَ الْهَمَلِجَةِ ، وَدَجَجْتَ بَعْدَ الدَّلْعَلِجَةِ<sup>(٤)</sup> ، فَخُذْ مِنْ أَيَّامِ التَّرْفِيهِ لَأَيَّامِ الْإِنْزَاجِ ، وَمِنْ سَاعَاتِ الْمُهِمَّةِ لِسَاعَةِ الْإِعْجَالِ<sup>(٥)</sup> ، يَا بَنَ أَخِي : إِنْ اغْتَرَاكَ بِالشَّبَابِ ، كَأَنَّكَ ذَاكَ بِسَمَادِيرِ<sup>(٦)</sup> الْأَحْلَامِ ، ثُمَّ تَنْقَشِعْ ، فَلَا تَتَمَسَّكَ مِنْهَا إِلَّا بِالْحَسْرَةِ عَلَيْهَا ، ثُمَّ تُعْرَى رَاحِلَةُ الصَّبَا ، وَتَشْرَبُ سَلْوَةً<sup>(٧)</sup> عَنِ الْهَوَى ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَغْنَى النَّاسِ يَوْمَ الْفَقْرِ مِنْ قَدَّمَ ذَخِيرَةً ، وَأَشَدَّهُمْ اغْتِبَاطًا يَوْمَ الْحَسْرَةِ مِنْ أَحْسَنُ سَرِيرَةٍ .

(الأمال : ٢ : ٢١٦)

## ٣ - وصية رجل لآخر وقد أراد سفراً

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلاً يوصي آخر وأراد سفراً ، فقال :

[١] بَيْشَةُ : واد بطريق اليمامة . [٢] السرب : الطريق والوجه ، ورنهت الإبل كنعج : وردت الماء متى شئت ، وقد أرنهتها ورنهتها بالتشديد . [٣] أَرَبَ : القُد : شدّه ، والأرْبَةُ : بالضم : البقعة ، وظلف البير يظوفه : إذا دأب بين قبيله ، والقينان بفتح القاف موضعاً القيد من الوظيف ، والأوق : الثقل ، والطوق : الوسع والطاقة . [٤] الهدبان ككفغان وغراب : مشية الشج ، هج كضرب ، والهلجة : سرعة في المشي ، ودج كضرب دجيجاً ، مر مرّاً صعيماً ، والدعلجة : ضرب من الحمى ، والتردد في الذهاب واليهي ، والدحرجة . [٥] رفه عيشه ككرم فهو رفيه ورافه : مستريح متنعم ، وأرفهه الله ورفهه ترفيهاً ، ومن ساطت للهمة أى الدنيا للهمة : أى التى ستهلها وتغادرها ، وربما كانت «الهمة» [٦] السبادير : ما يترامى للإنسان في نومه من الأباطيل ، وما يترامى السكران في سكره . [٧] السلوة : اسم بمعنى السلوان . قال الأصمى : يقول الرجل لصاحبه : « سقيتى سلوة ( بالفتح ) وسلوانا ( بالضم ) » أى طيبت عسى عك ، وذكروا أيضاً أَنَّ السلوة والسلوانة : خرزة شفافة تدفن في الرمل فتنسود فيبيح عنها ، ويسقاها الإنسان فقليله .

« آثِرْ بِمَلِكِ مَعَاذِكَ ، وَلَا تَدْخُلْ لِمَهْوَتِكَ وَشَاذِكَ ، وَلِيَكُنْ عَقْلُكَ وَزِيرُكَ  
الَّذِي يَدْعُوكَ إِلَى الْهُدَى ، وَيَنْصِيحُكَ مِنَ الرَّدَى ، أَلْجِمِ هَوَاكَ عَنِ الْفَوَاحِشِ ،  
وَأَطْلِقْهُ فِي الْمَكَارِمِ ، فَإِنَّكَ تَبْرُ بِذَلِكَ سَلَفَكَ ، وَتَشِيدُ شَرَفَكَ » .  
(الأمالي ١ : ٢٠٠)

#### ٤ - وصية رجل لابنه وقد أراد الزواج

وقال بعضهم لولده وقد أراد الزواج :  
« يَا بَنِي : لَا تَخْذِهَا حَتَانَةً ، وَلَا أَثَانَةً ، وَلَا مَتَانَةً <sup>(١)</sup> ، وَلَا عُشْبَةَ الدَّارِ <sup>(٢)</sup> ،  
وَلَا كُبَّةَ الْاَقْفَا <sup>(٣)</sup> » .  
(الأمالي ٢ : ٢٦٠)

#### ٥ - وصية بعض العلماء لابنه

وأوصى بعض العلماء ابنه فقال :  
« أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَلْيَسَعَكَ يَتُّكَ ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانُكَ ، وَابْكْ  
عَلَى خَطِيئَتِكَ » .  
(البيان والتبيين ٢ : ١٦٦)

#### ٦ - وصية لبعض الحكماء

وقال بعض الحكماء :  
« لَا يَكُونَنَّ مِنْكَ الْمُحَدِّثُ وَلَا يَنْصَتُ لَهُ ، وَالِدَاخِلُ فِي مِرِّ اثْنَيْنِ لَمْ يُدْخِلَاهُ ،

[١] الحَتَانَةُ : التي لها ولد من سواء فهي تحنّ عليهم ، والأَثَانَةُ : التي مات عنها زوجها ، فهي إذا  
رأت الزوج الثاني أنت ، وقالت : رحم الله فلانا ، زوجها الأول ، وللثَانَةِ : التي لها مال ، فهي تمنّ  
على زوجها ، كلما أهوى إلى شيء من ملها . [٢] عَشْبَةُ الدَّارِ : يريد الحبيبة ، وعشبة الدار : التي  
تنبت في دمنة الدار ، وجوهرها عذب في يابس الأرض ، فهي أعظم منه وأضخم ، لأنها تغذيها المنة ، وذلك  
( أي العصب ) أطيب للأكل رطباً ويطيباً ، لأنه تنبت في أرض طيبة ، وهذه تنبت في دمنة ، فهي منتنة  
ورطبة ، وإذا طيست صارت حشاً ( بالضم ) وذهب عنها في المنة فلم يمكن جمه ، وذلك يجمع أنه في  
أرض طيبة ( واللفظ بالضم : مايس من البقل ، وسقط على الأرض في موضع بانه ) .  
[٣] كُبَّةُ القفا : هي التي يأتي زوجها أو ابنها القوم ، فإذا انصرف من خدم ، قال رجل من جنابه  
... .. له أذهبا للولي أو أمه أمر .

ولا آتَى الدعوةَ لم يُدْعَ إليها، ولا الجالسُ المجلسَ لا يستحقُّه، ولا الطالبُ الفضلَ من أيدي اللّثام، ولا المتعرّضُ للخير من عند عدوّه، ولا المتحقّق في الدّالة<sup>(١)</sup> .  
(اليان والتبيين ٢ : ٥٨)

## ٧ - وصية أخرى

وقال بعض الحكماء :

« إياك والعجلة ، فإن العرب كانت تكتنيتها « أُمّ الندامة » لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ، وَيُحِبُّ قبل أن يفهم ، وَيَعِزُّم قبل أن يفكر ، وَيَقْطَع قبل أن يُقَدِّر ، وَيَحْمَد قبل أن يُحَرِّب ، وَيَذُم قبل أن يُخْبِر ، ولن يصحب هذه الصِّفَةَ أَحَدٌ إِلَّا صَحِبَ الندامة ، واعتزل السلامة » . (زهر الآداب ٣ : ١٩٧)

## ٨ - وصية أخرى

وقال ابن دُرَيْد : أوصى بعض الحكماء رجلاً ، فقال :

« آمرك بمجاهدة هواك ، فإنه يقال : إن الهوى مفتاح السيئات ، وخصيم الحسنات ، وكل أهوائك لك عدو ، وأهواها<sup>(٢)</sup> هوى يكتنك في نفسه ، وأعداها هوى يثقل لك الإثم في صورة التقوى ، ولن تفصل بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بحزم لا يشوبه وهنٌ ، وصِدْق لا يطعم فيه تكذيبٌ ، ومضاء لا يقاربه التثبُّط<sup>(٣)</sup> ، وصَبْر لا يقتاله جَزَعٌ ، ونِيَّة لا يتقسمها التضييع »  
(زهر الآداب ٣ : ١٢٩)

[١] الدالة : ما تدلّ به على حبيك .

[٢] أى وأشدّها . [٣] التوقف والإبطاء .

## ٩ - عظة لبعض الحكماء

عن الأصمعي قال : بلغني أن بعض الحكماء كان يقول :

« إني لأعظمكم ، وإني لكثير الذنوب مُنْزِفٌ على نفسي ، غيرُ حامدٍ لها ، ولا حامِلٍها على المكروه في طاعة الله عز وجل ، قد بَلَوْتَهَا فلم أجِدْ لها شُكْرًا في الرِّخَاءِ ، ولا صَبْرًا على الأَبْلَاءِ ، ولو أن المرءَ لَا يَعْظُ أخاه حتى يُنَحِّمَ أمرَ نفسه ، لَتَرِكَ الأمرُ بِالْخَيْرِ والنهي عن المنكر ، ولكن عادة الإخوان حياةٌ للقلوب ، وَجِلَاءٌ للنفوس ، وتذكيرٌ من النسيان ، واعلموا أن الدنيا سرورها أحران ، وإقبالها إدبار ، وآخر حياتها الموت ، فكم من مستقبل يومًا لَا يَسْتَكْمِلُهُ ، وَمُسْتَظَرٍّ غَدًا لَا يَتَلَقَّه ، ولو تنظرون إلى الأجلِ ومسيره ، لأَبْنَضْتُمُ الأملَ وَغُرُورَهُ . »  
(الأمالي ٢ : ٥٧)

## ١٠ - نصيحة لبعض الحكماء

وحذّر بعض الحكماء صديقًا له تَحَبُّهُ رجل فقال :

« اخذِرْ فلانًا ، فإنه كثير المسألة ، حَسَنُ البحث ، لطيفُ الاستدراج ، يحفظ أول كلامك على آخره ، ويستبرأ ما أخرت بما قدمت ، فلا تُظْهِرَنَّ له المخافة ، فيرى أنك قد تَحَرَّزْتَ ، واعلم أن من يَقْظَةَ الفِطْنَةِ إظهارَ النَفْثَةِ مع شدة الحذر ، فبائه مَبائِةُ الآمن ، وتحفظُ منه تحفظ الخائف ، فإن البحث يُظْهِرُ الخفيَّ الباطن ، وَيُبْدِي المستكنَّ الكامن . » (زمر الآداب ٣ : ١٦٤)

## ١١ - كلمات شتى لبعض الحكماء

عن الأصمعي قال : قال بعض الحكماء :

« من كانت فيه سَبْعُ خِصَالٍ لم يَقدِّمْ سِبعًا : من كان جَوَادًا لم يَعدِم الشرف



ومن كان ذا وفاء لم يعدم المقة ، ومن كان صدوقاً لم يعدم القبول ، ومن كان شكوراً لم يعدم الزيادة ، ومن كان ذا رعاية للحقوق لم يعدم السؤدد ، ومن كان منصفاً لم يعدم العافية ، ومن كان متواضعاً لم يعدم الكرامة .

(الأمال ٢ : ٢٩)

وقيل لبعض الحكماء : كيف ترى الدهر ؟ قال : يُخْلِقُ الأبدان ، ويُحَدِّدُ الآمال ، وَيُقَرِّبُ الآجال ، قيل له : فما حال أهله ؟ قال : من ظفر به نصيب ، ومن فاته حزن ، قيل : فأى الأصحاب أبر ؟ قال : العمل الصالح ، قيل : فأيهم أضر ؟ قال : النفس والهوى ، قيل : فقيم المخرج ، قال : فى قطع الراحة وبذل المجهود .

(الأمال ٢ : ٥٩)

وأخبر عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلاً يقول :

« الحسد ماحقُ الحسَنات ، والزُّهو جالبُ لِقَةِ الله ومقت الصالحين ، والمُعْجَبُ صَارِفٌ عن الازدياد من العلم ، داعٍ إلى التَّخَمُّطِ <sup>(١)</sup> والجهل ، والبخلُ أذمُّ الأخلاق ، وأجلبُها سُوءُ الأُحْدُوثة » .

(الأمال ١ : ٢٠٠)

وقال : قال بعض العرب :

« أوَّلَى الناس بالفضل أعوذُهم بفضله ، وأعونُ الأشياء على تَذَكِّيَةِ العقل التعلُّم ، وأدُلُّ الأشياء على عقل العاقل حسن التدبير » .

(الأمال ١ : ٢١٧)

وقال الأصمعى : العرب تقول :

« لا ثناء مع الكَبَر ، ولا صديقَ لذنَى الحسد ، ولا شرفَ لِسَيِّئِ الأدب . قال : وكان يقال : « شرَّ خِصال الملوِكُ الجُبْنُ عن الأعداء ، وإِقْسَاةُ على

(الأمال ١ : ٢٠١)

الضعفاء ، والبخلُ عند الإِعْطاء » .

وقال أبو علي القالي : وأمل علينا أبو عبد الله قال : من كلام العرب ووصاياها :  
 «جالس أهل العلم ، فإن جهلت علموك ، وإن زللت قوموك ، وإن أخطأت  
 لم يُعَنِّدوك<sup>(١)</sup> ، وإن صحبت زانوك ، وإن غبت تفقدوك ، ولا تجالس أهل  
 الجهل ، فإنك إن جهلت عفتوك ، وإن زللت لم يقوموك ، وإن أخطأت لم  
 يشبثوك . (الأمال ٢ : ٧٢)

## ١٢ — رجل من العرب والحجاج

سأل الحجاج رجلا من العرب عن عشيرته قال : أي عشيرتك أفضل ؟  
 قال : أتقاكم لله ، بالرغبة في الآخرة ، والزهد في الدنيا ، قال : فأيهم أسود ؟  
 قال : أرزئهم حلما حين يُستَجْهَل ، وأسخام حين يُسأل ، قال : فأيهم أدهى ؟  
 قال : من كتم ميره ممن أحب ، غافة أن يُشاره يوما ، قال : فأيهم أكيس ؟  
 قال : من يُصْلِح ماله ويتقصد في معيشته ، قال : فأيهم أرفق ، قال : من يعطى  
 بشر وجهه أصدقاؤه ، ويتلطّف في مسأله ، ويتعاهد حقوق إخوانه ، في إجابة  
 دَعَوَاتِهِمْ ، وعبادة مَرَضَاهُمْ ، والتسليم عليهم ، والمشي مع جنازهم ، والنصح لهم  
 بالغيّب ، قال : فأيهم أفطن ؟ قال : من عَرَف ما يوافق الرجال من الحديث  
 حين يجالسهم ، قال : فأيهم أصلب ؟ قال : من اشتدت مَارِسَتُهُ<sup>(٢)</sup> في اليقين ،  
 وَحَزْمُ في التوكل ، ومنع جاره من الظلم . (معجم الأمثال ٢ : ١٧٨)

## ١٣ — أحد الوافدين على عمر بن عبد العزيز

ووفد وافد على عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فقال له : كيف تركت  
 الناس ؟ قال :

[١] فنه : ضف رأيه وخطاه . [٢] المارضة : الجلد والصرامة والسن .

« تركت غنيهم موفوراً ، وفقيرهم مخبوراً ، وظالمهم مقهوراً ، ومظلومهم منصوراً » ، فقال : « الحمد لله ، لو لم تتم واحدة من هذه الخصال إلا بضو من أعضائي ، لكان يسيراً . ( الأمل ٢ : ٣٩ )

#### ١٤ - كاتب وأمير

ودخل بعض الكتاب على أمير بعد نكبة نابتة ، فرأى من الأمير بعض الازدراء ، فقال له :

« لا يَصْنَعْنِي عندك نُحُولُ النَّبَوَةِ ، وزوالُ الثَّرْوَةِ ، فَإِنَّ السَّيْفَ الْعَتِيقَ إِذَا مَسَّهُ كَثِيرُ الصَّدَأِ اسْتَعْنَى بِقَلِيلِ الْجَلَاءِ ، حَتَّى يَعُودَ حَدُّهُ ، وَيُظْهَرُ فَرْنُذُهُ ، وَلَمْ أَصِفْ نَفْسِي مُعْجِبًا ، لَكِنْ شُكْرًا ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَا أَشْرَفُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا غَرَّ » . فَجَهَرَ بِالشُّكْرِ ، وَتَرَكَ الاسْتِطَالََةَ بِالْكِبَرِ .

( زهر الآداب ٣ : ٩١ )

#### ١٥ - وصف الهلباجة

من أمثال العرب : « أعجز من هِلْبَاجَةٍ » وهو النَّثُومُ الْكَسْلَانُ الْعُطْلُ <sup>(١)</sup> الجاني ، وقد سار في وصف الهلباجة فصل لبعض الأعراب المتفصّحين ، وفصل آخر لبعض الحضريين ، فأما وصف الأعرابي ، فقد سئل ابن أبي كبشة بن الْقُبَيْرَتَرِيِّ عنه فقال : « الْهَلْبَاجَةُ : الضَّعِيفُ الْمَاجِزُ ، الْأَخْرَقُ الْأَحْمَقُ ، الْجِلْفُ <sup>(٢)</sup> الْكَسْلَانُ ، السَّاقِطُ لَا مَعْنَى فِيهِ ، وَلَا غِنَاءٌ <sup>(٣)</sup> عِنْدَهُ ، وَلَا كِفَايَةٌ مَعَهُ ، وَلَا عَمَلٌ لَدَيْهِ » .

[١] عطّل كفرح : عظم بدنه ، ومن المال والأدب : خلا فهو عطّل كفرح وعقل .

[٢] الجاني . [٣] لاغناء : لا كفاية .

وأما وصف الحضري فإن بعض بُلغَاء الأماص استل عن الهلباجة فقال :

« هو الذي لَا يَزْعَوِي لِمَذَلِّ الماذل ، وَلَا يُعْنِي إِلَى عِظِّ الواعِظ ، ينظر  
 بين حَسُود ، وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ حَقُود ، إِنْ سَأَلَ الْخَلْفَ <sup>(١)</sup> ، وَإِنْ مَثَلَ سَوْفَ ،  
 وَإِنْ حَدَّثَ حَلْفَ ، وَإِنْ وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِنْ زَجَرَ عَنَّفَ ، وَإِنْ قَدَّرَ عَسَفَ <sup>(٢)</sup> ،  
 وَإِنْ احْتَمَلَ أَسَفَ <sup>(٣)</sup> ، وَإِنْ اسْتَنْقَى بَطَرَ ، وَإِنْ اقْتَرَقَ قَنِطَ ، وَإِنْ فَرِحَ أُثِرَ <sup>(٤)</sup> ،  
 وَإِنْ حَزَنَ يَثِرَ ، وَإِنْ ضَمِكَ زَارَ ، وَإِنْ بَكَى جَارَ <sup>(٥)</sup> ، وَإِنْ حَكَمَ جَارَ ، وَإِنْ  
 قَدَّمْتَهُ تَأَخَّرَ ، وَإِنْ أَخَّرْتَهُ تَقَدَّمَ ، وَإِنْ أَعْطَاكَ مَنْ عَلَيْكَ ، وَإِنْ أَعْطَيْتَهُ لَمْ  
 يَشْكُرْكَ ، وَإِنْ أَسْرَرْتَ إِلَيْهِ خَانَكَ ، وَإِنْ أَسَرَّ إِلَيْكَ اتَّهَمَكَ ، وَإِنْ صَارَ فَوْقَكَ  
 قَهَرَكَ ، وَإِنْ صَارَ دُونَكَ حَسَدَكَ ، وَإِنْ وَثِقَتْ بِهِ خَانَكَ ، وَإِنْ انْبَسَطَتْ إِلَيْهِ  
 شَانَكَ ، وَإِنْ أَكْرَمْتَهُ أَهَانَكَ ، وَإِنْ غَابَ عَنْهُ الصَّدِيقُ سَلَاةً ، وَإِنْ حَضَرَ  
 قَلَاةً <sup>(٦)</sup> ، وَإِنْ فَاتَحَتْهُ لَمْ يُجِبْهُ ، وَإِنْ أَمْسَكَ عَنْهُ لَمْ يَبْدَأْهُ ، وَإِنْ بَدَأَ بِالْوَدِّ هَجَرَ ،  
 وَإِنْ بَدَأَ بِالْبُرِّ جَفَا ، وَإِنْ تَكَلَّمَ فَصَحَّهَ الْبُيُوتُ ، وَإِنْ عَمِلَ قَصَرَ بِهِ الْجَهْلُ ، وَإِنْ  
 أَوْثَمَنَ غَدَرَ ، وَإِنْ أَجَارَ أَخْفَرَ <sup>(٧)</sup> ، وَإِنْ طَاهَدَ نَكَثَ ، وَإِنْ حَلَفَ حَثَّ ،  
 لَا يَصْدُرُ عَنْهُ الْآمِلُ إِلَّا بِخَيِّبَةٍ ، وَلَا يَضْطَرُّ إِلَيْهِ حُرٌّ إِلَّا بِعَيْتَةٍ . »

قال خلف الأحمر : سألت أعرابياً عن الهلباجة ، فقال : « هو الأثقي

الضنغم القدم <sup>(٨)</sup> الأكل الذي والذي . . . ثم جعل يلتقي بعد ذلك ، ويزيد

[١] الخ . [٢] ظم . [٣] من أسف الطائر : دنا من الأرض في طيرانه ، أى لم يستطع  
 التهور بما حل . [٤] أضر : مرجح . [٥] صاح واستنك . [٦] أبغضه وكرهه غاية الكراهة .  
 [٧] أخفزه وخفزه : غشى مهدده وضربه . [٨] القدم : الي من الكلام في عمل وخطوة ،  
 وثقة فهم ، والغلظ : الأحمق الجاني .

في التفسير كل مرة شيئاً ، ثم قال لي بعد حين - وأراد الخروج - هو الذي جمع كل شر .  
(جمع الأمثال ١ : ٢٢٦)

## ١٦ - بعض البلغاء يصف رجلاً

ووصف بعض البلغاء رجلاً فقال :

« إِنَّهُ بَسِيطٌ <sup>(١)</sup> الْكَف ، رَحْبُ الصَّدْر ، مُوْطَأٌ الْأَكْنَف ، سَهْلُ الْخَلْق ، كَرِيمُ الطَّبَاع ، غِيثٌ مُغَوِّثٌ <sup>(٢)</sup> ، وَبَحْرٌ زَخَّوْر ، خُصُوكَ السِّن ، بِشِيرُ الْوَجْهِ ، بَادِي الْقَبُول <sup>(٣)</sup> غَيْرُ عُبُوس ، يَسْتَقْبَلُكَ بِطَلَاةٍ ، وَيُحْيِيكَ بِبِشْرٍ ، وَيُسْتَدْبِرُكَ بِكَرَمٍ غِيثٍ ، وَجَمِيلُ بَشَرٍ ، تُنْهَجُكَ طَلَاقَتُهُ ، وَيَرْضِيكَ بِشَرُهُ ، ضَحَّاكٌ عَلَى مَائِدَتِهِ ، عَبْدٌ لَضِيْفَانِهِ ، غَيْرُ مَلَا حَظٍّ لِأَكِيلِهِ ، بَاطِنٌ <sup>(٤)</sup> مِنَ الْعَقْلِ ، خَمِيصٌ <sup>(٥)</sup> مِنَ الْجَهْلِ ، رَاجِحُ الْحِلْمِ ، ثَائِبُ الرَّأْيِ ، طَيِّبُ الْخَلْقِ ، مُخَصَّنُ الضَّرِيَّةِ <sup>(٦)</sup> ، مِعْطَاةٌ غَيْرُ سَأَلٍ ، كَأْسِيٌّ <sup>(٧)</sup> مِنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ ، عَارٍ مِنْ كُلِّ مَلَأَمَةٍ ، إِنْ سَتَلَ بِذَلِكَ ، وَإِنْ قَالَ فَعَلَ » .  
(زهر الآداب ٢ : ٢٠٥)

## ١٧ - خمس جوار من العرب يصفن خيل آبائهن

عن ابن الكلبي عن أبيه قال :

اجتمع خمس جَوَارٍ من العرب ، فقلن : هَلُمُّنَّ نَصِيفَ خَيْلِ آبَائِنَا  
فَقَالَتِ الْأُولَى :

« فَرَسٌ أَبِي وَزْدَةٌ ، وَمَا وَرَدَةُ ؟ ذَاتُ كَفَلٍ مُزَخَّلَقٌ ، وَمَتْنٌ أَخْلَقٌ ،

[١] أي مبسوط الكف سخى . [٢] غوث تغريثاً : قال واغوثاه .

[٣] القبول بالفتح وقد يضم : الحسن . [٤] أي ممتلئ وأصله : عظيم البطن .

[٥] خميص : خال ، وأصله : الجائع . [٦] الضريبة : الطابعة ، وعصن : عفت

[٧] أي مكسو .

وَجَوْفُ أَخْوَقٍ <sup>(١)</sup> ، وَنَفْسُ مَرْوَحٍ ، وَعَيْنُ طَرْوَحٍ ، وَرَجْلُ ضَرْوَحٍ ، وَيَدُ سَبُوحٍ <sup>(٢)</sup> ، بُدَاهَتُهَا إِهْدَابٌ ، وَعَقَبُهَا غِلَابٌ <sup>(٣)</sup> .

وقالت الثانية :

« فرسُ أَبِي اللَّعَابِ ، وما اللَّعَابُ ؟ غَيَّةُ سَحَابٍ ، واضْطَرَامُّ غَابٍ ، مُتَرَسُّ الأَوْصَالِ ، أَشْمُ الْقَدَالِ ، مُلَا حَكُ الْمَحَالِ <sup>(٤)</sup> ، فَارِسُهُ مُجِيدٌ ، وَصَيْدُهُ عَنِيدٌ ، إِنْ أَقْبَلَ فَظَبْيٌ مَعَاجٍ ، وَإِنْ أَدْبَرَ فَظَلِيمٌ مَدَاجٍ ، وَإِنْ أَخْضَرَ فَصَلْبٌ مَرَّاجٍ <sup>(٥)</sup> .

وقالت الثالثة :

« فرسُ أَبِي حُذَمَةٍ ، وما حُذَمَةٌ ؟ إِنْ أَقْبَلَتْ فَقَنَاءٌ مُقَوِّمَةٌ ، وَإِنْ أَدْبَرَتْ فَكَاثِبَةٌ مُلَمَلَةٌ ، وَإِنْ أَعْرَصَتْ فَذَيْبَةٌ مُعْجِرَةٌ <sup>(٦)</sup> ، أُرْسَاغُهَا مُتَرَصَّةٌ ، وَفُصُوصُهَا مُمَحَّصَةٌ ، جَرَيْنُهَا انْتِرَارٌ ، وَتَقَرِيرُهَا انْكِدَارٌ <sup>(٧)</sup> .

[١] للزحلق : الملس الذي كأنه زحلولقة ( بالضم ) وهي آثار ترنج الصييل من فوق إلى أسفل ، والأخلق : الأملس ، وأخوق : واسع . [٢] مروح : كثيرة للريح ، طروح بعيدة موقع النظر ، ضروح : دفوع ، يريد أنها تفزع الحماره برجلها إذا عدت ، سبوح : كأنها تسبح في عدوها من سرعتها . [٣] بداهتها : جابتها ، والبداعة والبدية واحد ، والإهداب : السرعة ، والعقب : جرى بعد جرى ، وغلاب مصدر ، فالبته مغالبة وغلابا ، كأنها تغالب الجري .

[٤] الفية : الدصة من اللط ، والغاب جمع غابة وهي الأجمة ، مقوس : محكم ، أترست الشيء : أحكته أمم : مرتفع ، الفئال : مقلد الحمار ( والمدار من اللجام ككتاب : ماسل على خد الفرس ) ، ملاحك مداخل ( يمدح الخاء ) كأنه دوخل نفسه في منى ، والمدال جمع مدالة : وهي قنار الظفر ( كسحاب جمع قنطرة ) وذكر الأسي أنه رأى حمار فرس ميت ، فإذا ثلاث قنر من عظم واحد ، وكذا تكون الرقاب فيما ذكروا . [٥] مجيد : صاحب جواد ، عتيد : حاضر ، مسج في سيرة ومعج : إذا أسرع ، والهدج كشس : الشيء الرويد ويكون السريع ، واللمج : حار الوحش السمين القوي ، وهرج الفرس كضرب : إذا كال كثير الجري . [٦] حنمة : فلة من الحنم وهو السرعة أو القطع ، قنادة مقومة تريد أنها دقيقة اللدغم ، وهو مدح في الإناء ، والألمية : المجر توضع عليه القنر ، مللمة : مجتمعة ، تريد أنها مدودة المؤخر ، لأن الألفي تختار مدودة ، معبرة بكسر الراء اسم فاعل من العبيرة ، وهي إسرار في مقابلة خطو . قال الشاعر :

أَمَّا إِذَا يَدْعُو قَتْلَبُ جَرِيَةٍ أَوْ ذَنْبُ غَلَدِيَةٍ يَعْجِرُ مَعْجِرَةً

وقال ثافة معبرة بفتح الراء : أي شديدة . [٧] بمجمة : قليلة اللحم قليلة الدهن ، محس الجلد

وقالت الرابعة :

« فرسُ أبى خَيْفَق ، وما خَيْفَق ؟ ذاتُ ناهقٍ مُعْرَق ، وَشِدْقُ أَشْدَق ،  
وأديمٌ مُمَلَّق <sup>(١)</sup> ، لها خَلْقُ أَشْدَف ، وَدَسِيعٌ مُنْقَنَف ، وَتَلِيلٌ مُسَيَّف <sup>(٢)</sup> ،  
وَنَابَةٌ زُلُوج ، خَيْفَانَةٌ رَهْوج ، تَقْرِيبُهَا إِهْمَاج ، وَخُضْرُهَا ارْتِجَاج <sup>(٣)</sup> . »

وقالت الخامسة :

« فرس أبى هُذُلُول ، وما هُذُلُول ؟ طَرِيدُهُ مَحْبُول ، وَطَالِبُهُ مَشْكُول ،  
رَقِيقُ الْمَلَاغِم ، أَمِينُ الْمَعَاقِم <sup>(٤)</sup> ، عَبِلُ الْمَعَزِم ، مَخْذُومٌ مَرْجَم <sup>(٥)</sup> ، مُنِيفُ الْحَارِك ،  
أَشْمُ السَّنَابِك ، مَجْدُولُ الْحَصَائِل ، سَبْطُ الْفَلَائِل <sup>(٦)</sup> ، غَوْجُ التَّلِيل ، صُلْصَالُ  
الصَّهِيل ، أَدِيمُهُ صَافٍ ، وَسَدِيدِيَّةُ ضَافٍ <sup>(٧)</sup> ، وَعَفْوُهُ كَافٍ . » (الأمالي ١ : ١٩٠)

كفح ، إذا سقط شعره وأملس ، انثرار : انصباب ، كأنه يثرثر ، والتقريب : ضرب من العدو  
أو أن يرفع يديه ممأً ويصهما ممأً ، وانكدر : أسرع واقصم ، وانكدر عليه القوم : انصبوا .

[١] خَيْفَق : فيل من الحقيق كشمس : وهو السرعة ، النامقان : العطبان الشاخصان في خدعي الفرس  
مدرق : قليل اللحم ، أَشْدَق : واسع الشدق ، مَلَق : ملى : ملى . [٢] الْأَشْدَف : العظيم الشخص ،  
والشدق محرك : الشخص ، الدسيع : مفرز العنق في السكاهل ، متقن : واسع ، من الفنف كجفر :  
وهو الهواء بين السماء والأرض ، التليل : العنق ، مسيف : كأنه سيف .

[٣] زُلُوج : سريعة ، الزليج والرجان بالتحريك : السرعة ، الحيفاة : المرادة التي فيها قط سود  
تخالف سائر لونها ، وإنما قيل للفرس : خيفانة لسرعته لأن المرادة إذا ظهر فيها تلك القط كان أسرع  
لطيرانها ، رهوج : كثيرة الريح ، ( والريح بالتحريك : الفبار ) أمح الفرس إهماسا : إذا اجتهد في  
عدوه ، والحضر : ارتفاع الفرس في عدوه ، الارتجاج : كثرة البرق وتناجه .

[٤] محبول : في حالة ، مشكول : موثق في شكل ( الشكل ككتاب : الجبل يشد به قوائم الدابة )  
الملاغم من الإنسان : مأحول الفم ، أرادت هاهنا المجافل ( والمجاफल جمع جعفة بالفتح بمنزلة النفة الخيل  
والبال والخيول ) والمعاقم : اللغافل . [٥] عبل : عليظ ، والمجرم موضع الحرم ، مخذ : يخذ الأرض  
أى يعمل فيها أخاديد ( والأخاديد : الشقوق جمع أخدود ) ، مرجم : يرمم الحجر بالحجر ، أو يرمم  
الأرض بمجوافه . [٦] منيف : مرتفع ، والحارك : منبت أدنى العرف إلى الظهر الذى يأخذ به من  
يركبه ، والسنايك : أطراف الحوافر جمع سبك كقفذ ، مجدول : مقتول ، الحصائل جمع خصلة : وهي  
كل قطعة من اللحم مستطيلة أو مججمة ، الفليل : الثمر المجتمع ، ويقال للقطعة من الثمر : الفليلة ،  
سبط : مسترسل . [٧] التفوج : اللين العطف ، والصلصلة صوت الحديد ، وكل صوت حاد ،  
والسيب : شعر النامية ، ضاف : سابع .

## ١٨ - رجل من العرب يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

سئل رجل من العرب عن مطر كان بعد جَدْب فقال :

«لَا نَشَأُ حَمَلًا<sup>(١)</sup> سُدًّا مُتَقَاذِفَ الْأَحْضَانِ ، مُحْمَوِيَّ الْأَرْكَانِ ، لَمْلَعِ الْأَقْرَابِ ،  
مُكْفَهَرِ الرَّبَابِ ، نَحْنُ رُعُودُهُ حِينَ اضْطَرَابِ ، وَتَرْفُجُ زَجْرَةُ اللَّيْثِ الْغَضَابِ ،  
لِبَوَارِقِهِ النَّهَابِ ، وَلِرَوَاعِدِهِ اضْطَرَابِ ، فَخَافَتْ<sup>(٢)</sup> صَدْرُهُ الشَّعَافَ ، وَرَكِبَتْ  
أَهْجَازُهُ الْقِفَافَ ، ثُمَّ أَلْقَى أَعْبَاكُهُ ، وَحَطَّ أَثْقَالُهُ ، فَتَلَقَّى وَأَصْحَقَ<sup>(٣)</sup> ، وَانْبَجَسَ  
وَانْبَعَثَ ، ثُمَّ انْجَمَّ فَانْطَلَقَ ، فَغَادَرَ النَّهَاءَ<sup>(٤)</sup> مُتْرَعَةً ، وَالنَّيْطَانَ مُمْرَعَةً ، حَبَاءَ  
لِلْبِلَادِ ، وَرِزْقًا لِلْعِبَادِ . (بلوغ الأرب ٤ : ٢٥٠)



[١] الحمل : السحاب الكثير الماء ، والد : القى قد سدّ الألق ، احموى : اسودّ ، والأقرب جمع قرب ككفل وعنى وهو الحاصرة ، والرباب : السحاب الأبيض . [٢] جافحه : زاحه وداناه ، والشفاف جمع شفة كركبة : دعى رأس الجبل ، والفاف جمع قفّ بالفم وهو ماغلظ من الأرض وارتمى لم يبلغ أن يكون جبلا . [٣] صمغهم البهاء وأصمغهم : ألقت عليهم صاعقة ، وانبجس : اهبجس بالماء وانبعث السحاب : انبعج بلطر وانبعث ، والانباق : أن يندفع عليك الشيء فجأة وأنت لا تنتهر ، وانجمت السماء : أسرع مطرها . [٤] النهاء جمع نهى بالكسر والفتح : الندير ، ومترعة : مملوءة ، والنيطان جمع فائط : وهو اللطيف الواسع من الأرض ، ممرعة : مخضبة ، حباء : مطاء .



## الباب الثالث

في

### نثر الأعراب

قولهم في الوعظ والتوصية

١ - مقام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك

قام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك ، فقال :

« إني مُكَلِّمُكَ يا أمير المؤمنين بكلامٍ فيه بمض الغِلْظَةِ ، فاحتمِلْهُ إن كَرِهْتَهُ ، فَإِنَّ وِرَاءَهُ مَا تُحِبُّهُ إِنْ قَبِلْتَهُ » ، قال : هاتِ يا أعرابي : إنا نجود بِسَعَةِ الاحتمالِ على من لا نرجو نُصْحَهُ ، ولا نأمنُ غِشَّهُ ، وأرجو أن تكون الناصحَ جَيِّبًا ، المأمونَ غَيِّبًا ، قال : « يا أمير المؤمنين أما إذ أمنت بِإِدْرَةِ غضبك ، فإني سأطْلُقُ لسانِي بما خَرِسْتُ عنه الألسُنُ من عِظَّتِكَ ، تأديةً لحَقِّ اللَّهِ وحقِّ أمانتك . إنه قد اكْتَنَفَكَ رجُلٌ أَسَاءَوا الاختيارَ لأنفسهم ، فابتاعوا دنياءَ بدينهم ، ورضاك بِسُخْطِ ربهم ، خافوك في اللَّهِ ، ولم يخافوا اللَّهَ فيكَ ، فإنهم هم حربٌ لِلآخِرَةِ ، سَلِمَ لِلدُّنْيَا ، فلا تأمَنُّهم على ما أئتمنك اللَّهُ عليه ، فإنهم

لا يَأْلُونكَ<sup>(١)</sup> خَبَالًا ، والأمانة تضييماً ، والأمة عسفاً وخسفاً<sup>(٢)</sup> ، وأنت مستول عما اجترحو<sup>(٣)</sup> ، وليسوا مستولين عما اجترحت ، فلا تُصلح دينام بفساد آخرتك ، فإن أخسر الناس صفقة يوم القيامة ، وأعظمهم غبنًا من باع آخرته بدنياه غيره ، قال سليمان : « أما أنت يا أعرابي ، فقد سللت لسانك ، وهو أقطع سيفيك » ، فقال : « أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك » .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٧ ، والقصد الفريد ١ : ٣٠٧ ، وروج الذهب ٢ : ١٦٤ ، وزهر الآداب ١ : ٢٧٧ )

## ٢ - أعرابي يعظ هشام بن عبد الملك

ودخل أعرابي على هشام بن عبد الملك ، فقال له : عِظْنِي يا أعرابي ، فقال : « كفى بالقرآن واعظًا ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم : « وَيَلِّ لِّلْمُطَفِّفِينَ<sup>(١)</sup> الَّذِينَ إِذَا أَكْتَأُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُواهُمْ أَوْ وَزَنُواهُمْ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْمُوءُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » ، ثم قال : « يا أمير المؤمنين ، هذا جزاء من يُطَفِّفُ في الكيل والميزان ، فاعظنك بمن أخذه كله<sup>(٢)</sup> » .

( القصد الفريد ٢ : ٨٤ )

## ٣ - خطبة أعرابي<sup>(١)</sup>

وولي جعفر بن سليمان<sup>(٢)</sup> أعرابياً بعض مياهم<sup>(٣)</sup> فخطبهم يوم الجمعة فقال :

[١] ألا يألو : قصر وأخطأ ، والخيال : الساذج . [٢] الصف : الظلم ، والحسف : القتل .

[٣] اكسبوا ، وفي رواية : « اجترموا » .

[٤] طفف : نفس للكيال . [٥] وروى صاحب القصد أيضاً هذه الملة ( ج ١ ص ٣٠٦ )

وذكر أنها لابن السكك وعط بها الرشيد .

[٦] قدمنا في الجزء الثاني ص ٤٦٣ أن هذه الخطبة متنازع فيها ، فهي تمزى تارة إلى الإمام على كرم الله وجهه ، وأخرى إلى سحبان وائل ، وثالثة إلى أعرابي . [٧] هو ابن عم أبي جعفر للنصور ، وكان والياً له على المدينة سنة ١٤٦ - ١٥٠ هـ . [٨] في مجمع الأمثال : « من الأصمى قال : حدثني شيخ من أهل العلم قال : هبت الجمعة بالقرية « ضرة كفتية » قرية بين البصرة ومكة »

« الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، أما بعد : فإن الدنيا دارُ بَلاغٍ <sup>(١)</sup> ، والآخرة دار قرار ، نخذوا لِمَقَرِّكم من مَمَرِّكم ، ولا تَهْشِكُوا أَسْطَاركم عند من لا تَخْفَى عليه أسرارُكم ، وأُخْرِجُوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تَخْرُجَ منها أبدانُكم ، ففيها حَيَاتُكم ، ولنغيرها خُلُقُكم ، اليوم عملٌ بلا حساب ، وغداً حسابٌ بلا عمل ، إن الرجل إذا هَلَكَ ، قال الناس ما ترك ؟ وقالت الملائكة : ما قَدَّمَ ؟ فله آباؤكم ! قَدِّمُوا بعضاً ، يكون لكم قَرَضاً ، ولا تَخْلُقُوا كُلاً ، يكون عليكم كُلاً <sup>(٢)</sup> ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ، والحمد لله ، والمصلّى عليه محمد ، والمدعو له الخليفة ، ثم إمامكم جعفر بن سليمان ، قُومُوا إلى صلاتكم . »

(الأمالى ١ : ٢٤٨ ، والقدر الفريد ٢ : ١٦٤ ، ونهذب الكامل ١ : ٢٨ ،

ومجمع الأمثال ١ : ٣١٨ ، وعبود الأخبار ٢ : ٢٥٣ وزهر الآداب ٢ : ٤ )

## ٤ — خطبة أخرى

وخطب أعرابي فقال :

« الحمد لله الحميد المستحمد ، وصلى الله على النبي محمد . أما بعد : فإن التعمق فى ارتجال الخطب لممكن ، والكلام لا يَنْتَشِ حتى يُنْتَشَى عنه ، والله تبارك وتعالى لا يُذْرِكُ وِاصْفٌ كُنْهَ صِفْته ، ولا يَبْلُغُ خُطِيبٌ مُتَمَتِّعٌ مِذْحَته ، له الحمد كما مدح نفسه ، فانهَضُوا إلى صلاتكم » ثم نزل فصلّى . ( القدر الفريد ٢ : ١٦٤ )

---

وأبهرها رجل من الأعراب ، فخرج وخطب ، ولفّ ثيابه على رأسه ، ويده قوس فقال . . . . . وأورد هذه الخطبة « ، وفى الكامل للبهرد : « قال الأصمى فيها بلنى خطبنا أعرابي بالبادية فحمد الله . . . » . [١] وفى رواية المبدانى ، وعبود الأخبار « بلاء » وفى رواية القدر « دار ممرّ والآخرة دار مقرّ » [٢] الكل : التعليل .

## ٥ - خطبة أخرى

وخطب أعرابي قومه فقال :

« الحمد لله ، وصلى الله على النبي المصطفى وعلى جميع الأنبياء ، ما أقيح بمثل  
أن ينهى عن أمرٍ ويرتكبه ، ويأمر بشيءٍ ويحتنبه ، وقد قال الأول :  
وَدَعِ مَا لُمْتُ صَاحِبَهُ عَلَيْهِ فَذَمُّ أَنْ يُلُومَكَ مَنْ تَلُومُ  
أَلْهَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ تَقْوَاهُ ، وَالْعَمَلَ بِرِضَاهُ » . ( القدر الفريد ٢ : ١٦٤ )

## ٦ - أعرابية توصي ابنها وقد أراد السفر

قال أبنان بن تغلب - وكان عابداً من عبّاد أهل البصرة توفى سنة ١٤١ هـ -  
شهدت أعرابية وهي توصي ولداً لها يريد سفرأ وهي تقول له :  
« أَيْ مُبْنَى اجْلِسْ أَمْتَحُكْ وَصِيَّتِي ، وَبِاللهِ تَوْفِيقُكَ ، فَإِنَّ الرِّسَالَةَ أَجْدَى <sup>(١)</sup>  
عَلَيْكَ مِنْ كَثِيرِ عَقْلِكَ ، أَيْ مُبْنَى : إِيَّاكَ وَالنَّمِيَّةَ فَإِنَّهَا تَرُوحُ الضَّمْنَةَ ، وَتَفَرِّقُ  
بَيْنَ الْمُحِبِّينَ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِلْعُيُوبِ فَتُتَّخَذَ غَرَضاً <sup>(٢)</sup> ، وَخَلِيقُ أَنْ لَا يَثْبُتَ  
النَّضْرُ عَلَى كَثْرَةِ السَّهَامِ ، وَقَلْبُ اعْتَوَرَتْ <sup>(٣)</sup> السَّهَامُ غَرَضاً إِلَّا كَلَمَتُهُ <sup>(٤)</sup> حَتَّى  
يَهَيَّ <sup>(٥)</sup> مَا اشْتَدَّ مِنْ قُوَّتِهِ ، وَإِيَّاكَ وَالْجُودَ بِدِينِكَ ، وَالبَخْلَ بِمَالِكَ ، وَإِذَا هَزَزَتْ  
فَاهْزُزْ كَرِيحاً يَلِينُ لَهْزَتِكَ ، وَلَا تَهْزُزْ اللَّثِيمَ فَإِنَّهُ صَغِيرَةٌ لَا يَنْفَجِرُ مَاؤُهَا ، وَمِثْلُ  
لِنَفْسِكَ مِثَالُ مَا اسْتَحْصَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاقْمَلْ بِهِ ، وَمَا اسْتَقْبَحْتَ مِنْ غَيْرِكَ  
فَاجْتَنِبهْ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ بِشَرِّهِ ، وَخَالَفَ ذَلِكَ  
مَنْهُ فَعَلُهُ ، كَانَ صَدِيقُهُ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ الرِّيحِ فِي تَصَرُّفِهَا » ثُمَّ أَمْسَكَتْ ، فَذَوَتْ

[١] أُنْقِصَ [٢] حَبَا . [٣] تَمَازُك . [٤] جَرَحَتْ وَحَطَتْ .

منها ، فقلت : بالله يا أعرابية ، إلاً زِدْتِهِ فِي الوصية ، فقالت : أَوْ قد أعجبتك كلام  
العرب يا عراقى ؟ قلت : نعم ، قالت : والغدرُ أقيح ما تعامل به الناس بينهم ،  
ومن جمع الحِلْمَ والسَّخَاءَ فقد أجاد الحِلَّةَ <sup>(١)</sup> : رَظَّتْهَا وَسِرَّهَا .  
( الأمل ٢ : ٨١ ، والقدر الفريد ٢ : ٨٥ ، وبلاغات النساء ص ٥٧ ، والبيان والبيان ٣ : ٢٢١ )

## ٧ - أعرابية توصى ابنها

وقالت أعرابية لابنها :

« يَا بُنَيَّ ، إِنْ سَوَّاءَكَ النَّاسَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَشَدِّ الْاِفْتِقَارِ إِلَيْهِمْ ، وَمِنْ  
اِفْتَقَرْتَ إِلَيْهِ هُنْتُ عَلَيْهِ ، وَلَا تَزَالُ تُحْفَظُ وَتُكْرَمُ ، حَتَّى تَسْأَلَ وَتَرْغَبُ ،  
فَإِذَا أَلَحَّتْ عَلَيْكَ الْحَاجَةُ ، وَلَزِمَكَ سُوءُ الْحَالِ ، فَاجْعَلْ سَوَّاءَكَ إِلَى مَنْ إِلَيْهِ  
حَاجَةُ السَّائِلِ وَالْمُسْتَوَلِ ، فَإِنَّهُ يُعْطَى السَّائِلَ » . ( القدر الفريد ٢ : ٨٥ )

## ٨ - أعرابي يوصى ابنه

ووصى أعرابي ابنه فقال :

« ابْذُلْ المودَّةَ الصادقةَ تَسْتَفِدْ إِخْوَانًا ، وَتَتَخَذَ أَعْوَانًا ، فَإِنَّ العداوةَ موجودة  
عَتِيدَةٌ ، وَالصداقةَ مُسْتَعْرِزَةٌ <sup>(٢)</sup> بَمِيدَةٍ ، جَنَّبْ كَرَامَتَكَ اللِّثَامَ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ أَحْسَنَتْ  
إِلَيْهِمْ لَمْ يَشْكُرُوا ، وَإِنْ نَزَلَتْ شَدِيدَةٌ لَمْ يَصْبِرُوا » . ( الأمل ١ : ٢٠١ )

## ٩ - أعرابي ينصح لابنه

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول لابنه :  
« لَا يَفْرُتْكَ مَا تَرَى مِنْ خَفَضِ المَبَشِ ، وَلَيْنَ الرِّيَاشِ <sup>(٣)</sup> ، وَلَكِنْ فَانْظُرْ  
إِلَى سُوءِ الظَّنِّ ، وَسُوءِ الْمُتَقَلِّبِ » . ( الأمل ٢ : ٥٩ )

[١] الحلة لا تكون إلا من توبين إزار ورفاء ، والريطة : اللامدة كلها نسج واحد وقطعة واحدة  
والريال : القميص . [٢] مستعزة : متقبضة شديدة : [٣] الرياش : العشب والعلش .

## ١٠ - أعرابي ينصح لابنه

وقال : سمعت أعرابياً يقول لابنه :

« كن للعافل المذبر أرجى منك للأحمق المقبل » ، ثم أنشد :

هَدُّوكْ ذَوِ الْحِلْمِ أَتَى عَلَيْكَ وَأَرْعَى مِنَ الْوَامِقِ الْأَحْمَقِ <sup>(١)</sup>

( ذيل الأمالي ص ٣٤ )

## ١١ - أعرابي ينصح لأخيه

ونصح أعرابي لأخيه ، فقال :

« اعلم أن الناصح لك ، المشفق عليك ، مَنْ طالع لك ما وراء العواقب  
برؤيته ونظره ، ومثل لك الأحوال المَعُوقَةَ عليك ، وَخَلَطَ الْوَعْرَ بِالسَّهْلِ مِنْ  
كَلَامِهِ وَمَشُورَتِهِ ، لِيَكُونَ خَوْفُكَ كِفَاءً <sup>(٢)</sup> رَجَائِكَ ، وَشُكْرُكَ إِزَاءَ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ ،  
وَأَنْ النَّاشِءَ لَكَ ، وَالْحَاطِبَ <sup>(٣)</sup> عَلَيْكَ ، مَنْ مَدَّ لَكَ فِي الْإِغْتِرَارِ ، وَوَطَّأَ لَكَ مِهَادَ <sup>(٤)</sup>  
الظُّلَمِ ، تَابِعاً لِمَرْضَاتِكَ ، مُنْقَاداً لِهَوَاكَ » . ( الأمالي ١ : ١٩٨ )

## ١٢ - أعرابي يعظ أخاه

ووعظ أعرابي أخاه له أفسد ماله في الشرب ، فقال :

« لَا الدَّهْرُ يَعْظُكَ ، وَلَا الْأَيَّامُ تُنْذِرُكَ ، وَلَا الشَّبَبُ يَزْجُرُكَ ، وَالسَّاعَاتُ  
تَحْصِي عَلَيْكَ ، وَالْأَنْفَاسُ تُعَدُّ مِنْكَ ، وَالْمَنَایَا تُقَادُ إِلَيْكَ ، أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ ،  
أَعُوذُهَا بِالْمُضَرَّةِ عَلَيْكَ » .

( العقد الفرید ٢ : ٨٥ ، والأمالي ١ : ١٩٨ ، وزهر الآداب ٣ : ١١٥ )

[١] الوامق : الحلب . [٢] مكافئاً .

[٣] الحاطب : الحامل . [٤] الهاد : القرائن .

### ١٣ - أعرابي يعظ صاحبه

وقال أعرابي لصاحبه :

« والله لئن هَمَلَجْتَ <sup>(١)</sup> إلى الباطل ، إنك لَتَقُطُوفٌ <sup>(٢)</sup> عن الحق ، ولئن أبطأتَ لَيُسْرِعَنَّ بك ، وقد خسرَ أرقام وهم يظنون أنهم راجحون ، فلا تفرِّقْ الدنيا ، فإن الآخرة من ورائك » . (البيان والبيان : ٢ : ١٥٨ ، والعقد الفريد : ٢ : ٨٦)

### ١٤ - أعرابي يعظ أخاه

وقال أعرابي لأخيه :

« يا أخى : أنت طالب ومطلوب ، يَطْلُبُكَ ما لا تَقْوُهُ ، وتطلبُ ما قد كُفِّيَتْه ، فكانَ ما غاب عنك ، قد كُشِفَ لك ، وما أنت فيه قد تُقِلَّتَ عنه ، فامْهَدْ <sup>(٣)</sup> لنفسك ، وأعدِّ ذلك ، وخذ في جِهازك » . (العقد الفريد : ٢ : ٨٤)

### ١٥ - أعرابي يعظ رجلا

وقال أعرابي لرجل :

« أى أخى : إنَّ يَسَارَ النفسِ أفضلُ من يسار المال ، فإن لم تُرزقْ غِنًى فلا تُحَرِّمْ تقوى ، قُرْبَ شَبَعَانٍ من النعم ، عُرْيَانٍ من الكرم ، واعلم أن المؤمن على خَيْرٍ : تُرَحَّبُ به الأرض ، وتستبشِّرُ به السماء ، ولن يُسَاءَ إليه في بَطْنِها وقد أَحْسَنَ على ظهرها » . (العقد الفريد : ٢ : ٨٥)

[١] من هملج البرذون : مشى مشية سهلة في سرعة .

[٢] من قطفت الدابة كنصر وضرب : ضاق مشيا ، فهي قطوف .

[٣] أى مهد وأعد .

## ١٦ - أعرابي يعظ رجلا

وقال الأصمى : سمعت أعرابياً يعظ رجلاً وهو يقول :

« وَيَحْكُكُ ! إِنْ فَلَانًا وَإِنْ ضَمِكَ إِلَيْكَ ، فَإِنَّهُ يَضْحَكُ مِنْكَ ، وَلَوْ أَنَّ أَظْهَرَ  
الشفقة عليك ، إِنْ عَقَرَبَهُ لَتَسْرَى إِلَيْكَ ، فَإِنْ لَمْ تَتَّخِذْهُ عَدُوًّا فِي عِلَانِيَتِكَ ، فَلَا  
تَجْمَلُهُ صَدِيقًا فِي سِرِّرَتِكَ » . (زمر الآداب : ٣ : ١٦٤)

## ١٧ - أعرابي يعظ رجلا

وسمع أعرابي رجلاً يقع في السلطان ، فقال :

« إِنَّكَ غُفْلٌ لَمْ تَسْمَعْ التَّجَارِبُ ، وَفِي النَّصِيحِ لَسَعُ الْمُقَارِبِ ، كَأَنِّي  
بِالضَّاحِكِ إِلَيْكَ ، وَهُوَ بَاكِ عَلَيْكَ » . (زمر الآداب : ٣ : ١٦٤)

## ١٨ - كلام أعرابي لابن عمه

وشاور أعرابي ابن عمِّه له ، فأشار عليه برأى ، فقال :

« قَدْ قَاتَ بِمَا يَقُولُ بِهِ النَّاصِحُ الشَّفِيقُ الَّذِي يَخْلُطُ خُلُوْ كَلَامِهِ بِمُرَّةٍ ،  
وَحَزَنَةٍ بِسَهْلِهِ ، وَيَحْرُكُ الْإِشْفَاقُ مِنْهُ مَا هُوَ سَاكِنٌ مِنْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ وَعَيْتُ  
النَّصِيحَ مِنْهُ وَقَبِلْتَهُ ، إِذْ كَانَ مَصْدَرُهُ مِنْ عِنْدِ مَنْ لَا شَكَّ فِي مَوَدَّتِهِ ، وَصَافِي  
غَيْبِهِ ، وَمَا زِلْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَى الْخَيْرِ مَتَّبِعًا وَاضِحًا ، وَطَرِيقًا مَهِيْمًا <sup>(١)</sup> » .

(الأمالى : ٢ : ٨٧)





## ١٩ - كلمات حكيمة للأعراب

قيل لأعرابي : مَالَكْ لَا تَشْرَبُ النَّبِيذَ ؟ قَالَ : « لثَلَاثِ خِلَالٍ فِيهِ : لِأَنَّهُ مُتَلَفٌ لِلْمَالِ ، مُذْهَبٌ لِلْعَقْلِ ، مُسْتَقِطٌ لِلْمَرْوَةِ » .

وقال أعرابي : « الدَّرَاهِمُ مَيَاسِيمٌ <sup>(١)</sup> ، تَسِيمٌ حَمْدًا وَذَمًّا ، فَمَنْ حَبَسَهَا كَانَ لَهَا ، وَمَنْ أَنْفَقَهَا كَانَتْ لَهُ ، وَمَا كُلُّ مَنْ أُعْطِيَ مَالًا أُعْطِيَ حَمْدًا ، وَلَا كُلُّ عَدِيمٍ ذَمِيمٌ » .  
وقال أعرابي لأخ له : « يَا أَخِي إِنَّ مَالَكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ كُنْتَ لَهُ ، وَإِنْ لَمْ تُقْنِهِ أَفْنَاكَ ، فَكُلْهُ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَكَ » .

وقال أعرابي : « إِنْ الْمَوْفِقُ مَنْ تَرَكَّ أَرْفَقَ الْحَالَاتُ بِهِ ، لِأَصْلَحِهَا لِدِينِهِ ، نَظَرًا لِنَفْسِهِ ، إِذَا لَمْ تَنْظُرْ نَفْسُهُ لَهَا » .

وقال أعرابي : « إِنْ اللَّهَ تُخْلِفُ مَا أَتْلَفَ النَّاسُ ، وَالْذَهْرَ مُتْلِفٌ مَا أَخْلَفُوا ، وَكَمْ مِنْ مَيِّتَةٍ عَلَيْهَا طَلَبَ الْحَيَاةَ ، وَكَمْ مِنْ حَيَاةٍ سَبَّجَهَا التَّعَرُّضُ لِلْمَوْتِ » .

وقال أعرابي : « إِنْ الْآمَالُ قَطَعَتْ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ، كَالسَّرَابِ غَرَّ مَنْ رَأَاهُ ، وَأَخْلَفَ مِنْ رَجَاهُ » .

وقال أعرابي لصاحب له : « أَفْحَبَ مِنْ يَتَنَاسَى مَعْرُوفَهُ عَلَيْكَ ، وَيَتَذَكَّرُ حَقُوقَكَ عَلَيْهِ » .

وقال أعرابي : « لَا تَسْأَلْ مَنْ يَفِرُّ مِنْ أَنْ تَسْأَلَهُ ، وَلَكِنْ سَلْ مَنْ أَتَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى » .

وقال أعرابي : « ما بقاء مُخْمَرٍ تَقْطَعُ السَّاعَاتُ ، وسلامةُ بدنٍ مُعَرَّضٍ لِلْآفَاتِ ؟ ولقد عَجِبْتُ مِنَ الْمُؤْمِنِ أَكَيْفَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ ؟ وَهُوَ يَنْقُلُهُ إِلَى الثَّوَابِ الَّذِي أَحْيَا لَهُ لَيْلَهُ ، وَأَخْلَمْنَا لَهُ نَهَارَهُ . »

وذكر أهلُ السُّلْطَانِ عِنْدَ أَعْرَابِيٍّ قَالُوا : « أَمَا وَاللَّهِ لَنْ عَزَوْا فِي الدُّنْيَا بِالْجَوْرِ ، لَقَدْ ذَلَّوْا فِي الْآخِرَةِ بِالْعَدْلِ ، وَلَقَدْ رَضَوْا بِقَلِيلٍ فَإِنَّ ، عِوَضًا عَنْ كَثِيرٍ بَاقٍ ، وَإِنَّمَا تَزِلُّ الْقَدَمُ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ . »

وقال أعرابي : « مِنْ كَأَنِّ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، سَارَا بِهِ وَإِنْ لَمْ يَسِرْ ، وَبَلَّنَا بِهِ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ . »

وقال أعرابي : « الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا مِفْتَاحُ الرِّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ ، وَالزَّهَادَةُ فِي الْآخِرَةِ مِفْتَاحُ الرِّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا . »

وقيل لأعرابي وقد مرض : إِنَّكَ تَمُوتُ أَقَالَ : « وَإِذَا مِتُّ فَإِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ بِي ؟ » قَالُوا : « إِلَى اللَّهِ تَعَالَى » ، قَالَ : « فَاسْكَرَاهُنِي أَنْ يَذْهَبَ بِي إِلَى مَنْ لَمْ أَرَ الْخَيْرَ إِلَّا مَعَهُ ؟ »

وقال أعرابي : « مَنْ خَافَ الْمَوْتَ بَادَرَ الْمَوْتَ ، وَمَنْ لَمْ يُنَحِّ النَّفْسَ عَنِ الشَّهَوَاتِ ، أَسْرَعَتْ بِهِ إِلَى الْهَلَكَاتِ ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَمَامَكَ . »

وقال أعرابي : « خَيْرُ لَكَ مِنَ الْحَيَاةِ مَا إِذَا قَدَّرَتْهُ أَبْغَضْتَ لَهُ الْحَيَاةَ ، وَشَرُّهُ مِنَ الْمَوْتِ مَا إِذَا نَزَلَ بِكَ أَحْيَيْتَ لَهُ الْمَوْتَ . »

وقيل لأعرابي : مِنْ أَحَقِّ النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ ؟ قَالَ : « الْكَرِيمُ يُسَلِّطُ عَلَيْهِ النَّعِيمَ ، وَالْمَاعِلُ يُسَلِّطُ عَلَيْهِ الْجَاهِلُ . »

وقيل له : أى الداعين أحق بالإجابة ؟ قال : المظلوم ، وقيل له : فأى الناس أغنى عن الناس ؟ قال : « من أفرد الله بحاجته » .

وقال الأصمى : سمعت أعرابياً يقول : « إذا أشكل عليك أمران ، فانظر أيهما أقرب من هواك نخالفة ، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى » .  
وقال أعرابى : « الشرُّ عاجله لذيد ، وآجله وخيم » .

وقال أعرابى : « من ولد الخير أنتج له فراخاً تطير بأجنحة السرور ، ومن غرس الشر أنبت له نباتاً مرّاً مذاقه ، وقُضْبَانُهُ الغيظُ ، وثمرته الندم » .

وقال أعرابى : « من كساه الحياء ثوبه ، خفي على الناس عيبه » وقال : « بئس الزاد، التمدى على العباد » ، وقال : « التلطف بالحيلة ، أنفع من الوسيلة » ، وقال : « من ثقل على صديقه ، خف على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يملون » .

وقال أعرابى : « أعجزُ الناس مَنْ قَصَّرَ فى طلب الإخوان ، وأعجزُ منه مَنْ ضَيَّعَ من ظفر به منهم » .

وقال أعرابى لابنه : « لا يسرك أن تغلب بالشر ، فإن الغالب بالشر هو المغلوب » .

وقال أعرابى لأخ له : « قد نهيتك أن تريق ماء وجهك عند من لاءى فى وجهه ، فإن حظك من عطيته السؤال » .

وقال أعرابى : « إن حب الخير خير وإن عجزت عنه المقدرة ، وبغض الشر خير وإن فعلت أكثره » .

وقال أعرابي : « والله لولا أن الروءَ ثَقِيلٌ تَحْمِلُهَا <sup>(١)</sup> ، شديدة مؤثمتها ، مترك اللثام للكرام شيئا » .

واحتُفِرَ أعرابي ، فقال له بنوه : عِظْنَا يَا أَبَتِ ، فقال : « عاشروا الناس معاشرَةً ، إن غبتم حَنُوا إِلَيْكُمْ ، وإن مَتَمَّ بَكُوا عَلَيْكُمْ » .

ودخل أعرابي على بعض الملوك في شَمْلَةٍ <sup>(٢)</sup> شمر ، فلما رآه أعرض عنه ، فقال له : « إن الشَّمْلَةَ لا تكلمك ، وإنما يكلمك مَنْ هُوَ فِيهَا » .

وقال أعرابي : « رُبَّ رَجُلٍ سِرُّهُ مَنشُورٌ عَلَى لِسَانِهِ ، وَآخِرُ قَدِّهِ التَّحَفُ عَلَيْهِ قَلْبُهُ التَّحَافُ الْجَنَاحُ عَلَى الْخَوَافِ » .

وقيل لأعرابي : كيف كتمانك للسر ؟ قال : « ما جوفى لَهُ إِلَّا قَبْرٌ » .

ومرَّ أعرابيان بِرَجُلٍ صُلِبَ بِهِ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : أُنَبِّئُكَ الطَّاعَةَ ، وَحَصَدَتِ الْمَصِيْبَةُ ، وَقَالَ الْآخَرُ : « مَنْ طَلَّقَ الدُّنْيَا فَالْآخِرَةُ صَاحِبَتُهُ ، وَمَنْ فَارَقَ الْحَقَّ فَالْجَنَّةُ رَاحِلَتُهُ » .

وقال أعرابي : « إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ وَفَاءَ الرَّجُلِ ، وَدَوَامَ عَهْدِهِ ، فَانْظُرْ إِلَى حَيْنِهِ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَشَوْقِهِ إِلَى إِخْوَانِهِ ، وَبَكَائِهِ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ » .

وقال أعرابي : « إِذَا كَانَ الرَّأْيُ عِنْدَ مَنْ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ ، وَالسَّلَاحُ عِنْدَ مَنْ لَا يَسْتَعْمَلُهُ ، وَالْمَالُ عِنْدَ مَنْ لَا يَنْفَقُهُ ، ضَاعَتِ الْأُمُورُ » .

( القُدِّيرُ ٢ : ٨٥ - ٨٧ )

وقال أعرابي : « إِنْ الدُّنْيَا تَنْطَلِقُ بِغَيْرِ لِسَانٍ ، فَتُخْبِرُ عَمَّا يَكُونُ بِمَا قَدْ كَانَ » .

( القُدِّيرُ ٢ : ٨٠ )

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : « غَفَلْنَا وَلَمْ يَنْقُلِ الدَّهْرُ عَنَّا ، فَلَمْ

[١] الحمل في الأصل : شغل على البحر يحمل فيها الدليل . [٢] كساء دون اعطيفة يقتل به .

تَمِطُ بغيرنا ، حتى وُعِظَ غيرُنَا بنا ، فقد أدركت السعادة مَنْ تَنَبَّهَ ، وأدركت الشقاوة من غفل ، وكفى بالتجربة واعظاً . ( زمر الآداب ٢ : ٥٠ )

وقال أعرابي لرجل : « اشكرُ للنعيم عليك ، وَأَنْعِمِ على الشاكر لك ، تستوجب من ربك زيادته ، ومن أخيك مُناصحتَه » . ( زمر الآداب ٢ : ٦٠ )  
وتذاكر قوم صِلَةَ الرَّحِمِ ، وأعرابيٌ جالس ، فقال : « مَنْسَأَةٌ <sup>(١)</sup> في العمر ، مَرَضَاءُ للرب ، حَبَّةٌ في الأهل » . ( الأمل ١ : ٢١٧ )

وقال أعرابي : « لا أعرف ضُرّاً أَوْصَلَ إلى نِباطِ القلب ، من الحاجة إلى من لم تَتَّقِ بإسعافه ، ولا تَأْمَنَ رَدَّه ، وَأَكَلُ المصائب فَقْدُ خليلٍ لا عِوَضَ منه » .  
وقيل لأعرابي : أى شيء أمتع ؟ فقال : « مُمازحة المُحِبِّ ، ومحادثة الصديق ، وأمانى تقطع بها أيامك » .

وقال أعرابي : « من لم يَرْضَ عن صديقه إلا بإيثاره على نفسه ، دام سَخَطُهُ ، ومن عاتب على كل ذنب كثُرَ عدوُّه ، ومن لم يؤاخِر من الإخوان إلا مَنْ لا عِيبَ فيه قَلَّ صَدِيقُهُ » . ( الأمل ١ : ٢١٨ )

عن عبد الرحمن عن عمه قال : قلت لأعرابي ما تقول في المرء ؟ قال : « ما عسى أن أقول في شيء يُفْسِدُ الصداقة القديمة ، وَيَحُلُّ المُقَدَّةَ الوثيقة ، أَقلُّ ما فيه أن يكون دُزْبَةً للمعالية ، والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة » . ( الأمل ١ : ٢٥٨ )

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول : « لا يوجد العَجُولُ محموداً ، ولا النُضُوبُ مَسْرُوراً ، ولا المُلُولُ ذا إخوان ، ولا الحرُّ حريصاً ، ولا الشرُّ غنياً » .

وقال : سمعت أعرابياً يقول : « سُنْ عَقْلَكَ بِالْحِلْمِ ، وَتُرْوَدُ تَكَ بِالْكَفَافِ ، وَتُجَدُّ تَكَ بِجَانِبَةِ الْخَيْلَاءِ ، وَخَلَّتْكَ <sup>(١)</sup> بِالْإِجَالِ فِي الطَّلَبِ » . (الأمل ٢ : ٢٢)  
وقال : سمعت أعرابياً يقول : « أَقْبِحُ أَعْمَالُ الْمُتَعَدِّينِ الْإِتْقَامَ ، وَمَا اسْتَنْبِطَ الصَّوَابُ بِمَثَلِ الْمَشَاوِرَةِ ، وَلَا حُصِّلَتِ النِّعَمُ بِمَثَلِ الْمَوَاسَاةِ ، وَلَا اكْتَسَبَتِ الْبِفَضَاءِ بِمَثَلِ الْكَيْدِ » . (الأمل ٢ : ٢٢ ، وزمر الآداب ٢ : ٢)

✓ وقال أعرابي : « خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ يُبِيلُ عُرْفًا ، أَوْ يَدْفَعُ ضُرًّا » .  
(الأمل ٢ : ٤١)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول : « الْعَاقِلُ حَقِيقٌ أَنْ يُسْتَعْنَى بِنَفْسِهِ عَنِ الدُّنْيَا ، لَعَلَّهُ أَنْ لَا يَنَالَ أَحَدٌ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا قَلَّ إِمْتَاةُهُ بِهِ ، أَوْ كَثُرَ عَنَاوُهُ فِيهِ ، وَاشْتَدَّتْ مَرَزِقَتُهُ <sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ عِنْدَ فِرَاقِهِ ، وَعَظُمَتِ التَّبِعَةُ فِيهِ بَعْدَهُ » . (الأمل ٢ : ٤١)

وقال أعرابي : « خَصَلْتَانِ مِنَ الْكِرَمِ : إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ، وَمَوَاسَاةُ الْإِخْوَانِ » . (الأمل ٢ : ٧٢)

وقال أعرابي : « مَا غُبِنْتُ قَطُّ حَتَّى يُبَيِّنَ قَوْي » ، قيل : وكيف ذلك ؟  
قال : « لَا أَفْلُ شَيْئًا حَتَّى أَشَاوِرَ » . (البيان والبيان ٢ : ١٦١)

وقال أعرابي لرجل مَعْلَمَةٍ فِي حَاجَةٍ : « إِنْ مِثْلَ الظُّفْرِ بِالْحَاجَةِ تَحْجِيلُ الْيَأْسِ مِنْهَا ، إِذَا عَسَرَ قَضَاؤُهَا ، وَإِنْ الطَّلَبُ وَإِنْ قَلَّ ، أَعْظَمُ قَدْرًا مِنَ الْحَاجَةِ وَإِنْ عَظُمَتِ ، وَالْمَطْلُ مِنْ غَيْرِ عُسْرِ آفَةُ الْجُودِ » . (البيان والبيان ٢ : ٢٢١)

وقال أعرابي : « وَعَدَ الْكَرِيمُ تَقْدُّ وَتَحْجِيلُ ، وَعَدَ الْكَلِيمُ مَطْلٌ وَتَعْلِيلُ »  
(البيان والبيان ٢ : ٢٢١)

وقال أعرابي : « اعتذارُ من منع ، أنجلُ من وعدي نمتول » .

(الأمالي ٢ : ١٩٨)

وقال أعرابي : « عودُ لسانك الخير ، تسلمُ من أهل الشر » .

(ذيل الأمالي ص ٢٩)

وقال أعرابي : « خرجت ليلة حين انحدرت أيدي النجوم ، وشالت <sup>(١)</sup>

أرجلها ، فإزالت أصدع الليل حتى انصدع الفجر ، فإذا بجارية كأنها علم فجعلت أغازلها ، فقالت : يا هذا ، أنالكَ نايه من كرم ، إن لم يكن لك زاجر من عقل ؟ قال : والله ما يراني إلا الكواكب ! قالت : فأين مكوكبها ؟ » .

(المقد الفريد ٢ : ٩٤ ، والبيان والنبين ٢ : ٥١ ، وزهر الآداب ٢ : ٦)

## أجوبة الأعراب

### ٢٠ - مجاوبة أعرابي للحجاج

خرج الحجاج ذات يوم فأفصح <sup>(٢)</sup> ، وحضر غداؤه ، فقال : اطلبوا من يتغدى معي ، فطلبوا ، فإذا أعرابي في ثملة : فأقْبَ به ، فقال السلام عليكم ، قال : هَلُمَّ أيها الأعرابي ، قال : قد دعاني من هو أكرم منك فأجبتُه ، قال : ومن هو ؟ قال : دعاني الله ربِّي إلى الصوم ، فأنا صائم ، قال : وصومُ في مثل هذا اليوم الحار ؟ قال : صمت ليومٍ هو أحرُّ منه ، قال : فأفطر اليوم وصُمتُ غداً ، قال : وَيَضْمَنَ لي الأميرُ أني أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذاك إليهِ ، قال : فكيف تسألني عاجلاً بأجلٍ ، ليس إليهِ سبيل ؟ قال : إنه طعام طيب ، قال : والله

[١] ارتفعت : من شالت الثافة بذنها وأشالته : رفعته ، فشال هو .

[٢] أصمر : برز في الصحراء .

ما طيَّبه خَبَازَكَ ولا طَبَّاخَكَ ، قال : فَنَ طَيَّيْه ؟ قال : المافية ، قال الحجاج :  
تألفه إن رأيت كَالْيَوْمِ ! أخرجوه عني . (البيان والتبيين ٣ : ٢٣٤ ، والقلائد ٢ : ٨٧)

## ٢١ - مساء له الحجاج أعرابيا فصيحاً

وقال الحجاج لأعرابي كلمه فوجده فصيحاً : كيف تركت الناس وراءك ؟ فقال :  
« تركتهم - أصلح الله الأمير - حين تفرقوا في النيطان ، وأخذوا النيران ،  
وتشكَّت النساء ، وعَرَضَ الشاء ، ومات الكلب » ، فقال الحجاج لجلسائه :  
أخِصْباً نَسَتْ أم جَذْباً ؟ قالوا : بل جَذْباً ، قال : بل خِصْباً ، قوله : تفرقوا في  
النيطان<sup>(١)</sup> ، معناه : أنها أعشبت ، فلم يلهم وغنمهم تَزَعَى ، وأخذوا النيران ، معناه :  
استغنوا باللبن عن أن يشتروا لحوم إبلهم وغنمهم ويأكلوها ، وتشكَّت النساء  
أعضادهن ، من كثرة ما يَمَخَضُن<sup>(٢)</sup> الألبان ، وعَرَضَ الشاء : استن<sup>(٣)</sup> من كثرة  
النُشْب والمرعى ، ومات الكلب : لم تَمُتْ أغنائهم وإبلهم فياً كل جيفها .  
(ذيل الأمالي ص ٨٧)

## ٢٢ - مجاوبة أعرابي لعبد الملك بن مروان

ودخل أعرابي على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا أعرابي صف الحُرَّ ، فقال :  
شَمُولٌ إِذَا شَجُبَتْ ، وفي الكأس مَزَّةٌ لها في عِظَامِ الشارين دَيِّبٌ<sup>(٤)</sup>  
تُرِيكَ الْقَدَى من دونها وهي دُونَهُ لوجه أخيها في الإناء قُطُوبٌ<sup>(٥)</sup>

[١] جمع قاطط : وهو اللطيط الواسع من الأرض . [٢] مخض اللبن من بظ قطع ونصر وضرب  
أخذ زبد . [٣] استن : سمن ، سمن الإبل كنصر : إذا وطأها فأسمنها .  
[٤] الشمول : الحُرُّ أو الباردة منها ، لأنها تشعل برعها الناس ، أو لأن لها عصف كصفة الشمال ،  
وشج الفراء : مزجه . [٥] القدي : ما يقع في الغراب ، قطب كقرب قطباً وقطوباً : زوى ما بين  
عليه وكلع ، وأخوها : هو تبيذ الزيت ، واللى : أن الثالوثين يغلظونها عليه فيسربونها دونه ، فهو  
يغلب من أجل ذلك ، وفي أخيها يقول الشاعر :



فقال : ويحك يا أعرابي ! لقد اتهمك عندي حُسْنُ صفتك لها ، قال : « يا أمير المؤمنين ، واتهمك عندي معرفتك بحسن صفتي لها » .

( عيون الأخبار ٢ م : ص ٢١٥ )

## ٢٣ - مجاوبة أعرابي لخالد بن عبد الله القسري

وخطب خالد بن عبد الله القسري فقال :

« يا أهل البادية : ما أخشنَ بلدكم ، وأغلظَ معاشكم ، وأجنىَ أخلاقكم ، لا تشهدونُ جمعة ، ولا تجالسونَ عالماً ، فقام إليه رجل منهم دميم ، فقال : « أما ما ذكرت من خشونة بلدنا ، وغِلظ طماننا ، فهو كذلك ، ولكنكم معشرَ أهل الحضر ، فيكم ثلاثُ خصال ، هي شرٌّ من كلِّ ما ذكرت » ، قال له خالد : وما هي ؟ قال : « تنقبونَ الدور ، وتنبشونَ القبور ، وتنكحونَ الذكور » ، قال : « فَبَحَّك الله ، وقبح ما جئتَ به » . ( القدر الفريد ٢ : ١٢٧ )

## ٢٤ - أجوبة شتى

وقدَّم أعرابي إلى السلطان ، فقال له : قل الحق ، وإلاً أوجعتك ضرباً ، قال له : « وأنتَ فاعْمَلْ به ، فوالله ما أوعدك الله على تركه ، أعظم مما تُوعِدُنِي به » .

ونظر عثمان إلى أعرابي في شملة ، فأثر العينين ، مُشْرِفِ الحاجبين ، ناثٍ الجبهة ، فقال له : أين ربك ؟ قال : بِالْمِرْصَادِ !

وقيل لأعرابي : إنك تُحَسِّنُ الشَّارَةَ <sup>(١)</sup> ، قال : « ذلك عُنوانُ نعمة الله عندي » .

دع المرء يضربها النواة فإنني رأيت أحلاماً مقيماً بكانها  
فإلا يكنيا أو تكنه فإنه أخوها غدته أمه بليانها

[١] الشارة : اللباس والهبة والزينة .

وقيل لأعرابي : « كيف أنت في دينك ؟ قال : أخرقه بالمامى وأرقمه بالاستفغار . »

وسئل أعرابي عن القدر فقال : « الناظر في قدر الله كالناظر في عين الشمس ، يَرِفْ ضوءها ، ولا يقف على حدودها . »

وسئل آخر عن القدر ، فقال : « علم اختصمت فيه المقول ، وتناول فيه المختلفون ، وحق علينا أن يرد إلينا ما التبس علينا من حكمه ، إلى ما سبق علينا من علمه . » ( القدر الفرد ٢ : ٨٦ - ٨٧ )

وقيل لأعرابي : من أبلغُ الناس ؟ قال : « أحسنهم لفظاً وأسرعهم بديهة . »  
وقيل لأعرابي : مالك لا تطيل الهجاء ؟ قال : « يكفيك من القِلادة ما أحاط بالعتى . »

وقال معاوية لأعرابية : هل من قرى ؟ قالت : نعم ، قال : وما هو ؟ قالت : « خُبْرَ خَيْر ، ولبن فَطِير ، وماء نَمِير <sup>(١)</sup> . »

وقيل لأعرابي : فيم كنتم ؟ قال : « كنا بين قِذْرَتَقُور ، وكأْسِ تَدُور ، وحديث لا يَحُور <sup>(٢)</sup> . »

وقيل لأعرابي : ما أعددت للبرد ؟ قال : « شدة الرعدة ، وقرْقُصَاء القِمَدة ، وَذَرْب المِمَدة <sup>(٣)</sup> . »

وقيل لأعرابي : « مالك من الولد ؟ قال : قليلٌ مُخِيث ، قيل له : ما معناه ؟

[١] الخَيْر : القى اخضر ، وماء نَمِير : نلح ، عذبان أو غير عذب .

[٢] أى - لا يمتزج ، وربما كان لا يمتزج بلحم . [٣] القرقصاء : أن يجلس على أليته ، ويصق غذيه يمينه ، ويمشي يديه يضمهما على ساقيه ، أو يجلس على ركبتيه منكباً ، ويصق يمينه بيمينه ، ويتأبط كفيه ، والقرب : المدة ، واللعة كلمة وكسرة .

قال : « إنه لا أقل من واحد ، ولا أخبت من أنى »

وقيل لأعرابي - وقد أدخل ناقته في السوق ليبيها - صف لنا ناقتك ، قال :  
ما طلبت عليها قط إلا أدركت ، ولا طلبت إلا فُت ، قيل له : فلم تبعها ؟  
قال : لقول الشاعر :

وقد تُخرج الحاجاتُ يا أمَّ عامرٍ كرائمٍ من رَبِّ بهنٍ ضنين  
وقيل لأعرابي : ما عندكم في البادية طيب ؟ قال : « حُمُر الوحش لا تحتاج  
إلى يَنطار » .

وقيل لِشَرِيح القاضى : هل كلمك أحد قط فلم تُطِقْ له جواباً ؟ قال : ما أعلمه  
إلا أن يكون أعرابياً ، خاصم عندى وهو يشير يديه ، فقلت له : أمْسِك ، فإن  
لسانك أطول من يدك ، قال : « أسامرى أنت لا تُمس ؟ <sup>(١)</sup> » .

( العقد الفريد ٢ : ٩٧ )

وقيل لأعرابي : أى الألوان أحسن ؟ قال : « قصورٌ بيضٌ ، فى  
حدائق خُضر » .

[١] يشير إلى قوله تعالى : « قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ، قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ،  
فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا ، وَكَذَلِكَ سَوَّيْتُ لِي نَفْسِي ، قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ  
فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ » .

والسامرى : هو موسى بن ظفر السامرى نسبة إلى قبيلة من بنى إسرائيل يقال لها : السامرة ، وكان  
من قوم يبدون البقر ، وقع فى مصر ، فدخل فى بنى إسرائيل ، وآمن بموسى ، وكان منافقاً لا يزال فى قلبه  
عبادة البقر ، فلما ذهب موسى لمساعدة ربه قتل بنى إسرائيل ، وكانوا حين خرجوا من مصر حلوا معهم من  
حلى القبط التى أخذوها منهم رهائن على ما يقرضونهم من المال - فاتخذ لهم منها مجلداً له خواير . . .  
إلى آخر ما هو معروف فى القصة ، من أثر الرسول : أى من أثر حافر الرسول وهو جبريل ، والأثر :  
التراب الذى تحت حافره ، والمساس مصدر ماس ، وهو نقي أريد به النهى ، أى لا تمسنى ولا أسك .

وقيل لآخر : أى الألوان أحسن ؟ قال : « يَيْضَة <sup>(١)</sup> » ، فى رَوْضَة ، عن  
غِب سَارِيَّة ، والشَّس مُكَبَّدة . ( العقد الفريد ٢ : ٩٦ )

وخطب أعرابى إلى قوم فقالوا : ما تبذل من الصداق ؟ وارتفع السَّجَف <sup>(٢)</sup>  
فرأى شيئاً كرهه فقال : « والله ما عندى نقد ، وإنى لأكره أن يكون  
على دين » . ( ميون الأخبار م ٢ : ص ٢٠٠ )

وقيل لأعرابية مات ابنها : « ما أحسن عزاءك عن ابنك ا » ، قالت :  
« إن مصيبتى آمَنْتَنى من المصائب بعده » .

وقال محمد بن حرب الهلالى : قلت لأعرابى : « إنى لك لَوَادٌ » ، قال :  
« وإن لك من قلبى لَرَأْدًا » . ( البيان والتبيين ١ : ١٤٦ ، والبيان والتبيين ٢ : ٩٢ )  
وقال الأصمى : رأيت أعرابياً أمامه شاة ، فقلت : لِمَنْ هذه الشاة ؟ قال :  
« هى لله عندى » . ( العقد الفريد ٢ : ٨٦ ، و ميون الأخبار م ٢ : ص ٢٠٩ )

## قولهم فى الاستمناح والاستجداء

### ٢٥ — أعرابى يحتدى عتبة بن أبى سفيان

اعترض أعرابى لعتبة بن أبى سفيان ، وهو على مكة ، فقال : أيها الخليفة ،  
فقال : لستُ به ، ولم تُبْعِدْ ، قال : يا أخاه ، قال : أَسَمَّتَ قُتْل ، قال :  
« شيخ من بنى عامر يتقرَّب إليك بالمُؤْمَةِ ، ويختص بالخُتْلَةِ ، ويشكو  
إليك كثرة العيال ، ووَطْأَةَ الزَّمان ، وشدة فقر ، وتراذُفُ ضُرِّ ، وعندك ما يَسْمَعه

[١] اليَيْضَة : ساءة القوم ومجسم ، والدلورة : السحابة تسمى ليلا ، وكبت الشمس السماء : صارت  
فى كبد ما أى وسطها ، وفى الأصل « مكيدة » بالياء وهو تصحيف .  
[٢] السَّجَف بالفتح والكسر : التتر .

وَيَصْرِفُ عَنْهُ بَرْسَه ، قال : « أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكَ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَيْكَ ، قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِغِنَاكَ ، فَلَيْتَ إِصْرَاعِنَا إِلَيْكَ ، يَقُومُ بِإِطَائِنَا عَنْكَ » .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٠ ، والقدر الفريد ٢ : ٨١ )

## ٢٦ — أعرابي يجتدي عمر بن عبد العزيز

وَأَتَى أَعْرَابِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ :

« رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، سَاقَتْهُ إِلَيْكَ الْحَاجَةُ ، وَبَلَغَتْ بِهِ الْغَايَةَ ، وَاللَّهُ سَائِلُكَ عَنْ مَقَامِي غَدًا » ، فَقَالَ عُمَرُ : « وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ كَلِمَةً أَبْلَغَ مِنْ قَائِلٍ ، وَلَا أَوْعَظُ لِقَوْلٍ لَهُ مِنْهَا » .

( القدر الفريد ٢ : ٨٣ ، والأمال ٢ : ١٧٤ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٣١ )

## ٢٧ — خطبة أعرابي بين يدي هشام بن عبد الملك

وكَانَتْ الْأَعْرَابُ تَنْتَجِعُ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْخُطْبِ كُلِّ عَامٍ ، فَتَقْدَمُ إِلَيْهِمُ الْحَاجِبُ بِأَمْرِهِمُ بِالْإِيحَازِ ، فَقَامَ أَعْرَابِي ، فَحَمْدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ الْعَطَاءَ مَحَبَّةً ، وَالنَّعْيَ مَبْغِضَةً ، فَلَئِنْ نَحَبْتُكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُبْغِضَكَ <sup>(١)</sup> » ، فَأَعْطَاهُ وَأَجْزَلَ لَهُ . ( القدر الفريد ٢ : ٨٣ )

## ٢٨ — مقام أعرابي بين يدي هشام

وقام أعرابي بين يدي هشام فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَتْ عَلَى النَّاسِ ثَلَاثُ سِنِينَ ، أَمَّا الْأُولَى : فَلَحَّتِ <sup>(٢)</sup>

اللحم ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ : فَأَكَلَتِ الشَّخْمَ . وَأَمَّا الثَّالِثَةُ : فَهَاضَتِ <sup>(٣)</sup> الْعَظْمَ ، وَعِنْدَكُمْ

[١] يروى هذا لعمد بن أبي الجهم المدوي ، قاله في حضرة هشام أيضاً . انظر الجزء الثاني ص ٤٠٦ .

[٢] من لحا الشجرة : أخذ لحاءها ( بالكسر ) وهو قشرها . [٣] هاض العظم : كسره بيد

الجبور وهو مبيض ، وفي رواية : « وطام ألقى العظم » أي وصل إلى عيه ( بالكسر ) وهو مع العظم .

فُضُولُ أُمُوال ، فإن كانت لله فاقسِموها بين عبادِه ، وإن كانت لهم فقيمَ تُحْظَرُ<sup>(١)</sup> عنهم ؟ وإن كانت لكم فصدّقوا عليهم بها ، إن الله يَحْزِي المتصدقين » ، قال هشام : هل من حاجة غير هذه يا أعرابي ؟ قال : « ما ضربتُ إليك أكبادَ الابل ، أدْرِعُ الحَجِيرَ ، وأخوضُ اللَّجى لخاصٍ دونِ عامٍ » ، فأمر هشام بمال ، فقسّم بين الناس ، وأمر للأعرابي بمال ، فقال : « أكلُ المسلمين له مثلُ هذا ؟ » قالوا : « لا ، ولا يقوم بذلك بيتُ مال المسلمين » ، قال : « فلا حاجة لي فيما ينعث لآئمة الناس على أمير المؤمنين » .

(عيون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٨ والعقد الفريد ٢ : ٨٢)

## ٢٩ — أعرابي يستجدي عبيد الله بن زياد

وقال الثقبى : وقف أعرابي ياب عبيد الله بن زياد فقال :

« يا أهل الفضارة<sup>(١)</sup> ، حَقَبَ<sup>(٢)</sup> السَّحابُ ، واقشعَ الرِّيابُ ، واستأسدتِ الذئابُ ، ورُجِمَ الشَّمَدُ<sup>(٣)</sup> ، وَقَلَّ الحَفْدُ<sup>(٤)</sup> ، ومات الولدُ ، وكنت كثير العفاة<sup>(٥)</sup> ، صَحِبَ<sup>(٦)</sup> السَّقَاةَ ، عظيم الدَّلَاةَ<sup>(٧)</sup> لا اتصال الزمان ، وَغَفَلَ<sup>(٨)</sup> الحِذَّانُ ، حَتَّى حَلَلَّ<sup>(٩)</sup> ، وعدد ومال ، فَتَفَرَّقْنَا أَيَّدَى سَبَا<sup>(١٠)</sup> ، بين فقد الأبناء والآباء ،

[١] تعجب وتمتع . [٢] الفضارة : الحمة والسمة والحصب ، وفي الأصل : « الفضامة » وهو تحريف — والنضاضة القلة واللغة — . [٣] حب للطر وغيره : احتبس ، والرباب : السحاب الأبيض . [٤] التمدد كخش وسبب : الماء الطيل لامادة له . [٥] الحقد : الأموال جمع حقد . [٦] الغاة جمع حاف : وهو الوارد والضيف ، وكل طالب فضل أو رزق . [٧] وصف من السحب بالتحريك وهو شدة الصوت ، والغاة جمع ساق كفاش ، وفي الأصل « صب السحاب » وأراه عرجا . [٨] في الأصل : « عظيم الزلات » وأراه عرجا من « الدلالة » ، والدلالة كفضة جمع دال كفاش ، وهو التازع في الملو للثقبى به للماء من البئر . يقال : أدليت الفلو ودليت : إذا أرسلتها في البئر . ودلوها أدلوها فأنا دال : إذا أخرجتها . [٩] الغفل بالتحريك : الغفلة ، والحذنان : ثوب الدمع وحوادثه ، وفي الأصل : « ولا أعظم الحذنان » وأراه عرجا ، وربما كان الأصل « ولا يغفل الحذنان » بتكرير لام الجر . [١٠] الحلة بالكسر : القوم النازلون ، والمجمع حلال وحلل ككتاب وعنب ، وتطلق الحلة على البيوت مجازاً تسمية للحل باسم الحلة ، وهي مائة بيت لما فوقها . [١١] يقال : ذهبوا أيدي سبا ، وهرقوا أيدي سبا ، وأيادي سبا : أي تبدوا ، شهبوا بأهل سبأ لما

وكنْتَ حَسَنَ الشَّارَةِ<sup>(١)</sup> ، خَصِيبَ الدَّارَةِ<sup>(٢)</sup> ، سَلِيمَ الْجَارَةِ<sup>(٣)</sup> ، وَكَانَ مَحَلِّيَ  
يَحْيَى ، وَقَوْمِي أُسَى<sup>(٤)</sup> ، وَعَزَى جَدًّا<sup>(٥)</sup> ، قَضَى اللَّهَ - وَلَا رُجْمَانَ لِمَا قَضَى - بِسَوَافٍ<sup>(٦)</sup>  
الْمَالِ ، وَشَتَاتِ الرِّجَالِ ، وَتَغْيُرِ الْحَالِ ، فَأَعِينُوا مَنْ شَخَّصَهُ شَاهِدُهُ ، وَإِسَانُهُ  
وَإِفْدُهُ ، وَفَقْرُهُ سَائِقُهُ وَقَائِدُهُ . ( زمر الآداب ٣ : ٣٠٧ )

### ٣. - أعرابية تستجدي عبد الله بن أبي بكر

ودخلت أعرابية على عبد الله بن أبي بكر بالبصرة ، فوفقت بين  
السَّباطين<sup>(٧)</sup> فقالت :

« أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ وَأَمْتَعَ بِهِ ، حَدَرْتَنَا إِلَيْكَ سَنَةً اشْتَدَّ بِلَاؤُهَا ، وَانْكَشَفَ  
غِطَاؤُهَا ، أَقُوذُ صَبِيَّةٍ صَفَارًا ، وَآخَرِينَ كِبَارًا ، فِي بِلَدَةٍ شَاسِعَةٍ ، تَخْفِضُنَا خَافِضَةً ،  
وَتَرْفَعُنَا رَافِعَةً ، لِمِلْحَاتٍ مِنَ الدَّهْرِ ، بَرَيْنَ عَظْمِي ، وَأَذْهَبْنَ لِحْمِي ، وَتَرَكْنِي  
وَالِهَةً ، أَدُورُ بِالْخَضِيضِ ، وَقَدْ صَنَاقَ بِي الْبَلَدُ الْمَرِيضُ ، فَسَأَلْتُ فِي أَحْيَاءِ  
الْعَرَبِ : مَنْ الْكَامِلَةُ فُضَائِلُهُ ، الْمُعْطَى سَائِلُهُ ، الْمَكْنِيُّ نَائِلُهُ ؟ فَذَلَّلْتُ عَلَيْكَ  
- أَصْلَحَكَ اللَّهُ تَعَالَى - وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِنَ ، قَدْ مَاتَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الرَّافِدُ ،

مَرْقَمَهُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ كُلِّ مِزْقٍ ، فَأَخَذَ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ طَرِيقًا عَلَى حِدَةٍ ، وَالْيَدِ : الطَّرِيقُ . يُقَالُ : أَخَذَ  
الْقَوْمُ يَدَ بَعْرٍ ، قَلِيلَ الْقَوْمِ إِذَا تَفَرَّقُوا فِي جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ : ذَهَبُوا أَيْدَى سَبَا : أَيْ فَرَّقْتَهُمْ طَرَفَهُمُ الَّتِي  
سَلَكَوْهَا كَمَا تَفَرَّقُ أَهْلُ سَبَا فِي مَذَاهِبَ شَتَّى ، وَالْعَرَبُ لَا تَهْمُزُ سَبَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، لِأَنَّهُ كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ  
فَاسْتَقْتَلَوْا فِيهِ الْهَمْزَ ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ مَهْمُوزًا ، وَقَدْ بَنَوْا أَيْدَى سَبَا ، وَأَيْدَى سَبَا عَلَى السَّكُونِ لِكَوْنِهِ  
مَرْكَبًا تَرْكِيبَ حِمَّةٍ عَشْرَ .

[١] النَّارَةُ : الْهَيْئَةُ وَالْبَاسُ وَالرِّبَةُ وَالْجَمَالُ . [٢] الدَّارَةُ : الدَّارُ .

[٣] الْجَارَةُ ، مِنْ مَمَانِيَا : الزَّوْجَةُ . [٤] الْأُسَى جَمْعُ أَسْوَةٍ : وَهِيَ الْقُدْوَةُ .

[٥] الْجِدَا : الْعَطِيَّةُ ، وَالطَّرِيقُ الَّتِي لَا يَرِفُّ أَقْصَاهُ . [٦] السَّوَافُ بِالضَّمِّ وَبِفَتْحٍ : مَرَضُ الْإِبِلِ ،

وَسَوَافُ الْمَلِ بِسَوَافٍ وَبِسَافٍ : حَكٌّ ، أَوْ وَقْعٌ فِيهِ السَّوَافُ .

[٧] السَّباطانُ مِنَ النَّاسِ : الْجَانِبَانِ .

وَأَنْتَ بَعْدَ اللَّهِ غِيَاثِي ، وَمُتَّعْنِي أَمَلِي ، فَاقْضِ لِي إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ : إِمَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى بَلَدِي ، أَوْ تُحَسِّنَ صَفْدِي <sup>(١)</sup> ، أَوْ تَقِيمَ أَوْدِي ، فَقَالَ : بَلْ أَجْمَعُن لَكَ ، فَلَمْ يَزَلْ يَجْرِي عَلَيْهَا كَمَا يُجْرَى عَلَى عِيَالِهِ حَتَّى مَاتَ .  
( زهر الآداب ٣ : ٣٠٦ )

\* \*

وروى صاحب المقد قال :

قال الأصمعي : وقعت أعرابية على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما فقالت :

« إِنِّي أَتَيْتُ مِنْ أَرْضٍ شَاسِعَةٍ ، تَخْفِضُنِي خَافِضَةً ، وَتَرْفَعُنِي رَافِعَةً ، فِي بَوَادِي بَرٍّ لَحْمِي ، وَهَيْضَن <sup>(٢)</sup> عَظْمِي ، وَتَرَكْتَنِي وَالْهَيْةَ ، قَدْ ضَاقَ بِي الْبَلَدُ ، بَعْدَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ ، وَكَثْرَةِ مِنَ الْمَدَدِ ، لَا قَرَابَةَ تُؤْوِينِي ، وَلَا عَشِيرَةَ تَحْمِينِي ، فَسَأَلْتُ أَحْيَاءَ الْعَرَبِ ، مَنْ الْمَرْتَجَى سَيِّئُهُ <sup>(٣)</sup> ، لِلْأُمُومِ عَيْبُهُ ، الْكَثِيرُ نَائِلُهُ ، الْمَكْنِيُّ سَائِلُهُ ، فَذَلَّلْتُ عَلَيْكَ ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِينَ ، فَقَدْتُ الْوَلَدَ وَالْوَالِدَ ، فَاصْنَعْ فِي أَمْرِي وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنْ تُحَسِّنَ صَفْدِي ، وَإِمَّا أَنْ تَقِيمَ أَوْدِي ، وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى بَلَدِي » ، قَالَ : بَلْ أَجْمَعُن لَكَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهَا .

( القند الفريد ٢ : ٨٢ )

٣١ - أعرابي يستجدي خالد بن عبد الله القسري

ودخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري ، فقال :

« أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ : شَيْخٌ كَبِيرٌ ، حَدَّثَنِي إِيَّاكَ بِأَرِيَّةِ الْعِظَامِ <sup>(١)</sup> ، وَوُزْرَةِ

[١] الصند. العطاء . [٢] هاض الظم : كسره مد الجبور . [٣] السبب العطاء .

[٤] حدة : ساقه ، وغيرة الظام : أي الكبكبات التي تجري الظام ، مؤرقة : مهيبة ، من التأريث ،

ومو إلهاد النار .



الأسقام ، ومُطَوَّلَةُ الأعوام ، فذهبت أمواله ، وَذُعِدَّتْ<sup>(١)</sup> آباله ، وَتَمَيَّرَتْ أحواله ، فَإِنْ رَأَى الأمير أَنْ يَحْبِرَهُ بفضله ، وَيَنْعَشُهُ بِسَجَلِهِ<sup>(٢)</sup> ، ويردّه إلى أهله ! » فقال : كل ذلك ، وأمر له بعشرة آلاف درهم . ( الأمل ٢ : ٤٩ )

### ٣٢ — أعرابي يستجدي معن بن زائدة

وقَدِمَ أعرابي من بني كِنانة على مَعْن بن زائدة وهو باليمن فقال : « إني والله ما أعْرِفُ سَبَبًا بعد الإسلام وَالرَّحِمَ ، أفوى من رِحْلة مثلي من أهل السِّنِّ والحَسَبِ إليك من بلاده ، بلا سبب ولا وسيلة ، إلا دعاءك إلى المكارم ، ورغبتك في المعروف ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَضَعْنِي من نفسك بِمِثْ وَضَعْتُ نَفْسِي من رَجَائِكَ فافعل » فوصله وأحسن إليه . ( العقد الفريد ٢ : ٨٠ )

### ٣٣ — خطبة الأعرابي السائل في المسجد الحرام

عن أبي زيد قال : يَتَنَا أنا في المسجد الحرام إذ وقف علينا أعرابي فقال : « يا مسلمون ، إِنَّ الحمد لله ، والصلاة على نبيه ، إني امرؤ من أهل هذا اللَّطَاطِ الشَّرْقِيِّ المُوَاصِي أسياف تِهَامَةٍ<sup>(٣)</sup> ، عَكَفْتُ عَلَى سِنُونٍ مُحْشٍ<sup>(٤)</sup> ، فَاجْتَبَتِ الدُّرَى ، وَهَشَمَتِ العُرَى<sup>(٥)</sup> ، وَجَمَشَتِ النَّجْمَ ، وَأَنْجَحَتِ الْبَهْمَ<sup>(٦)</sup> ،

[١] ذُعِدَّتْ : فرقت ، وآبال جمع ابل . [٢] السجل في الأصل : الدلو العظيمة مملوءة .

[٣] اللطاط : كل شفير نهر أو واد ، والمواصي والمواصل واحد ، يقال : تواصى النبت : إذا اتصل بعضه ببعض ، وأسياف جمع سيف بالكسر : وهو سادل البحر . [٤] عَكَفْتُ : أقامت ، والسِنون الجدوب ، ومحش جمع محوش كعبور ، وهي التي تمحش ( يغم الحاء ) الكلا أي تمرقه .

[٥] اجنبت : قطعت واستأصلت ، وهشمت : كسرت ، والورى جمع عروة ، والعروة : النقطة من الشجر لا يزال باقياً على الجذع ترماء أمورها . [٦] جشت : احتلفت ، والهم : ما نهم ولم يستغل على ساق ، وأنجت : أي جعلتها مجاً ، والعجى : السيء الذناء المهزول .

وَحَمَّتِ الشَّحْمَ ، وَالتَّحَبَّتِ اللَّحْمَ ، وَأَحْجَنَتِ الْعَظْمَ <sup>(١)</sup> ، وَغَادَرَتِ التَّرَابَ مَوْرَأً ،  
وَالْمَاءَ غَوْرًا ، وَالنَّاسَ أَوْزَاعًا <sup>(٢)</sup> ، وَالتَّنَبَّطَ قُعَامًا ، وَالضَّهْلَ جُزَاًا ، وَالْمَقَامَ  
جَمْعًا <sup>(٣)</sup> ، يُصَبِّحُنَا الْمَاوَى ، وَيَطْرُقُنَا الْمَاوَى <sup>(٤)</sup> ، نَخْرُجُ لَا أَتْلَفَعُ بَوْصِيدَةً ،  
وَلَا أَتَقَوِّتُ هَيْبَةً <sup>(٥)</sup> ، فَالْبَخْصَاتُ وَقَمَةٌ ، وَالرُّكْبَاتُ زَلَامَةٌ ، وَالْأَطْرَافُ  
قَفْعَةٌ <sup>(٦)</sup> ، وَالْجِسْمُ مُسْلَمٌ ، وَالنَّظَرُ مُدْزِهِمٌ <sup>(٧)</sup> ، أَعْشُو فَأَغْطِشُ ، وَأَنْضَحِي  
فَأُخَفِّشُ <sup>(٨)</sup> ، أَسْهَلُ ظَالِمًا ، وَأُخْزِنُ رَاكِمًا <sup>(٩)</sup> ، فَهَلْ مِنْ أَمْرٍ يَمَيِّزُ <sup>(١٠)</sup> ، أَوْ دَاعٍ  
بِخَيْرٍ ؟ وَقَاكُمُ اللَّهُ سَطْوَةَ الْقَادِرِ ، وَمَلَكَهَ الْكَاهِرِ <sup>(١١)</sup> ، وَسُوءَ الْمَوَارِدِ ، وَفُضُوحَ  
الْمَصَادِرِ ، قَالَ : فَأَعْطَيْتُهُ دِينَارًا وَكُتِبَتْ كَلَامُهُ ، وَاسْتَفْسَرْتُهُ مَا لَمْ أَعْرِفْهُ .

(الأمل ١ : ١١٣)

### ٣٤ — خطبة الأعرابي السائل في المسجد الجامع بالبصرة

وروى الجاحظ قال :

قال أبو الحسن : سمعت أعرابياً في المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة

- [١] حمت : أذبت ، والعرب تقول : « حك ماأمك » أي أذابك ماأمرك ، والتحت اللحم : أي  
مرتته من العظم ، وأحجنت العظم : أي عودته قصيرته كالصبي . [٢] مارموراً : اضطرب وماج ،  
والنور : الفائر ، أوزاع : فرق . [٣] التنبط : اللاء التي يخرج من البئر أول ما تفرج ، والقياع  
لللاء اللوح للبر : والضهل : القليل من اللاء ، والجواز : أشد البلاء مرارة ، والجبياع : المكان الذي  
لا يطعم من قعره عليه . [٤] الماوى : الجراد ، والماوى : الدئب .  
[٥] التلغ : الاشتاء ، والوسيدة : كل نسيجة ، والمهيد : حب الخنظل يمالج حتى يطيب فيمتز .  
[٦] البخصات جمع بخصة ، وهي لحم باطن القدم ، ووقمة : من قولهم : وقع الرجل كفروح إذا اشتكى  
لحم باطن قدمه ، ورامة : متشقة وقمة ومقعة واحد ، وهي التي قد تقبضت ويست .  
[٧] للسلم : الخناس للذئب ، واللدوم : الضرب البصر التي قد ضف بصره من جوع أو مرض .  
[٨] أعشو : أطر : فأغطش : أصير غطشاً ( بكسر الطاء ) والنطش حركة : ضف في البصر ، وهي  
للشمس كفروح وهي : برز لها ، والمغش بالتحريك : ضف البصر خفة ، أو فساد في الجفون بلا وجع  
أو أن يبصر بالليل دون النهار . [٩] أسهل ظالماً : أي إذا مشيت في السهول ظلت ، وطلع كنت :  
عمر في منية ، وأخزن راكماً : أي إذا طوت الحزن وكنت أي كبرت لوجهي .  
[١٠] الليز : السطية ، من قولهم : مارم يرم ميراً . [١١] الكاهر والقاهر : واحد ، وقد قرأ  
بعضهم : « فَأَنَا الْيَتِيمَ فَلَا تَكْهَرْ » .

ثلاث وخمسين ومائة ، وهو يقول :

« أما بعد : فَإِنَّا أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْضَاءُ <sup>(١)</sup> طَرِيقٍ ، وَقَلَّ <sup>(٢)</sup> سَنَةٌ ، تَصَدَّقُوا عَلَيْنَا ، فَإِنَّهُ لَا قَلِيلَ مِنَ الْأَجْرِ ، وَلَا غِنَى عَنِ اللَّهِ ، وَلَا عَمَلٍ بَعْدَ الْمَوْتِ ، أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّا لَنَقُومُ هَذَا الْمَقَامَ ، وَفِي الصَّدْرِ حَزَازَةٌ <sup>(٣)</sup> ، وَفِي الْقَلْبِ غُصَّةٌ » .

( البیان والبیّن ٢ : ٤٦ )

### ٣٥ - صورة أخرى

وروى أبو عليّ القالى هذه الخطبة بصورة أخرى ، وهما كما :

عن يونس قال : وقف أعرابي في المسجد الجامع في البصرة فقال :

« قَلَّ النَّيْلُ ، وَتَقَصَّ الْكَيْلُ ، وَتَحَفَّتْ <sup>(٤)</sup> الْحِيلُ ، وَاللَّهُ مَا أَصْبَحْنَا نَنْفَخُ فِي وَضْعٍ <sup>(٥)</sup> ، وَمَا لَنَا فِي الدِّوَانِ وَشِمَّةٌ <sup>(٦)</sup> ، وَإِنَّا لَعِيَالٌ جَرَبَةٌ <sup>(٧)</sup> ، فَهَلْ مِنْ مُعِينٍ ، أَعَانَهُ اللَّهُ ، يُعِينُ ابْنَ سَبِيلٍ ، وَنِضْوَ طَرِيقٍ ، وَقَلَّ سَنَةٌ ؟ فَلَا قَلِيلَ مِنَ الْأَجْرِ ، وَلَا غِنَى عَنِ اللَّهِ ، وَلَا عَمَلٍ بَعْدَ الْمَوْتِ » . ( الأمل ٢ : ١٩٧ )

### ٣٦ - صورة أخرى

ورواها صاحب المقد فقال : وقف أعرابي على حلقة يونس فقال :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ ، أَنْ أَذْكَرَ بِهِ وَأَنْسَاءَ ، إِنَّا أَنَاسٌ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثُونَ رَجُلًا لَا نَدْفِنُ مَيْتًا وَلَا نَتَحَوَّلُ مِنْ مَنْزِلٍ وَإِنْ كَرِهْنَا ، فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا

[١] أنضاء جمع نضو كقرد وهو الهزول ، أى قد هزلنا وأمسنا سلوك الطريق .

[٢] السنة : الجذب والقص ، وقوم قل : منهزمون ، والجمع قول وأفلل ، أى هزلنا النشط .

[٣] الحزازة : وجع في القلب من غيظ ونحوه . [٤] هزلت . [٥] الوضع : اللبن ، مسمى

وخماً ليأضه . [٦] الوشمة : مثل الوشم في الفراخ ، يريد الخط .

[٧] الجربة : الكثير ، أو العيال يأكلون ولا ينعمون .

تصدق على ابن سبيل ، ونضو طريق ، وَقَلَّ سَنَةٌ ، فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت ، يقول الله عز وجل : « مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ الله قَرْضًا حَسَنًا » إن الله لا يستقرض من عوزٍ ، ولكن يُبَيِّتُ خيار عباده .  
( القدر الفريد ٢ : ٨٢ )

### ٣٧ - أعرابي يستجدي

وقال المدائني : سمعت أعرابياً يسأل وهو يقول :  
« رحم الله امرأ لم تَجْعُ أَذُنَاهُ كَلَامِي ، وَقَدَّمْ لِنَفْسِهِ مَعَاذَةً <sup>(١)</sup> مِنْ سُوءِ مَقَامِي ، فَإِنَّ الْبِلَادَ مُجْدِبَةٌ ، وَالْأَرْيَافَ مَضِيئَةٌ ، وَالْحَالُ سَيْئَةٌ <sup>(٢)</sup> ، وَالْحَيَاءُ زَاجِرٌ يَنْعَى عَنْ كَلَامِكُمْ ، وَالْمَذْمُومُ عَازِرٌ يَحْمِلُنِي عَلَى إِخْبَارِكُمْ ، وَالْأَمَاءُ إِحْدَى الصَّدَقَتَيْنِ ، فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً أَمَرَ بِغَيْرِ <sup>(٣)</sup> ، أَوْ دَمًا بِخَيْرٍ » ، فقال له بعض القوم : يَمْنُ الرِّجْلُ ؟ فقال : « يَمْنُ لَا تَنْفَعُكُمْ مَعْرِفَتُهُ ، وَلَا تَضُرُّكُمْ جَهَاتُهُ ، ذَلِكَ الْاِكْتِسَابُ ، يَنْتَعِ مِنْ عَزِّ الْاِكْتِسَابِ » .

( البيان والخبير ٣ : ٢١٧ ، والقدر الفريد ٢ : ٨١ ، والأمل ١ : ١٣٨ )

### ٣٨ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : أصابت الأعراب أعوام جذبة وشدة وجهد ، فدخلت طائفة منهم البصرة وبين يديهم أعرابي وهو يقول :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ، وَشُرَكَائُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ ، طَائِرٌ وَسَبِيلٌ ، وَأَفْئَالٌ بُوْئُسٌ ، وَصَرَغِي جَذَبٌ ، تَنَابَسَتْ عَلَيْنَا سِنُونُ ثَلَاثَةٍ ، فَخَبَرْتُ <sup>(٤)</sup> النَّهْمَ ،

[١] اللطافة واللطف والبهاد : الالتجاء . [٢] وفي الأمل « والحال مسبة » أي مجبة .

[٣] ملا عليه مهراً : جلب لهم الليرة ( بالكسر ) وهي الطعام ، وفي القدر : « رحم الله امرأ يجر » ، وداعياً يجر » .

[٤] خبره لطفه بالنيابة ، أو هي « خبرت » بالياء .

وأهلكك النعم ، فأكأننا ما بقي من جلودها فوق عظامها ، فلم نزل نعالاً بذلك أنفسنا ، ونمئى بالنيث قلوبنا ، حتى عاد نخنا عظاماً ، وعاد إشرافنا ظلاماً ، وأقبلنا إليكم يضرعنا الوعر ، ويكتنا<sup>(١)</sup> السهل ، وهذه آثار مصائبنا لأئحة في سماتنا ، فرحم الله متصدقاً من كثير ، ومؤاسياً من قليل ، فلقد عظمت الحاجة ، وكسف البال ، وبلغ المجهود ، والله يجزى المتصدقين .

### ٣٩ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : كنت في حلقة بالبصرة إذ وقف علينا أعرابي سائلاً ، فقال : « أيها الناس ، إن الفقر يهتك الحجاب ، ويُنزِر الكماب<sup>(٢)</sup> ، وقد حملتنا سِنُو المصائب ، ونسكبات الدهور ، على مَرَكَبِها الوعر ، فواسوا أبا أيتام ، ونضو زمان ، وطريد فاقة ، وطريح هلكة ، رحمكم الله » .

### ٤٠ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : وقف أعرابي علينا فقال : « يا قوم : تنابعت علينا سِنُون بتغير وانتقاص ، فاستركت لنا هُبماً ولا رُبماً<sup>(٣)</sup> ، ولا عافطة ولا نافطة<sup>(٤)</sup> ، ولا ناغية ولا راغية ، فأما نت الزرع ، وقتلت الضرع ، وعندكم من مال الله فضلُ نعمة ، فأعينوني من عطية ما آتاكم الله ، وارحموا أبا أيتام ، ونضو زمان ، فلقد خلقت أقباماً يرضون ولا يكفنون

[١] أى يسترنا . [٢] جارية كماب : نهد ثديها .

[٣] الهيم : الفصيل ينتج في آخر النتاج ، والريع : الفصيل ينتج في الربيع ، وهو أول النتاج .

[٤] المافطة : النسيجة ، من النقط : وهو الضرب ، عطف كضرب : ضربت فهي مافطة ، والنقط أيضاً : شبر الضأن تنثر بأنوفها كما ينثر الحمار ، والمافطة : المز ، من اللقط ، نطبت المز كضرب : نثرت بأفها أو عطفست وهي نافطة ، أو لأنها تغط يولها : أى تدفنه دفناً ، أو المافطة لإنباع المافطة ، أو المافطة : الأمة لإراعية ، والمافطة : الشاة .

ميتهم ، ولا ينتقلون من منزل وإن كرهوه ، ولقد مشيتُ حتى اتملتُ السماء ،  
وَجُفْتُ حتى أكلتُ التُّرى .

## ٤١ - أعرابية تستجدي

وقال الأصمعي : وقتت أعرابية فقالت :

« يا قوم سَنَّةٌ جَرَدَتْ ، وأيدٍ جُمِلَتْ ، وحالٌ جَهَّدَتْ <sup>(١)</sup> ، فهل من فاعلٍ  
غير ، وأمرٍ يُمَيِّزُ؟ رَحِمَ اللهُ من رَحِمَ ، فأقرضَ من لا يظلم . »

(الحد الفريد ٢ : ٨٠ - ٨٤)

## ٤٢ - أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي بقوم فقال :

« أشكو إليكم أيها اللأزمانا ، كلَّح في وجهه ، وأناخ على يَكلِّكَلَه ، بد  
نعمة من المال ، وثروة من المال ، وَغِبْطَةٌ من الحال ، اعتورتني جدائده <sup>(٢)</sup> ، يَنْبَلِ  
مصائبه ، عن قَبِيٍّ نوابه ، فاستركألى ناعية <sup>(٣)</sup> أجتدي ضررها ، ولا راعية  
ارتجى قعها ، فهل فيكم من مُبِينٍ على صَرْفه ، أو مُعَدٍّ <sup>(٤)</sup> على حَتْفه ؟ ، فرد  
القوم عليه ، ولم يُبْلِوه شيئاً ، فأنشأ يقول :

قد ضاع من يأكل من أمثالكم جُوداً ، وليس الجودُ من فِعالكم  
لا بارك الله لكم في مالكم ولا أزاح السوء عن عِيالكم  
فالفقر خيرٌ من صلاح حالكم

[١] جهده للرضى كح : موه .

[٢] سنة جداه : محلة مجبة ، والجداء من كل حلوبة : القامحة اللبن من عيب ، والجدوة :  
القلبة العنبر من غير عيب ، والجمع جدائد وحلاد . [٣] الناعية : العاة من التفاء بالضم ، وهي صود  
الضم ، والراعية : الناقة ، من الرعاء ، وهو صوت الإبل .  
[٤] مُعَدٍّ : أعداه عليه : نمر . وأناه وقراه .

### ٤٣ - أعرابي يستجدي

وَسَمِعَ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ وَهُوَ يَقُولُ :

« يَا قَوْمَ تَصَدَّقُوا عَلَى شَيْخٍ مُعِيلٍ ، وَعَابِرِ سَبِيلٍ ، شَهِدَ لَهُ ظَاهِرُهُ ، وَسَمِعَ شَكْوَاهُ خَالِقُهُ ، بَدَنُهُ مَطْلُوبٌ ، وَثَوْبُهُ مَسْلُوبٌ » ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ :

رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ فِي دِيَّةٍ لَزِمْتَنِي ، قَالَ : فَمَنْ هِيَ ؟ قَالَ : مِائَةٌ بَعِيرٍ ، قَالَ :

دُونَكُمَا فِي بَطْنِ الْوَادِي . ( المقفلة ٢ : ٨٢ - ٨٣ )

### ٤٤ - أعرابي يستجدي

وَوَقَفَ أَعْرَابِي عَلَى قَوْمٍ فَقَالَ :

« إِنَّا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْصَاءُ طَرِيقٍ وَقَلْبِيَّةٌ <sup>(١)</sup> » ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَعْطَى مِنْ سَعَةٍ ، وَوَأَسَى مِنْ كِفَافٍ .

فَأَعْطَاهُ رَجُلٌ دَرَاهِمًا فَقَالَ : « آجَزَكَ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْتَلِيكَ » .

### ٤٥ - أعرابي يستجدي

وَوَقَفَ أَعْرَابِي بِقَوْمٍ فَقَالَ :

« يَا قَوْمَ : تَتَابَعْتَ عَلَيْنَا سِنُونَ جَمَادٍ <sup>(٢)</sup> شِدَادٍ ، لَمْ يَكُنْ لِلسَّمَاءِ فِيهَا رَجْعٌ <sup>(٣)</sup> ، وَلَا لِلْأَرْضِ فِيهَا صَدْعٌ <sup>(٤)</sup> ، فَغَضِبَ الْعِدُّ <sup>(٥)</sup> ، وَنَشِيفَ الْوَشْلُ ، وَأَنْحَلَ الْخِصْبُ ،

[١] أى وحال قاسية ، وربما كان الأصل « وظل سنة » . [٢] الجداد : السنة التى لا مطر فيها .

[٣] الرجوع : الطر ، لعمدة كل حين . [٤] أى انشقاق عن النبات ، اقتبسه من الآية الكريمة :

« وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضُ ذَاتِ الصَّدْعِ » .

[٥] العد : الماء الجارى الذى له مادة لا تنقطع كما الحين ، وغضب الماء : غار ، والوشل : الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ، ولا يتصل قطره ، ونشيف الماء فى الأرض : ذهب « ونشف الخوض الماء شربه » وأعمل : أجيب .

وَكَلَّحَ الْجَذْبَ ، وَشَفَّ<sup>(١)</sup> الْمَالَ ، وَكَسَفَ الْبَالَ ، وَشَطَفَ الْمَاشَ ، وَذَهَبَ  
الرَّيَاشُ ، وَطَرَحْتُ الْأَيَّامَ إِلَيْكُمْ غَرِيبَ الدَّارِ ، نَائِيَ الْمَحَلِّ ، لَيْسَ لِي مَالٌ أَرْجِعُ  
إِلَيْهِ ، وَلَا عَشِيرَةٌ أَحَقُّ بِهَا ، فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً رَحِمَ اغْتِرَابِي ، وَجَعَلَ الْمَعْرُوفَ  
جَوَابِي . ( الطغدي الفرید ٢ : ٨٠ )

#### ٤٦ — أعرابية تستجدي

وخرج المهدي يطوف بعد هدأته<sup>(٢)</sup> من الليل ، فَسَمِعَ أعرابية من جانب  
المسجد ، وهي تقول :

« قوم متظلمون ، نَبَتَ<sup>(٣)</sup> عَنْهُمْ المَيُوتُ ، وَفَدَحَتْهُمْ الدِّيُونُ ، وَعَصَفَتْهُمْ  
السَّنُونُ ، بَادَتْ رِجَالَهُمْ ، وَذَهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ ، وَكَثُرَ عِيَالُهُمْ ، أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْصَاءُ  
طَرِيقٍ ، وَصِيَّةُ اللَّهِ وَوَصِيَّةُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَلْ مِنْ امْرَأَةٍ يُبْحِرُ ؟  
كَأَلَا اللَّهُ فِي سَفَرِهِ ، وَخَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ . »

فَأَمَرَ نَصِيرَ الخَادِمِ ، فَدَفَعَ إِلَيْهَا خَمْسَ مِائَةِ دِرْهَمٍ .

( الطغدي الفرید ٢ : ٨٠ ، وَزَمَرَ الْأَدَبُ ٣ : ٢٤٤ )

#### ٤٧ — أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي في شهر رمضان على قوم فقال :

« يَا قَوْمَ : لَقَدْ خَسَمْتُ هَذِهِ الْفَرِيضَةَ عَلَى أَفْوَاهِنَا مِنْ صُبْحِ أَمَسٍ ، وَمَعَى  
بَنْتَانٍ لِي ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُهُمَا تَحَلُّتَا بِجَلَّالٍ ، فَهَلْ رَجُلٌ كَرِيمٌ يَرْحَمُ الْيَوْمَ مَقَامَنَا ،  
وَيُرِدُّ حُشَاكَشَدْنَا<sup>(٤)</sup> ؟ مَنَعَهُ اللَّهُ أَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ ، فَإِنَّهُ مَقَامُ ذُلٍّ وَعَارٍ وَصَغَارٍ . »

[١] شَفَّ : رَقَّ ، وَالشَّطَفَ بِالْتَحْرِيكِ : يَسِسُ الْبَيْتَ وَشَدَّهُ ، وَالرَّيَاشُ : اللَّيْلُ وَالْحَصْبُ وَالطَّاشُ

[٢] أَوْ حِينَ هَدَأَ النَّائِلَ ، أَوْ حِينَ أَوَّلَ اللَّيْلِ إِلَى ثَلَاثَةِ .

[٣] انْقَضَتْهُمْ وَازْدَرَتْهُمْ ، وَفَدَحَتْهُمْ : أَهْلَتْهُمْ .

[٤] الْحَشَاةُ : بَجِيَّةُ الرُّوحِ فِي اللَّيْلِ ، وَالصَّغَارُ : الْقِلَّةُ .



فافترق القوم ولم يعطوه شيئاً ، فالتفت إليهم حتى تأملهم جميعاً ، ثم قال :  
« أَشَدُّ وَاللَّهِ عَلَى مَنْ سُوءَ حَالِي وَفَاتِي ، تَوَهَّمِي فِيكُمْ الْمَوَاسَاةَ ، أَنْتَعِلُوا الطَّرِيقَ ،  
لَا تَحْبِكُمُ اللَّهُ ! » . ( العدد العريد ٢ : ٨٢ )

#### ٤٨ - أعرابي يستجدي

وقام أعرابي ليسأل فقال :  
« أَيْنَ الْوَجْهُ الصَّبَاحُ <sup>(١)</sup> ، وَالْمَقُولُ الصَّحَاحُ ، وَالْأَلْسُنُ الْفِصَاحُ ،  
وَالْأَنَسَابُ الصَّرَاحُ <sup>(٢)</sup> ، وَالْمَكَارِمُ الرِّبَاحُ ، وَالصُّدُورُ الْفَسَاحُ ؟ تُعِيزُنِي مِنْ  
مَقَامِي هَذَا » . ( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٢ )

#### ٤٩ - أعرابي يستجدي

ودعا أعرابي في طريق مكة ، فقال :  
« هَلْ مِنْ حَائِدٍ بِفَضْلٍ ، أَوْ مُوَاسٍ مِنْ كِفَافٍ ؟ <sup>(٣)</sup> » ، فَأَمْسِكَ عَنْهُ  
فَقَالَ : « اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا فَنَعْجِزَ ، وَلَا إِلَى النَّاسِ فَتَنْضِعَ » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٤ )

#### ٥٠ - أعرابي يستجدي

وقف أعرابي فسأل قوماً فقالوا له : عَلَيْكَ بِالصَّيَّارِفَةِ ، قَالَ : هُنَاكَ وَاللَّهِ  
قَرَارَةُ اللَّوْمِ ! ( البيان والتبيين ٢ : ٤٨ )

#### ٥١ - أعرابي يستجدي

وسأل أعرابي ناساً فقال : « جَعَلَ اللَّهُ حَظَّكُمْ فِي الْخَيْرِ ، وَلَا جَمَلَ حَظِّ  
السَّائِلِ مِنْكُمْ عِذْرَةً <sup>(٤)</sup> صَادَقَةٌ » . ( البيان والتبيين ١ : ٢١٥ )

[١] جمع صبيحة وهي الجيلة من الصباحة كفضاحة أي الجمال . [٢] جمع صريحة وهي الحفنة الخالصة  
[٣] الكفاف من الرزق : ما كفى عن الناس وأغنى . [٤] العذرة : اسم من العذر

## ٥٢ - أعرابي يستجدي

وسأل أعرابي ، فقال له صبي من جوف الدار : « بُورِكَ فيكَ ، فقال : قَبَّحَ اللهُ هذا القَمَّ ، لقد تعلَّم الشرَّ صغيراً » . ( البيان والبيان ٣ : ١٣٦ )

## ٥٣ - أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي على قوم فنموه ، فقال :  
« اللهم اشغَلْنَا بِذِكْرِكَ ، وَأَعِزَّنَا مِنْ سُخْطِكَ ، وَأَوْرِجْنَا إِلَى عَفْوِكَ ، فَقَدْ ضَنَّ خَلْقُكَ بِرِزْقِكَ ، فَلَا تَشْغَلْنَا بِمَا عِنْدَ مَنْ عَنْ طَلَبِ مَا عِنْدَكَ ، وَأَتَانَا مِنَ الدُّنْيَا الْقُنْعَانُ <sup>(١)</sup> ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرَهَا يُسْخِطُكَ ، فَلَا خَيْرَ فِيمَا يُسْخِطُكَ » .  
( البيان والبيان ٤ : ٢٧٤ )

## ٥٤ - أعرابي يستجدي

وقال أبو الحسن : وقف علينا أعرابي فقال :  
« أَخْ فِي كِتَابِ اللهِ ، وَجَارِي بِلَادِ اللهِ ، وَمَطَالِبُ خَيْرٍ مِنْ رِزْقِ اللهِ ، فَهَلْ فِيكَ مِنْ مُوَاسِيَةٍ فِي اللهِ ؟ » .  
وسأل أعرابي رجلاً ، فاعتلَّ عليه فقال : « إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا ، فَجَمَلِكَ اللهُ صَادِقًا » . ( القدر الفريد ٢ : ٨٤ )

## ٥٥ - أعرابي يسأل رجلاً حاجة له

أتى أعرابي رجلاً (لم تكن بينه وبينه حُرْمَةٌ) في حاجة له ، فقال :  
« إِنِّي امْتَطَيْتُ إِلَيْكَ الرَّجَاءَ ، وَسِرْتُ عَلَى الْأَمَلِ ، وَوَقَدْتُ بِالشُّكْرِ ، وَتَوَسَّلْتُ بِحَسَنِ الظَّنِّ ، فَحَقَّقْتُ الْأَمَلَ ، وَأَحْسِنِ الثَّقُوبَةَ ، وَأَكْرِمِ الْقَصْدَ ، وَأَتِمِّمِ الْوَدَّ ، وَتَجَلَّ الْمُرَادُ » . ( القدر الفريد ٢ : ٨٢ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦٥ )

## قولهم في بكاء الموتي

٥٦ - أعرابية تبكي ابنها

وَحَجَّتْ أَعْرَابِيَةً وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا فَأَصِيبَتْ بِهِ ، فَلَمَّا دُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ وَجَعَةٌ فَقَالَتْ :

« وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَدَوْتُكَ رَضِيْعًا ، وَفَقَدْتُكَ سَرِيْعًا ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَالِيْنَ مَدَّةُ أَلْتَدُّ بِعَيْشِكَ فِيهَا ، فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النَّصَارَةِ وَالْفَضَارَةِ <sup>(١)</sup> ، وَرَوْنَقِ الْحَيَاةِ ، وَالتَّنَسُّمِ فِي طِيبِ رَوَائِحِهَا ، تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا ، وَرُفَاتًا مَحِيْقًا ، وَصَعِيدًا جُرُزًا <sup>(٢)</sup> .

أَيُّ بَنِي لَقَدْ سَجَبَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ الْفَنَاءِ ، وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْبَلَى ، وَرَمَتْنِي بِمَدِّكَ نَكْبَةَ الرَّدَى ، أَيُّ بَنِي لَقَدْ أَسْفَرَ لِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحُ دَاجٍ ظِلَامُهُ <sup>(٣)</sup> ، ثُمَّ قَالَتْ :

أَيُّ رَبٍّ ، وَمَنْكَ الْمَدْلُ ، وَمِنْ خَلْقِكَ الْجُوزُ ، وَهَبْتَهُ لِي قُرَّةَ عَيْنٍ ، فَلَمْ تَمْتَعْنِي بِهِ كَثِيرًا ، بَلْ سَكَبْتَنِيهِ وَشِيكًا <sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ ، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجَرَ ، فَصَدَقْتُ وَعْدَكَ ، وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ ، فَرَجِمَ اللَّهُ مِنْ تَرْحَمٍ عَلَيَّ مِنْ أَسْتَوْدَعْتُهُ الرِّدْمَ <sup>(٥)</sup> ، وَوَسَدْتُهُ الثَّرَى ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتَهُ ، وَأَنْسِ وَحْشَتَهُ ، وَأَسْأَلُكَ عَوْرَتَهُ ، يَوْمَ تَنْكَشِفُ الْهَنَاتُ <sup>(٦)</sup> وَالسُّوءَاتُ .

[١] النصارة : العمة والحسن والقي ، والنضارة أيضاً : النعمة والسعة والمحب

[٢] أطباق جمع طبق : وهو وجه الأرض ، والرافات : الحطام ، وسحيقاً : مسحوقاً ، والصعيد : التراب ، أو وجه الأرض ، وأرض جرز : لانتبت ، أو أكل نباتاً ، أو لم يصبها مطر .

[٣] أسفر الصبح وسفر كقرب : أضاء وأدرك ، داج : قال الأصمى : دبا الليل ، إنما هو ألبس كل شيء ، وليس هو من الطلعة ، قال : ومه قولهم : دبا الإسلام أي قوى ، وألبس كل شيء .

[٤] سرياً . [٥] الردم : السد ، وما يسقط من الجدار التهدم . [٦] السيئات .

فلما أرادت الرجوع إلى أهلها وقفت على قبره فقالت :

أى بنى : إني قد ترودت لسفري ، فليت شِعْرِي ، ماذا لك أئخذ طريقك ،  
ويوم مَعَادِك ! اللهم إني أسألك له الرضا برضاي عنه ، ثم قالت :

استودعتك من استودعتك في أحشائي جَنِينًا ، وأُكْلَ الوالدات !  
ما أَمَصَّ <sup>(١)</sup> حرارة قلوبهن ، وأُفْلَقَ مضاجعهن ، وأطولَ ليلهن ، وأقصَرَ  
نهارهن ، وأقلَّ أنسهن ، وأشدَّ وحشتهن ، وأبعدهن من السرور ، وأقربهن  
من الأحزان .

فلم تزل تقول هذا ونحوه ، حتى أبكت كل من سمعها ، وحمدت الله عز  
وجل ، واسترجعت وصلت رَكَمَاتٍ عند قبره وانطلقت . ( زمر الآداب ٧ : ٧ )

## ٥٧ — حديث امرأة سكنت البادية قريباً من قبور أهلها

وروى أبو علي القالي : عن عبد الرحمن من عمه قال :

« دَفَعْتُ يوماً في تَلْشِي بالبادية إلى وادٍ خَلَاءٍ لَا أُنِيسَ بِهِ إِلَّا يَتُّ مُنْتَزِرٌ <sup>(٢)</sup> ،  
فَبِنَاؤُهُ أَعَزُّ ، وَقَدْ ظَلِمْتُ فَيَمَّتْهُ ، فَسَلْتُ إِذَا عَجُوزٌ قَدْ بَرَزَتْ ، كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ  
رَاحِمٌ <sup>(٣)</sup> ، فَقُلْتُ : هَلْ مِنْ مَاءٍ ؟ فَقَالَتْ : أَوْ لَبَنٍ ، فَقُلْتُ : مَا كَانَتْ يُبْعِثِي إِلَّا  
الْمَاءُ ، إِذَا يَسَّرَ اللَّهُ اللَّبَنَ فَإِنِّي إِلَيْهِ فَقِيرٌ ، فَقَامَتْ إِلَى قَنْبٍ <sup>(٤)</sup> فَأَفْرَغَتْ فِيهِ مَاءً ،  
وَنَظَّفَتْ غَسَلَهُ ، ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى الْأَعَزِّ ، فَتَغَبَّرْتُهُنَّ <sup>(٥)</sup> حَتَّى احْتَلَبْتُ قُرَابَ <sup>(٦)</sup> »

[١] مضه الشيء : بلغ من قلبه الحزن به كما مضه .

[٢] منفرد . [٣] الراحم : التي تحضن يفتها ، أرحمت العجاجة على يفتها ورحمت طيه

غهي مريحه وراحم .. [٤] القنب : قدح إلى الصفر ، ويخبه به المافر .

[٥] أى احتلبت اللبن ( كغفل ) : وحى بقية اللبن في الصرع ، وجمه أجار .

[٦] قراب وقريب واحد ، مثل كبار وكبير وجسام وجسيم .

مِلْهُ الْقَعْب ، ثُمَّ أَفْرَغَتْ عَلَيْهِ مَاءً حَتَّى رَفَا وَطَقَتْ مُمَّاكَّتَهُ <sup>(١)</sup> ، كَأَنَّهَا نَعْمَامَةٌ  
يَيْضَاءُ ، ثُمَّ نَاوَلَتْهُ إِيَّاهُ ، فَشَرِبَتْ حَتَّى تَحَبَّيَّتْ <sup>(٢)</sup> رِيًّا وَاطْمَأْنَنْتْ ، فَقُلْتُ :  
إِنِّي أَرَاكَ مَعْتَزَةً فِي هَذَا الْوَادِي الْمَوْحِشِ ، وَالْحِلَّةُ <sup>(٣)</sup> مِنْكَ قَرِيبٌ ، فَلَوْ  
انضَمَمْتَ إِلَى جَنَابِهِمْ فَأَنْسَتْ بِهِمْ ! فَقَالَتْ :

« يَا بَنَ أَخِي ، إِنِّي لَا نَسُ بِالْوَحْشَةِ ، وَأَسْتَرْجِحُ إِلَى الْوَحْدَةِ ، وَيَطْمَئِنُّ قَلْبِي  
إِلَى هَذَا الْوَادِي الْمَوْحِشِ ، فَأَتَذَكَّرُ مَنْ عَهَدْتُ ، فَكَأَنِّي أَخَاطِبُ أَعْيَانَهُمْ ،  
وَأَتَرَاءِي أَشْبَاحَهُمْ <sup>(٤)</sup> ، وَتَتَخَيَّلُ لِي أُنْدِيَّةُ رَجَالِهِمْ ، وَمَلَاعِبُ وَلَدَانِهِمْ ،  
وَمُنْدَى <sup>(٥)</sup> أُمُورِهِمْ ، وَاللَّهُ يَا بَنَ أَخِي لَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا الْوَادِي بَشَعَ اللَّدِيدِينَ <sup>(٦)</sup>  
بَأَهْلٍ أَذْوَاحٍ وَقِيَابٍ ، وَنَعَمٍ كَالْهَضَابِ ، وَخَيْلٍ كَاللَّذَّائِبِ ، وَفَتَيَانٍ كَالرَّمَاكِ  
يَبَارُونَ الرِّيحَ ، وَيَحْمُونَ الصَّبَاحَ <sup>(٧)</sup> ، فَأَحَالُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ قَرًّا بِغَرَفَةٍ <sup>(٨)</sup> ،  
فَأَصْبَحَتِ الْآثَارُ دَارِسَةً ، وَالْمَحَالُ طَامِسَةً ، وَكَذَلِكَ سِيرَةُ الدَّهْرِ فِيمَنْ وَثِقَ بِهِ »  
ثُمَّ قَالَتْ : ارْزَمْ بَعِينِكَ فِي هَذَا الْمَلَأِ الْمَتَبَاطِنِ <sup>(٩)</sup> ، فَفَنظَرْتُ فَإِذَا قُبُورٌ نَحْوُ  
أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ ، فَقَالَتْ : أَلَا تَرَى تِلْكَ الْأَجْدَاثَ ؟ قُلْتُ نَعَمْ ، قَالَتْ :  
مَا انْطَوَتْ إِلَّا عَلَى أَخٍ أَوْ ابْنِ أَخٍ ، أَوْ عَمٍّ أَوْ ابْنِ عَمٍّ ، فَأَصْبَحُوا قَدْ أَلَمَّاتٌ <sup>(١٠)</sup>  
عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ ، وَأَنَا أَتَقَرَّبُ مَا غَالَهُمْ ، أَنْصَرِفُ رَاشِدًا وَرَحِمَكَ اللَّهُ . (الأمالي ٢ : ٧)

[١] التَّمَلُّة : الرِّغْوَةُ « وَهِيَ مِثْلَةُ الرِّاءِ » . [٢] اِمْتَلَأَتْ . [٣] الْحِلَّةُ : جَمَاعَةُ بَيْوتِ الْمَسْكَنِ  
وَالْجَمْعُ حِلَالٌ كَكِتَابٍ . [٤] أَشْخَاصُهُمْ جَمْعُ شَيْخٍ كَشَمْسٍ وَسَبَبٍ .  
[٥] التَّنْدِيَّةُ : أَنْ يُوْرِدَ الرَّجُلُ لِمِثْلِهِ ، ثُمَّ يَرْطَاهَا ، ثُمَّ يُوْرِدُهَا ، ثُمَّ يَرْطَاهَا ، وَلِلنَّدَى : الْمَكَانُ الَّذِي  
يَنْدَى فِيهِ الْمَاءُ . [٦] بَشَعَ : مَلَأَ ، وَاللَّدِيدَانُ : الْجَانِبَانِ ، وَالذُّوْحَةُ : الشَّجَرَةُ الطَّيْمَةُ .  
[٧] الصَّبَاحُ جَمْعُ صَبِيحَةٍ : وَهِيَ الْجَيْلَةُ مِنَ الصَّبَاحَةِ كَصَبَاحَةِ الْجَمَالِ .  
[٨] قَمَّ الْبَيْتَ قَمًّا : كَفَسَهُ « وَالْقَمَّةُ : الْمَكْنَسَةُ ، وَالْقِمَامَةُ : الْكِنَاسَةُ » وَالغَرَفَةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ  
الْغُرَفِ : وَهِيَ ضَرْبٌ مِنَ الشَّجَرِ . [٩] الْمَلَأُ : الْقَضَاءُ ، وَالْمَتَبَاطِنُ : لِلطَّامِنِ .  
[١٠] أَيْ احْتَوَتْ عَلَيْهِمْ ، وَغَالَهُمْ : أَهْلَكَهُمْ .

## ٥٨ — حديث امرأة مات ابنها بين يديها

عن عبد الرحمن عن ممة قال : دخلتُ على امرأة من العرب بأعلى الأرض في خيابه لها ، وبين يديها مئتي لها ، قد نزل به الموت ، فقامت إليه فأغمضته وَصَفَبَتْهُ وَسَجَّتْهُ <sup>(١)</sup> ، ثم قالت :

« يا بن أخى ، قلت : ما تشائين ؟ قالت : ما أحق من ألبس النعمة ، وأطيلت له النظرة <sup>(٢)</sup> ، أن لا يدع التوثق من نفسه ، قبل حلِّ عُقْدَتِهِ <sup>(٣)</sup> ، والحلول بعقوته <sup>(٤)</sup> ، والمحال بينه وبين نفسه » ، قال : وما يقطر من عينها قطرة صبراً واحتساباً ، ثم نظرت إليه فقالت : والله ما كان مالك لبطنك ، ولا أرك ليرسك <sup>(٥)</sup> ، ثم أنشدت قول :

رَجِبُ الدَّرَامِ بِاللَّيْ لَا نَشِينُهُ وَإِنْ كَانَتْ الْفَحْشَاءُ ضَاقَ بِهَا ذَرْعًا <sup>(٦)</sup>

(الأمل ٢ : ٢٨٢ ، واليان واليمين ٣ : ٢٣١)

## قولهم فى الشكوى

### ٥٩ — أعرابى يشكو حاله

عن عبد الرحمن عن ممة قال :

« قَدِمَ عَلَيْنَا الْبَصْرَةَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، فَقَصَدْتُهُ فَوَجَدْتُهُ يَتَحَفِّظُ لِحْيَتَهُ ، فَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ فَقُلْتُ : بَلَفَنِي مَا خَصَّكَ اللَّهُ بِهِ ، فَجِئْتُكَ أَتَقْبِسُ مِنْ جِلْدِكَ ، فَقَالَ : أَتَيْتَنِي وَأَنَا أَخْضِبُ ، وَإِنْ الْخِضَابُ لِمِنْ عِلَامَاتِ الْكِبَرِ ، وَمَا لَكَ وَاللَّهِ مَا عَدَوْتُ عَلَى صَيْدِ الْوَحُوشِ ، وَخَشِيتُ أَمَامَ الْجِيُوشِ ،

[١] تَبَجَّعَتْ لِحْيَتُهُ وَتَحَفَّظَتْهُ . [٢] النَّظَرَةُ : الْإِبْهَالُ . [٣] كِتَابَةُ مِنَ الْوَرْتِ .

[٤] الْعُقْدَةُ : الْحُلَّةُ ، أَيْ يَجِدُهُ . [٥] الْمَرَسُ : امْرَأَةُ الرَّجُلِ .

[٦] ضَاقَ بِالْأَمْرِ فَرَمَا : ضَعُفَ طَاقَتُهُ ، وَلَمْ يَجِدْ مِنَ الْمَكْرُوهِ فِيهِ مَخْلَصًا .

واختَلْتُ بِالرِّدَاءِ ، وَهُوتُ<sup>(١)</sup> بالنِّسَاءِ ، وَقَرَيْتُ الضَّيْفَ ، وَأَرَوَيْتُ السَّيْفَ ،  
وَشَرَبْتُ الرِّاحَ ، وَنَادَمْتُ الْجَحْجَاحَ<sup>(٢)</sup> ، فَالْيَوْمَ قَدْ حَنَانِي الْكَبِيرَ ، وَصَنُفَ  
مَنِي الْبَصَرَ ، وَجَاءَ بَعْدَ الصَّفْوِ الْكَدَرُ ، ثُمَّ قَبِضَ عَلَى لِحْيَتِهِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :  
شَيْبُ تَغْيِيهِ كَيْمَا تَغُرُّ بِهِ كَيْفِكَ الثَّوْبَ مَطْوِيًّا عَلَى حَرَقِ  
قَدَكُنْتُ كَالْمُضْنِ تَرْتَاحُ الرِّيحُ لَهُ فَصِرْتُ عُودًا بِلَا مَاءٍ وَلَا وَرَقِ  
صَبْرًا عَلَى الدَّهْرِ ، إِنَّ الدَّهْرَ ذُو غَيْرٍ وَأَهْلُهُ مِنْهُ بَيْنَ الصَّفْوِ وَالرَّقِ<sup>(٣)</sup>  
( الأمل ٢ : ٩٤ )

## ٦ - كلمات شتى في الشكوى

قِيلَ لِأَعْرَابِيَةٍ أُصِيبَتْ بِإِبْنِهَا : مَا أَحْسَنَ عَزَاءِكَ ! قَالَتْ : « إِنْ فَقَدِي إِيَّاهُ  
أَمْتَنِي كُلَّ فَقْدٍ سِوَاهُ ، وَإِنْ مَصِيبَتِي بِهِ هَوْنَتْ عَلَيَّ الْمَصَائِبَ بَعْدَهُ » ، ثُمَّ  
أَنْشَأَتْ يَقُولُ :

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَازِرُ  
لَيْتَ الْمَنَازِلَ وَالْأَيَّامَ رَحَقَ حَفَازِرُ وَمَقَابِرُ

\*\*\*

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : كَيْفَ حُزْنُكَ عَلَى وَلَدِكَ ؟ قَالَ : « مَا تَرَكَ لِي الْغَدَاءَ وَالْعِشَاءَ  
لِي حُزْنًا » .

\*\*\*

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا أَتَحَلَّ جِسْمُكَ ؟ قَالَ : « سُوءَ الْغَدَاءِ ، وَجُدُوبَةَ الْمَرْغَى ،  
وَإِخْتِلَافَ الْهَمُومِ فِي صَدْرِي » ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

الهمُّ ما لم يُنْضِبه لسبيله      داله تضمَّنه الضلوعُ عَظِيمُ  
ولربما استيأستُ ثم أقول : لا      إن القى ضمَّين النجاحَ كريمُ

❦

وقيل لأعرابي قد أخذ به السنُّ : كيف أصبحت ؟ قال : « أصبحتُ  
تقيَّدني الشَّعْرَةُ ، وأَعَثُّ في البُجْرة ، قد أقام الدهرُ صَمْرِي ، بعد أن أقتُ صَعرَه .

❦

وقال أعرابي : « لقد كنتُ أنكرُ البيضاء ، فصِرْتُ أنكرُ السوداء ،  
فياخير مبدول ، وياشرَّ بَدَل ! » .

❦

وذكر أعرابي منزلاً بَادَ أهله فقال : « مَنَزِلُ وَااللهِ رَحَلَتْ عَنْهُ رَبَّاتُ  
الْخُدُورِ ، وَأَقَامَتْ فِيهِ رَوَاحِلُ<sup>(١)</sup> الْقُدُورِ ، وقد اكنسى بالنبات كأنما أُنِسَ  
الْحُلَلُ ، وكان أهله يَمْفُونَ<sup>(٢)</sup> فيه آثَارَ الرِّيحِ ، وأصبحت الرِّيحُ تَعْفُو آثارهم ،  
فالهد قريب ، والمثلثى بعيد » .

❦

وذكر أعرابي قوما تغيرت أحوالهم فقال : « أُعْيِنُ وَااللهِ كُحِلْتُ بِالْجَبْرِ  
بعد الجَبْرِ<sup>(٣)</sup> ، وَأَنْفُسُ لَبِسَتْ الْحَزْنَ بعد السرور » .

❦

وذكر أعرابي قوما تغيرت حالهم فقال : « كَانُوا وَااللهِ فِي عَيْشٍ رَقِيقٍ  
الحواشي ، فطواه الدهرُ بعد سَعَةٍ ، حَتَّى لَبَسُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ الْقُرِّ<sup>(٤)</sup> ، ولم أرَ صاحباً

[١] الرراحيل جمع راحلة : وهي في الأصل : الالة الصالحة لأن ترحل ، وللراد هنا الحوامل التي تحمل  
الجنين ، أي الأثافي . [٢] مما للزلة : درس ، وطفه الرِّيحُ ، يصدى ويلزم ، وبإيها عنا ،  
ومفنه الرِّيحُ أيضاً بالتشديد للبالغة . [٣] الجبرة : السرور . [٤] القرّ مثك الخاف : البرد .



أَغْرَمَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَلَا ظَالِمًا أَغْشَمَ <sup>(١)</sup> مِنَ الْمَوْتِ ، وَمَنْ عَصَفَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ  
أَرْذَاهُ <sup>(٢)</sup> ، وَمَنْ وَكَلَ بِهِ الْمَوْتُ أَفْنَاهُ .



وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى دَارٍ قَدْ بَادَ أَهْلُهَا فَقَالَ : « دَارُ اللَّهِ مُتَّصِرَةٌ لِلدَّوْعِ ،  
حَطَّتْ بِهَا السَّحَابُ أَثْقَالُهَا ، وَجَرَّتْ بِهَا الرِّيحُ أَذْيَالُهَا » .



وَذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا تَغَيَّرَ حَالُهُ فَقَالَ : « طَوَّيْتُ صَحِيفَتَهُ ، وَذَهَبَ رِزْقُهُ ،  
فَالْبَلَاءُ مُسْرِعٌ إِلَيْهِ ، وَالْعَيْشُ عَنْهُ قَابِضٌ كَفِيَّةٌ » .



وَذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا ضَاقَ عَيْشُهُ بَعْدَ سَعَةٍ فَقَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ  
مَمْدُودٍ ، فَقُدِّحَتْ عَلَيْهِ مِنَ الدَّهْرِ زَنْدٌ غَيْرُ كَايَّةٍ <sup>(٣)</sup> » .

( القند الفريد ٢ : ٧٩ - ٨٠ )



وَذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ مُصِيبَةً نَالَتْهُ ، فَقَالَ : « مُصِيبَةٌ وَاللَّهِ تَرَكْتُ سُودَ الرُّءُوسِ  
بَيَاضًا ، وَبَيَاضَ الْوُجُوهِ سُودًا ، وَهَوَّاتِ الْمَصَائِبِ بَعْدَهَا » .

( القند الفريد ٢ : ٧٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٥ )



وَذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ قَطِيعَةً بَعْضُ إِخْوَانِهِ فَقَالَ : « صَفَرْتُ عِيَابُ <sup>(٤)</sup> الْوَدِ بَيْنِي  
وَبَيْنَهُ بَعْدَ امْتِلَائِهَا ، وَأَفْقَرْتُ وَجْهَهُ كَأَنَّتْ بِمَاءِهَا ، فَأَذْبَرُ مَا كَانَ مُقْبَلًا ،  
وَأَقْبَلُ مَا كَانَ مَدْبَرًا » .

( القند الفريد ٢ : ٧٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٤ )

[١] أَظْلَمَ . [٢] أَهْلَكَاهُ . [٣] الزند : العود الذي يذبح به النار « وكبا الزند » : لم يخرج  
ناره ، وفي الأصل « زند عين كايه » وهو تحريف .

[٤] صغرت : خلت ، وعيابه جمع عيبة بالفتح : ما يجعل فيه الثياب .



وقيل لأعرابي : ما أذهبَ شبابك ؟ قال : « من طال أمدُّه ، وكثر ولده ، ودَفَّ عُدُّه ، وذَهَبَ جَلَدُه ، ذهبَ شبابُه » .

( القد الفرید : ٧٩ : ٢ ، والیان والتبيين : ٥٧ : ٢ )



وسئل أعرابي عن سَفَرٍ أَكْدَى<sup>(١)</sup> فيه ، فقال : « ما غَنَيْنَا إِلَّا ما قَصَرْنَا في صلاتنا ، فأما ما أَكَلْتَهُ المَواجِرُ<sup>(٢)</sup> ، وَلَقِيتُهُ مِنَ الْأَبَاعِرِ ، فَأَمَرْتُ اسْتَحْفَفْنَاهُ لِمَا أَمَلْنَاهُ » .



وقالت امرأة من الأعراب : « أَصْبَحْنَا ما يَرْقُدُ لَنَا فَرَسٌ ، وما ينام لَنَا حَرَسٌ » .

( اليلاد والتبيين : ٨٧ : ٢ )



وقال أعرابي : « مَضَى لَنَا سَلَفُ أَهْلِ تَوَاصُلٍ ، اعتقدوا<sup>(٣)</sup> مِنَّنَا ، واتخذوا الأيادي ذخيرَةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ ، يَرَوْنَ اصْطِناعَ المَروفِ عَلَيْهِمْ قَرَضًا لازِمًا ، وإظهارَ البرِّ واجِبًا ، ثم جاء الزمانُ يَبِينُ ، اتخذوا مِنْتَهُمْ بَضَاعَةً ، وَيَرِيحُ<sup>(٤)</sup> مُرَابِجَةً<sup>(٥)</sup> ، وأياديهم تجارةً ، واصطناعَ المَروفِ مُقَارَضَةً ، كَنَقْدٍ ، خُذْ مِنِّي وَهَاتِ » .



وقيل لأعرابي في مرضه : ما تشكى ؟ قال : « تمامُ العِدَّةِ ، وانقضاءُ المدة » .



ونظر أعرابي إلى رجل يشكو ما هو فيه من الضيق والضرِّ فقال : « يا هذا : أَتَشْكُو مِنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ ؟ » .

( القد الفرید : ٨٥ : ٢ )

[١] أمه من « حر فأكدى » أى صادف الكدية - والكدية كفرصة : الأرض القليلة ، والصفاء العظيمة الشديدة . [٢] المَواجِرُ جمع هاجرة ، وهى شدة الحر . [٣] اعتقدوا : اعتقدوا . [٤] وَيَرِيحُ : رابحه على السلة : أعطاه ربحاً . [٥] مُرَابِجَةً : من اعتد مالا : اقتناه .



ووصف أعرابي الدنيا فقال : « هي رَنَقَةٌ <sup>(١)</sup> المشارب ، حَمَّةُ المصائب ، لا تُنْتَمَكُ الدهرَ بصاحب » .



وقال أعرابي : « حَسْبُكَ من فساد الدنيا أنك ترى أُسْمَةَ <sup>(٢)</sup> تُوضَع ، وأخفافاً تُرْفَع ، والخير يُطَلَب عند غير أهله ، والفقير قد حلَّ غير محله » .

( المقد الفريد ٢ : ٨٦ )



وقيل لأعرابي : كيف ابنك - وكان به عاقا - قال : « عذابٌ لا يقاومه الصَّبْرُ ، وفائدة لا يجب فيها الشكر ، فليتني قد استودعته القبر » .

( المقد الفريد ٢ : ٩٧ )



عن الأصمعي قال : قيل لأعرابي قَدِمَ الحَفْرة <sup>(٣)</sup> ، ما أقدمَكَ ؟ قال : « الحَيْن <sup>(٤)</sup> ، الذي يُعْطَى الْعَيْن » . ( الأمال ١ : ٢٠٢ )



وأصيب أعرابي بآبن له ، فقال وقد قيل له أصبر : « أعلَى الله أنجلد ، أم في مصيبتى أتبلد ؟ والله للجزع من أمره أحبُّ إليَّ الآن من الصبر ، لأن الجزع استكانة ، والصبر قساوة ، ولئن لم أجزع من النقص لم أفرح بالمزيد » .

( زمر الآداب ٣ : ١٦٤ )



وقيل لأعرابي : لمَ لا تَضْرِبَ في الأرض ؟ فقال : « يمنعني من ذلك ، طِفْلُ بَارِكٍ ، وإِصْرٌ سَافِكٍ ، ثم إني لست بعد ذلك واثقا بِنُجْحِ طَلِبَتِي ، ولا معتقداً

[١] كدرة . [٢] جمع سام ، والمراد ما كان طالبا .

[٣] الحفرة : خلاف البادية كالحفر بالتحريك . [٤] الهلاك .

قضاء حاجتى ، ولا راجياً عطف قرايى ، لآنى أقدم على قوم أظنهم الشيطانُ ،  
وامتثالهم السلطانُ ، وساعدم الزمان ، وأسكرهم حداةُ الأسنان .

( زهر الآداب ٣ : ٢٤٤ ) .

وقال بعض الأعراب : « نالنا ونسبى<sup>(١)</sup> ، وخلفه ولى<sup>(٢)</sup> ، فالأرض كأنها  
وثنى<sup>(٣)</sup> عبقري<sup>(٤)</sup> ، ثم أتنا غيوم جراد<sup>(٥)</sup> ، بمناجل حواد<sup>(٦)</sup> ، فخربت البلاد ،  
وأهلك العباد ، فسبحان من يهلك القوى الأكول ، بالضعيف المأكول .

( زهر الآداب ٣ : ٢٤٦ )

## ٦١ - قولهم فى العتاب والاعتذار

تاب أعرابى أباه فقال : « يا أبت ، إن عظيم حقدك على لا يذهب صنيـ  
حقى عليك ، والننى تمت به<sup>(١)</sup> إلى ، أمت بمتله إليك ، ولست أزعم أنا سواه ،  
ولكنى أقول : لا يحل لك الاعتداء .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٣١ ، وزهر الآداب ٣ : ١٠٠ )

وقال أعرابى لصديق استبطأه فلأمه : « كآنت بى إليك زلة<sup>(٢)</sup> يمعنى من  
ذكرها ما أملت من تجاوزك عنها ، وليس أعتذر إليك منها إلا بالإفلاق عنها .

وقال آخر لابن عم له : « والله ما أعرف تقصيراً فأفلىع ، ولا ذنباً فأغيب ،  
ولست أقول إنك كذبت ، ولا إننى أذنبت .

( زهر الآداب ٣ : ١٦٢ )

[١] الوسمى : مطر الريح الأول ، والولى : للطر القى بآنى بعد المطر .

[٢] الوضى : هوى الثوب ، والعبقري : للشطح النظير ، نسبة إلى عبقر ، موضع تزعم العرب أنه من  
أرض الجن ، ثم نسبوا إليه كل شئ عجيباً من حقه ، أو جوده صنته .

[٣] للمناجل جمع منجل كبير : حديدة يقضب بها الزرع ، وحواد جمع حواة : أى فاطحة ، وفى الأصل

« حراد » وأوله محرفاً . [٤] تتوسل .



وقال آخر لابن عمّ له : « سأمنحُكَ ذنُبَكَ إلى عُذْرِكَ ، وإن كنتُ من أحدهما على يقين ، ومن الآخر على شكّ ، ولكن ليتمّ المعروفُ مني إليك ، وتقوّم الحُجّة لي عليك » . ( زهر الآداب ٣ : ١٦٤ ، والغد الفريد ٢ : ٨٥ )



وَعَدَلْتُ أعرابية أباهَا في الجُود وإتلاف ماله ، فقالت : « حَسْبُ المَال ، أُنْفَع للعِيَال ، مِنْ بَذْلِ الوجه في السؤال ، فَقَدْ قَلَّ النَوَال ، وَكَثُرَ البُخَال ، وَقَدْ أَتَلَفْتُ الطَّارِفَ وَالتَّلَادَ ، وَبَقِيتُ تَطْلُبُ مَا فِي أَيْدِي الْعِبَاد ، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ مَا يَنْفَعُهُ ، أَوْشَكَ أَنْ يَسْمَى فِيمَا يَضُرُّهُ » . ( زهر الآداب ٣ : ٣٤٦ )

## ٦٢ - قولهم في المدح

دخل أعرابي على بعض الملوك فقال : « رَأَيْتُنِي فِيمَا أُتَاعَطَى مِنْ مَدْحِكَ ، كَالْمُعْبَرِ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ الْبَاهِرِ ، وَالْقَمَرِ الزَّاهِرِ ، الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى النَّاضِرِ ، وَأَيَقَنْتُ أَنِّي حَيْثُ انْتَهَى بِنِ الْقَوْلِ ، مَنْسُوبٌ إِلَى الْعَجْزِ ، مُقْصَرٌّ عَنِ الْغَايَةِ ، فَانصرفت عن الثناء عليك ، إلى الدعاء لك ، وَوَكَلْتُ الْإِخْبَارَ عَنْكَ ، إِلَى عِلْمِ النَّاسِ بِكَ » . ( الأمل ٢ : ٧٣ )



وأثنى أعرابي على رجل فقال : « إِنْ خَيْرِكَ لَمَسْرِيحٍ <sup>(١)</sup> ، وَإِنْ مِنْكَ لَرِيحٍ ، وَإِنْ رِفْدُكَ لَرِيحٍ » . ( البيان والبيان ٢ : ١٠٥ )



عن عبد الرحمن عن عمه قال : سَمِعْتُ أعرابياً من بني كلاب يذُكّر رجلاً

[١] أى عطاء بلا مطل ولا إبطاء ، ومرح : أى من كدة الطلب .

فقال : « كَانَ وَاللَّهِ الْفَقَهُ مِنْهُ ذَا أَذْنَيْنِ ، وَالْجَوَابُ ذَا لِسَانَيْنِ ، لَمْ أَرَأِ أَحَدًا كَانَ أَرْتَقَى لِحْلَلِ رَأْيٍ مِنْهُ ، وَلَا أَبَدَ مَسَافَةً رَوِيَّةً ، وَمُرَادٌ <sup>(١)</sup> طَرَفٌ ، إِنَّمَا يَرَى بِهِمْ هَيْتَ حَيْثُ أَشَارَ إِلَيْهِ الْكَرَمُ ، وَمَا زَالَ وَاللَّهِ يَتَحَصَّى مَرَارَةَ أَخْلَاقِ الْإِخْوَانِ ، وَيُسْقِيهِمْ عُذُوبَةَ أَخْلَاقِهِ » (الأمالي ١٦ : ٢ ، والقدر الفريد ٨٩ : ٢ ، وزهر الآداب ٣ : ٢)

وقال : سمعت أعرابياً ذكر رجلاً فقال : « كَانَ وَاللَّهِ لِلْإِخَاءِ وَصُولًا ، وَلِلْمَالِ بَذُولًا ، وَكَانَ الْوَفَاءَ بِهِمَا عَلَيْهِ كَفِيلًا ، وَمَنْ فَاصَلَهُ كَانَ مَفْضُولًا » .

(الأمالي ١ : ١١٦ ، والقدر الفريد ٨٩ : ٢)

ووصف أعرابى رجلاً فقال : « ذَاكَ وَاللَّهِ مِمَّنْ يَنْفَعُ سِلْمُهُ ، وَيُتَوَاصَفُ حِلْمُهُ ، وَلَا يُسْتَمَرُّ <sup>(٢)</sup> ظُلْمُهُ ، إِنْ قَالَ فَعَلَ ، وَإِنْ وَلَّى عَدَلَ » .

(البيان والتبيين ٢ : ١٥٨ ، والقدر الفريد ٨٩ : ٢ ، وزهر الآداب ٣ : ٢)

وذكر أعرابى قوماً فقال : « أَدَّبَهُمُ الْحِكْمَةُ ، وَأَحْكَمَتَهُمُ التَّجَارِبُ ، وَلَمْ تَفَرُّهُمْ السَّلَامَةُ الْمَنْطُوقَةُ عَلَى الْمَلَكَةِ ، وَجَانَبُوا التَّسْوِيفَ الَّذِي بِهِ قَطَعَ النَّاسُ مَسَافَةَ آجَالِهِمْ ، فَذَلَّتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِالْوَعْدِ ، وَانْبَسَطَتْ أَيْدِيهِمْ بِالْإِنْجَازِ ، فَأَحْسَنُوا الْمَقَالَ ، وَشَقَقُوهُ بِالْفِعَالِ » .

(الأمالي ٢ : ٧٣ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٣١ ، والقدر الفريد ٨٨ : ٢)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : وصفت أعرابية زوجاً بمكارم الأخلاق عند أمها ، فقالت : « يَا أُمَّةُ ، مِنْ نَشَرَ ثَوْبَ الثَّنَاءِ ، فَقَدْ أَدَّى وَاجِبَ الْجَزَاءِ ، وَفِي

[١] زياد الأيمل : اختلافاً في الرمي مقابلة ومديرة ، وللوضع مراد ومستراد .

[٢] لا يستمر ، من استمر الطمام : وجده مريضاً أى منهكاً حيد للعبة .

كِثْمَانِ الشُّكْرِ جُحُودٌ لِمَا وَجِبَ مِنَ الْحَقِّ ، وَدُخُولٌ فِي كُفْرِ النَّعْمِ » ، فَقَالَتْ لَهَا أُمُّهَا : « أَيْ بُنَيَّةُ : أَطَبَّتِ الثَّنَاءُ ، وَقَتَّ بِالْجَزَاءِ ، وَلَمْ تَدْعِ لِلذَّمِّ مَوْضِعًا ، إِنِّي وَجَدْتُ مَنْ عَقَلَ ، لَمْ يَعْجَلْ بِذَمِّ وَلَا ثَنَاءٍ إِلَّا بَعْدَ اخْتِبَارٍ » ، فَقَالَتْ : « يَا أُمَّة ، مَا مَدَحْتُ حَتَّى اخْتَبَرْتُ ، وَلَا وَصَفْتُ حَتَّى عَرَفْتُ » .  
( الأمل ١ : ٢٢٥ )

\*\*\*

وَوَصَفَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ أَمِيرًا فَقَالَ : « إِذَا أَوْعَدَ آخَرَ ، وَإِذَا وَعَدَ نَجَلًا ، وَعَيْدُهُ عَفْوٌ ، وَوَعْدُهُ إِنْجَازٌ » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢١٧ )

\*\*\*

وَنَمَتَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « كَانَ الْأَلْسُنُ وَالْقُلُوبُ رِيضَتَ لَهُ ، فَاتَّعَقِدَ إِلَّا عَلَى وَدَّهِ ، وَلَا تَنْطِقُ إِلَّا بِحَمْدِهِ » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٣١ ، والمقد الفريد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٣ )

\*\*\*

وَذَكَرَ رَجُلٌ عِنْدَ أَعْرَابِي فَوْقَ فِيهِ قَوْمٌ فَقَالَ : « أَمَا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَا كَلْكُمْ لِلنَّادُومِ ، وَأَعْطَاكُمْ لِلْمَنْزُومِ <sup>(١)</sup> ، وَأَكْسَبَكُمْ لِلْمَدْمُومِ ، وَأَعْطَفَكُمْ عَلَى الْمَحْرُومِ »  
( الأمل ٢ : ١٦ ، والبيان والتبيين ١ : ١٦٣ )

\*\*\*

وَأَعْطَى رَجُلٌ أَعْرَابِيًّا فَأَكْثَرَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِي : « إِنْ كُنْتَ جَاوَزْتَ قَدْرِي عِنْدَ نَفْسِي ، فَقَدْ بَلَغْتَ أَمَلِي فِيكَ » .  
( الأمان ٢ : ٥٠ )

\*\*\*

وَمَدَحَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ يُعَيِّنِي <sup>(٢)</sup> فِي طَلَبِ الْمَكَارِمِ ، غَيْرَ ضَالٍّ فِي مَعَارِجِ طَرَقِهَا ، وَلَا مُتَشَاغِلٍ عَنْهَا بِغَيْرِهَا » .  
( الأمل ٢ : ٥٠ ، والمقد الفريد ٢ : ٨٩ )

ودخل أعرابي على رجل من الولاة فقال : « أصلح الله الأمير : اجعلني زمائماً من أزممتك يُجَرِّبُهَا الأعداء ، فإني مُسْتَعَرَّ حَرْبٍ <sup>(١)</sup> ، وَرَكَّابٌ نُجَبٍ ، شديد على الأعداء ، لئن على الأصدقاء ، منطوى الحَصِيلَةُ <sup>(٢)</sup> ، قليل الثَّمِيلَةُ ، غِرَارِ النَّوْمِ ، قد غَذَّتْني الحرب بأفأويقها <sup>(٣)</sup> ، وَحَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ ، ولا تمنك مني الدَّمَامَةُ <sup>(٤)</sup> ، فإن من تحتها شهامة .

(القد الحريد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٨٠)

ومدح أعرابي رجلاً فقال : « ذك والله فسيح الأدب ، مستَحْكِمُ السَّبَبِ ، مِن أَي أَقْطَارِهِ أَيْتُهُ ، تَتَنَّى عَلَيْهِ بِكَرَمِ فِعَالٍ ، وَحُسْنِ مَقَالٍ .

(زهر الآداب ٢ : ٦ ، والقد الحريد ٢ : ٨٩)

ومدح أعرابي رجلاً فقال « كَانَ وَاللَّهِ يَفْسِلُ مِنَ الْعَارِ وَجُوهًا مُسْوَدَّةً ، وَيُفْتَحُ مِنَ الرَّأْيِ عَيُونًا مُنْسَدَّةً » .

(القد الحريد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦٥)

وذكر أعرابي قوماً عبّاداً فقال : « تَرَكُوا وَاللَّهِ النِّعَمَ لِيَتَمَتُّوا ، لَهُمْ عِبَرَاتٌ مُتَدَاقِقَةٌ ، وَزَفَرَاتٌ مُتَابِعَةٌ ، لَا تَرَامُ إِلَّا فِي وَجْهِهِ وَجِيهِ عِنْدَ اللَّهِ .

وذكر أعرابي قوماً فقال : « مَا رَأَيْتُ أَسْرَعَ إِلَى دَاخِ بَلِيلٍ ، عَلَى فَرَسٍ حَسِيبٍ ، وَجَمَلٍ نَجِيبٍ <sup>(٥)</sup> ، ثُمَّ لَا يَنْتَظِرُ الْأَوَّلُ السَّابِقُ ، الْآخِرَ الْآخِيقُ » .

[١] أي موقدها ، والنجب جمع نجيب . [٢] حصل الشيء تحصيلاً : جمعه ، والاسم الحَصِيلَةُ ، وللنبي مكتم السر ، والثبيلة في الأصل : ما يبقى في بطن الدابة من اللطف والماء ، وما يدخره الإنسان من طعام أو غيره ، وفي حديث عبد الملك قال الحجاج : « أما بعد فقد وليتك الراثين ، فسر إليهما منطوى الثميلة » وللنبي سر إليها عفا ، والغرار : القليل من النوم . [٣] الأفأويق جمع أفواق ، وهو جمع فقة بالكسر ، والهمزة : اسم الابن يجتمع في الفرع بين الحلبتين . [٤] الدَّمَامَةُ : فحج للنظر . [٥] النجيب : الجبل السريع الخفيف في السير .



وذكر أعرابي قوماً فقال : « جعلوا أموالهم مَناديلَ أعراضهم ، فالحير بهم زائد ، والمعروف لهم شاهد ، يُعْطُونَهَا بِطِيَّةِ أَنْفُسِهِمْ إِذَا طُلِبَتْ إِلَيْهِمْ ، وَيُبَاشِرُونَ الْمَعْرُوفَ بِإِشْرَاقِ الْوَجْهِ إِذَا بُعِيَ لَدَيْهِمْ .

✱

وذكر أعرابي قوماً فقال : « والله ما أَنَالُوا شَيْئاً بِأَطْرَافِ أُنَامِلِهِمْ إِلَّا وَطْنَاهُ بِأَخْصَاصِ<sup>(١)</sup> أَقْدَامِنَا ، وَإِنْ أَقْصَى مَعْمِهِمْ لَأَذْنِي فِعَالِنَا » .

✱

وذكر أعرابي أميراً فقال : « إِذَا وَلِيَ لَمْ يُطَاقِبْ بَيْنَ جُفُونِهِ<sup>(٢)</sup> ، وَأَرْسَلَ السُّيُوفَ عَلَى عِيُونِهِ ، فَهُوَ غَائِبٌ عَنْهُمْ ، شَاهِدٌ مَعَهُمْ ، فَالْحَسَنُ رَاجٍ ، وَالْمُسِيءُ خَائِفٌ » .

✱

وذكر أعرابي رجلاً يبراعة المنطق فقال : « كَانَ وَاللَّهِ بَارِعَ الْمَنْطِقِ ، جَزَلَ الْأَلْفَافِ ، عَرَبِيَّ اللِّسَانِ ، فَصِيحَ الْبَيَانِ ، رَقِيقَ حَوَاشِي الْكَلَامِ ، بَلِيلَ الرِّيقِ ، قَلِيلَ الْحَرَكَاتِ ، مَا كُنَ الْإِشَارَاتِ » .

✱

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « رَأَيْتَ لَهُ حِلْمًا وَأَنَاةً<sup>(٣)</sup> ، يُحَدِّثُكَ الْحَدِيثَ عَلَى مَقَاطِعِهِ ، وَيَنْشِدُ الشَّعْرَ عَلَى مَدَارِجِهِ<sup>(٤)</sup> ، فَلَا تَسْمَعُ لَهُ لَحْنًا وَلَا إِحَالَةً<sup>(٥)</sup> » .

✱

وذكر أعرابي قوماً فقال : « آلَتْ<sup>(٦)</sup> سِيُوفُهُمْ إِلَّا تَقْفِي دَيْنًا عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَضِيْعُ حَقًّا لَهُمْ ، فَاأَخِذْ مِنْهُمْ مَرْدُودًا إِلَيْهِمْ ، وَمَا أَخَذُوا مَتْرُوكًا لَهُمْ » .

[١] جمع أحسن كآجر ، وهو من باطن القدم ما لم يصب الأرض .

[٢] أي لم ينم عن شغور وعيته ، والعيون : الجواسيس .

[٣] مدارج جمع مدرج ومدرجة : الذنب والملك . [٤] أهل الكلام إحالة : إذا أفسده ، والحال

من الكلام : ما عدل به عن وجهه ، وأحل : آتى بالحال وتكلم به . [٥] حلافت

\*\*\*

ومدح أعرابي رجلا فقال : « مارأيت عينا قط أخرق لظلمة الليل من عينه ،  
ولحظة أشبه بلهب النار من لحظة ، له هزة كهزة السيف إذا طرب ، وجراحة  
كجراحة الليث إذا غضب » .

\*\*\*

ومدح أعرابي رجلا فقال : « كانت ظلمة ليله كضوء نهاره ، أمرا بارتداد ،  
وناهيا عن فساد ، لحبيب السوء غير منقاد » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلا فقال : « اشتري والله عرضته من الأذى ، فلو كانت  
الدنيا له فأنفقها ، لرأى بمدحها عليه حقوقا ، وكان منهاجاً للأمور المشككة إذا  
تناجز الناس باللامعة » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلا فقال : « يفوق<sup>(١)</sup> الكلمة على المعنى ، فتمرق مروق  
السهم من الرمية ، فإصاب قتل ، وما أخطأ أشوى<sup>(٢)</sup> ، وما غطط<sup>(٣)</sup> له  
سهم منذ تحرك لسانه في فيه » .

\*\*\*

وذكر أعرابي أخاه فقال : « كأن والله ركوبا للأهوال ، غير ألوف  
للحبال<sup>(٤)</sup> ، إذا أزعج<sup>(٥)</sup> لقوم من غير قر ، يهين نفسا كريهة على قومها ، غير  
مبقية لغد ما في يومها » .

[١] يسدّ ويصوب ، والرمية : ما يرمى . [٢] أشواه أصاب شواه ، والشوى كعما : اليدان  
والرجلان والأطراف وقف الرأس وما كان غير مقتل . [٣] النططة : حكاية صوت اللد في التليان  
وما أشبهها وقد يكون الأصل « وما غطط » أي ما اضطرب من النططة وما اضطراب موج البحر  
[٤] الحبال جمع حبل بالتحريك : اللفة وموضع يزين بالتياب والتور للمروس ، وللمراد النساء .  
[٥] أزعج : أخذته رعدة .



ومدح أعرابي رجلاً فقال : « كَانَ وَاللَّهِ مِنْ شَجَرٍ لَا يُخْلِفُ ثَمَرَهُ ، وَمَنْ  
بَحَرَ لَا يُخَافُ كَذَرَهُ » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « ذَاكَ وَاللَّهِ فَتَى رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ نَاشِئًا ، فَأَحْسَنَ  
لُبْسَهُ ، وَزَيْنَ بِهِ نَفْسَهُ » .



ومدح أعرابي رجلاً فقال : « يُصِمُّ أُذُنِيهِ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخَنَا ، وَيُخْرِسُ  
لِسَانَهُ عَنِ التَّكَلُّمِ بِهِ ، فَهُوَ الْمَاءُ الشَّرِيبُ <sup>(١)</sup> ، وَالْمِصْقَعُ الْخَطِيبُ » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « ذَاكَ رَجُلٌ سَبَقَ إِلَى مَعْرُوفِهِ قَبْلَ طَلْبِي إِلَيْهِ ،  
فَالْعَرِضُ وَافِرٌ ، وَالْوَجْهُ بِمَاءِهِ ، وَمَا أُسْتَقِيلَ <sup>(٢)</sup> بِنِعْمَةٍ إِلَّا أَقْفَلَنِي بِأُخْرَى » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « ذَاكَ رَضِيعُ الْجُودِ وَالْمَفْطُومُ بِهِ ، عَقِيمٌ عَنِ  
الْفَحْشَاءِ ، مُتَّصِمٌ بِالتَّقْوَى ، إِذَا حَذَفَتْ <sup>(٣)</sup> الْأَلْسُنُ عَنِ الرَّأْيِ ، حَذَفَ  
بِالصَّوَابِ ، كَمَا يَحْذِفُ الْأَرَبُ ، فَإِنْ طَالَتِ الْغَايَةُ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ دُونِهَا نِهَايَةً ،  
تَهْمَلُ أَمَامَ الْقَوْمِ سَابِقًا » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « إِنْ جَلِيسُهُ لَطِيبٌ عِشْرَتُهُ أَطْرَبُ مِنَ الْإِبِلِ  
عَلَى الْحَدَاءِ ، وَالْيَمَلُ عَلَى الْفَنَاءِ » .

[١] الشريب والشراب : ما يضرب ، المصقع : البلغ أو العالي الصوت أو من لا يرتج دلبه في كلامه  
ولا يتشنع . [٢] أي وما أحمل ، وأقفلني : أرجى وردني . [٣] حذفت : رمت .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « كَانَ لَهُ عِلْمٌ لَا يَخَاطِبُهُ جَهْلٌ ، وَصَدَقَ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ ، كَأَنَّهُ الْوَيْلُ عِنْدَ الْمَحَلِّ (١) » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « مَا رَأَيْتُ أُعْشِقَ لِلْمَعْرُوفِ مِنْهُ ، وَمَا رَأَيْتُ الْمُنْكَرَ أَبْغَضَ لِأَحَدٍ بَغْضَهُ لَهُ » .



وقدم أعرابي البادية وقد نال من بنى بَرَمَكْ ، فقيل له كيف رأيتهم ؟ قال : « رَأَيْتُهُمْ وَقَدْ أُنِسَتْ بِهِمُ النِّعْمَةُ ، كَأَنَّهُمْ مِنْ ثِيَابِهِمْ » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « مَا زَالَ يَنْبِيئِي الْمَجْدُ ، وَيَشْتَرِي الْحَمْدُ ، حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الْجَهْدُ » .



ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال : « إِنْ جِهَلًا أَنْ يَقُولَ الْمَادِحُ بِخِلَافِ مَا يَعْرِفُ مِنَ الْمَدْحِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أُعْشِقَ لِلْمَكَارِمِ فِي زَمَانِ اللَّوْمِ مِنْكَ ، وَأَنْشُدُ :

مَالِي أَرَى أَبْوَابَهُمْ مَهْجُورَةً ؟      وَكَأَنَّ بِأَبْكَ تَجْمَعُ الْأَسْوَاقَ  
حَابُوكَ أَمْ هَابُوكَ أَمْ شَامُوا النَّدَى      يَدِيدُكَ فَاجْتَمَعُوا مِنَ الْآفَاقِ  
إِنِّي رَأَيْتُكَ لِلْمَكَارِمِ حَاشِقًا      وَالْمَكْرُمَاتِ قَلِيلَةُ الْعُشَاقِ

( العدد الجديد ٢ : ٨٨ - ٩٠ )



وضل أعرابي الطريق ليلاً ، فلما طلع القمر اهتدى ، فرفع رأسه إليه فقال :  
 ما أدري ما أقول ؟ أم أقول : رَفَعَكَ اللهُ ؟ فقد رَفَعَكَ ، أم أقول : تَوَرَّكَ اللهُ ؟ فقد  
 تَوَرَّكَ ، أم أقول : حَسَّنَكَ اللهُ ؟ فقد حَسَّنَكَ ، أم أقول : عَمَّرَكَ اللهُ ؟ فقد  
 عَمَّرَكَ ، ولكني أقول : جعلني اللهُ فِذاكَ . ( القند الفريد ٢ : ٩٧ )



وذكر أعرابي قومه فقال : « كَانُوا وَاللَّهِ إِذَا أَصْطَفَوْا تَحْتَ الْقَتَامِ <sup>(١)</sup> ،  
 خَطَرَتْ بَيْنَهُمُ السَّهَامُ ، يَوْفُوذُ الْحِمَامِ ، وَإِذَا تَصَاغَوْا بِالسِّيُوفِ فَفَرَّتْ <sup>(٢)</sup> الْمَنَازِلُ  
 أَفْوَاهُهَا ، قَرُبَ يَوْمَ عَارِمٍ <sup>(٣)</sup> قَدْ أَحْسَنُوا أَدَبَهُ ، وَحَرْبِ عَبُوسٍ قَدْ صَاحَكَتْهَا  
 أَسِنَّتُهُمْ ، وَخَطَبِ شَتْرٍ <sup>(٤)</sup> قَدْ ذَلَّلُوا مَنَاكِبَهُ ، وَيَوْمَ حَمَاسٍ <sup>(٥)</sup> قَدْ كَشَفُوا ظُلُمَتَهُ  
 بِالصَّبْرِ حَتَّى يَنْجَلِي ، إِنَّمَا كَانُوا الْبَحْرَ الَّذِي لَا يُنْكَشُ <sup>(٦)</sup> غِمَارُهُ ، وَلَا يُنْهَنَهُ  
 تَيَّارُهُ » . ( الأملال ١ : ١٣٩ ، والقند الفريد ٢ : ٨٨ ، وزهر الآداب ٢ : ٤ )



ووصف أعرابي رجلاً فقال : « هُوَ أَطْهَرُ مِنَ الْمَاءِ ، وَأَرْقُ طَبَاعاً مِنَ الْمَوْءِ ،  
 وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ ، وَأَهْدَى مِنَ النَّجْمِ » . ( زهر الآداب ٢ : ٣ )

[١] القَتَام : النبار ، والحمام : الموت ، ورواية القند : « كَانُوا إِذَا أَصْطَفَوْا سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ السَّهَامُ »  
 — سفر بين القوم كضرب ونصر : أصلح — . [٢] ففرت : فحمت .  
 [٣] العرامة بالفتح والمرام بالضم : الفراشة والأذى ، حرم كنصر وضرب وكرم وعلم .  
 [٤] شتر : شديد هفاق . [٥] الحامس من القبائل : الظلم الشديد ، وأمر لا يقام له ولا يتدى لوجهه .  
 [٦] لا ينكش : لا يترج ، والشارب جمع غمر كشمس : وهو الماء الكثير ، ونهته : كفه وزجره وفي  
 رواية القند : « إِنَّمَا قَرَى الْبَحْرَ مَا أَلْفَنَتُهُ النَّجْمُ » ، ورواية زهر الآداب : « إِذَا أَصْطَفَوْا سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ  
 السَّهَامُ ، وَإِذَا تَصَاغَوْا بِالسِّيُوفِ فَفَرَّتْ فَه الْحِمَامُ »



ووصف أعرابي قومه فقال : لِيُوثُ حرب ، وَغِيُوثُ جَدْب ، إِنْ قَاتَلُوا  
أَبَلَاو ، وَإِنْ بَدَلُوا أَغْنَاو . ( زمر الآداب ٢ : ٤ )



وقال الأصمى : سمعت أعرابياً يقول : « إِذَا بُنِيتِ الْأُصُولُ فِي الْقُلُوبِ ،  
نَطَقَتِ الْأَلْسُنُ بِالْفُرُوعِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي لَكَ شَاكِرٌ ، وَلِسَانِي ذَاكِرٌ ، وَحَالِي  
أَنْ يَظْهَرَ الْوَدَّ الْمُسْتَقِيمُ ، مِنْ الْفَوَادِ السَّقِيمِ » . ( زمر الآداب ٢ : ١٦٥ )



وسئل أعرابي عن قومه فقال : « يَمُتُونَ الْفَقْرَ ، عِنْدَ شِدَّةِ الْفُقَرَاءِ <sup>(١)</sup> ،  
وَأَرْوَاحِ <sup>(٢)</sup> الشَّتَاءِ ، وَهَبُوبِ الْجَزِيَاءِ <sup>(٣)</sup> ، بِأَسْنِمَةِ الْجَزُورِ ، وَمُتَرَعَاتِ <sup>(٤)</sup>  
الْقُدُورِ ، تَحْسُنُ وَجُوهَهُمْ عِنْدَ طَلَبِ الْمَعْرُوفِ ، وَتَنْبَسُ عِنْدَ لَمَازِ السُّيُوفِ » .



ووصف أعرابي قوماً فقال : « لَهُمْ جُودٌ كَرَامٍ اتَّسَعَتْ أَحْوَالُهَا ، وَبَأْسٌ  
لِيُوثٍ تَتَّبِعُهَا أَشْبَالُهَا ، وَهَمٌّ مَلُوكٍ انْفَسَحَتْ أَمَالُهَا ، وَغَرُّ صِيمِ آبَاءِ  
شَرَفَتْ أَحْوَالُهَا » . ( زمر الآداب ٢ : ١٦٧ )



[١] الفَرْ : بفتح الفاء : البرد . [٢] جمع رَجُلٍ . [٣] رَجْعُ الْعَمَالِ أَوْ بَرْدُهُما .

[٤] جمع مَرْتَمَةٍ : وَهْمٌ لِلْمَلُوءَةِ .

## ٦٣ - قولهم في الذم

وذكر أعرابي قوماً فقال : « أولئك سُلِخَتْ أَقْفَاؤُهُمْ بِالْهَجَاءِ ، وَذُبِمَتْ وَجُوهُهُمْ بِالزُّمِّ ، لِبَاسُهُمْ فِي الدُّنْيَا الْمَلَامَةُ ، وَزَادَهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ النَّدَامَةُ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي قوماً فقال : « لَهُمْ يَبُوتٌ تُدْخَلُ حَبُوءًا ، إِلَى غَيْرِ تَمَارِقٍ <sup>(١)</sup> وَلَا وَسَائِدَ ، فُصِّحُ الْإِنْسَانِ بِرَدِّ السَّائِلِ ، جِعَادُ الْكَافِّ عَنِ النَّائِلِ <sup>(٢)</sup> » .

\*\*\*

وقال أعرابي : « لَقَدْ صَرَّفْنَا فِي عَيْنِي عِظَمَ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَأَنَّمَا يَرَى السَّائِلَ إِذَا أَتَاهُ ، مَلَكَ الْمَوْتِ إِذَا رَأَاهُ » .

\*\*\*

وسئل أعرابي عن رجل فقال : « مَا ظَنُّكُمْ بِسِكِّيرٍ لَا يُفِيقُ ، يَتَّبِعُ الصَّدِيقَ ، وَيَعْصِي الشَّفِيقَ ، لَا يَكُونُ فِي مَوْضِعٍ إِلَّا حَرُمْتُ فِيهِ الصَّلَاةُ ، وَلَوْ أَفْلَتَتْ كَلِمَةُ سُوءٍ لَمْ تَصِرْ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَوْ نَزَلَتْ لَعْنَةٌ مِنَ السَّمَاءِ لَمْ تَقَعْ إِلَّا عَلَيْهِ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « إِنْ فَلَانًا لِيُمْدِي بِأُثْمِهِ ، مَنْ تَسَمَّى بِاسْمِهِ ، وَلَنْ خِيَّنِي فَلَرُبَّ بَاقِيَةٍ قَدْ ضَاعَتْ فِي طَلَبِ رَجُلٍ كَرِيمٍ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « تَعُدُّوْا إِلَيْهِ مَرَاكِبُ الضَّلَالَةِ ، فَتَرْجِعَ مِنْ

[١] التمارق جمع غرقة (بالضم) : وهي الوسادة الصغيرة . [٢] النائل : الطاء ، وهو جمد اليمين أو الأنازل (كشس) : أي يجبل ، وقد جمعوا جمد الشعر على جماد ككتاب كاه السام فيمكن هذا مثله ، وقد جاء في الأصل « جمد » بدون ألف ، وأراء عرقا ، إذ لا يجمع جمد (بالفتح) على جمد بضم فسكون ، ولا على جمد بضمين .

عنده ينفور الآثام ، مُعْطِمٌ مِمَّا تَحِبُّ ، مُكْثِرٌ مِمَّا تَكْرَهُ ، وصاحبُ السوءِ  
قطعة من النار .

\*\*\*

وقال أعرابي لرجل : « أَنْتَ وَاللَّهِ مِنْ إِذَا سَأَلَ الْخَفَّ ، وَإِذَا سُئِلَ سَوَّفَ ،  
وَإِذَا حَدَّثَ حَكَّفَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، تَنْظُرُ نَظْرَ حَسُودٍ ، وَتُعْرِضُ  
إِعْرَاضَ حَقُودٍ » .

\*\*\*

وسافر أعرابي إلى رجل فخرمه ، فقال لِمَا سئل عن سفره : « مَا رُبَّمَا فِي  
سَفَرِنَا إِلَّا مَا قَصَرْنَا مِنْ صَلَاتِنَا ، فَأَمَّا الَّذِي لَقِينَا مِنَ الْهَوَاجِرِ (١) ، وَلَقِيتُ مِنَّا  
مِنَ الْأَبَاعِرِ ، فَعَقُوبَةُ لَنَا فِيمَا أَفْسَدْنَا مِنْ حَسَنِ ظَنِّنَا » ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :  
رَجَعْنَا سَالِمِينَ كَمَا خَرَجْنَا وَمَا خَابَتْ سَرِيَّةُ سَالِمِينَا

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « كَانَ إِذَا رَأَى قَرَبًا مِنْ حَاجِبٍ حَاجِبًا ،  
فَأَقُولُ لَهُ : لَا تَقْبِجْ وَجْهَكَ إِلَى قَبْجِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا أَتَيْتَكَ لَطِيعَ رَاغِبًا ،  
وَلَا لُخُوفَ رَاهِبًا » .

\*\*\*

وذم أعرابي رجلاً فقال : « عَبْدُ الْفَعَالِ ، حُرُّ الْمَقَالِ ، عَظِيمُ الرِّوَاقِ ،  
دَنِيءُ الْأَخْلَاقِ ، الْبَهْرُ يَرْفَعُهُ ، وَنَفْسُهُ تَضُمُّهُ » .

\*\*\*

وقال أعرابي : « دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ ، فَرَأَيْتُ ثِيَابَ أَحْرَارٍ عَلَى أَجْسَادِ عِبِيدٍ ،



إِقْبَالُ حَظِّهِمْ إِدْبَارُ حَظِّ الْكِرَامِ ، شَجَرُ أَصُولِهِ عِنْدَ فُرُوعِهِ ، شَفَلَهُمْ عَنِ الْمُرُوفِ  
رَغَبْتُهُمْ فِي الْمُنْكَرِ .

\*\*\*

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « ذَاكَ مُتَّ الْمَجَالِسِ ، أَعْيَا مَا يَكُونُ عِنْدَ جُلُوسَاتِهِ ،  
أَبْلَغُ مَا يَكُونُ عِنْدَ نَفْسِهِ » .

\*\*\*

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « ذَلِكَ إِلَى مَنْ يَدَاوِي عَقْلَهُ مِنَ الْجَهْلِ ، أَحْوَجُ  
مَنْهُ إِلَى مَنْ يَدَاوِي عَقْلَهُ مِنَ الْمَرَضِ ، إِنَّهُ لَا مَرَضَ أَوْجَعُ مِنْ قَلَّةِ عَقْلِ » .

\*\*\*

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا يَدْرِكُ بَأْرَهُ فَقَالَ : « كَيْفَ يُدْرِكُ بَأْرَهُ مَنْ فِي صَدْرِهِ  
مِنَ الْبُلْغَمِ حَشَوُ مُرْقَعَةٍ ، لَوْ دُقَّتْ بِوَجْهِهِ الْحِجَارَةُ لَرَضَّهَا <sup>(١)</sup> ، وَلَوْ خَلَا  
بِالْكُمْبَةِ لَسَرَقَهَا » .

\*\*\*

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « نَسَهَرَ وَأَفْقَهَ زَوْجَتَهُ جُوعًا إِذَا سَهَرَ النَّاسُ  
شَبِيمًا ، ثُمَّ لَا يَخَافُ مَعَ ذَلِكَ عَاجِلَ عَارٍ ، وَلَا آجِلَ نَارٍ ، كَالْبَهِيمَةِ أَكَلَتْ  
مَا جَمَعَتْ ، وَنَكَحَتْ مَا وَجَدَتْ » .

\*\*\*

وَسَمِعَ أَعْرَابِي رَجُلًا يَزْعَقُ فَقَالَ : « وَيْحَكَ ! إِنَّمَا يَسْتَجَابُ لِمُؤْمِنٍ أَوْ  
مَظْلُومٍ ، وَلَسْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَأَرَاكَ يَخِيفُ عَلَيْكَ ثِقَلُ الذُّنُوبِ ، فَيَحْسُنُ عِنْدَكَ  
مَقَابِلُ الْعُيُوبِ » .

✽

وذكر أعرابي رجلاً بضمف فقال : « سبي الروية ، قليل التقيّة ، كثير السّعاية ، ضعيف النّكابة » .

✽

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « عليه كلّ يوم من فله شاهدٌ بفسقه ، وشهادتُ الأفعال ، أعدلُ من شهادت الرجال » .

✽

وذكر أعرابي رجلاً بذلّة فقال : « عاش خاملاً ، ومات مؤثوراً » .

✽

وقال أعرابي لرجل شريف البيت ، ذنى الهمة : « ما أحوجّك أن يكون عريضك لمن يصونه ، فتكون فوق ما أنت دونه » .

✽

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « إن حدّثته يُسأّلك إلى ذلك الحديث ، وإن سكّته عنه أخذ في التّرهات <sup>(١)</sup> » .

✽

وذكر أعرابي رجلاً راكباً هواه فقال : « والله هو أقصدُ إلى ما يهواه ، من الطّرق إلى المياه ، أفقره ذلك أو أغناه » .

✽

وقال أعرابي : « ليت فلاناً أقلنى من حسن ظنى به ، فأختم بصواب إذ بدأت بخطأ ، ولكن من لم تُحكّمه التجارب ، أصرع بالمدح إلى من يستوجب النّم ، وبالنّم إلى من يستوجب المدح » .

✱

وقال أعرابي لرجل : « هل أنت إلا أنت لم تَقَرَّ ؟ ولو كنت من حديد مُحَمَّى ووضعت على عَيْنٍ لم تَذُبْ » .

✱

وقال أعرابي لأخيه : « قد كنتُ نهيتك أن تدنُسَ عِرْصَكَ بمرض فلان ، وأُعلمك أنه ممينُ المال ، مهزول المروف ، من المرزوقين فجأة ، قصيرُ عمر النَفَى ، طويل عمر الفقر » .

✱

وقال أعرابي : « لا ترك اللهُ مُخًا في سُلَامَى <sup>(١)</sup> ناقةٍ حملتني إليك ، وَلَدَاعِي عليها أَحَقُّ بالدعاء عليه ، إذ كلفها المسيرَ إليك » .

✱

وذكر أعرابي رجلا فقال : « لا يُؤنس جارا ، ولا يُؤهل دارا ، ولا يبعث نارا » .

✱

وذكر أعرابي امرأة قبيحة فقال : « تُرْخِي ذيلها على عُرقوبِي نمامة ، وَتُسْدِلِ خمارها على وجه كالجمالة <sup>(٢)</sup> » .

✱

وقال أعرابي لامرأة : « والله إنك لمُشرقة الأذنين ، جاحظة العينين ، ذات خلق متضائل ، يُعْجِبُكَ الباطل ، إن شَبِمْتَ بَطَرْت ، وإن جُعْتَ صَحِبْتَ <sup>(٣)</sup> ، وإن رأيتَ حسنا دَفَنْتَهُ ، وإن رأيتَ سيئا أذَعْتَهُ ، تَكْرِمِينَ من حَقَرَكَ ، وَتُحْقِرِينَ من أكرمَكَ » . ( المقدم الفريد ٢ : ٩٠ - ٩٣ )

[١] السلايات : عظام الأمام . [٢] الجمالة : خرقه يزل بها القدر  
[٣] المصنَّب : شدة الصوت .

﴿٢١﴾  
وسأل أعرابي رجلا فخرمه ، فقال له أخوه : « نزلت والله بوادٍ غير مَمْطُور ،  
وأنت رجلا بك غير مسرور ، فلم تُذكر ما سألت ، ولا نلت ما أملت ،  
فارتحل بِنَدَم ، أو أقِم على عَدَم » . ( القد الفردي ١٢ : ٢ ، وزمر الأدب ٢ : ٥ )

﴿٢٢﴾  
ودخلت أعرابية على محدونة بنت المهدي ، فلما خرجت سئلت فقالت :  
« والله لقد رأيتهما فإريت طائلا ، كأن بطنها قربة ، كأن ثديها دبة ، كأن  
استنها رُقعة <sup>(١)</sup> ، كأن وجهها وجه ديك قد نفّس <sup>(٢)</sup> عَفْرِيتَهُ يقاتل ديكا » .  
( القد الفردي ١٢ : ٢ ، والأمل ٢ : ١٥٦ )

﴿٢٣﴾  
وذم أعرابي رجلا فقال : « أفسد آخرته بصلاح دنياه ، ففارق ما أصلح  
غير راجع إليه ، وقدم على ما أفسد غير متقل عنه ، ولو صدق رجل نفسه  
ما كذّبه ، ولو أتى زماعة أوطأه راحلته » . ( زمر الأدب ٢ : ٦ )

﴿٢٤﴾  
قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول لرجل تخاصمه : « والله لو صور الجمل  
لأظلم معه النهار ، ولو صور العقل لأضاء معه الليل ، وإنك من أفضلهما لمُعَدِم ،  
تَغْفِ الله واعلم أن من ورائك حكا لا يحتاج المدعى عنده إلى إحضار بينة » .  
( زمر الأدب ٢ : ١٦٣ )

﴿٢٥﴾  
وقال أعرابي يسيب قوما : « م أقل الناس ذُنُوبًا إلى أعدائهم ، وأكثرهم  
جُرُماً إلى أصدقائهم ، يَصُومُونَ عن المعروف ، وَيُفْطِرُونَ على الفحشاء » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٠ ، والقُد الفردي ٢ : ٩٠ )



ووصف أعرابي رجلاً فقال : « صَغِيرُ الْقَدَرِ ، قَصِيرُ الشَّيْرِ <sup>(١)</sup> » ، ضَيْقُ  
الصدر ، لَثِيمُ النَّجَرِ <sup>(٢)</sup> ، عَظِيمُ الْكِبَرِ ، كَثِيرُ الْفَخْرِ .  
( ألبال والتبيين ١ : ١٥٧ ، والقدر الفريد ٢ : ٩١ )



وذَكَرَ أعرابي أميراً فقال : « يَقْضِي بِالْمَشْوَةِ ، وَيَطِيلُ النُّشْوَةَ ،  
وَيَقْبَلُ الرِّشْوَةَ <sup>(٣)</sup> » . ( ألبال والتبيين ٢ : ٥٠ ، والقدر الفريد ٢ : ٩١ )



وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعرابياً يقول : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأُمِّ  
أَوْفَى » ، قال : « وَمَنْ أُمُّ أَوْفَى ؟ » ، قال : « امرأتى ، وإنها لَحَمَاءُ مِرْقَامَةٍ <sup>(٤)</sup> ،  
أَكُولُ قَامَةً <sup>(٥)</sup> » ، لا تَبْقَى لَهَا حَامَةٌ <sup>(٦)</sup> ، غير أنها حسناء فلا تُفْرَكُ <sup>(٧)</sup> ، وأم  
غلمان فلا تُتْرَكُ <sup>(٨)</sup> » . ( ألبال والتبيين ٢ : ٤٧ )



عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت امرأة من العرب تخاصم زوجها وهي  
تقول : « والله إن شُرْبِكَ لَأَشْتَفَا <sup>(٩)</sup> » ، وإن ضِجْعَتَكَ لَأَنْجِمَا <sup>(١٠)</sup> ،  
وإن شِمْلَتَكَ لَأَلْتِفَمَا ، وإنك لَتَشْبَعُ لَيْلَةً تُضَافُ ، وتنام لَيْلَةً تُخَافُ » ،

[١] الشبر : القدر . [٢] النجر : الأصل . [٣] المشوة والنشوة والرشوة بتثنية الفاء في  
الثلاثة ، المشوة : ركوب الأمر على غير بيان ، والنشوة : السكر ، والرشوة : الجمل والبرطيل  
« بكسر الباء » . [٤] المرقامة : اللقطة لبعها . [٥] قامة : اسم فاعل ، من قم : أى أكل  
ما على الجوان كاتمه ، وقه : كنهه . [٦] الحامة : الخاصة .  
[٧] فرك زوجته وفركته كسح ، وكنصر شاذ : أبغضته ، ورجل مفرك بالتشديد يفضه النساء  
وامرأة مفركة : يفضها الرجال . [٨] اشتفت ما في الإثاء : شربه كله .  
[٩] الانجماف : الانصراف .

فقال لها : « والله إنك لَكَرْوَاءُ السَّاقِينِ <sup>(١)</sup> ، قَمَوَاءُ الْفَعْدِينِ <sup>(٢)</sup> ، مَقَاءُ الرُّقْسَيْنِ <sup>(٣)</sup> ، مَقَاظَةُ الْكَشْحَيْنِ <sup>(٤)</sup> ضَيْفُكَ جَائِعٌ ، وَشَرُّكَ شَائِعٌ » . (الأمل : ١ : ١٠٤)

✽

من عبد الرحمن عن عمه قال : مرَّ أعرابي برجل يكنى أبا النمر - وكان حنظلًا جسيماً ، وكان بواباً لبعض الملوك - فقال : أعني الفقير الحسير ، فقال : ما ألحف سائلكم ، وأكدر جائعكم ، أراحنا الله منكم ، فقال له الأعرابي : « لو فرَّق قوتُ جسمك في جِصوم عشرة منا ، لكفانا طعامك في يومٍ شهراً ، وإنك لمُعْظِمُ السَّرَطَةِ <sup>(٥)</sup> ، شديد الضَّرَطَةِ ، لو ذُرِّي بِجَبَّتِكَ يَدْرُ ، لكفته ريحَ الجِرْيَاءِ <sup>(٦)</sup> » . (الأمل : ١ : ٢٢٦)

## ٦٤ - قولهم في الغزل

مثل أعرابي عن امرأة فقال : « هي أرقُّ من الهواء ، وأطيبُ من الماء ، وأحسن من النعْماء ، وأبعد من السماء » . (الأمل : ١ : ٢٠١ ، والفتاوى : ٢ : ٩٤)

✽

وذكر أعرابي امرأة فقال : « لها جِلْدٌ من لؤلؤ ، مع رائحةِ المسك ، وفي كل عُضْوٍ منها شمسٌ طالعة » .

✽

وذكر أعرابي امرأة فقال : « كَادَ الْغَزَالُ أَنْ يَكُونَهَا ، لَوْلَا مَا تَمَّ مِنْهَا وَمَا نَقَصَ مِنْهُ » .

[١] الكرواء : البقية الساقين .

[٢] القمراء : البقية ، أو البقية الفخذين ، وقيل : هي للتباعدة ما بين الفخذين (كالجواء) .

[٣] الرقص : أصل الرقص ، ولقاء : البقية الفخذين ، أو الطويلة من اللق بالتحريك وهو الطول .

[٤] المقاضاة : المسترخية ، والكشاح : الماصراتان . [٥] البلة من سرطه كنصر وفرح : ابتله

[٦] المبة : الضربة ، واليعد : للوضع الذي تداس فيه الجيوب ، والجرياء : ريح الشمال الباردة .

وذكر أعرابي نسوة خرجن متزهات فقال : « وجوه كاللدنانير ، وأعناق  
كأعناق اليمافير <sup>(١)</sup> ، وأوساط كأوساط الزناير ، أقبلن إلينا بجُجُولٍ <sup>(٢)</sup> تحفئ ،  
وأوشجة تعلئ ، وكم أسير لمن وكم مُطَلَقٍ » .



ووصف أعرابي امرأة حسناء فقال : « تبسم عن خمش <sup>(٣)</sup> اللثات ،  
كأفاحي النبات ، فالسعيد من ذاقه ، والشقي من راقه » .



وذكر أعرابي امرأة فقال : « هي الشقم الذي لا بُرء منه ، والبرء الذي  
لا سقم معه ، وهي أقرب من الحشا ، وأبعد من السما » .



ووصف أعرابي امرأة فقال : « يضاء جعدة <sup>(٤)</sup> لا يمس الثوب منها  
إلا مُشاشة <sup>(٥)</sup> كتفها ، وحلّة نديها ، ورصق ركبتيها ، ورائفتي  
أليتيها ، وأنشد :

أَبَتِ الرَّوَادِفُ وَالثَّدْيُ لِقَمَصِهَا      مَسَّ الْبَطُونُ وَأَنْ تَمَسَّ ظَهُورًا  
وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ الْعَشِيِّ تَنَاوَحَتْ      نَبَهْنَ حَاسِدَةً وَهَجْنَ غَيُورًا

[١] اليمافير جمع يافور : وهو ولد البقرة الوحشية . [٢] المجول جمع جمل بالكسر والفتح :  
وهو الخلخال ، والأوشجة جمع وشاح بالقم والكسر : أديم عريض يرصع بالجوهر ، تشده المرأة بين  
حافتيها وكشحيها . [٣] خمش ، والأفاحي جمع أفحوان بالقم : وهو نبات طيب الرائحة وهو ورق  
أبيض ، ووسطه أصفر ، ووراقه : أحمر .

[٤] الجعد من الشعر خلاف السبط ، أو أقصر منه ، ورجل جعد الشعر والأنتى جدة ، والجعد أيضا  
الدمع الخلق المجتمع يعضه إلى بعض ، والجعد اذا ذهب به منعب للدح فله معنيان مستجابان : أحدهما أن  
يكون معصوب الجوارح شديد الأسر والخلق ذير مسترخ ولا مضطرب ، والثاني أن يكون شعره جدا غير  
سبط لأن سبوطه الشعر هي الغالبة على شعور الجسم من الروم والفرس ، وجعزدة الشعر هي الغالبة على  
شعور العرب . [٥] اللشاشة : رأس العظم ، والرضف : عظام في الركبة كالأصابع المضمومة قد أخذ  
بعضها بعضا ، والراحة : أسفل الألية عند القيام .



وذكر أعرابي امرأة فقال : « تلك شمس باهت بها الأرضُ شمسٌ صمائها ،  
وليس لي شفيح في اقتضاها <sup>(١)</sup> ، وإن قمى لكتوم لداها ، ولكنها تقيض  
عند امتلائها » .



وقال أعرابي في امرأة ودعها للسير : « والله ما رأيت دمة تفرقني من  
عين يانغيد <sup>(٢)</sup> على ديباجة خدّ ، أحسن من عبّرة أمطرتها عينها ، فأعشت  
بها قلبي » .



وقال أعرابي : « إن لي قلباً مرّوعاً <sup>(٣)</sup> ، وعينا دموعاً ، فإذا يصنع كل  
واحد منهما بصاحبه ، مع أن داءهما دواؤهما ، وسقّمهما شفاؤهما ؟ » .



وقال أعرابي : « ما أشدّ جولة الرأى عند الهوى ، وفطام النفس من الصبا !  
ولقد تقطعت كبدي ! لو لم للماذنين للماشقين قرطعة في آذانهم ، ولو لمات الحب  
نيران في أبدانهم ، مع دموع على الخاني <sup>(٤)</sup> ، كخروب السواني » .



وذكر أعرابي امرأة فقال : « لقد نيمت عيني نظرت إليها ، وشقي قلب  
تصبّع عليها ، ولقد كنت أزورها عند أهلها ، فيرحّب بي طرّتها ، ويجهّني  
لسانها » قيل له فما بلغ من حبك لها ؟ قال : « إني ذاكر لها وبينى وبينها  
عدوة الطائر ، فأجد لذكرها ريح المسك » .

[١] الضيق دونه وعناياه يعني . [٢] الأمد : الكحل ، والديباجة : الخد . [٣] ملزماً .  
[٤] اللاني جمع لاني : وهو القزل ، والنروب جمع نروب كشمس : وهو الحلو الطيبة ، والسواني جمع  
ساية : وهي الخالة يلقب عليها ، والنروب ولذاته .



وقال أعرابي : « الهَوَى هوان ، ولكن غُلِطَ باسمه ، وإنما يعرف من يقول ، من أَبْكَنَهُ النَّازِلُ وَالطَّلُولُ » .

وذكر أعرابي امرأة فقال : « إن لسانى لَدِكْرَها لَدَلُول ، وإن حَبَّها لِقَلْبى لِقَتُول ، وإن قَصِيرَ الليل بها لَيَطُولُ » .

ووصف أعرابي نساء بيلاعة وجمال فقال : « كلامهن أَقْتَلُ من النَّبْلِ ، وأَوْقَعُ بالقلب من الوَبْلِ بِالْمَحَلِّ ، فروعهن أَحْسَنُ من فروع النخل » .

( القمد الفريد ٢ : ٩٣ — ٩٥ )

وقال أعرابي : « دخلت البصرة ، فرأيت أعيناً دُعِجاً <sup>(١)</sup> ، وَحَوَاجِبَ زُجْجاً ، يَسْجَبْنَ الثياب ، وَيَسْلُبْنَ الألباب » ( القمد الفريد ٢ : ٩٣ ، وزهر الآداب ٣ : ١٧ )

وذكر أعرابي نساء فقال : « ظَمَانُ <sup>(٢)</sup> فى سَوَافِينٍ طُولُ ، غير قبيحات العُطُول <sup>(٣)</sup> ، إذا مَشَيْنَ أسْبِلْنَ الذيولَ ، وإن رَكِبْنَ أَثْقَلْنَ الحُمُولَ <sup>(٤)</sup> » .

( زهر الآداب ٣ : ١٧ )

وقال أعرابي : « لقد رأيت بالبصرة بُرُوداً كأنها صُبِغت بأَنوار الرِّيع ، فهى تَرُوع <sup>(٥)</sup> ، واللابس لها أروع » .

( القمد الفريد ٢ : ٩٦ )

[١] دججا جمع دججا ، وصف من الذبح بالتحريك : وهو سواد العين مع سمها . وزجا جمع زجاء من الزجج بالتحريك أيضاً : وهو دقة الحاجبين في طول .

[٢] ظمائن جمع ظمينة : والظمينة في الأصل وصف المرأة في هودجها ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها لأنها تصير مظعونة ، وهى فتيمة بمعنى مظعونة لأن زوجها يظن بها ، والسؤال جمع - اللة : وهى ناحية مقدم العنق من لدن مطلق القبرط الى حمرة الترقوة . [٣] مملكة الزأفة كفرح عطلا بالتحريك وهطولا : اذا لم يكن عليها حلى . [٤] الحمول : الهودج ، أو الإبل عليها الهودج جمع حمل بالكسر ويختص . [٥] تعجب .

وقال أعرابي : « شَيْعَنَا الْحَيَّ وَفِيهِمْ أَدْوِيَةُ السَّقَامِ »<sup>(١)</sup> ، فَقَرَأَنَ بِالْحَدَقِ  
السَّلَامَ ، وَخَرِسَتْ الْأَلْسُنُ عَنِ الْكَلَامِ . (الأمل : ٢ : ٥٠)

وسئلت أعرابية عن الهوى فقالت : « لَا مَتَّعَ الْهَوَى بِمَلِكِهِ ، وَلَا مُلَى<sup>(٢)</sup> بِسُلْطَانِهِ ، وَقَبَضَ اللَّهُ يَدَهُ ، وَأَوْهَنَ عَضْدَهُ ، فَلَمَّا جَاثَرَ لَا يَنْصِفُ فِي حَكْمٍ ، أَعْمَى لَا يَنْطَلِقُ بِمَدْلٍ ، وَلَا يُقَصِّرُ فِي ظَلَمٍ ، وَلَا يَرْعَى لِنَتَمٍ ، وَلَا يَنْقَادُ لِحَقٍّ ، وَلَا يُنْتَقَى عَلَى عَقْلِ وَفَهْمٍ ، لَوْ مَلَكَ الْهَوَى وَأَطْلَعَ ، لَرَدَّ الْأُمُورَ عَلَى أَدْبَارِهَا ، وَالْأَنْبِيَاءَ عَلَى أَعْقَابِهَا »

وسئل أعرابي عن الهوى فقال : « هُوَ دَاءٌ تَذَاوَى بِهِ النُّفُوسُ الصَّحَاحُ ، وَتَسَلُّ مِنْهُ الْأَرْوَاحُ ، وَهُوَ سَقَمٌ مُكْتَنَمٌ ، وَحَمِيمٌ<sup>(٣)</sup> مُضْطَرِمٌ ، فَالْقُلُوبُ لَهُ مُنْضَجَةٌ ، وَالْعْيُونُ سَاكِبَةٌ » . (زهر الآداب : ٣ : ١٨)

ووصف أعرابي امرأة يحبها فقال : « هِيَ زِينَةُ الْحُضُورِ ، وَبَابٌ مِنْ أَبْوَابِ السَّرُورِ ، وَلَدِّ كُرْهَا فِي الْمُنِيبِ ، وَالْبَعْدِ عَنِ الرَّقِيبِ ، أَشْهَى إِلَيْنَا مِنْ كُلِّ وَلَدٍ وَنَسِيبٍ ، وَبِهَا عُرِفَ فَضْلُ الْحُورِ الْعَيْنِ ، وَاشْتَقَّ بِهَا إِلَيْنَا يَوْمَ الدِّينِ » . (زهر الآداب : ٣ : ٢٤٤)

ووصف أعرابي نساء فقال :

« يَلْتَشِمْنَ عَلَى السَّبَائِكِ »<sup>(٤)</sup> ، وَيَنْشِمْنَ عَلَى النَّيَّازِكِ »<sup>(٥)</sup> ، وَيَمَاتِرْنَ

[١] أي الهويات المداوية للعظام .

[٢] ملاءفة حبيبه تملية : منه به وأطاشه منه طويلا . [٣] الحميم : الماء الحار . وفي الأصل : « وحى » وقرأه عمر بن الخطاب ، ونسبه قوله به : « والعيون ساكبة » .

[٤] التماس على التمس ، والافهام على طرف الأنف ، تثبت المرأة وتثبت ، والسباك هنا الأستار شبهها ليانها بالسباك . [٥] النيازك جمع نيزك كجسر : وهو الرمح القصير .

على الموانك<sup>(١)</sup> ، وَيَرْتَفِقْنَ على الأرائك<sup>(٢)</sup> ، ويتهادين على الدرائك<sup>(٣)</sup> ،  
ابتسامهن وميض<sup>(٤)</sup> ، عن وليع كالإغريض<sup>(٥)</sup> ، وهن إلى الصبا صور<sup>(٦)</sup> ، وعن  
الحنان نور<sup>(٧)</sup> . (الأمال ١ : ٤٤ ، وزهر الآداب ٣ : ١٨)

## قولهم في الوصف

### ٦٥ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سئل أعرابي عن مطر فقال :

« استقل سُدَّ مع انتشار الطَّافِلِ<sup>(١)</sup> ، فَشَصَا وَأَخْزَأَلُ<sup>(٢)</sup> ، ثم اكْفَهَرَتْ<sup>(٣)</sup>  
أَرْجَاؤُهُ ، وَانْحَمَمَتْ أَرْحَاؤُهُ ، وَابْذَعَرَتْ فَوَارِقُهُ<sup>(٤)</sup> ، وَتَضَا حَكَّتْ بَوَارِقُهُ ،  
وَاسْتَطَارَ وَادِقُهُ ، وَارْتَفَقَتْ جُوبُهُ ، وَارْتَمَنَ هَيْدَبُهُ<sup>(٥)</sup> ، وَحَشَكَتْ أَخْلَافُهُ ،  
وَاسْتَقَلَّتْ أَرْدَافُهُ ، وَانْتَشَرَتْ أَكْنَافُهُ<sup>(٦)</sup> ، فَالْعَدُّ مَرْتَجِسٌ ، وَالْبَرْقُ مُخْتَلِسٌ ،

[١] الموانك جمع طاك : وهو رمل متقد يثقي فيه البعير لا يقدر على السير .

[٢] الأرائك جمع أريكة وهي السرر أو الفرش ، وارتفق : اتكأ على مرفق يده ، أو على الخدة .

[٣] يتهادين : يمشين مشياً ضيقاً ، والدرايك : الطنافس جمع درنوك كصفور ، ودروك كزرج .

[٤] الوميض : اللعان الحني ، والوليع : الطلع ، كأنه نظم اللؤلؤ في شدة بياضه . قال الشاعر يصف

نفر امرأة : وتيسم عن نير كلوليع ، والإغريض : الطلع حين ينفق عنه كاقوره ، والبرد (بتحريك الراء) .

[٥] صور : موائيل ، ومنه قيل للمائيل القصور ، ونور : ما فرات من الريه جمع نوار كسحاب .

[٦] استقل : ارتفع ، والسد : السحاب الذي يسد الأفق ، والطفل : المني إلى حد الغرب .

[٧] شصا ارتفع ، وأخزأل مثله . [٨] المكهفر من السحاب : الذي يركب بعضه بعضاً ،

وأرجاؤه : نواحيه جمع رجا كعصا ، واحمومت : أسودت ، وأرحاؤه : أساطه ، جمع رحا كعصا ، وابتذرت

تفرقت ، والفوارق جمع فارق ، وهو السحاب الذي يتقطع من معظم السحاب ، وأصله في الإبل ، يقال

ناقة فارق : وهي التي تتدن من الإبل عند تاجها .

[٩] استطار : انتشر ، والودق الذي يكون فيه الودق ( كشمس ) وهو المطر العظيم القطر ، وارتفت

التأمت ، وجوبه : فرجه ، وارتمن : استرخى ، والهيدب : الذي يتدلى ويدنو من الأرض مثل هيب القطيفة .

[١٠] حشكت : امتلأت ، والأخلاف جمع خلف كحمل ، وهو لثافة كالفرع للبقرة ، أردافه : ما خيره

والأكناف : الواحي .

والماء مُنْبِجٌ<sup>(١)</sup> ، فَأَتَرَعَ النَّدْرُ ، وَاتَّبَتَ الْوَجْرُ<sup>(٢)</sup> ، وَخَلَطَ الْأَوْمَالُ  
بِالْآجَالِ ، وَفَرَنَ الصِّبَانُ بِالرَّئَالِ<sup>(٣)</sup> ، فَلَأَوْدِيَةِ هَدِيرٍ ، وَللشَّرَاجِ خَرِيرٍ ، وَلِلتَّلَاعِ  
زَفِيرٍ<sup>(٤)</sup> ، وَحَطَّ التَّبَعُ وَالْمَتَمُّ ، مِنَ الْقُلُلِ الشَّمُّ ، إِلَى الْقِيَمَانِ الصَّخْمِ<sup>(٥)</sup> ، فَلَمْ  
يَبْقَ فِي الْقُلُلِ إِلَّا مُتَعَمِّمٌ مُجَرَّجَمٌ ، أَوْ دَاحِضٌ مُجَرَّجَمٌ<sup>(٦)</sup> ، وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ، عَلَى عِبَادِهِ الْمُذْنِينَ . (الأمال ١ : ١٧٣)

## ٦٦ - أعرابي يصف مطرا

عن الأصمى قال: سمعت أعرابيا من غني يذكر مطرا أصاب<sup>(١)</sup> بلادهم في  
غيبٍ جَدَّبَ فقال :

« تَذَارَكَ رَبُّكَ خَلْقَهُ ، وَقَدِ كَلَيْتَ الْأَعْمَالَ ، وَتَقَاصَرَتِ الْآمَالُ ، وَعَكَّفَ  
الْيَاسُ ، وَكُطِئَتِ الْأَنْفَاسُ ، وَأَصْبَحَ الْمَاشِيُّ مُعْزِمًا<sup>(٢)</sup> ، وَالتُّرْبُ مُعْدِمًا ،

[١] مرتجس : مصوت من الرحمن كمثل وهو الصوت ، غطس : كأنه يغسل البحر لعدة لمات ،  
منبجس : منبجر .

[٢] أترع : ملأ ، والندر جمع غدير ، والوجر جمع وجار ككتاب وسحاب وهو جبر الضبع والضب ،  
واتتت : أخرج نيتها وهو تراب البئر والبر ، أي أنه لشدة دم الوجر حتى أخرج ما بداخلها من التراب .  
[٣] الأومال جمع وعل ، ( كتمس وكفف ودتل ) : التمس الجبل ، والآجل جمع أجل كمثل وهو  
القطع من البئر أي أنه لشدته جمع بين التوعل - وهي تسكن الجبال - وبين البئر - وهي تسكن القيعان  
والرمال ، والصبيان جمع صوار كضجاع ، وصبار ككتاب وهو الفجاج من البئر ، والرئال جمع راء كفس  
فرغ النمام ، والرئال تسكن الجبل . ( بالتحريك ) وهي الأرض الصلبة للمستوية للفتن ) والصبيان تسكن الرمال  
والقيعان ، فقول ينفها .

[٤] هدير : أي صوت كهدير الأبل ، الشراج جمع شرج كشمس وهو ميل الماء من المرة إلى السيل  
والتللاع : مسایل الماء من الجبال حتى ينصب في الوادي . [٥] التبغ : شجر يتخذ منه القسي يثبت في  
الجبال ، والتم : الزجون الجبل كقتل وعق ، والقلل : أعلى الجبال جمع قلة كفرسة ، والشم : للرعدة  
جمع شماء ، والقيعان جمع قاع : وهي أرض سهلة مطشة قد أخرجت منها الجبال والآكام ، والصخم : التي تلطوها  
حجارة جمع أصخم . [٦] اللصم : القى قد تمسك بالجبال وامتنع فيها ) ويقال للرجل الذي يمسك بحرف فرسه  
خوف السقوط : مصم ) مجرثم : متبعض ، الماحض : القى يفض برجليه عند الموت ، والمجرثم : للصروع .  
[٧] صاب : جاد ، وكليت : اشتدت ، والأعمال جمع عمل كشمس وهو النعط ، وعكف : أظم .

[٨] الماشي : صاحب المشاة ، معنى الرجل وأمنى : كثرت ماشيته ، والصرم : المقارب للبال للقل ،

وَجُفِيتِ الْحَلَالِيلُ ، وَأُمْتُهُنَّتِ الْعَقَائِلُ ، فَأَنْشَأَ سَحَابًا رُكَامًا<sup>(١)</sup> ، كَنُتُورًا سَجَامًا ،  
بُرُوقَهُ مَتَأَلِّقَةٌ ، وَرُعُودُهُ مُتَقَفِّعَةٌ ، فَسَحَّ سَاجِيًا<sup>(٢)</sup> رَاكِدًا ، ثَلَاثًا غَيْرَ ذِي قُوقٍ ،  
ثُمَّ أَمَرَ رَبُّكَ الشَّمَالَ ، فَطَحَّرَتْ<sup>(٣)</sup> رُكَامَهُ ، وَفَرَّقَتْ جَهَامَهُ ، فَاَنْقَشَعَ مَحْمُودًا ،  
وَقَدْ أَحْيَا وَأَغْنَى ، وَجَادَ فَأَزْوَى ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُسَكَّتُ نِعْمَتُهُ ، وَلَا تَنْقَدُ  
قِسْمَتُهُ ، وَلَا يَخْجِبُ سَائِلُهُ ، وَلَا يَنْزُرُ<sup>(٤)</sup> نَائِلُهُ . (الأمالي ١ : ١٧٦)

## ٦٧ - أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال : « سألت أعرابيا من بني عامر بن صعصعة عن مطر  
صَابَ بِلَادِهِمْ فَقَالَ :

« نَشَأَ عَارِضًا<sup>(١)</sup> ، فَطَلَعَ نَاهِضًا ، ثُمَّ ابْتَسَمَ وَامِضًا ، فَأَعْسَ فِي الْأَنْطَارِ  
فَأَسْجَاهَا ، وَامْتَدَّ فِي الْآفَاقِ فَمَقْطَاهَا ، ثُمَّ ارْتَجَزَ<sup>(٢)</sup> فَهَمَّهُمْ ، ثُمَّ دَوَّى فَأَظْلَمَ ،

وَالْتَرَبَ أَخْيَ الَّذِي لَهُ الْمَالُ مِثْلُ التَّرَابِ كَثْرَةً ، يُقَالُ : أَثْرَبَ الرَّجُلُ إِذَا كَثُرَ مَالُهُ ( وُقِلَ أَيْضًا . ضِدُّ )  
وَتَرَبَ كَفَرَحَ إِذَا انْتَفَرَ كَأَنَّهُ اِصْبَقَ بِالتَّرَابِ ، وَامْتَنَتْ : اسْتَعْدَمَتْ وَاعْتَمَلَتْ ، وَالْعَقَائِلُ جَمْعُ عَقِيلَةٍ ، وَأَنْشَأَ  
أَحْدَثَ ، وَالنَّشْءُ : السَّحَابُ أَوَّلُ مَا يَخْرُجُ .

[١] الرُّكَامُ : التُّرَاكُمُ ، وَالْكُنُتُورُ مِنَ السَّحَابِ - قَطْعُ كُلِّهَا الْجِبَالُ ، أَوْ التُّرَاكُمُ مَعَهُ ، وَاحِدَتُهُ كُنُتُورَةٌ ،  
وَسَجَامٌ : صَبَابٌ ، وَمَتَأَلِّقَةٌ : لَامِقَةٌ ، وَمُتَقَفِّعَةٌ : مَهْوُوَّةٌ .

[٢] سَحَّ : صَبَّ ، - سَاجِيًا : سَاكِبًا ، رَاكِدًا : ثَابِتًا ، وَلِانْقِاشٍ : أَنْ يَصْبُ صَبَةً ثُمَّ يَسْكُنُ ، ثُمَّ يَصْبُ  
أُخْرَى ثُمَّ يَسْكُنُ مَأْخُذًا مِنْ فِرَاقِ الْبَاقَةِ وَهُوَ مَا بَيْنَ الْمَابِتِّينَ ، كَأَنَّهُ يَجْلِبُ حَلْبَةً ثُمَّ يَسْكُنُ ، ثُمَّ يَجْلِبُ أُخْرَى  
ثُمَّ يَسْكُنُ . [٣] طَحَّرَتْ : أَذْهَبَتْ وَأَحْدَثَتْ ، وَالْمَهَامُ : السَّحَابُ الَّذِي قَدْ هَرَقَ مَائِهِ ، نَكَتْ : نَحَصَى .  
[٤] يَرْدُ : يُقَالُ ، وَمِنْهُ قِيلَ : امْرَأَةٌ نَزُورٌ : إِذَا كَانَتْ قَلِيلَةَ الْوَلَدِ .

[٥] الْعَارِضُ : السَّحَابُ الْمُنْتَرِضُ فِي الْأَفْقِ ، وَوَمِنْهُ الْبَرْقُ كَوَعْدٍ : لَمَعٌ خَفِيفٌ ، وَلَمْ أَدِّ فِي كِتَابِ الْأَلْفَةِ  
«أَعْسَ» وَإِنَّمَا الَّذِي فِيهَا «عَسَسَ السَّحَابُ : دَنَا مِنَ الْأَرْضِ» وَأَسْجَاهَا : عَطَاهَا ، وَفِي الْأَصْلِ «أَسْجَاهَا»  
بَادَاءَ وَهُوَ تَصْغِيرُ . [٦] ارْتَجَزَ الرَّدْدُ : صَاتَ ، وَارْتَجَزَ السَّحَابُ : تَحَرَّكَ بِطَبَقَاتِهِ لِكَثْرَةِ مَائِهِ ،  
وَمِنْهُمْ الرَّدْدُ : إِذَا سَمِعْتَ لَهُ دَوَاءً وَالمِهْمَةُ : كُلُّ صَوْتٍ مَعَهُ مَجْجٌ ، وَأَرْكَ : اتَى بِالرَّكَ ( بفتح الراء وبكسر )  
وَهُوَ الْمَطَرُ الْقَلِيلُ أَوْ هُوَ فَوْقَ الدُّثِّ ، وَالدُّثُّ بِالْفَتْحِ : الْمَطَرُ الضَّعِيفُ ، وَالْبَفْشَةُ بِالضَّحْكِ : الْغَارَةُ الضَّعِيفَةُ  
وَقَدْ نَشَتِ السَّمَاءُ كَمَجٍّ ، وَالْعَاشُ : الْمَطَرُ الضَّعِيفُ وَهُوَ فَوْقَ الرَّدَادِ ، طَشَّتِ السَّمَاءُ كَنَصْرٍ وَضَرْبٍ .

كَأَرْكَ وَدَثَّ ، وَبَشَّ وَطَشَّ ، ثُمَّ قَطَّقَطَ <sup>(١)</sup> فَأَفْرَطَ ، ثُمَّ دِيمَ فَأَغْمَطَ ، ثُمَّ رَكَدَ  
فَأَتَجَّمَ ، ثُمَّ وَبَلَ فَسَجَّمَ ، وَجَادَ فَأَنَمَ ، فَقَمَسَ الرَّيَّا <sup>(٢)</sup> ، وَأَفْرَطَ الرَّيِّيَ ، سَبَّحَا  
تَبَاعَا ، مَا يَرِيدُ اقْتِشَاعَا ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَتْ الْحَزُونُ <sup>(٣)</sup> ، وَتَضَحَّضَتْ الْمُتُونُ ،  
سَافَهُ رَبُّكَ إِلَى حَيْثُ شَاءَ ، كَمَا جَلِبَهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ . ( بولع الأبر : ٣ : ٢٤٩ )

## ٦٨ - ثلاثة غلبة من الأعراب يصفون مطرا

، الْأَصْمَى قَالَ : مَرَرْتُ بِغَلْبَةٍ مِنَ الْأَعْرَابِ يَتِمَّا قَالُونَ <sup>(١)</sup> فِي غَدِيرٍ ، قُلْتُ  
لَهُمْ : أَيُّكُمْ يَصِفُ لِي الْغَيْثَ وَأَعْطِيهِ دِرْهَمًا ؟ فَعَرَجُوا إِلَيَّ فَقَالُوا : كُلَّنَا ، وَمِثْلُ ثَلَاثَةٍ ،  
قُلْتُ لَهُمْ : صِفُوا ، فَأَيُّكُمْ ارْتَضَيْتَ وَصْفَهُ أَعْطَيْتَهُ الدَّرَمَ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ :  
« عَنْ لَنَا قَارِضٍ قَصْرًا <sup>(٢)</sup> ، نَسُوقُهُ الصَّبَا ، وَنَحْدُوهُ الْجَنُوبَ ، يَجْبُو حَبَّو  
الْمُتَنِكَ <sup>(٣)</sup> ، حَتَّى إِذَا ارْتَلَامَتْ <sup>(٤)</sup> صَدْرُهُ ، وَاتَّحَلَّتْ خُصُورُهُ ، وَرَجَّعَ  
هَدِيرُهُ ، وَصَعَقَ زَيْبُهُ ، وَاسْتَقَلَّ نَشَاصُهُ <sup>(٥)</sup> ، وَتَلَامَ خَصَاصُهُ ، وَارْتَجَّ

[١] المظط بالكسر : للطر النتائج الطيم المطر ، وقد قططت السماء ، والقيمة بالكسر : مطر  
يدوم في سكون بلا رعد وبرق ، أو يدوم أيما ، وقد ديمت السماء ، غمط : دام ولارم ، وأتممت  
السماء : أسرع طرها ودام ، ولويل : للطر الشديد الضخم المطر ، وقد وليت السماء كوعده : أسطرت ،  
وسجم كمثل : سأل والمصب . [٢] قس الريا : كسر وخرب : غوصها ، وأرطها : ملأها  
حتى فاحت ، والزى جمع زية ككرسة ، وهي الراية لا يلوها الماء ، وخرة تحفر لميد الأسد ( وهو  
الراد هنا ) سميت بذلك لأنهم كانوا يحفرونها في موضع حال .

[٣] المزون جمع حرن كقمس وهو الغيط من الأرض ، وللتون جمع من كقمس : وهو ما صلب من  
الأرض وارتفع ، والضضج والضجاج والضضج : للاء الليل ، وقيل هو ما لا تحرق فيه ، وقيل هو  
اللاء إلى الكمين أو إلى أصفاء السوق - وفي لغة هنيل الكثير - وقد تضحج للاء ، والتضحج  
أيضا جرى السراب ، تضحج إذا تفرق .

[٤] يظلمون في اللاء . [٥] عرض : الحصر : الضيق ، والصبانوي تهب من مطلع الشمس إذا  
استوى الليل والبار . [٦] حاك الرمل كعسر : تعدد وارتفع فلم يكن فيه طريق ، ورولة طاك : فيها  
تعدد لا يندر البجر على اللقي فيها إلا أن يجبر ، واحسك البجر واستسك : حيا في الماكك فلم يندر على البجر  
وقال رؤبة : أوديت ولا تم تحب جبر المستك .

[٧] الألات : ارتفعت ، والمغمور جمع خمر : وهو وسط الإنسان ، والرجيع : تردد الصوت في  
الحلق . [٨] اللعاس ككتاب وسطب : السحاب للرفع ، أو للترجم بعينه فوق بني وخصاصه :

ارتعاضه ، وأوفدت سِقَابَهُ <sup>(١)</sup> ، وامتدت أطنابُهُ ، تدارك وَذْقُهُ ، وتأتق بَرَقُهُ ،  
وَحَفَرَتْ تَوَالِيهِ <sup>(٢)</sup> ، وأنسَفَحَتْ عَزَالِيهِ ، ففادر التَّرَى مَهْدًا <sup>(٣)</sup> ، والمَرَّازَ نَثْدًا ،  
والْحَثَّ عَقْدًا <sup>(٤)</sup> ، وَالضَّحَاصِجَ مُتَوَاصِيَةً ، وَالشُّعَابَ مُتَدَاعِيَةً .

وقال الآخر : « تَرَاءَتْ الْمَخَالِيلُ <sup>(٥)</sup> من الأقطار ، نَحْنُ حَيْنِ الْعِشَارِ ،  
وتترامى بِشُهْبِ النَّارِ ، قَوَاعِدُهَا مِتْلَاحِكَةٌ <sup>(٦)</sup> ، وَبَوَاسِقُهَا مُتَضَاحِكَةٌ ، وأرجاؤها  
مِتْقَاضِفَةٌ ، وأعجازها مُتَرَادِفَةٌ ، وأرجاؤها مُتَرَاصِفَةٌ ، فوصلت الغرب بالشرق ،  
وَالْوَبْلُ بِالوُذْقِ ، سَحَّادَرًا كَا <sup>(٧)</sup> ، مُتَابِعًا لَكَا كَا ، فَضَحَضَتْ الْجَفَافُجَ <sup>(٨)</sup> ،  
وَأَنْهَرَتْ الصَّافِصِيفَ ، وَحَوَّضَتْ الْأَصَالِفَ ، ثم أَفْلَعَتْ مَحْمُودَةَ الْآثَارِ ،  
مَوْمُوقَةَ الْخِيَارِ .

فرجه ، وأصله الفرج بين الأثافي والنفب الصغير وكل خلل أو خرق في باب ومنخل وبرقع ونحوه ، وارتفع :  
ارتعد ، وارتعس : تلوَّى وانفض ، وارتعس الرمح : اشتد اهتراه .

[١] أوفدت : أشرفت ، والسقاب جمع سقب كشمس وهو عمود الجباب ، والأطاب جمع طب كدق وهو  
جبل طويل يشد به الوتد . [٢] حفزه كغربه : دفعه من خلفه ، والتوالى : الأعجاز والمآخير ، والمرامى  
بكسر اللام ونحوها جمع عزلاء : وهي مصب الماء من الزاوية ونحوها ، وأسفحت : أصبته ، من سفع الدم  
أواقه . [٣] عمد الترى كفرح : بلله المطر حتى إذا قبضت عليه تعد لدوته ، والمراز : الأرض الصلبة  
مكان شد : ند من التأد بالتحريك وهو الدى . [٤] الحث : اليأس الحشن من الرمل ، والعقد ككف  
وجبل : ما تقدم من الرمل وتراكم ، والضحاضح كجفر والضحضاح : الماء البير ، متوافية : متواصلة ، والشعاب  
جمع شعبة كفرصة : وهي للسيل في الرمل ، وما عظم من سواقي الأودية ، وصعد في الحبل بأوى إليه المطر .  
[٥] مخاليل جمع مخيلة « بسم اللب وكسر الماء » والمخيلة والمخيلة « بتشديد الياء المكسورة » السحابة  
التي تحسبها مطرة ، والمشار جمع عشاء كفساء : وهي النافذة التي مضى لحملها عصرة أشهر أو ثمانية ،  
أو هي كالفساء من النساء ، والفهب جمع شهاب ككتاب : وهو شملة من نار ساطعة .

[٦] قواعدها : أسافلها ، وأصله من قواعد البيت : أى أساسه ، متلاحكة : أى قد اشتد التماسها ،  
والتلاحكة : النافذة الشديدة الحلق ، وبواسقها : أعاليها جمع باسقة ، من بقى : أى طال وارتفع ، ومتضاحكة :  
أى يضعك فيها برقعها ، متقاذفة : أى يقذف بعضها بعضًا بالمطر ، وأرجاؤها : أوساطها ، مترافعة : متراكمة  
قد رصف بعضها فوق بعض . [٧] أى صبا متناهيًا ، ولكا كذا : مزاحما من السكك ككتاب وهو لرحام .  
[٨] الجفاجف جمع جفجف كجفر : وهي الأرض للرنة ليست بالعليفة ، ومخضبتها : حطت فيها مخاضها ،  
والصفاصيف جمع صفيصف كجفر : وهو المستوى من الأرض ، وأنهر الماء : أساله ، والأصل والصلفاء :  
ما صلب من الأرض ، والجمع أصالف ، وحوضت جعلت فيها حياضًا .

فقال الثالث : وأقْبَهُ مَاخِلَتْهُ بَلُغَ مُحْسَاً ، فقال : هَلَمْ الدَّرَمُ أَصِفْهُ لَكَ ، فقلت : لا ، أو تقول كما قالَا ، قال : لَا بُدَّ لِي مِنْهُمَا <sup>(١)</sup> وَصَفَاً ، ولَا وَفَقْتُهُمَا رَصَفَاً ، فقلت : هَاتِ لِي أَبُوكَ ، فقال : « يَتِمُّنَا الْحَاضِرُ بَيْنَ الْبَاسِ وَالْإِبْلَاسِ ، قَدْ غَمَّرَمَ الْإِشْفَاقُ ، رَهْبَةً الْإِمْلَاقُ ، وَقَدْ جَفَّتِ الْأَنْوَاءُ <sup>(٢)</sup> ، وَرَفَرَفَ الْبَلَاءُ ، وَاسْتَوْلَى الْقُنُوطُ عَلَى الْقُلُوبِ ، وَكَثُرَ الْاسْتِغْفَارُ مِنَ الذُّنُوبِ ، ارْتَاحَ رَبُّكَ لِعِبَادِهِ ، فَأَنْشَأَ سَحَابًا مُسْتَجْبِرًا <sup>(٣)</sup> كَنْهَوْرًا مُغْنَوْنِكَا مُخْلَوْنِكَا ، ثُمَّ اسْتَقَلَّ وَأَحْزَأَلَ ، فَصَارَ كَالسَّمَاءِ دُونَ السَّمَاءِ ، وَكَالْأَرْضِ الْمَذْخُوءَةِ <sup>(٤)</sup> فِي لُوحِ الْمَهْوَاءِ ، فَأَحْسَبُ الشَّهُولَ ، وَأَتَأَقُّ الْمَجْجُولَ ، وَأَحْيَا الرِّجَاءَ ، وَأَمَاتُ الصَّرَاءَ ، وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . قال : فَلَاؤَاقِهِ الْيَفِغُ صَدْرِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ دَرَاهِمًا ، وَكُتِبَتْ كَلَامُهُمْ . ( بُلُوغُ الْأَرْبِ ٢ : ٢٥٢ )

## ٦٩ - أَعْرَابِي يَصِفُ مَطَرًا

عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : سَأَلْتُ أَعْرَابِيًّا عَنْ مَطَرٍ صَابَهُمْ بَعْدَ جَذَبٍ فَقَالَ : « ارْتَاحَ لَنَا رَبُّكَ بَعْدَ مَا اسْتَوْلَى عَلَى الظَّنُونِ ، وَخَامَرَ الْقَلْبَ الْقُنُوطُ ، فَأَنْشَأَ بَنُوهُ الْجَبِيَّةَ <sup>(٥)</sup> قَرْعَةً كَالْفَرَسِ مِنْ قِبَلِ الْعَيْنِ ، فَأَحْزَأَلَتْ عِنْدَ تَرْجُلِ النَّهَارِ ،

[١] بَدَّهَ : فَاتَهُ وَغَلَبَهُ ، وَالْحَاصِرُ : سَاكِنُ الْخَفَرِ ، وَالْبَاسُ : الْغَنَابُ وَالشَّعْدَةُ ، وَالْإِبْلَاسُ : النَجِيرُ وَالْيَاسُ ، وَالْإِشْفَاقُ : الْحُوفُ ، وَالْإِمْلَاقُ : الْهَالَةُ . [٢] الْأَنْوَاءُ : جَمْعُ نَوَاءٍ : وَهُوَ فِي الْأَمَلِ سَقُوطُ النَّجْمِ فِي اللَّغَبِ مَعَ الْفَجْرِ وَطُلُوعِ آخَرٍ يَجَالِيهِ فِي سَاعَتِهِ مِنَ الْفَرَقِ ، وَكَانَتِ الرَّبُّ تَضْيِفُ الْأَمْطَارَ وَالرِّيحَ وَالْحُرَّ وَالْبَرْدَ إِلَيْهَا . [٣] مُسْتَجْبِرًا : لَمْ أَجِدْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ فِي كُتُبِ الْعِلْمِ ، وَرَبَّمَا كَانَ الْأَصْلُ : « مُسْتَجْرًا » مِنْ اسْتَجَرَّ إِلَهُهُ إِذَا اتَّعَى ، وَالْمُخْلَوْنَ : الشَّدِيدَ السَّوَادِ ، وَقَدْ تَهَمُّنَ مَعْنَى اهْتَكَمَ وَاسْتَعَنَكَ ، وَاعْنُوْنُكَ أَفْعُولٌ مِنْ هَذِهِ اللَّادَةِ ، وَلَمْ أَجِدْ فِي كُتُبِ الْفَنِّ . [٤] اللَّيْسُوْطَةُ ، وَاللُّوحُ : الْمَهْوَاءُ وَأَحْسَبُهَا : أَرَوَاهَا ، مِنْ أَحْسَبَ إِذَا أَطْمَسَ وَسَقَاهُ حَتَّى شَبِعَ وَرَوَى ، وَأَتَأَقُّ : مَلَأَ ، وَالْمَجْجُولُ : جَمْعُ هَيْلٍ كَشْمَسُ : وَهُوَ اللَّطِيفُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَالْيَفِغُ وَالْيَانِعُ : الشَّابُّ . [٥] الْجَبِيَّةُ : مَنَزَلُ الْقَمَرِ ، قَرْعَةُ : قَلْعَةٌ مِنَ الْحَبِّ ، وَالْفَرَسُ : الْتَرَسُ ، وَالْعَيْنُ : الْفَلَكَةُ ، وَتَرْجُلُ الْتَهْلَرُ : ارْتَعَلَ .



لَا زَمِيمَ السِّرَارِ<sup>(١)</sup> ، حتى إِذَا تَهَضَّتْ فِي الْأَفْقِ طَالِعَةً ، أَمْرَ مَسْخَرِهَا الْجَنُوبَ  
فَتَنَسَّمَتْ لَهَا ، فَاثْتَشَرَتْ أَحْضَانُهَا ، وَأُحْمَوِمَتِ أَرْكَانُهَا ، وَبَسَقَ غَنَائِهَا<sup>(٢)</sup> ،  
وَكَفَهَرَتْ رَحَاهَا ، وَانْبَجَتْ كُلَّهَا ، وَذَمَّرَتْ أُخْرَاهَا أَوْلَاهَا ، ثُمَّ اسْتَطَارَتْ  
عَقَائِقُهَا ، وَتَقَمَّقَعَتْ صَوَاعِقُهَا ، ثُمَّ ارْتَمَعَتْ<sup>(٣)</sup> جَوَانِبُهَا ، وَتَدَاعَتْ سَوَاكِبُهَا ،  
وَذَرَّتْ حَوَالِيَهَا ، فَكَانَتْ الْأَرْضُ طَبَقًا<sup>(٤)</sup> ، سَحَّ فَهَضْبَ ، وَعَمَّ فَأَحْسَبَ ،  
فَقَلَّ الْقِيَمَانُ ، وَضَخَضَحَ الْفَيْطَانُ ، وَجَوَّحَ الْأَضْوَاجَ<sup>(٥)</sup> ، وَأَتْرَعَ الشَّرَاجَ ،  
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ كِفَاءَ إِسَاءَتِنَا إِحْسَانًا ، وَجَزَاءَ ظَلَمْنَا غُفْرَانًا .

(بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٢)

## ٧ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً من بني عامر بن لؤي بن  
صَعَصَعَةَ يصف مطراً فقال :

« نَشَأَ عِنْدَ الْقَمَرِ ، بِنُوءِ الْفَقْرِ<sup>(١)</sup> ، حَبِيْبًا قَارِصًا ، ضَاحِكًا وَامِضًا ،  
فَكَلَّا وَلَا<sup>(٢)</sup> » ، مَا كَانَ ، حَتَّى شَجِيَتْ بِهِ أَقْطَارُ الْهَوَاءِ ، وَاحْتَجَبَتْ بِهِ السَّمَاءُ ،

[١] الإزيم : لبلة من لبال الحاق - والحاق مثنى : ثلاث لبال من آخر النهر ، والسرار :  
آخر ليلة من الشهر ، وأحضانها جمع حضن كمل : وهو جانب الشيء وفاحيته ، وأحومت : اسودت .  
[٢] بسق : ارتفع ، والنان : السحاب ، رحاها : وسادها ، وانبعج : انشقت ، والكلية من  
السحاب : أسفله - ومن الزادة رقة مستديرة تخرز عليها تحت المروة ، وذمرت : حضت - والتذامر :  
التحاض على القتال ، عقاقها : بررقها المشبه للفتاق .

[٣] ارتمن المطر : ثبت وجاد . [٤] غيث طبق : عام واسع يطبق الأرض ، وهب كغرب :  
مطر . [٥] جَوَّحَ السَّيْلُ الْوَادِي : إِذَا كَسَرَ جَيْدِيهِ وَاقْتَلَعَ أَهْرَاقَهُ ، وَهُوَ تَصْغِيبُ  
وَالْأَضْوَاجَ جَمْعُ ضَوْجٍ كَشَمْسٍ : وَهُوَ مَنَعُطُ الْوَادِي ، وَالشَّرَاجُ جَمْعُ شَرَجٍ كَشَمْسٍ أَيْضًا : وَهُوَ مَسِيلُ  
الْمَاءِ مِنَ الْمَرَّةِ ( فَتَحَ الْمَاءُ ) إِلَى السَّيْلِ .

[٦] القمر : المشي ، والقمر : منزل القمر ، والحي : السحاب يشرف من الأفق على الأرض ، وألذي  
بهمسه فوق بعض . [٧] قال في القلبي : « والغرب إذا أرادوا تقليل مدة فعل أو طهور شيء غي  
قاروا : كان فعله كلا ، وربما كرروا فقالوا كلا ولا ، قال الشاعر : يكون نزول القمر فيها كلا ولا : » ،  
والعجا : ما اعترض في الحلق من نظم ونحوه ، وتد شحي به كرضى .

ثم أطرق<sup>(١)</sup> فاكفهر<sup>(٢)</sup>، وتراكم فاذلهم<sup>(٣)</sup>، وبسق فازلأم<sup>(٤)</sup>، ثم حدث به الريح،  
فخن<sup>(٥)</sup>، فالبرق مرمج<sup>(٦)</sup>، والرعد متبجح<sup>(٧)</sup>، والخروج متبجح<sup>(٨)</sup>، فانجم ثلاثا<sup>(٩)</sup>،  
متحيراً منها كما<sup>(١٠)</sup>، أخلافه حاشكة<sup>(١١)</sup>، ودفعه متواشكة<sup>(١٢)</sup>، وسوامه متماركة<sup>(١٣)</sup>، ثم  
ودع منجماً<sup>(١٤)</sup>، وأقلع منهنما<sup>(١٥)</sup>، محمود البلاء<sup>(١٦)</sup>، مثرع<sup>(١٧)</sup> التهاء<sup>(١٨)</sup>، مشكور النعماء<sup>(١٩)</sup>،  
بطول<sup>(٢٠)</sup> ذي الكبرياء<sup>(٢١)</sup>. (برغ الأرب ٢ : ٢٥٤)

## ٧١ - أعرابي يصف مطراً

عن أبي عبيدة قال : خرج الثعمان في بعض أيامه في عقيب سماء<sup>(١)</sup>، فلقى  
أعرباً على ناقة<sup>(٢)</sup>، فأمر فأتى به<sup>(٣)</sup>، قال : كيف تركت الأرض وراءك<sup>(٤)</sup>، فقال :  
« فيح رُحاب<sup>(٥)</sup> »، منها السهول ومنها الصعاب<sup>(٦)</sup>، منشوطة يجبالها<sup>(٧)</sup>، حاملة  
لأثقالها<sup>(٨)</sup>، قال إنما سألتك عن السماء<sup>(٩)</sup>، قال :  
« مُطَلَّة<sup>(١٠)</sup> مستقلة<sup>(١١)</sup>، على غير سيقاب ولا أطناب<sup>(١٢)</sup>، يختلف عصرها<sup>(١٣)</sup>،  
ويتعاقب سراجها<sup>(١٤)</sup>، قال : ليس عن هذا أسألك<sup>(١٥)</sup> ! قال : فسَلْ ما بدا لك<sup>(١٦)</sup>، قال :  
هل صابَ الأرض غيث<sup>(١٧)</sup> ؟ قال :  
« نعم : أغمطت<sup>(١٨)</sup> السماء في أرضنا ثلاثاً رهوًا<sup>(١٩)</sup>، فثرت وأرزغت<sup>(٢٠)</sup>،

[١] دوس أطرقت الإبل : تبع بعضها بعضاً ، وادلهم : اسود .

[٢] التبرج : الصباح ، والمرج : السحاب أول ما ينشأ ، متبجح : متدفق .

[٣] المنهات : الريح ، حاشكة : كثيفة اللحاء ، متواشكة : يمارح بعضها بعضاً ، والسوام : الإبل الرامية .

[٤] أهم للطر وعيره : ألقع ، ومنهما : أي سائرا نحو تهامة ، والهاء جمع نهي بالكسر والفتح وهو الدبر .

[٥] أي بصله وقدرته .

[٦] فيح جمع فيحاء : واسعة ، وكذا رحاب ، منشوطة : مشدودة ، من شط الحبل كتمر عقده

(وأشطه : حله) . [٧] مطلة : مرتفعة ، وكذا مستقلة ، والسيقاب جمع سقب كشس : وهو عمود الخباء ،

والصبران : الليل والنهار ، وسراجها : الشمس والقمر . [٨] أي دامت ولازمت ، والرهو : السكون

والثرة من البيوت : الثيرة كالثرارة ، وقد ثرت هي ، والرزغة بالتحريك : الوحل ، وأرزغ للطر الأرض

بها ولم تسبل ، ووسن الدار : كثر وترى الأرض حتى تبلغ يد الحافر ، إلى إرسافه .

وَرَسَقَتْ ، ثم خرجت من أرض قوى أقرؤها <sup>(١)</sup> ، فإذا هي متواصية ، لا خطيطة بينها ، حتى هبطت بمِشَار ، فتداعى السحاب من الأقطار ، فجاءنا بالسيل الخرار ، فعفا <sup>(٢)</sup> الآثَار ، وملأ الجِفَار ، وقَوَّر على الأشجار ، فأجَحَرَ الحُضَار ، ومنع السُقَار ، ثم أفلح عن نفع وإضرار ، فلما اتلَّابَتْ <sup>(٣)</sup> لى القِيَمَان ، ووضعَت السُّبُل فى النِّيطَان ، وفات العَنَان ، من أقطار الأعنان ، فلم أجد وزراً إلا الفِرَان ، ففات وجار الضُّبُع ، فنادت السهول كالبحار ، تتلاطم بالثِيَار ، والحُزُون متلفعةً بالغَدَاء <sup>(٤)</sup> ، والوحوش مقدوفة على الأرجاء ، فما زلت أطا السماء ، وأخوض الماء ، حتى وطيئت أرضكم . ( بولج الأرب ٢ : ٢٥٧ )

## ٧٢ — أعرابى يصف مطرا ✓

عن أبى عبيدة قال : وقف أعرابى على قوم من الحاج فتال :

« يا قوى بدا شأنى ، والذى ألقينى <sup>(٥)</sup> إلى مسألتكم ، إن النيث كان قد قوى عنا ، ثم تكرهنا السحاب ، وشصا الرِّبَاب ، وأذهم سيقه <sup>(٦)</sup> ، فارتجس ريقه ، وقلنا : هذا عامٌ باكرٍ الوسمى <sup>(٧)</sup> ، محمود السَّيى ، ثم هبت له الشمال ، فأخزأت طخاريره <sup>(٨)</sup> ، وتقرع كرفقه متباشراً ، ثم تابع لمعان البرق ، حيث

- [١] أنبجها ، والمخططة : الأرض لم تَطُر بين ممطورتين ، أو التي مطر بعضها ، وعشار : موضع .  
[٢] عفاها وطمسها ، والجفار جمع جفر كشمس : البثر التي لم تطو ، وقورها : قطع من وسطها خرقا مستديرا ، وأجحر ، من أجحر الضب : أى أدخله وحركه ، والحضار جمع حاضر وهو المقيم فى الحضر ، والسفار جمع سافر وهو المسافر لافضل له . [٣] استقامت ، والعنان : السحاب ، والأعنان من السماء : نواحيها ، ولوزر الملجأ ، والفيران جمع غار : وهو الكهف فى الجبل ، والوحار بالكسر والفتح : جحر الضئيع وغيرها . [٤] الفناء : البالى من ورق الشجر المختلط لزيد السيل .  
[٥] الجأى ، وقوى المطر : احتبس ، وتكره : تراكم ، وشصا : ارتفع ، والرباب : السحاب الأبيض .  
[٦] أذهم : اسود ، والسيق : السحاب لآما فيه ، والريق : تردد الماء على وجه الأرض .  
[٧] الوسمى : مطر الريح الأول ، سمى بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات ، والسمى جمع سمل : وهو المطر أو المطرة الجيدة . [٨] الطخارير جمع طخروور كصفور بالحاء والحاء : القطع من السحاب ، والكركى : السحاب المرتفع للتراكم ، وتقرع : تفرق واتهم ، وشام البرق : نظر إليه أين يقصد .

نَشِيْمُهُ الْأَبْصَارَ ، وَتَجْدَهُ النَّظَارَ ، وَتَرَّتِ <sup>(١)</sup> الْجَنُوبُ مَاءَهُ ، قَقْوَضَ الْحَيُّ مُزْتَمِنِ  
نَحْوَهُ ، فَمَرَحْنَا الْمَالَ فِيهِ وَكَانُوا رِجْمًا وَخِيَامًا ، فَاسَافَ الْمَالَ ، وَأَصْفَ الْحَالَ ، فَرَجِمَ  
اللَّهُ امْرَأَ جَادٍ بِمَيْرٍ ، أَوْدَلَ عَلَى خَيْرٍ . (بلوغ الأرب ٣ : ٧٠٨)

## ٧٣ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

قال أبو حبيب - وكان أعرابيا من بني ربيعة بن مالك - : « لقد رأيتنا في  
أرضٍ عَجْفَاءٍ <sup>(١)</sup> ، وزمانٍ أعْجَفَ ، وشجرٍ أَعْصَمَ ، في قُبٍّ غليظٍ ، فبينما نحن  
كذلك ، إذ أنشأ الله تعالى من السماء غيثا مُسْتَكِفًا <sup>(٢)</sup> نَشُوهُ ، مُسْبِلَةً عَزَّالِيَهُ ،  
صَنِغَامًا قَطْرُهُ ، جَوْدًا صَوْبُهُ زَاكِيًا ، أنزله الله تعالى رزقا لنا ، فَمَدَّشَ به أموالنا ،  
وَوَصَلَ به طرفنا ، وَأَصَابَنَا وَإِنَّا لَبِنُوطَةٌ <sup>(٣)</sup> بَمِيْدَةِ الْأَرْجَاءِ ، فَأَهْرَمَعَ مَطَرُهَا ،  
حَتَّى رَأَيْنَا وَمَا نَرَى غَيْرَ السَّمَاءِ وَالْمَاءِ ، وَضَهَوَاتِ الطَّلَحِ <sup>(٤)</sup> ، وَضَرَبَ السَّيْلُ  
النَّجَافَ ، وَمَلَأَ الْأَوْدِيَةَ فَزَعَبَهَا ، فَالْبَيْتُ الْإِعْشَرَا ، حَتَّى رَأَيْتُهَا رَوْضَةً تَنْدَى .  
(بلوغ الأرب ٣ : ٧٠٩)

[١] هو من مري الناقة كرى : مسح ضرعها لتدر ، مزتمين : ماضين مرتحلين إليه ، وأساف لال :  
أهلكه ، والسواف كجبال وشجاع : اللوت في الناس واللآل : ساف سوافا أى هلك ، وأسافه الله ، ويقال  
أهيا أساف الرجل : وقع في ماله السواف أى اللوت ، وأصف من الضرب كسبب وهو الضرب والعدة ،  
أصاهم من العيش صلف أى شدة .

[٢] ليس بها نبات ، وأسله من الجف بالتصريك وهو الخزال ، وأعصم : يابس ، وأسله من السم  
بالتصريك وهو ييس في فصل الرشح فهو ج منه اليد والقدم ، واللب : ما غلظ من الأرض وارتفع ، لم  
يلغ أن يكون جيلا ، وأنشأ الله السحاب : رفعه . [٣] مستكفا : مستديرا كالسكة ، ( والسكة  
بالسر ويضم كل مستدير ) ، وصوبه : مطره . [٤] النوطة : الأرض يكثر بها الطلح ( والطلح :  
شجر عظام ) وللاوض للرفع عن الماء ، أو ليس بواد ولا نمة بل بين ذلك ، وأهرمع : كثر وأسرع .  
[٥] الفهوة : بركة للماء ، والجاف جمع تجف بالتصريك وبهاء : مكان لا يملؤه الماء ، أو هي أرض  
مستدرة مفرقة على ما حولها ، وزهبها : ملأها .

## ٧٤ - أعرابي يصف مطرا

ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال :

« أصابتك سماء في وجهك يا أعرابي » ؟ قال : « نعم يا أمير المؤمنين ، غير أنها سحابة طحناء وطفاء <sup>(١)</sup> ، كأن هوائها الدلاء ، مُرْجِحَةٌ النواحي ، ووصوله بالآكام ، تكاد تَمَسُّ هَامَ الرجال ، كثيرٌ زَجَلُها <sup>(٢)</sup> ، قاصِفٌ رَعْدُها ، خاطف <sup>(٣)</sup> برقها ، حَيِثُ وَدَقْها ، بطيء ، سيرها ، مُتَعَجِّرٌ قَطَرُها ، مظلمٌ نَوْؤُها ، قد لجئت الوحش إلى أوطانها ، تبحث عن أصولها بأظلافها ، متجمعة بعد شتاتها ، فلولاً اعتصامنا يا أمير المؤمنين بِعِضَاءِ الشجر ، وتعلقنا بِقُنْنِ الجبال ، لكننا جفأ <sup>(٤)</sup> في بعض الأودية ، وَلَقِمَ الطريق ، فأطال الله للأمة بقاءك ، ونسألُها في أَجَلِكَ يركتك ، وعاد الله بك على رعيتك ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد .

فقال سليمان : « لَمَمَرُ أَيْكَ لئن كانت بديهة لقد أحسنت ، وإن كانت مُجَبَّرَةً لقد أجدت » ، قال : بل مجبرة مهدورة يا أمير المؤمنين ، قال : « يا غلام أعطه ، فوالله لَصِدْقُهُ عَجَبٌ إلينا من صِفَتِهِ » . (العقد الفريد ٢ : ٩٦)

## ٧٥ - أعرابية تصف مطرا

عن الأصمعي قال : « كَانَ شَيْخٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فِي خِيَابِها ، وابنة له بالفناء <sup>(٥)</sup> ، إذ سمع رعداً فقال : مَا تَرَيْنِ يَا بُنَيَّةُ ؟ قالت : أراها حَوَاءَ قَرَحَاءَ <sup>(٦)</sup> ، كأنها أَقْرَابُ

[١] سحابة وطماء : مسترخية لكثرة ماها ، أو هي الدائمة السح الحثينة ، هوائها : أوائلها ومقاديرها ، مرجحة : تهيلة مهتزة . [٢] ازجل : الجلبة ورفع الصوت ، متعجر : سائل منصبي ، ولجأ إليه كنع وفرح ، وأظلاف جمع ظلف بالكسر وهو للبقرة والثاة والطي وشبهها كالقدم لها ، والفن جمع فنة ، وهي فنة الجبل . [٣] زدت هذه الكلمة كي يستقيم بها الكلام والظاهر أنها سستت من الأصل في الطبع . [٤] الجعاء : الربد ، ولقم الطريق : معطيه أو وسطه ، حوى الأشمل : « نعم » وهو منحرف .

[٥] الفناء : ما اتسع أديم الدار . [٦] حواء : وصف من الحوة بالضم وهي حمرة الى السواد ،

أَتَانِ قَرَاءَ ، ثُمَّ مَعَ رَاعِدَةٍ أُخْرَى فَقَالَ : كَيْفَ تَرِينَهَا ؟ قَالَتْ : أَرَاهَا جَمَّةَ  
الْتَرَجَافِ <sup>(١)</sup> ، مَسَاقَطَةُ الْأُكْنَافِ ، تَتَأَلَّقُ بِالْبَرْقِ الْوَلَّافِ ، قَالَ : هَلُمِّي الْمِزْرَقَةَ ،  
إِنِّي <sup>(٢)</sup> نُؤْيَا . ( بلوغ الأرب ٢ : ٢٥١ )

## ٧٦ - أعرابية تصف مطراً

عن الأصمعي قال : كَانَ أَعْرَابِيٌّ ضَرِيرٌ تَقْوَدُهُ ابْنَتُهُ ، وَهِيَ تَرعى غُنَيْمَاتٍ لَهَا ،  
فَرَأَتْ سَحَابًا فَقَالَتْ : يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرِينَهَا ، قَالَتْ :  
كَأَنَّهَا فَرَسٌ دَهْمَاءٌ <sup>(٣)</sup> تَجَرَّجَلَاهَا ، قَالَ : ارْعَى غُنَيْمَاتِكَ ، فَرَعَتْ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَتْ :  
يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، قَالَ : كَيْفَ تَرِينَهَا ؟ قَالَتْ : كَأَنَّهَا عَيْنٌ جَلَّ طَرِيفُ <sup>(٤)</sup> ،  
قَالَ : ارْعَى غُنَيْمَاتِكَ ، فَرَعَتْ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، قَالَ : كَيْفَ  
تَرِينَهَا ؟ قَالَتْ : سَطِطَتْ وَابْيَضَّتْ ، قَالَ : أَدْخُلِي غُنَيْمَاتِكَ ، قَالَ : جَاءَتْ السَّمَاءُ  
بشئٍ شَطَطًا <sup>(٥)</sup> لَهُ الزَّرْعُ وَأَيْنَعُ ، وَخَصِرٌ وَنَصِيرٌ . ( بلوغ الأرب ٢ : ٢٦٠ )

## ٧٧ - أعرابي يصف أرضاً

ووصف أعرابي أرضاً أحدها فقال :

« خَلَعَ شَيْحُهَا ، وَأَبْقَلَ رَمْتُهَا ، وَخَضَبَ عَرَفُجُهَا <sup>(١)</sup> ، وَأَتَسَّقَ نَبْثُهَا ،  
وَاخْضَرَّتْ قُرَيَانُهَا ، وَأَخْوَصَّتْ بُطْنَانُهَا <sup>(٢)</sup> ، وَأَحْلَسَتْ أَكْجَامُهَا ، وَاعْتَمَّ

والفرجة بالضم : في وجه الفرس دون العروة ، والوصف منه أفرح وفرحاء ، والأقرب جمع قرب كقفل  
ومنى : وهو الخاصرة ، والفرجة بالضم : يابس فيه كثرة ، حار أقر ، وأتان قراء .

[١] كثبة الاضطراب ، الولاف : المتابع ، من ولف البرق كوعد ولماً وولافاً بالكسر : تابع .

[٢] النؤى : المفير حول الجباء يمنع السيل ، وتأيتته عمله .

[٣] سدهاء ، والجلال جمع جل بالضم والفتح : ما تلبسه العجاة لصنانه .

[٤] الجبل يظلم من رمي إلى رمي . [٥] شطأ الزرع : أخرج شطأه ، أى فراخه .

[٦] خلق الفيج : أوردى ( والخالج من الضياء : الذى لا يسطع وره أبدأ ، والضياء ككتاب : كل شجر  
له شوك ) والرمث : رمي للإبل ، وشجر يشبه الضياء ، والبرقع : شجر سلبى ، وخضب النجر كغرب  
وصمع ومعى : اخضر . [٧] القربان : مجارى الماء من الروى إلى الرياض جمع قرى كقنى ، وأخوس

نَبَتْ جَرَائِمَهَا<sup>(١)</sup> ، وَأَجْرَتْ بَقْلَتَهَا وَذَرَقَتَهَا وَخُبَّازَتَهَا<sup>(٢)</sup> ، وَأَحْوَرَّتْ خَوَاصِرُهَا ،  
إِبْلَاهَا ، وَشَكِرَتْ حُلُوبُهَا ، وَسَمِنَتْ قَتُوبُهَا<sup>(٣)</sup> ، وَعَمِدَتْ تَنَاهِيَا ،  
وَأَمَاهَتْ ثَمَارُهَا ، وَوَزَّقَ النَّاسُ بَصَارَتَهَا<sup>(٤)</sup> . ( البيان والتبيين ٢ : ٧٧ )

## ٧٨ - رائد يصف أرضاً جديدة

قال أبو الجحيب : وصف رائدُ أرضاً جديدة فقال :

« أَغْبَرَّتْ جَادَّتُهَا<sup>(٥)</sup> ، وَذَرَعَ مَرْتَمَهَا ، وَقَصِمَ شَجَرُهَا ، وَزَقَّتْ كَرِشَهَا ،  
وَخَوَّرَ عَظْمَهَا ، وَالتَّقَى سَرَاحَهَا<sup>(٦)</sup> ، وَتَمَيَّزَ<sup>(٧)</sup> أَهْلُهَا ، وَدَخَلَ قُلُوبَهُمُ الْوَهْلُ ،  
وَأَمَوَالَهُمُ الْمَزَلُ » . ( البيان والتبيين ٢ : ٧٧ )

الرفيع : تفطر بورق ، وأخوصت النخلة : أخرجت الحوص ، والبطنان جمع بطن وهو الماضى من الأرض  
أى المأخوذ منها . [١] أحلس البت : غطى الأرض بكثرة ، وأحلس الأرض فهى محسنة : صار  
البات عليها كالحلس كثرة - الحلس كحل كساء على ظهر البعير - والجرايم جمع حرثومة بالفم ، وجرثومة  
الشيء : أصله ، واعم : أى كآبه لبس عمامة . [٢] أجرت البقلة : صارت لها حراء - وحراء ككتاب  
جمع حرو بالثنية وهو صغير كل شيء - والقرقة واحدة الفرق وهو نبات مثل السكران الجبلى الدقاق فى  
رأسه حب حلو يؤكل رطباً نجبه الرعاة يأتون به أهلهم ، والحبارة والحبازى : الثبت المعروف .

[٣] أحورت : أبيضت وذلك من الشد على خواصرها لئلا تحبط ( والحبط بالتحريك : انقفاخ بطنها من  
مرعى ترعاه ) والحلوبة : الحلوبة ، وشكرت الناقة : امتلأ ضرعها ، والهابية : سميت ، والقنوبة : الابل  
التي تقنيها ( وأقنت الناقة : شد عليها الفتب ( بالتحريك ) وهو إكاف صغير على قدر سنام البعير ) .

[٤] عمد الثرى : بله المطار حتى إذا قبضت عليه تنقد لموتة ، والتناهى جمع تنهى : وعى مستقر السيل  
حيث ينتهى للماء من الوادى ، وعقدت تناهيا : أن يمر السيل مقبلا حتى إذا انتهى منتهاء دار بالأبطح  
حتى يلتقى طرفا السيل ، وأمَاهَتْ ثَمَارُهَا : أى كثر ماؤها ، والصائرة : اللامر والكلاء .

[٥] الجادة : الطريق إلى الماء ، وذرع للرتع : بعد عن الماء ، وقصم شجرها : تكسر ، يقال :  
سيف قصم كفرح : أى طال عليه الدهر فتكسر حده ، وقصم السن : انصدع وتلم ، وإذا لم يكن لجمال  
مرعى إلا الشجر وحده رقت أكراشه . [٦] يعنى أنه إذا أكل كل سارح مايه ، انقيا عند الماء .  
[٧] فترتوا فى طلب الكلاء ، والرحل : الفزع ، والمزل : موت مواشى الرجل .

## ٧٩ - رائد يصف أرضاً

عن محمد بن كُناسة قال : أخبرني بعض فصحاء أعراب طي<sup>(١)</sup> قال :  
« بعت قوم رائداً ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : عُشْبٌ وَتَمَاشِيبٌ <sup>(٢)</sup> ، وَكَمَاةٌ  
مُتَفَرِّقَةٌ شَيْبٌ ، تَقْلَمُهَا بِأَخَافِهَا النَّيْبُ <sup>(٣)</sup> » ، قالوا : لم تصنع شيئاً ، هذا  
كذب ! فأرسلوا آخر ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : « عُشْبٌ كَأَدْمَ مَادٍّ ، مَوَلِيٌّ <sup>(٤)</sup>  
وَعَهْدٌ ، مُتَدَارِكٌ جَعْدٌ <sup>(٥)</sup> ، كَأَنفَازٍ نِسَاءُ بَنِي سَعْدٍ ، تَشْبَعُ مِنْهُ النَّيْبُ وَهِيَ تُعَدُّ <sup>(٦)</sup> » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٧٩ )

## ٨٠ - رائد يصف أرضاً

وبعت رجل أولاده يرتادون في خِصْبٍ ، فقال أحدهم : « رَأَيْتُ بَقْلًا ،  
وَمَاءً غَيْلًا <sup>(١)</sup> ، يَسِيلُ سَيْلًا ، وَخُوصَةٌ تَمِيلُ مَيْلًا ، يَحْسِبُهَا الرَّائِدُ لَيْلًا » ، وقال  
الثاني : « رَأَيْتُ دَيْعَةً عَلَى دَيْعَةٍ ، فِي عَهْدِهَا غَيْرُ قَدِيمَةٍ ، وَكَلَّا تَشْبَعُ مِنْهُ النَّابُ  
قَبْلَ الْفَطِيمَةِ » . ( البيان والتبيين ٢ : ٧٩ )

بَقْلٌ

وروى هذا الوصف عن ابن الكلبي بصورة أخرى قال :

« خُطِبَ هِنْدُ بِنَةُ الْخُسِّ الْإِيَادِيَةِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهَا ، وَارْتَضَتْ أَنْسَابَهُمْ

[١] العُشْبُ : الكَلَّا الرُّطْبُ ، وَالتَّمَاشِيبُ : القَطْعُ لِلْمُتَفَرِّقَةِ . [٢] البَيْبُ جَمْعُ نَابٍ : وَهُوَ  
الثَّاقَةُ لِلنَّسَةِ . [٣] جَاءَ فِي الْإِنْسَانِ : « قَالَ الْأَصْمَغِيُّ : قِيلَ لِبَعْضِ الْعَرَبِ : أَصَبَ لَنَا مَوْضِعٌ أَيْ اطْلُبْ  
قَالَ رَائِدٌ : وَجَدْتُ مَكَانًا تَدْمًا مَتَدًا ( يَفْتَحُ فَكْسَرُ ) وَقَالَ زَيْدُ بْنُ كَثُوفَةَ : بَنُوا رَائِدًا لَجَاءَ وَقَالَ : عُشْبٌ  
تَادِمَادٌ ( يَفْتَحُ فَسُكُونُ ) كَأَنَّهُ أَسْوَقُ بَنِي سَعْدٍ » وَتَدْمُ الثَّبَتُ كَفَرَحٍ : فَذِي فَهْوٍ تَدْمٌ ، وَمَادٌّ كَنَعِ امْتَدَّ  
وَتَرَوَى وَجَرَى فِيهِ الْمَاءُ وَتَمَّ وَلَانٌ ، وَلِلْمَادِّ : الْإِنْسَانُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَلِلْوَلِيِّ : الْقَتْلُ أَصَابَهُ الْوَلِيُّ  
( وَالْوَلِيُّ : الْمَطَرُ الْقَتْلُ يَأْتِي بِمَدِّ الْمَطَرِ ) ، وَالْهَدُّ : أَوَّلُ مَطَرِ الرَّسْمِيِّ ( وَالرَّسْمِيُّ : أَوَّلُ مَطَرِ الرِّيحِ ) .  
[٤] مِنْ قَوْلِهِمْ : زَيْدٌ جَعْدٌ : أَيْ مُتَرَاكِبٌ بِجَمْعٍ وَدَّارٍ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ .  
[٥] يَمْنَى أَنَّ الْعُشْبَ قَدْ طَالَ وَتَمَّ ، وَالنَّيْبُ تَشْبَعُ مِنْهُ وَهِيَ تَدْمٌ ، لِأَنَّهَا تَتَنَاوَلُهُ وَهِيَ قَائِمَةٌ لَا يَبْرَحُ مَكَانَهَا  
وَلَا تَطْلُغُ رَأْسَهَا . [٦] الْفَيْلُ : الْمَاءُ الْقَتْلُ يَحْرَى بَيْنَ الْعَجْرِ



وَجَاهِلِهِمْ ، وَأَرَادَتْ أَنْ تَسْبُرَ عَقُولَهُمْ ، فَقَالَتْ لَهُمْ : « إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَرْتَادُوا لِي مَرْغَى ، فَلَمَّا أَتَوْهَا قَالَتْ لِأَحَدِهِمْ : مَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ بَقْلًا وَبُقَيْلًا ، وَمَاءً غَدَقًا <sup>(١)</sup> سَيْلًا ، يَحْسِبُهُ الْجَاهِلُ لَيْلًا ، قَالَتْ : أَمْرَعْتُ <sup>(٢)</sup> ، قَالَ الْآخَرُ : رَأَيْتُ دِيمَةً بِمَدِيمَةٍ ، عَلَى عَهَادٍ غَيْرِ قَدِيمَةٍ ، فَالْتَبَّاشَ تَشْبَعُ قَبْلَ الْفَطِيمَةِ ، قَالَ الثَّلَاثُ : رَأَيْتُ غَيْثًا ثَمَدًا مَعَدًا <sup>(٣)</sup> ، مُتْرَاكًا جَفَدًا ، كَأَنَّا نَذَرْنَا بَنِي سَعْدِ ، تَشْبَعُ مِنْهُ النَّيْبُ وَهِيَ ثَمَدٌ . ( بلوغ الأرب ٢ : ٢٠٦ )

## ٨١ - أعرابي يصف أرضه وماله

عن أبي عمرو بن العلاء قال : لَقِيتُ أَعْرَابِيًّا بِمَكَّةَ فَقُلْتُ لَهُ ، مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَسَدِي ، قُلْتُ : وَمَنْ أَبِيهِمْ ؟ قَالَ : تَهْدِي ، قُلْتُ : مِنْ أَى الْبِلَادِ ؟ قَالَ : مِنْ هُمَآنَ ، قُلْتُ : فَأَنْتَى لَكَ هَذِهِ الْفَصَاحَةُ ؟ قَالَ : « إِنَّا سَكَنَّا قُطْرًا لَا نَسْمَعُ فِيهِ نَاجِيَةَ التِّيَّارِ <sup>(١)</sup> » ، قُلْتُ : صِفْ لِي أَرْضَكَ ، قَالَ : « سَيْفٌ أَفْجَحٌ ، وَفَضَاءٌ صَحْصَحٌ ، وَجَبَلٌ صَرْدَحٌ ، وَرَمْلٌ أَصْبَحٌ <sup>(٢)</sup> » ، قُلْتُ : فَمَا مَالُكَ ؟ قَالَ : النَّخْلُ ، قُلْتُ : فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْإِبِلِ ؟ قَالَ : « إِنْ النَّخْلَ حَمَلُهَا غِذَاءً ، وَسَعَفُهَا <sup>(٣)</sup> ضِيَاءً ، وَجَذَعُهَا بِنَاءً ، وَكَرْبُهَا صِلَاءً ، وَلِيْفِهَا رِشَاءً ، وَخَوْصُهَا وِعَاءً ، وَقَرَوُهَا إِنَاءً . ( ذيل الأمل ١٧ )

[١] الفدق : الماء الكثير . [٢] أمرعه : أصابه مريباً تكتسب وزناً ومعنى .

[٣] الفيث : الطر والكلأ ، وقيل : الأصل المار ثم سمي ما يبت به غيثاً ، والبراد هنا الثانى ، وقبل

ثمد معد : فض رطب رخص .

[٤] الناجحة : الصوت ، والتيار : الموج . [٥] السيف : ساحل البحر ، وساحل الوادى ، أو

لكل ساحل سيف ، أو إنما يقال ذلك لسيف عمان ، وأفجح : واسع ، والصحصح : ما استوى من الأرض ، والمرجح : الصلب ، والأصيح : الذى يطو يياضه حمرة . [٦] السيف : جريد النخل أو ورقه ، والكرب : أصول السعف الفلاط المراض ، والرشاء : الجبل ، والفرو : أسفل النخلة يفر

فيخبذ فيه - أى يتخذ فيه النبيذ -

## ٨٢ - أعرابي يصف بلدا

وذكر أعرابي بلدا فقال: « بلد كالأثرس، ماتشى فيه الرياح إلا عابرات سبيل، ولا يمر فيه السفر إلا بأدلة دليل » . (الحد الفريد ٢ : ٨٠)

وقال أعرابي: « مررت يبلد ألقى به الصيف<sup>(١)</sup> بقاعه، فأظهر غديراً يقصر الطرف عن أربابه، وقد قنت الريح القذى عن مأه، فكانه سلاسل ديزج ذات فضول<sup>(٢)</sup> » . (الحد الفريد ٢ : ٩٦)

وسئل أعرابي عن مسافة ما بين بلدين فقال: « مُمِر ليلة، وأديم<sup>(٣)</sup> يوم » . وقال آخر: « سواد ليلة، أو يياض يوم » .

(البيان والبيان ٢ : ٥١ والحد الفريد ٢ : ٩٧)

وقال آخر: « إن المسافر ومتاعه لعلّ قلّت<sup>(٤)</sup> إلا ما وقى الله » .

(الحد الفريد ٢ : ٥٢)

## ٨٣ - أعرابي يصف أشد البرد

سئل أعرابي فقيل له: ما أشد البرد؟ قال: « ريح جرياء، في طلّ قهواء، غيب سماء<sup>(٥)</sup> » . (البيان والبيان ١ : ١٦٣)

## ٨٤ - أعرابي يصف إبلا

وقال: سمعت أعرابياً يصف إبلاً فقال:

« إنها لعظام الحناجر، سباط المشافر، كوم بهازر<sup>(٦)</sup>، نُكذ خناجر<sup>(٧)</sup>،

[١] الصيف كسيد ويخفف: المطر يجمي. في الصيف أو بعد الربيع كالصيف .

[٢] جمع فضل: وهو الزيادة . [٣] أديم الهمز: طمته أو يياضه . [٤] القلت: الهلاك .

[٥] الجرياء: ريح الشمال الرودة، أو الريح بين الجنوب والسماء والسماء: السحاب للرفع، أو

الكثيف، أو المطر، في غيب سماء: أي غيب مطر . [٦] الخنجرة والخنجر كهمفور: الحفر،

وجهه حناجر، والمشافر جمع مشفر كثير: وهو الجير كالشفة للإنسان، والكوم: العظام الأسنة جمع أكوام

وكوماء، والبهازر جمع بهزة: كبندقة، وهي الطليعة من البوق .

[٧] الكذ: التزيرات اللبن من الإبل (والتي لا لبن لها أيضاً ضد)، والحناجر: التزيرات اللبن

أجوافها رِقَابٌ<sup>(١)</sup> ، وأعطائها رِحَابٌ ، مُنْتَعٍ من أَيْهَم<sup>(٢)</sup> ، وَتُبْدَلُ للجُئِمِ .  
(الأمال : ١ : ٥٢)

## ٨٥ - أعرابي يصف ناقة

ووصف أعرابي ناقة فقال : « إِذَا اكْحَأَتْ عَيْنُهَا ، وَاللَّتْ<sup>(٣)</sup> أَذُنُهَا ،  
وَسَجَّحَ<sup>(٤)</sup> خَدُّهَا ، وَهَدَلْ<sup>(٥)</sup> مِشْفَرَهَا ، وَاسْتَدَارَتْ جُجْمَتَهَا ، فَهِيَ الْكَرِيمَةُ .  
(الأمال : ١ : ٢١٧)

## ٨٦ - أعرابي يصف خيلا

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : « خَرَجْتُ عَلَيْنَا خَيْلٌ مُسْتَطِيرَةٌ  
الْتَّقِعَ<sup>(٦)</sup> ، كَأَنَّ هَوَادِيَهَا<sup>(٧)</sup> أَعْلَامَ ، وَأَذَانُهَا أَطْرَافُ أَقْلَامَ ، وَقُرْسَانُهَا أُسُودُ  
آجَامٍ » .

## ٨٧ - أعرابي يصف خيلا

وذكر أعرابي خيلا فقال : « وَاللَّهِ مَا أُنْحَدَرْتُ فِي وَادٍ إِلَّا مَلَأَتْ بَطْنَهُ ،  
وَلَا رَكِبْتُ بَطْنَ جَبَلٍ إِلَّا أَسْهَلَتْ حَزَنَهُ » . (المقد الفريد : ٢ : ٩٥)

## ٨٨ - أعرابي يصف خيلا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يصف خيلا فقال : « سِبَاطُ  
الْخَصَائِلِ<sup>(٨)</sup> ، ظِمَاءُ الْمَفَاصِلِ ، شِدَادُ الْأَبْجَلِ<sup>(٩)</sup> ، قُبُّ الْأَيَاطِلِ ، كِرَامُ  
النَّوْاجِلِ<sup>(١٠)</sup> » . (الأمال : ١ : ٥٢)

جمع خنجر بكسر وبهاء وخنجورة بالفهم . [١] رِقَابٌ : واسمة ، وأعطائها : بباركها عند الماء جمع  
عطن كسب . [٢] أَيْهَم جمع بهمة كفرصة : وهو الشجاع الذي لا يدرى من أين يؤق ، من شدة  
بأسه ، والجمع جمع جمة كقبة ، وم القوم يسألون في الذل .

[٣] أَلَّ البعير : نصب أذنيه وحدهما . [٤] سَجَّحَ : سهل وحسن . [٥] هَدَلْ : استرخى .  
[٦] الْغَبَارُ . [٧] أَوَاتِلُهَا . [٨] الْخَصَائِلُ جمع خبيلة : وهي كل قطعة من اللحم مستطيلة أو  
مجمتمة ، وقيل : هي ما اعزاز من لحم المعنى بضه من بعض ، وسباط جمع سبط . ككثف وشمس ، رجل  
سبط الجيم إذا كان حسن القند والاستواء ، وظماء : ضمير . [٩] الْأَبْجَلُ جمع أبجل : وهو عرق  
غليظ في الرجل أو في اليد ، يريد أنها شداد القوائم . [١٠] الْأَيَاطِلُ جمع أبطل : وهو الحاصرة ،

## ٨٩ - أعرابي يصف فرسا

ووصف بعض الأعراب فرساً فقال : « قد انتهى صنوره ، وذَبُلَ فَرِيرُهُ <sup>(١)</sup> ،  
وظهر حَصِيرُهُ <sup>(٢)</sup> ، وتفلقت غُرُورُهُ <sup>(٣)</sup> ، واسترخت شَاكِلَتُهُ <sup>(٤)</sup> ، يُقبل بزور  
الأسد ، وَيَذْبُر بِعَجْزِ الذنب » . ( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٣ ، والأمل ٢ : ٢٥٦ )

## ٩٠ - أعرابي يصف خاتماً

وقال أعرابي يصف خاتماً : « شَفَّ <sup>(١)</sup> تقديرُ حَلَقَتِهِ ، وَدَوَّرَ كَرْمِي فِضْتِهِ ،  
وَأَحْكَمَ تَرْكِيبَهُ ، وَأَتَقَنَ تَدْيِيرَهُ ، فَبِهِ يَمُ الْمَلِكُ ، وَيَنْقُذُ الْأَمْرُ ، وَيَكْرُمُ الْكِتَابُ ،  
وَيَشْرَفُ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ » . ( القد الفريد ٢ : ٩٧ )

## ٩١ - أعرابي يصف أطيب الطعام

وقال عبد الملك لأعرابي : « مَا أَطْيَبُ الطَّعَامُ ؟ » ، فقال : « بَكْرَةٌ  
سَمِيَّةٌ <sup>(١)</sup> ، مُتَبَطَّاةٌ غَيْرُ ضَمِنَةٍ ، فِي قُدُورٍ رَذِمَةٍ <sup>(٢)</sup> ، بِشِفَارٍ خَدِمَةٍ <sup>(٣)</sup> ، فِي غَدَاةٍ  
شَبِيمةٍ <sup>(٤)</sup> » ، فقال عبد الملك : وَأَيُّكَ لَقَدْ أَطْيَبْتَ <sup>(٥)</sup> .

( البيان والتبيين ١ : ١٦٣ )

فَبَّ جمع أقب ، وصف من القب كسب وهو دة الحصر وضور البطن ، والواحد جمع ناجلة ، من  
نجلته : أي ولدته . [ ١ ] الفرير : موضع الحجة من معرفة الفرس .  
[ ٢ ] الحصير : عرق يمتد مقترناً على جنب الدابة إلى ناحية بطها ، أو لمة كذلك .  
[ ٣ ] الفرور : الضفون التي في جلده ، واحداً فرّاً بالفتح . [ ٤ ] الشاكلة من الفرس : الجذين  
عرض الحاصرة والثنية - والثنية كفرحة : الركبة - . [ ٥ ] رَقَى .  
[ ٦ ] البكرة : الغنية من الإبل ، والسنة : الظلية السنام ، ونطه كفرح ، عبط الذبيحة كفرح  
واحتبطها : نحرها من غير علة وهي سميئة فية ، والضمنة : الزمنة والبتلة في حصد ما من الحنة كحرمصة  
وهي للرض . [ ٧ ] رذمت القصعة كفرح فهي رذمة وردوم كصبور : امتلأت وتصبحت جوانبها .  
[ ٨ ] شمار جمع شفرة « بالفتح » : وهي السكين العظيم ، وخذمه كفرحه : قطعه ، وسيف خذم  
ككتف وصبور ومعظم : قاطع . [ ٩ ] النداء : البكرة « بالفم » أو ما بين صلاة الفجر وطلوع  
الشمس ، وشبية : باردة ، وفلها كفرح . [ ١٠ ] أطاب الفى وأطيه : وجده طيباً .

## ٩٢ - أعرابي يصف السويق

وعاب رجل السَّوِيقَ <sup>(١)</sup> بِحَضْرَةِ أَعْرَابِيٍّ، فَقَالَ: «لَا تَعْبِهْ، فَإِنَّهُ عُدَّةُ الْمَسَافِرِ، وَطَعَامُ النَّجْلَانِ، وَغِذَاءُ الْمُبَكَّرِ، وَبُلْغَةُ <sup>(٢)</sup> الْمَرِيضِ، وَيَسْرُو <sup>(٣)</sup> فَوَادَ الْحَزِينِ، وَيَرُدُّ مِنْ نَفْسِ الْمَحْدُودِ <sup>(٤)</sup>، وَجَيِّدٌ فِي النَّسَمِينَ، وَمَنْعُوتٌ فِي الطَّبِّ، وَقَقَّارُهُ <sup>(٥)</sup> يَحْلُو الْبَاغَمَ، وَمَلْتَوْتُهُ يُصْقِي الدَّمَ، وَإِنْ شَتَّتْ كَانَ شَرَابًا، وَإِنْ شَتَّتْ كَانَ طَعَامًا، وَإِنْ شَتَّتْ قَتَرِيْدًا، وَإِنْ شَتَّتْ تَخْفِيصًا <sup>(٦)</sup>» . (الأمال ٢ : ١٩٧)

## ٩٣ - أعرابي يصف الجمال

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ مَا الْجَمَالُ؟ قَالَ: «طُولُ الْقَامَةِ، وَضَخْمُ <sup>(٧)</sup> الْهَامَةِ، وَرُحْبُ <sup>(٨)</sup> الشَّدَقِ، وَبُعْدُ الصَّوْتِ»، وَسُئِلَ آخَرُ: مَا الْجَمَالُ؟ قَالَ: «غُثُورُ الْعَيْنَيْنِ، وَإِشْرَافُ الْحَاجِبَيْنِ، وَرُحْبُ الشَّدَقَيْنِ» (البيان والتبيين ١ : ٦٧)

## ٩٤ - أبو المخش يصف ابنه

وَسَأَلَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَبَا الْمَخْشِ عَنْ ابْنِهِ الْمَخْشِ <sup>(٩)</sup> - وَكَانَ جَزَعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا - قَالَ: صَفِّ لِي الْمَخْشَ، فَقَالَ: «كَانَ أَشَدَّ خُرْطُمَانِيًّا <sup>(١٠)</sup>، سَائِلًا لِعَابُهُ، كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ قَلْبَيْنِ <sup>(١١)</sup>، كَانَ تَرْقُوتُهُ بُوَانٌ، أَوْ خَالِفَةٌ،

[١] السويق: ما يصل من الحنطة والشير . [٢] ما يبلغ به . [٣] يسرو: يكشف ما عليه .  
[٤] المحدود: الذي قد حدث أي قد ضرب الحد . [٥] الفار: الذي لم يترك بقى من آدم،  
لازيت ولا من ولا لبن . يقال طام قمار . [٦] الحبيس: بقى الدقيق يخلط بالسل .  
[٧] صخم ككرم ضخماً وضخامة فهو صخم . [٨] رحب ككرم وسع رحبا بالضم ورحابة فهو  
رحب بالفتح . [٩] المخش في الأصل: الجريء على العمل في الليل .  
[١٠] أشدق: واسع الشدقين، خرطامياً: طويلاً . [١١] الهلت: الثرة في الجبل .

كَانَ مِنْكَ كِرْكِرَةً جَلِيًّا قَالِ<sup>(١)</sup> ، فَقَالَ اللَّهُ عَنِّي إِنْ كُنْتَ رَأَيْتُ بَلَهُ أُرِ

بِسْمِ اللَّهِ . (البيد والبيان : ١ : ٦٧)

## ٩٥ - أعرابي يصف ابنه

عن عبد الرحمن عن عمه قال : قلت لأعرابي بِحَيِّ الرِّبْدَةِ : أَلَمْ يَتَوَّنْ ؟  
قال : نعم ، وَخَالَتِهِمْ لَمْ تَقُمْ عَنْ مَنَظَرٍ مُنْجِبَةٍ<sup>(٢)</sup> ، قُلْتُ : مِنْهُمْ لِي ، قَالَ :  
« جَهْمٌ ! وَمَا جَهْمٌ ؟ يُنْفِى الْوَهْمَ ، وَيَصُدُّ الدَّهْمَ<sup>(٣)</sup> ، وَيَقْرِى الصَّفُوفَ ،  
وَيُثِّلُ السُّيُوفَ<sup>(٤)</sup> » ، قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : « غَشَمْتُمْ ! وَمَا غَشَمْتُمْ ؟ تَالَهُ  
مُقَسَّمٌ ، وَقِرْنَهُ عَجْرَجَمٌ<sup>(٥)</sup> ، جَذَلُ حِكَاكٍ<sup>(٦)</sup> ، وَمِذْرَةُ لِكَاكَ<sup>(٧)</sup> » ، قُلْتُ : ثُمَّ  
مَنْ ؟ قَالَ : « عَشْرَبٌ ! وَمَا عَشْرَبٌ ؟ لَيْتَ مُحَرَّبٌ ، وَسَيَّامٌ مُقَشَّبٌ<sup>(٨)</sup> ، ذِكْرُهُ  
بَاهِرٌ ، وَخَصْمَتُهُ حَاثِرٌ ، وَفَنَاؤُهُ رُحَابٌ<sup>(٩)</sup> » ، قُلْتُ : صَفِّ لِي  
نَفْسَكَ ، قَالَ : « لَيْتَ أَبُو رِيَّالٍ<sup>(١٠)</sup> ، رَكَّابٌ مَخَاضِلٌ ، عَسَافٌ<sup>(١١)</sup> عَجَائِلٌ ،  
سَمَالٌ أَعْبَاءُ ، نَهَاضٌ يَنْزِلُ<sup>(١٢)</sup> » . (الأمالي : ١ : ٥٣)

[١] البوان : عمود النباء ، والمخافة : عمود من أعمدة البيت في مؤخره ، والكركرة : رعى زور  
البحر ، وبهر قال : بلى .

[٢] ينفى : يزل ، والوهم : الضمير الطيم من الإبل ، والدهم : العدد الكثير .

[٣] يقرى : يلقى ، ويصل : أى يوردها السماء ثانية ، مأخوذ من القلى في العرب .

[٤] المجرم : المصروع . [٥] الجذل : أصل الشجرة ، وذلك أن الإبل الجرب تحك به فيجد  
له لذة ، وليس أنه من يلقى به في الأمور بمنزلة ذلك الجذل الذى يلقى به الإبل .

[٦] للامره : لسان الامم ، وللقلم عنهم ، والذائع عنهم ، يقال : ذوتته عن ودراته : أى ذفته ،  
والكك : الخلع . [٧] المحرب : للضرب الذى قد اشتد غضبه واحدة ، وحرب السكين : إلينا

أحدته ، ومقعب : القوط . [٨] باهر : غالب ، ورطب : ممتع .

[٩] ريال جمع ريال بالكسر يهز ولا يهز : وهو الأسد ، وللناضل : الفواى .

[١٠] الأساب : الذى يركب الطريق على غير حناية ، والأعباء : الأثقال .

[١١] النزلاء : الرأى الجيد الذى يزل ( يهز الزاى ) عن الصواب : أى يلقى منه .

## ٩٦ - أعرابي يصف أخويه

عن المتنبّي قال : أَخْبَرَنِي أَعْرَابِي عَنْ إِخْوَةِ ثَلَاثَةِ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَحَدِهِمْ : أَخْبَرْنِي عَنْ أَخِيكَ زَيْدٍ فَقَالَ : « أَزِيدُ إِنِّيهِ <sup>(١)</sup> ؟ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْكَنَ فَوْرًا ، وَلَا أَبْعَدَ غَوْرًا ، وَلَا أَخَذَ لِدَنْبٍ حُجَّةً قَدْ تَقَدَّمَ رَأْسُهَا مِنْ زَيْدٍ » ، قُلْتُ : أَخْبَرْنِي عَنْ أَخِيكَ زَائِدٍ ، قَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ شَدِيدَ الْمُقَدَّةِ ، لَيْتَ الْمُطْفَةِ ، مَا يُرْضِيهِ أَقْلٌ مِمَّا يُسْخِطُهُ » ، قُلْتُ : فَأَخْبَرْنِي عَنْ نَفْسِكَ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ إِنْ أَفْضَلَ مَا فِيَّ لَمَعَرَفِي بِفَضْلِهِمَا ، وَإِنِّي مَعَ ذَلِكَ لَكُنِيرٌ مُنْتَشِرٌ <sup>(٢)</sup> الرَّأْيِ ، وَلَا تَحْذُولُ النَّزْمُ » . (الأمال : ٢ : ١٤)

## قولهم في الدعاء

### ٩٧ - دعاء أعرابي

قال أبو حاتم : أُمِلِي عَلَيْنَا أَعْرَابِيّ يَقَالُ لَهُ مَرْتَدٌ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، وَاجْلِدْ بَارِدًا ، وَالنَّفْسُ رَطْبَةٌ ، وَاللِّسَانُ مُنْطَلِقٌ ، وَالصَّحْفُ مَنْشُورٌ ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ ، وَالتَّوْبَةُ مُقْبُولَةٌ ، وَالْأَنْفُسُ مَرِيحَةٌ <sup>(٣)</sup> ، وَالتَّضَرُّعُ مَرْجُوٌّ ، قَبْلَ أَنْ يَفْرَقَ ، وَحَشَاكَ النَّفْسُ <sup>(٤)</sup> ، وَعَلَزَ الصَّدْرُ <sup>(٥)</sup> ، وَتَزِيلُ الْأَوْصَالِ <sup>(٦)</sup> ، وَتُصُولُ الشَّعْرِ ، وَاحْتِيَاثُ <sup>(٧)</sup> التَّرَابِ ، وَقَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ حِينَ يَفْنَى الْعَمَلُ ، وَيَحْضُرُ الْأَجَلُ ، وَيَنْقَطِعُ الْأَمَلُ .

[١] قال أبو علي الغالي : « هذه الزيادة تلحق في الاستهتام في آخر الكلمة إذا أنكرت أن يكون رأى التكلم على ما ذكر ، أو يكون على خلاف ما ذكر » انظر هذا المبحث في الأمال : ٢ : ١٥ .  
[٢] أي مفرقة . [٣] مرح كفرح : أمر وبطر ونشط واختال وتبخر فهو مرح ومرحج .  
[٤] الحنك : شدة النزح . [٥] المر : قلق وخفة وهلع يصيب للريض والمختضر .  
[٦] تزيلت وتزابت : تهرقت ، والأوصال : الفاصل . [٧] الاحتياث : اتعاث من الحيف وهو الجور ، والمراد أكل تراب القبر الجثة ، والذي في كتب اللغة « التحيف » تحيفت الشيء : إذا نقصته من حلقته .

أَعِنِّي عَلَى الْمَوْتِ وَكَرْبَتِهِ ، وَعَلَى الْقَبْرِ وَنَعْمَتِهِ <sup>(١)</sup> ، وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَتِهِ ، وَعَلَى  
الْعُرَاطِ وَزَلَّتِهِ ، وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَزُرُوعَتِهِ ، اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً عَزَمًا ، لَا تَنَادِرُ ذَنْبًا ،  
وَلَا تَدْعُ كَرْبًا ، اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا اقْتَرَضْتُ عَلَى وَلَمْ أُؤْذِهِ إِلَيْكَ ، اغْفِرْ لِي جَمِيعَ  
مَا تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ .

يَا رَبِّ تَظَاهَرْتُ <sup>(٢)</sup> عَلَى مَنْكَ النِّعَمُ ، وَتَدَارَكْتُ عَنْكَ مِنْ الذُّنُوبِ ، فَكَ  
الْحَدِّ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرْتُ ، وَأَسْتَفِرُّكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكْتُ ، وَأَمْسَيْتُ  
عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا ، وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْأَمَلِ ، عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي  
مَا وَلِيَ أَجَلِي ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا ، وَإِذَا ابْتَلِيَتْهُمْ  
صَبَرُوا ، وَإِذَا أَذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا ، وَاجْعَلْ لِي قَلْبًا تَوَّابًا أَوْ بَابًا ، لَا فَاجِرًا وَلَا  
مُرْتَابًا ، اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا زَادُوا ، وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا .

اللَّهُمَّ لَا تَحْقُقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ <sup>(٣)</sup> ، وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ ، وَاحْفَظْنِي فِي كُلِّ  
مَا تَحِيطُ بِهِ شَفَقَتِي ، وَتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سَبَّحَتِي <sup>(٤)</sup> ، وَتَعَجَّزْ عَنْهُ قُوَّتِي ، أَدْعُوكَ  
دَعَاءَ ضَعِيفٍ فَعْمَلُهُ ، مَتَظَاهِرَةٍ ذَنْبُهُ ، ضَنِينٍ عَلَى نَفْسِهِ ، دَعَاءَ مَنْ بَدَأَتْهُ ضَعِيفٌ ،  
وَمُسْتُهُ <sup>(٥)</sup> حَاجِزَةٌ ، قَدْ انْتَهَتْ عُذَّتُهُ ، وَخَلَقَتْ <sup>(٦)</sup> جِدَّتُهُ ، وَتَمَّ ظِلْمُوهُ ، اللَّهُمَّ

[١] فلة من غم العبد : أى غطاء فانعم ، أو عى «نعمته» بالضم : أى بلاه وكرب عذابه .

[٢] من تظاهروا إذا تمارنوا : أى تتابعت . [٣] يشير إلى قوله تعالى : « أَفَنُحِقُّ حَقَّ عَالِيهِ

كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ » . [٤] فلة من السبح : وهو القلب والانتشار

في الأرض ، والإيمادى السبح ، والصرف في العاش . [٥] للنة : القوة .

[٦] خلق الذوب كنصر وكرم ومع : بلى ، والظلم : ما بين الصريحين والوردين .



لَا تَخَيِّنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ ، وَلَا تَمْدِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طَوْلِ النَّسِيبَةِ <sup>(١)</sup> ،  
وَحَسَنُ التَّبَاعَةِ <sup>(٢)</sup> ، وَتَشْنِجُ المَرُوقِ ، وَإِسَاغَةُ الرِّيقِ ، وَتَأْخِرُ الشَّدَائِدِ ، وَالْحَمْدُ  
لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بِمَدْعَلِهِ ، وَعَلَى عَفْوِهِ بِمَدْقَدْرَتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُودِي <sup>(٣)</sup>  
قَتِيلَهُ ، وَلَا يَخَيِّبُ سَوْلَهُ ، وَلَا يُرَدِّدُ رَسُولَهُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ  
الْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَمِنَ الذَّكَاءِ إِلَّا لَكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا ، أَوْ أَغْشَى  
كُفُورًا ، أَوْ أَكُونَ بِكَ مَفْرُورًا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَعُضَالِ الدَّاءِ ،  
وَوَحْيَةِ الرِّجَاءِ ، وَزَوَالِ النِّعْمَةِ » . (المقدِّم: ٧٧ ، والبيان والتبيين ٣: ٢٢٤-١٣٧-١٣٨)

## ٩٨ - دعاء أعرابي

ودعأ أعرابي وهو يطوف بالكعبة فقال :

«إِلَهِي مَنْ أَوْلَى بِالتَّقْصِيرِ وَالزَّلَلِ مِنِّي وَأَنْتَ خَلَقْتَنِي ؟ وَمَنْ أَوْلَى بِالْعَفْوِ مِنْكَ  
عَنِّي وَعِلْمِكَ بِي مَاضٍ ، وَقَضَاؤُكَ بِي مُحِيطٌ ؟ أَطَعْتُكَ بِقُوَّتِكَ وَالْمِنَّةَ لَكَ ، وَعَصَيْتُكَ  
بِعِلْمِكَ ، فَاسْأَلْكَ يَا إِلَهِي - بِوَجُوبِ رَحْمَتِكَ وَانْقِطَاعِ حُجَّتِي ، وَافْتِقَارِي إِلَيْكَ  
وَعِزَّتِكَ عَنِّي - أَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي .

إِلَهِي لَمْ أَحْسِنْ حَتَّى أُعْطَيْتَنِي ، فَتَجَاوَزَ عَنِ الذُّنُوبِ الَّتِي كَتَبْتَ عَلَيَّ ، اللَّهُمَّ  
إِنَّا أَطَعْنَاكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ : شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، وَحَدَّثَكَ لِشَرِيكَ  
لَكَ ، وَلَمْ نَعْصِكَ فِي أَبْغَضِ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ : الشَّرْكَ بِكَ ، فَاغْفِرْ لِي مَا بَيْنَ ذَلِكَ .

[١] الإهمال والتأخير . [٢] التباعة مثل التبعة بفتح فكسر . قال الشاعر :

أَكَلْتُ حَنِيْفَةً رِيْهَا زَمَنُ التَّقْصِيمِ وَالْجَمَاعَةِ

لَمْ يَخْذَرُوا مِنْ رِيْهِمْ سِوَا الْعَوَاقِبِ وَالتَّبَاعَةِ

«لأنهم كانوا قد اتخذوا إلهًا من حيس فيبدوه زمانًا ، ثم أصابهم مجاعة فأكلوه » - ولطيس كشمس :

تَمْرٌ يَخْلُطُ بِالسَّمَنِ وَاللَّيْنِ الْخَمِيضِ فَيَمِجُّ شَدِيدًا ، ثُمَّ يَنْدَرُ مِنْهُ نَوَاهُ .

[٣] ودى القتل كوى : أعطى دية ، والسول مخفف عن سؤل : وهو مأسأته .

اللهم إنك آنسُ المؤمنين لأوليائك ، وأحضرهم للتوكلين طبعك ، إلهي  
أنت شاهدُهم وفاءُهم ، والمطلع على ضمائرهم ، وسرّى لك مكشوف ، وأنا  
إليك ملهوف ، إذا أوحشتني القرية أنسى ذكرُك ، وإذا أكبّت عليّ  
الغموم ، لجأتُ إلى الاستجارة بك ، علماً بأن أزمة الأمور كلها بيدك ، ومصدرها  
عن قضائك ، فأقِلّني <sup>(١)</sup> إليك مَغفوراً لي ، معصوماً بطاعتك بقية عمري ،  
يا أرحم الراحمين .

## ٩٩ - دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : حَجَّجْتُ فَرَأَيْتُ أَعْرَابِيًّا يَطُوفُ بِالْكُمْبَةِ وَيَقُولُ :  
يا خَيْرَ مَوْفُودٍ سَعَى إِلَيْهِ الْوَفْدُ <sup>(٢)</sup> ، قَدْ ضَعُفَتْ قُوَّتِي ، وَذَهَبَتْ مُنْتَى ، وَأَتَيْتُ  
إِلَيْكَ بِذُنُوبٍ لَا تَنْسِلُهَا الْأَنْهَارُ ، وَلَا تَحْمِلُهَا الْبَحَارُ ، أَسْتَجِيرُ بِرِضَاكَ مِنْ  
سُخْطِكَ ، وَبِفُوكَ مِنْ عِقَابِكَ ، ثُمَّ التَفْتُ فَقَالَ : « أَيُّهَا الْمَشْفِقُونَ ، ارْحَمُوا  
مَنْ شِمَلَتْهُ الْخَطَايَا ، وَغَمَرَتْهُ الْبَلَايَا ، ارْحَمُوا مَنْ قَطَعَ الْبِلَادَ ، وَخَلَّفَ مَا مَلَكَ  
مِنَ الثَّلَاثِ ، ارْحَمُوا مَنْ وَجَّعَتْهُ الذُّنُوبُ ، وَظَهَرَتْ مِنْهُ الْعُيُوبُ ، ارْحَمُوا أَسِيرَ ضُرٍّ ،  
وَطَرِيدَ فَقْرٍ ، أَسْأَلُكُمْ بِالَّذِي أَتَمَلَّيْتُ الرِّغْبَةَ إِلَيْهِ ، إِلَّا مَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ أَنْ يَهَبَ لِي  
عَظِيمَ جُزْئِي » ، ثُمَّ وَضَعَ فِي حَلَقَةِ الْبَابِ خَدَّهُ وَقَالَ : ضَرَعَ خَدِّي لَكَ ، وَذَلِكَ  
مَقَامِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

عَظِيمُ الذَّنْبِ مَكْرُوبٌ      مِنْ الْخَيْرَاتِ مَسْلُوبٌ

وَقَدْ أَصْبَحْتُ ذَا فَقْرٍ      وَمَا عِنْدَكَ مَطْلُوبٌ

# ١٠٠ - دعاء أعرابي

وسمع أعرابي بِمِرَفَاتٍ عَشِيَّةٍ عَرَفَةَ وهو يقول :

« اللهم إِنْ هَذِهِ عَشِيَّةٌ مِنْ عَشَايَا مَحَبَّتِكَ ، وَأَحَدُ أَيَّامِ زُلْفَتِكَ <sup>(١)</sup> ، يَأْمُلُ فِيهَا مِنْ جَلَاءِ إِلَيْكَ مَنْ خَلَقَكَ أَنْ لَا يُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا ، بِكُلِّ لِسَانٍ فِيهَا يُذْعَى ، وَلِكُلِّ خَيْرٍ فِيهَا يُرْجَى ، أَتَتَكَ الْمُصَافَةُ مِنَ الْبَلَدِ السَّحِيقِ <sup>(٢)</sup> ، وَدَعَتْكَ الْعُنَاةُ <sup>(٣)</sup> مِنْ شَعَبِ الْمَضِيقِ ، رَجَاءً مَا لَا خُلْفَ لَهُ مِنْ وَعْدِكَ ، وَلَا انْقِطَاعَ لَهُ مِنْ جَزِيلِ عَطَائِكَ ، أَبَدْتَ لَكَ وَجُوهَهَا الْمَصُونَةَ ، صَابِرَةً عَلَى وَهَجِ السَّمَائِمِ <sup>(٤)</sup> ، وَبَرْدِ اللَّيَالِي ، تَرْجُو بِذَلِكَ رِضْوَانَكَ ، يَا غَفَّارُ ، يَا مُسْتَزَادًا مِنْ نِعَمِهِ ، وَمُسْتَعَاذًا مِنْ نِقَمِهِ ، أَرْحَمَ صَوْتِ حَزِينٍ دَعَاكَ بِزَفِيرٍ وَشَهيقٍ » .

ثم بسط كلتا يديه إلى السماء وقال : « اللهم إِنْ كُنْتَ بِسَطْتَ يَدَيَّ إِلَيْكَ دَاعِيًا ، فَطَالَمَا كَفَيْتَنِي سَاهِيًا ، بِنِعْمَتِكَ الَّتِي تَظَاهَرَتْ عَلَيَّ عِنْدَ الْغَفْلَةِ ، فَلَا أَيْأَسُ بِهَا عِنْدَ التَّوْبَةِ ، لَا تَقْطَعْ رَجَائِي مِنْكَ لِمَا قَدَّمْتَ مِنْ اقْتِرَافِ <sup>(٥)</sup> آثَامِكَ ، وَإِنْ كُنْتَ لَا أَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا بِكَ ، فَهَبْ لِي يَا رَبُّ الصَّلَاحَ فِي الْوَلَدِ ، وَالْأَمْنَ فِي الْبَلَدِ ، وَالْعَافِيَةَ فِي الْجَسَدِ ، وَعَافِيَتِي مِنْ شَرِّ الْحَسَدِ ، وَمِنْ شَرِّ الدَّهْرِ

النَّكَدِ <sup>(٦)</sup> » . ( المقد الرید ٢ : ٧٧ ، والأمالی ٢ : ٣٢٣ )

[١] الزلفة : القرية . [٢] البعيد . [٣] العناة جمع عانة من عانة : أى دلّ وخضع ، وفى رواية الأمالی : « أَتَتَكَ الضَّوَامِرُ مِنَ النَّجْعِ الْمُبِيقِ ، وَجَاءَتْ إِلَيْكَ الْمَهَارِقُ مِنْ شَعَبِ الْمَضِيقِ » والضوامر الإبل المهزولة ، والمهاريق جمع مهيرق ( بضم الميم وفتح الراء ) : الصحراء اللساء .

[٤] السهائم جمع صهوم كصهور : وهى الريح الحارة تكون غالباً بالنهار ، وفى رواية الأمالی : « عَلَى نَفْحِ السَّهَائِمِ ، وَبَرْدِ لَيْلِ التَّهَامِ » - وليل التهام ( ككتاب ) وليل تهايم : أطول ليالى الشتاء - وفى رواية الأمالی : « نِعْمَتِكَ تَظَاهَرَهَا عَلَيَّ عِنْدَ الْغَفْلَةِ ، فَكَيْفَ أَيْأَسُ مِنْهَا عِنْدَ الرَّجْبَةِ » - وأصل الغفل ( بالتحريك ) : الرجوع من الغفر ، ويطلق على الاجتهاد فى السفر كما هنا تهاؤلاً بالرجوع - .

[٥] اقتراف الذنب : آثامه وفعله .

[٦] يخال : رجل نكد ككتف وسبب وشمس وأنكد : شؤم عمر .

## ١٠١ - دعاء أعرابي

ودعا أعرابي فقال : « يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ ، وَيَا رُكْنَ مِنْ لَا رُكْنَ لَهُ ،  
وَيَا مُجِبَّ الصَّغْفَى <sup>(١)</sup> ، وَيَا مُنْقِذَ الْمَلَكَى ، وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ ، أَنْتَ الَّذِي سَبَّحَ لَكَ  
سَوَادُ اللَّيْلِ ، وَيَا ضُوءَ النَّهَارِ ، وَضَوْءَ الْقَمَرِ ، وَشُعَاعَ الشَّمْسِ ، وَخَفِيفَ الشَّجَرِ ،  
وَدَوَى الْمَاءِ <sup>(٢)</sup> ، يَا مُحْسِنَ ، يَا مُجِيبَ ، يَا مُفْضِلَ ، لَا أَسْأَلُكَ الْخَيْرَ بِخَيْرٍ مِنْ عِنْدِكَ ،  
وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ ، فَاجْعَلْ الْعَاقِبَةَ لِي شِعَارًا وَدِفْأَرًا <sup>(٣)</sup> ، وَجَنَّةَ دُونَ كُلِّ بَلَاءٍ »

## ١٠٢ - دعاء أعرابي

وقال الأصمى : سمعت أعرابيا في فلاة من الأرض ، وهو يقول في دمائه :  
« اللَّهُمَّ إِنْ اسْتَفَارَى إِلَيْكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِي الْقَوْمُ ، وَإِنْ تَرَكِيَ الْاسْتِفْزَارَ مَعَ  
مَرَفَقِي بِسَمَةِ رَحْمَتِكَ لَعَجْزٌ ، إِلَهِي كَمْ تَحَيَّيْتُ إِلَيْكَ بِنِعْمَتِكَ ، وَأَنْتَ غَفَى عَنِّي ، وَكَمْ  
أَتَبَغَّضْتُ إِلَيْكَ بِذُنُوبِي ، وَأَنَا فَقِيرٌ إِلَيْكَ ، سَبْحَانَ مَنْ إِذَا تَوَعَّدَ عَفَا ، وَإِذَا وَعَدَ وَفَى »

## ١٠٣ - دعاء أعرابي

قال : وسمعت أعرابيا يقول في دمائه : « اللَّهُمَّ إِنْ ذُنُوبِي إِلَيْكَ لَا تَضُرُّكَ ،  
وَإِنْ رَحْمَتُكَ إِلَيَّ لَا تَنْقُصُكَ ، فَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ ، وَهَبْ لِي مَا لَا يَنْقُصُكَ » .

## ١٠٤ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابيا وهو يقول في دمائه : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حَمَلَ  
الْخَاطِئِينَ ، وَخَوْفَ الْعَامِلِينَ ، حَتَّى أَتَنَمَّ بِبَرَكَ النِّعَمِ <sup>(١)</sup> طَمَعًا فِيهَا وَعَدَتَ ،  
وَخَوْفًا مِمَّا أَوْعَدْتَ ، اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي مِنْ سَطَوَاتِكَ ، وَأَجِرْنِي مِنْ نِقَمَاتِكَ ، سَبَقْتُ  
لِي ذُنُوبٌ ، وَأَنْتَ تَغْفِرُ لِمَنْ يَحُوبُ <sup>(٢)</sup> ، إِلَيْكَ بِكَ أَتَوَسَّلُ ، وَمَنْكَ إِلَيْكَ أَفِرُّ » .

[١] الضمير جمع ضئيف . [٢] للمنى : أَنْ هَذِهِ الْكَاتِبَاتُ تَدْعُو لَتَأْمَلُ فِيهَا إِلَى نَيْسَبِهِ جَلَّ شَأْنُهُ

[٣] الضمير : مَا يَجِبُ عَلَى شَرِّ الْجَسَدِ ، وَالْأَنْفَالِ : مَا يَجِبُ فَوْقَ الشَّعْرِ ، وَالْجَنَّةِ : الْوَلَايَةِ .

[٤] أَيْ فِي الدُّنْيَا . [٥] حُبُّ يَحُوبُ : أَمُّ .

## ١٠٥ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً يقول : « اللهم إن قوما آمنوا بك بالسنتهم ، ليَحْقِنُوا دماءهم ، فأدركُوا ما أُمِّلُوا ، وقد آمنا بك بقلوبنا ، لتُجِيرَنَا من عذابك ، فأدرك منا ما أُمِّلناه . »

## ١٠٦ - دعاء أعرابي

قال : ورأيت أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة ، رافعاً يديه إلى السماء ، وهو يقول : « ربِّ أترك معذَّبنا ، وتوحيدك في قلوبنا ؟ وما إخالك تفعل ! ولئن فعلت لتَجْمَعُنَا مع قوم طالما أبغضناهم لك . »

## ١٠٧ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً يقول في صلاته : « الحمد لله حمداً لا يَبْلَى جديده ، ولا يُحْصَى عديده <sup>(١)</sup> ، ولا يُبْلَغ حدوده ، اللهم اجعل الموت خيراً مما تنتظره ، واجعل القبر خيراً مما تنتظره ، واجعل ما بعده خيراً لنا منه ، اللهم إن عني قد أغرَّورقتا دموعاً من خشيتك ، فاعفِ الزَّلة ، وعُدِّ بحملك ، على جهلٍ من لم يَرْجُ غيرك . »

## ١٠٨ - دعاء أعرابي

وقال : رأيت أعرابياً أخذ بحلقتي باب الكعبة وهو يقول : « ساء لك عند بابك ، ذهبَت أيامه ، وبقيت آثامه ، وانقطعت شهوته ، وبقيت تباغته ، فارض عنه ، وإن لم ترض عنه فاعف عنه غير راض . »

## ١٠٩ - دعاء أعرابي

قال : ودعا أعرابي عند الكعبة فقال : « اللهم إنه لا شرف إلا بفِعال ، ولا فِمال إلا بعمال ، فأعطني ما أستعينُ به على شرف الدنيا والآخرة . »

## ١١٠ - دطاء أعرابي

عن طاووس قال : « بينا أنا بمكة إذ دقت إلى الحجاج بن يوسف ، فحسني لي وساداً فجلست ، فبينما نحن نتحدث إذ سمعتُ صوت أعرابي في الوادي وافصاً صوته بالتلبية ، فقال الحجاج : على بالملهي ، فأُتي به فقال : من الرجل ؟ قال : من أفتاء الناس <sup>(١)</sup> ، قال : ليس عن هذا سألتك ، قال : نعم سألتني ، قال : من أي البلدان أنت ؟ قال : من أهل اليمن ، قال له الحجاج : فكيف خلقت محمد بن يوسف - يعني أخاه ، وكان طليحاً على اليمن - قال : خلقت عظيمًا جسيماً ، خراً لجا ولأجا ، قال : ليس عن هذا سألتك ، قال : نعم سألتني ، قال : كيف خلقت سيرته في الناس ؟ قال : خلقتُه ظلوماً غشوماً <sup>(٢)</sup> ، طامياً للخالق ، مغليماً للخلق ، فازور <sup>(٣)</sup> من ذلك الحجاج ، وقال : ما أقدمتك لهذا ، وقد تعلم مكاتبة مني ! فقال له الأعرابي : أقترام بمكاتبة منك أعز مني بمكاتبة من الله تبارك وتعالى ، وأنا وافدٌ بيته ، وقاضٍ دينه ، ومصدق نبيه صلى الله عليه وسلم ؟ فوجم <sup>(٤)</sup> لها الحجاج ، ولم يُجِر له جواباً <sup>(٥)</sup> ، حتى خرج الرجل بلا إذن .

قال طاووس : فخبته حتى أتى الملتزم فتملق بأستار الكعبة ، فقال : بك أعوذ ، وإليك ألوذ ، فاجمل لي في اللهم إلى جوارك ، والرضا بضمانك ، مندوحة <sup>(٦)</sup> ، عن منع الباخلين ، وفتح عما في أيدي المستأثرين ، اللهم عذِّبْ جحك القريب ، ومروفاك القديم ، وعادتك الحسنة .

قال طاووس : ثم اختفى في الناس ، فألقبته بِمِرْقَاتٍ قائماً على قدميه وهو

[١] يقال : هو من أفتاء الناس : إذا لم يعلم من هو ، ولعله نحو كابل أو قنا كعبا .

[٢] ظلوماً . [٣] لزور : انحراف ومال ، أي غضب منه . [٤] وجم : سكت على شيء .

[٥] أي لم يردده . [٦] أي منقضا .

يقول : « اللهم إن كنت لم تقبل حَجِّي وَنَصِيَّ<sup>(١)</sup> وَتَعَبِي ، فلا تُخْرِمْني أَجْرَ المَصَابِ على مصيبتِهِ ، فلا أَعْلَمْ مُصِيبَةً أَعْظَمَ مِنْ وَرْدِ حَوْضِكَ ، وانصرف محروماً من وجه رغبتك » .

### ١١١ - دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : رأيت أعرابياً يطوف بالكعبة وهو يقول :

« إلهي عَجَبْتُ<sup>(٢)</sup> إليك الأصواتُ ، بضروبٍ من اللغات ، يسألونك الحاجات ، وحاجتي إليك إلهي أن تذكرني على طول البكاء ، إذا نَسِيتني أهلُ الدنيا ، اللهم هب لي حقك ، وأرض عني خلقك ، اللهم لا تُعَيِّنِي في طلب ما لم تقدِّره لي ، وما قدَّرته لي فيدَّره لي » .

### ١١٢ - دعاء أعرابي

قال : ودعت أعرابية لابن لها وجهته إلى حاجة فقالت : « كَانَ اللهُ صَاحِبَكِ في أمرك ، وخليفَتِكَ في أهلك ، وَوَلِيَّ نَجْحِ طَلِبَتِكَ<sup>(٣)</sup> ، امضِ مُصَاحِبًا مَكْلُومًا<sup>(٤)</sup> ، لَا أَشْمِتُ اللهُ بِكَ عَدُوًّا ، وَلَا أَرَى مُجِيبَك فَيْكَ سِوَايَ » .

(المقد الفريد ٢ : ٧٦ - ٧٩)

### ١١٣ - دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : خرجت أعرابية إلى مِنَى فَقَطَّعَ بها الطريقَ فقالت :

« يارب : أعطيت وأخذت ، وأنعمت وسلبت ، وكلُّ ذلك منك عَدْلٌ وَفَضْلٌ ، والذي عَظَّمُ على الخلاقِ أَمْرُكَ ، لَا بَسَطْتُ أَسَانِي بِسَأَلَةِ أَحَدٍ غَيْرِكَ ، وَلَا بَذَلْتُ رَغْبَتِي إِلَّا إِلَيْكَ ، يَا قُرَّةَ أَعْيُنِ السَّائِلِينَ : أَغْنِنِي بِجُودِكَ مِنْكَ أَتَبَجِّحُ<sup>(٥)</sup> في

[١] في الأصل « ونسي » وأراء محرفاً من « نسي » ، ويؤيده قوله بعد « ونسي » .

[٢] عَجَّ يَعْجُ بكسر العين وفتحها : صاح ورفع صوته .

[٣] التَّجَحُّج : النجاح ، والطَّلِبَةُ : ما طلبته . [٤] من كَلَامِهِ كُنْه : حُرْسُهُ .

[٥] تَبَجَّح : تَمَكَّن في اللِّقَاء والحلول ، وتَبَجَّح الدَّار : تَوَسَّطَهَا ، والفراديس جمع فردوس :

وهو البستان .

فَرَادِيسِ نِعْمَتِهِ ، وَأَتَقَلَّبَ فِي رُؤَاقِ نَقَرَتِهِ <sup>(١)</sup> ، ائْتَمَنِي مِنَ الرَّجُلَةِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَغْنِنِي  
مِنَ الْقَتِيلَةِ ، وَاسْدُدْ عَلَيَّ سِتْرَكَ الَّذِي لَا تَخْرِقُهُ الرِّيحُ ، وَلَا تُزِيلُهُ الرِّيحُ ، إِنَّكَ  
مَمِيعُ الدَّعَاءِ . (اليال والتبيين ٢ : ٧٨ ، والقدر المريد ٣ : ١٣٨)

## ١١٤ - أَدْعِيَةُ شَتَّى

وَمَاتَ ابْنُ لَأَعْرَابِي فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي وَهَبْتُ لَهُ مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنْ بَرٍّ ،  
فَهَبْ لِي مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنْ طَاعَتِكَ ، فَإِنَّكَ أَجُودُ وَأَكْرَمُ . »

(القدر المريد ٢ : ٧٩ ، واليال والتبيين ٣ : ١٣٨)

وَوَقَفَ أَعْرَابِي فِي بَعْضِ الْمَوَاسِمِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِن لَكَ عَلَيَّ حَقُوقًا فَتَصَدَّقْ  
بِهَاطِلِي ، وَلِلنَّاسِ تَبِعَاتٌ قَبْلِي فَتَحْنَمَأْهَا عَنِّي ، وَقَدْ أَوْجِبْتَ لِكُلِّ ضَيْفٍ قِرْوًى <sup>(٣)</sup> ،  
وَأَنَا ضَيْفُكَ اللَّيْلَةَ ، فَاجْعَلْ قِرَايَ فِيهَا الْجَنَّةَ . »

(القدر المريد ٢ : ٧٨ ، واليال والتبيين ٢ : ٤٨)

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ :  
« اللَّهُمَّ لَا تَخْزِمْنِي خَيْرَ مَا عِنْدَكَ لِشَرِّ مَا عِنْدِي ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ تَعْبِي وَنَعْبِي ،  
فَلَا تَخْزِمْنِي أَجْرَ الْمُصَابِ عَلَى مَصِيبَتِهِ . » (زهر الآداب ٣ : ١٦٣)

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ لِرَجُلٍ : « أَطْعَمَكَ اللَّهُ الَّذِي أَطْعَمَتَنِي  
لَهُ ، فَقَدْ أَحْيَيْتَنِي بِقَتْلِ جُوعِي ، وَدَفَعْتَ عَنِّي سُوءَ ظَنِّي ، فَحَفِظَكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ  
جَنْبٍ ، وَفَرَّجَ عَنْكَ كُلَّ كَرْبٍ ، وَغَفَرَ لَكَ كُلَّ ذَنْبٍ » (القدر المريد ٢ : ٨٤)

[١] في الأصل « داووق » وهو الصفاة ، وأراه معرفة عن « رواق » وهو المصطاط ، والنقرة :  
النسبة والذي . [٢] رجل كثر حقه وهو راجل ورجلان : إذا لم يكن له ظهر يركبه ، والرجلة بالفتح  
فيكسر : شدة اللهي ، واليلة : القفر .

[٣] قرى الضيف كرى ، قرى : أحسن إليه ، والقرى أيضا : ما قرى به الضيف .



عن الأصمعي قال : رأيت أعرابيا يصلي وهو يقول : « أسألك الفَقِيرَةَ <sup>(١)</sup> ،  
والنَّافَةَ الغَزِيرَةَ ، والشرف في العَشِيرَةِ ، فإنها عليك يسيرة » . ( الأماي ٢ : ٢٣ )

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يدعو لرجل فقال : « جَنِّبْكَ  
الله الأَمْرَيْنِ <sup>(٢)</sup> ، وكفاك شَرَّ الأَجَوَفَيْنِ <sup>(٣)</sup> ، وأذاقك البَرْدَيْنِ <sup>(٤)</sup> » .  
( الأماي ٢ : ٧٢ ، والبيان والتبيين ٣ : ١٣٧ )

ودعا أعرابي فقال : « اللهم إني أسألك البَقَاءَ ، والنِّمَاءَ ، وطيب الإِتَاءَ <sup>(٥)</sup> ،  
وَحَطَّ الأَعْدَاءَ ، ورفع الأولياء » . ( البيان والتبيين ١ : ١٦٣ )

وقال أعرابي : « اللهم لَا تُنْزِلْنِي ماءً سَوًى ، فَأَكُونَ امْرَأَ سَوًى » وقال  
أعرابي : « اللهم قِنِي عَثَرَاتِ الكَرَامِ » . ( البيان والتبيين ١ : ٢١٥ )

ووهب رجل لأعرابي شيئا فقال : « جعل الله للعروف إليك سبيلا ،  
وللخير عليك ذليلا ، وجعل عندك رِفْدًا <sup>(٦)</sup> جَزِيلًا ، وأبقاك بقاء طويلا ،  
وأبلاك <sup>(٧)</sup> بلاء جميلا » .

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يدعو وهو يقول : « اللهم ارزقني مالا  
أَكْبِتَ <sup>(٨)</sup> به الأعداء ، وَبَنِينَ أَصُولَ بهم على الأقوياء » .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٢٤ )

[١] الفَقِيرَةُ : العفْرة . [٢] الأمران : الفقر والمهرم ، أو الجوع والعري . [٣] الأ-وفان :  
البطن والرج . [٤] البردان : برد العين وبرد العافية . [٥] الإِتَاءُ : الرزق ، من أنت الشجرة  
أتوا لإتاء : طلع ثمرها ، أو بياصلحها ، أو كثر حملها . [٦] الرِفْدُ : انقطاع والصلح .  
[٧] الإِبْلَاءُ : الإِتمام والإِحسان ، أبليت عنده بلاء حسنا ، وأبلاه الله بلاء حسنا .  
[٨] كَبِتَ : صرعه وأدله ، ورد العَدُوّ بغيظه .



ودعت أعرابية على رجل فقالت : « أمكن الله منك عدوا حسودا ،  
وَجَمْعَ بك صديقا وذودا ، وسلط عليك هما يُضْنِيكَ ، وجاراً يؤذيك » .

( العدد الفريد ٢ : ٩١ )



ودعا أعرابي فقال : « أعوذ بك من الفَوَاقِر <sup>(١)</sup> والبواقر ، ومن جارٍ السوء ،  
في دار المُقَاتَةِ وَالظَّنِّ ، ومما يَنْكُسُ رأسُ المرءِ ، وَيُتْرَى به لثامُ الناسِ » .



وقال أعرابي : « أعوذ بك من سَقَمٍ ، وعداوة ذى رَحِمٍ ودَعَوَاهُ ، ومن  
فاجِرٍ وَجَدَوَاهُ <sup>(٢)</sup> ، وعمل لا ترضاه » .

( البيان والبيان ٣ : ١٣٦ )



ودعت أعرابية لرجل فقالت : « كَبَتَ اللهُ كلَّ عدوك إلا نَفْسَكَ » .  
ودعا أعرابي فقال : « اللهم هب لي حَقَّكَ ، وأرض عني خلقك » .  
وقال أعرابي : « اللهم إنك أمرتنا أن نَعْفُو عَمَّن ظَلَمْنَا ، وقد ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا  
فَاعْفُ عَنَّا » .

( البيان والبيان ٣ : ١٣٧ )



وقال أعرابي : « مَنْحَمُ اللهُ مِنْحَةً لَيْسَتْ بِمَجْدَاءٍ ، ولا نَكَدَاءٍ ، ولا  
ذَاتِ دَاءٍ » .

وقال أعرابي : « اللهم إنك حَبَسْتَ عَنَّا قَطَرَ السَّمَاءِ ، فَذَابَ الشَّحْمُ ،  
وَذَهَبَ اللَّحْمُ ، وَرَقَّ الْعَظْمُ ، فَارْحَمْ أُنَيْنَ الْآثَةِ ، وَحَيْنَ الْحَائَةِ ، اللهم ارحم  
تَحِيرَهَا فِي مَرَاتِبِهَا ، وَأُنَيْنَهَا فِي مَرَاتِبِهَا » .

[١] الفَوَاقِر جمع فاقرة : وهي الحاجة ، والبواقر جمع بقرة : وهي الفتنة الصادرة للأنثى الشاقة للمعا .

[٢] الجدوى : الطيبة .

❖

وحجج أعرابي فقال : « اللهم إن كان رزقي في السماء فأنزله ، وإن كان في الأرض فأخرجني ، وإن كان نائياً فقرّبني ، وإن كان قريباً فبسرّه » .

( اليلد والتبين ٣ : ١٣٨ )

❖

ومات ولد لرجل من الأعراب فعصى عليه ، فقال : « اللهم إن كنت تعلم أنه كريم الجدين ، سهّل الجدين ، فاغفر له وإلا فلا » . ( الأمل ١ : ٢٠٢ )

❖

وقالت أعرابية لرجل : « رماك الله بلبلة لاأخت لها » أى لا تعيش بعدها . ( الأمل ١ : ٢١٧ )

❖

ودما أعرابي فقال : « اللهم إني أعوذ بك أن أفقر في غناك ، أو أضلّ في هداك ، أو أذلّ في عزك ، أو أضامّ في سلطانك ، أو أضطهدّ والأمر إليك » . ( زهر الآداب ٣ : ١٦٤ )

❖

وقال الأصمى : سمعت أعرابية تقول : « اللهم ارزقني عمّل الخائفين ، وخوف العاملين ، حتى أنعم بترك التمتع ، رجاء لما وعدت ، وخوفاً مما أوعدت » . وقال آخر : « اللهم من أراد بنا سوءاً فأحطه به كإحاطة القلائد ، بأعناق الولائد <sup>(١)</sup> ، وأرسله على هامته كرسوخ السجيل <sup>(٢)</sup> ، على هام أصحاب القيل » . ( زهر الآداب ٣ : ٣٤٦ )

---

[١] الولائد جمع وليدة : وهي الصبية . [٢] السجيل : طين مطبوخ ، يشبه إل قوله تعالى : « وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ » وأبابل أى جماعات .

## ١١٥ - نوادر وملح لبعض الأعراب

غزا أعرابي مع النبي صلى الله عليه وسلم قتيلاً له : ما رأيت مع رسول الله في غزائك هذه ؟ قال : وضع عنا نصف الصلاة <sup>(١)</sup> ، وأرجو في الغزاة الأخرى أن يضع النصف الباقي .



ودخل أعرابي المسجد ، والنبي صلى الله عليه وسلم جالس ، فقام يصلي ، فلما فرغ ، قال : اللهم ارحمني ومحمداً ، ولا ترحم معنا أحداً ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : لقد تحجرت <sup>(٢)</sup> واسياً يا أعرابي .



وخرج الحجاج متصيداً بالمدينة ، فوقف على أعرابي يرعى إبلاً له ، فقال له : يا أعرابي ، كيف رأيت سيرة أميركم الحجاج ؟ قال له الأعرابي : غشوم ظلوم ، لا حياء الله ، فقال : فلم لا شكوتوه إلى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : فأظلم وأغشم ، فبينما هو كذلك إذ أحاطت به الخيل ، فأومأ الحجاج إلى الأعرابي ، فأخذ وسجل ، فلما صارمه ، قال : من هذا ؟ قالوا له : الحجاج ، فحرك دابته حتى صار بالقرب منه ، ثم ناداه يا حجاج ، قال : ما تشاء يا أعرابي ؟ قال : السر الذي بيني وبينك أحب أن يكون مكتوماً ، فضحك الحجاج ، وأمر بتخلية سبيله .



وخرج أبو العباس السفاح متزهاً بالأنبار ، فأيمن في نزهته ، وانتبذ من

[١] هي صلاة القمر . [٢] أي ضيق ما وسعه الله وخصمت به نفسك دون غيره .

أصحابه ، فوافى خبَاء لأعرابي ، فقال له الأعرابي : ممن الرجل ؟ قال : من كِنانة ، قال : من أيّ كِنانة ؟ قال : من أبنض كِنانة إلى كِنانة ، قال : فأنت إذن من قريش ؟ قال : نعم ، قال : فن أيّ قريش ؟ قال : من أبنض قريش إلى قريش ، قال : فأنت إذن من ولد عبد المطلب ؟ قال : نعم ، قال : فن أيّ ولد عبد المطلب ؟ قال : من أبنض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب ، قال : فأنت إذن أمير المؤمنين ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ووثب إليه ، فاستحسن ما رأى منه ، وأمر له بجائزة .

\*\*\*

وولّى يوسف بن عمر الثَّقَفِي صاحب العراق أعرابياً على عمل له ، فأصاب عليه خيانة فغزاه ، فلما قَدِم عليه ، قال له : يا عدوّ الله ، أكلت مال الله ، قال الأعرابي : فقال مَنْ آكلُ إذا لم آكلُ مالَ الله ؟ لقد راوَدْتُ إبليس أن يُعطيني فلَساً واحداً فما فعل ، فضحك منه وخلّى سبيله .

\*\*\*

وأخذ الحجاج أعرابياً لصاً بالمدينة فأمر بضربه ، فلما قرعهُ بِسَوْطٍ قال : يارب شُكراً ، حتى ضربه سبعمائة سَوْط ، فلقِيَهُ أَشْعَبُ ، فقال له : تَدْرِي لِمَ ضربك الحجاج سبعمائة سوط ؟ قال : لماذا ؟ قال : لكثرة شكرك ، إن الله تعالى يقول : « لَنْ شُكْرُكُمْ لَا زِيدُ نَكْمٌ » ، قال : وهذا في القرآن ؟ قال : نعم ، فقال الأعرابي :

يَا رَبِّ لَا شُكْرًا فَلَا تَزِدْنِي أَسَأتُ فِي شُكْرِي فَاغْفُ عَنِّي

، بِاعِذْ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ مِنِّي



ونزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة ، وقد دجنت <sup>(١)</sup> عندها ، فذبحتها وبعأت بها إليه ، فقالت يا أبا جعفر : هذه دجاجة لي كنت أذبحها وأعلفها من قوتي ، وألبسها في آناه الليل ، فكأنما ألمس بنتي زلت عن كبدي ، فذرتُ الله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون ، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك ، فأردت أن أدفنها فيه ، فضحك عبد الله بن جعفر ، وأمر لها بخسمائة درهم .



وسُمِعَ أعرابي وهو يقول في الطواف : « اللهم اغفر لأمي » ، فقيل له : مالك لا تذكر أباك ؟ قال : أبي رجل يحتال لنفسه ، وأما أمي فبائسة ضعيفة .



وقال أبو زيد : رأيت أعرابياً كأن أنفه كوز ، من عظمه ، فرآنا نضحك منه ، فقال : ما يُضحِكُكم ؟ فوالله لقد كنت في قوم ، ما كنت فيهم إلا أفتس .



وجيء بأعراب إلى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته ، وهو يقول : « هاؤم أقرءوا كتابي » ، فقيل له يقال هذا يوم القيامة ، قال : « هذا والله شر من يوم القيامة ، إن يوم القيامة يؤتى بحسناتي وسيئاتي ، وأتم جسمي بسيئاتي وتركتم حسناتي » .



واشترى أعرابي غلاماً فقيل للبائع : هل فيه من عيب ؟ قال : لا ، إلا أنه

[١] دجن الحمام والثاة وغيرها كنصر : ألفت البيوت .

يبول في الفراش ، قال : هذا ليس ببعيب ، إن وجد فراشا فليئيل فيه »

\*\*\*

ومرّ أعرابي بقوم وهو ينشد ابنا له ، فقالوا له : صفه ، قال : كأنه دُنَيْبِر ، قالوا : لم نره ، ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابي ، وعلى عنقه جُعل<sup>(١)</sup> ، فقالوا : هذا الذي قلت فيه دُنَيْبِرُ ؟ قال : « الْقَرْنَبِي<sup>(٢)</sup> » في عين أمها حسناء .

\*\*\*

وقيل لأعرابي : ما يمنعك أن تغزو ؟ قال : والله إنني لَأَبْنِضُ الموت على فراشي ، فكيف أن أمضي إليه رَكْضًا ؟ » .

\*\*\*

وخرج أعرابي إلى الحج مع أصحاب له ، فلما كَانَ يَمْضُ الطريق راجعا يريد أهله ، لقيه ابن عمّ له ، فسأله عن أهله ومنزله ، فقال : اعلم أنك لما خرجت ، وكأنت لك ثلاثة أيام ، وقع في بيتك الحريق ، ورفع الأعرابي يديه إلى السماء ، وقال : ما أحسنَ هذا يارب ! تأمّرنا بعمارة بيتك أنت ، وتحرب بيوتنا ! » .

\*\*\*

وخرجت أعرابية إلى الحج ، فلما كَانَتْ في بعض الطريق عَطِبَتْ راحلتها ، فرفعت يديها إلى السماء ، وقالت : « يارب ! أخرجتني من بيتي إلى بيتك ، فلا بيتي ولا بيتك ! » .

\*\*\*

وعُرِضَت السجون بعد هلاك الحاج ، فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفا ، لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب ، وفيهم أعرابي ، أخذ يبول في أصل مدينة واسط ، فكان فيمن أطلق ، فأنشأ يقول :

[١] الجبل : الحراء .

[٢] القرني : دوية من خشاش الأرض فوق الحنفاء إذا مسها أحد تهبضت فصارت مثل الكرة

إذا ما خرجنا من مدينة واسطٍ خَرِينَا وَبَلْنَا لَا تَخَافِ عِقَابَا

❦

ونظر أعرابي إلى قوم يلمسون للال شهر رمضان فقال : « والله لئن آثرتموه لَتُمْسِكَنَّ مِنْهُ بِذُنَابِي <sup>(١)</sup> عيش أغبر » .

❦

ونظر أعرابي إلى رجل ممين فقال : « أرى عليك قطيفة من نَسِجِ أضراسك » .

❦

وقال أعرابي : « اللهم إني أسألك مِيتَةً كَمِيتَةِ أَبِي خَارِجَةَ ، أَكَلِ بَدَجًا <sup>(٢)</sup> ، وشرب مِشْعَلًا <sup>(٣)</sup> ، ونام في الشمس ، فمات دَقَّانَ شَبَانَ رِيَّانَ » .

❦

وقيل لأبي المَحْشُ الأعرابي : أَيَسُرُّكَ أَنْتَ خليفة ، وَأَنْ أَمَتَكَ حُرَّةٌ ؟ قال : لا والله ما يسرني ، قيل له : ولم ؟ قال : « لأنها كانت تنهب الأئمة ، وتضيع الأمة » .

❦

وحضر أعرابي سُفْرَةَ سليمان بن عبد الملك ، فجعل يمرّ إلى ما بين يديه ، فقال له الحاجب : مما يليك فَكُلْ يا أعرابي ، فقال : من أجذب اتجج ، فشقّ ذلك على سليمان ، وقال للحاجب : إذا خرج عنا فلا يَمُدُّ إلينا .

❦

وشهد بعد هذا سُفْرَتَهُ أعرابي آخر ، فرمى إلى ما بين يديه أيضاً ، فقال له الحاجب : مما يليك فكل يا أعرابي ، قال : من أخصب تخيّر ، فأعجب ذلك سليمان ، فقربه وأكرمه وقضى حوائجه .

[١] الذناب : الذنب . [٢] البنج : ولد النّان .

[٣] المشعل : من جلوده أربع قوائم يند في ، وغرب مغلالي حرب ما فيه .



وحضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك ، فلما أتى بالقألوذج ، جعل يُسرِع فيه ، فقال سليمان : أتدرى ما تأكل يا أعرابي ؟ فقال : بلى يا أمير المؤمنين إني لأجد ريقاً هنيئاً ، وَمُزْدَرْداً<sup>(١)</sup> ليناً ، وأظنه الصراط المستقيم الذي ذكره الله في كتابه ، فضحك سليمان وقال : أزيدك منه يا أعرابي ؟ فإنهم يذكرون أنه يزيد في اللِّمَاع ، قال : كَذَّبوك يا أمير المؤمنين ، لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل ! .



وحضر سفرة سليمان أعرابي ، فنظر إلى شَعْرَةٍ في لُقْمَةِ الأعرابي ، فقال : أرى شعرة في لقمتك يا أعرابي ، قال : وإنك لَتراعيني مُرَاعاةً من يُبْصِرَ الشعرة في لقمتي ! وَاللَّهِ لا وَاكَلْتُكَ أَبَداً ، فقال : استرها يا أعرابي ، فإنها زَلَّةٌ ، ولا أعود لثُلْها .



وقال الأصمعي : قلت لأعرابي : أَتَهْمَزُ<sup>(٢)</sup> إسرائيل ؟ قال : إني إذن لَرَجُلٍ سوء ، قلت له : أَتَجْرُ فِلَسْطِينَ ؟ قال : إني إِذَا لَقَوِي .



وسمع أعرابي إماماً يقرأ : « وَلَا تُشْكِرُوا<sup>(٣)</sup> الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا » - قرأها بفتح التاء - فقال : ولا إن آمنوا أيضاً لم تُشْكِرْهم ، فقبل له إنه يلحن وليس هكذا يقرأ ، فقال : « أَخْرُوه قُبْحَهُ اللَّهُ ! لا تجملوه إماماً ، فإنه يُحِلَّ ما حَرَّمَ اللَّهُ » . (طالع البريد ٢ : ١٠٠ - ١٠٥)

وخطب أعرابي فلما أعجبه بعضُ الأمر عن التصدير بالتمجيد ، والاستفتاح بالتمجيد ، قال : « أما بعد ، بنير ملالٍ لذكر الله ، ولا إشارٍ غيره عليه ، فإننا نقول كذا ، ونسأل كذا » فراراً من أن تكون خطبته ببراء وشَوْهَاء <sup>(١)</sup> .  
(اليان والنبين ٢ : ٢ ، ١ : ٢١٥)

ودفعوا إلى أعرابية عِلْكَاً <sup>(٢)</sup> لَمْضَغُهُ ، فلم تقبل ، فقيل لها في ذلك ، فقالت : « ما فيه إلا تَعَبُ الأضراس وخِيَّةُ الحَنْجَرَةِ » . (اليان والنبين ٢ : ٤٧)  
وقيل لأعرابي : عند مَنْ تحب أن يكون طعامك ؟ قال : « عند أم صبي راضع ، أو ابن سبيل شاسع ، أو كبير جائع ، أو ذى رحم قاطع » .  
(اليان والنبين ٢ : ٤٩)

وقال أعرابي :

« لولا ثلاث هُنَّ عَيْشُ النحر الماء ، والنوم ، وأم حمرو ، لما خَشِيتُ من مَضِيقِ القبر » .  
(اليان والنبين ٢ : ١٠١)

وسمع أعرابي رجلاً يقرأ سورة براءة فقال : « ينبغي أن يكون هذا آخر القرآن » ، قيل له : ولم ؟ قال : « رأيت عهداً تُنْبَذُ » .  
(اليان والنبين ٢ : ١٦٩)

---

[١] وكلاهما يسمون الخطبة التي لم يتدعى صاحبها بالتمجيد ، ويستفتح كلامه بالتمجيد « البراءة » ويسمون التي لم توشع بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم « الشوهاء » .  
[٢] الك : اليان ( بالضم ) .

وسمع أعرابي رجلا يقرأ : « وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ، تَجْرِى  
بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرٌ <sup>(١)</sup> » ، قالها بفتح الكاف ، فقال الأعرابي :  
« لا يكون » ، فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء ، فقال الأعرابي : « يكون »  
( البيان والتبيين ٢ : ١٧٤ )




---

[١] ذات الألواح والدر : مع السفينة ، والدر ما تشد به الألواح من اللسامير وغيرها جمع دسار  
ككتاب ، بأعيننا : برأى منا أى محسوسة ، وقد قرئ " كفر بالبناء للفاعل ، أى للكافرين ، أفرقوا  
مذابا ١

## الباب الرابع

### في

### خطب النكاح

#### ١ - خطبة قريش في الجاهلية

روى الجاحظ قال :

كانت خطبة قريش في الجاهلية - يبنى خطبة النساء :

« باسمك اللهم ، ذُكِرْتَ <sup>(١)</sup> فلاة ، وفلانٌ بها مشغوفٌ ، باسمك اللهم ،  
لك ما سألت ولنا ما أعطيت » .

#### ٢ - خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في زواج السيدة فاطمة

« الحمد لله الحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المرهوب من عذابه ، المرغوب  
فيما عنده ، النافذ أمره في سماؤه وأرضه ، الذي خلق الخلق بقدرته ، ويميز  
بأحكامه وأعزهم بدينه ، وأكرمهم بغيره محمد ، صلى الله عليه ، ثم إن الله تعالى

---

[١] ذكر فلان فلاة ذكرا ( يصح فكون ) : خطيبا أو ترضى لخطبتها .

جعل المصاهرة نسباً لاحقاً ، وأمرأاً مُفْتَرَضاً ، وَوُشَّجَ<sup>(١)</sup> به الأرحام ، وألزمه الأنام ، قال تبارك اسمه ، وتعالى ذكره : « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا جَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا » ، فأمرُ الله يجرى إلى قضائه ، ولكل قضاء قَدَرٌ ، ولكل قَدَرٍ أَجَلٌ<sup>٢</sup> « يَخُوضُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ » . ثم إن ربِّي أمرني أن أزوّج فاطمة من عليّ بن أبي طالب ، وقد زوّجتها إياه على أربعائة مثقال فضّة ، إن رضى بذلك عليّ<sup>٣</sup> .

### ٣ - خطبة الإمام عليّ كرم الله وجهه

وخطب الإمام عليّ كرم الله وجهه حين تزوّج بالسيدة فاطمة رضى الله عنها فقال :

« الحمد لله الذي قرَّبَ من حامديه ، ودنا من سائليه ، ووعد بالجنة من يتَّقِيه ، وقَطَعَ بالنار عدد من يعصيه ، أحمده بجميع محامده وأياديه ، وأشكره شكرَ مَنْ يعلم أنه خالقه وباريه ، ومصوره ومُنْشِيه ، ومميته ومُحْيِيه ، ومقرِّبه ومنجيّه ، ومُثَبِّهٌ ومجازيه ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تبلّغه وترضيه ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله صلاة تُزلفه وتُذنيه ، وتمزّه وتُعَلِّيه ، وتشرِّفه وتُجَنِّبِيه .

أما بعد : فإن اجتماعنا مما قَدَّرَهُ الله تعالى ورضيه ، والنكاح ما أمر الله به وأذن فيه ، وهذا محمد صلى الله عليه وسلم قد زوّجني فاطمة ابنته على صداق أربعائة درهم وثمانين درهماً ، ورضيت به فأسأله ، وكفى بالله شهيداً » .

[١] وشجت العروق والأعصاب كوعد : اشتبكت والفت وتداخلت ، ورحم واشجة ووشيجة : مشبكة متصلة ، وقد وشجها الله توشيحاً ، وفي الأصل : « وشج به الأرحام » وأراه محرّفاً .

#### ٤ — خطبة عتبة بن أبي سفيان

خطب عثمان بن عفَّسة بن أبي سفيان إلى عتبة بن أبي سفيان ابنته ،  
فأقَمه على فخذ ، وكان حَدَّثًا فقال :

« أَقْرَبُ قَرِيبٍ ، خَطَبَ أَحَبَّ حَيْبٍ ، لَا أُسْتَطِيعُ لَهُ رَدًّا ، وَلَا أَجِدُ مِنْ  
إِسْمَافِهِ بُدًّا ، قَدْ زَوَّجْتُكُمَا وَأَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْهَا ، وَهِيَ أَلْصَقُ بَقَلْبِي مِنْكَ ،  
فَأَكْرَمَهَا يَمْدُبُ عَلَى لِسَانِي ذِكْرُكَ ، وَلَا تُهِنُّهَا فَيَصْفَرَّ عِنْدِي قَدْرُكَ ، وَقَدْ  
قَرَّبْتُكَ مَعَ قُرْبِكَ ، فَلَا تُبْعِذْ قَلْبِي مِنْ قَلْبِكَ » .

#### ٥ — خطبة شبيب بن شيبة

وقال العُتبيّ : زَوَّجَ شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ ابْنَةَ بَنْتِ سِوَارٍ<sup>(١)</sup> الْقَاضِي ، قَتَلْنَا :  
الْيَوْمَ يَصُبُّ عُبَابُهُ<sup>(٢)</sup> ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَكَلَّمُ فَقَالَ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ مِنَّا وَمِنْكُمْ ، بِنَا  
وَبِكُمْ<sup>(٣)</sup> ، تَمَنَّا مِنَ الْإِكْثَارِ ، وَإِنْ فَلَانًا ذَكَرَ فَلَانَةٌ » .

#### ٦ — خطبة الحسن البصري

وكان الحسن البصري يقول في خطبة النكاح ، بعد الحمد لله والثناء عليه :

« أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَمَعَ بِهَذَا النِّكَاحِ الْأَرْحَامَ الْمُتَقَطِّعَةَ ، وَالْأَنْسَابَ الْمُتَفَرِّقَةَ ،  
وَجَعَلَ ذَلِكَ فِي سُنَّةٍ مِنْ دِينِهِ ، وَمِنْهَا جَاضِحٌ مِنْ أَمْرِهِ ، وَقَدْ خَطَبَ إِلَيْكُمْ فَلَانٌ ،  
وَعَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ نِعْمَةٌ ، وَهُوَ يَنْذِلُ مِنَ الصَّدَاقِ كَذَا ، فَاسْتَخِيرُوا اللَّهَ ، وَرُدُّوا خَيْرًا ،  
يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ » .

[١] هو سِوَارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ قُضَاةِ الْبَصْرَةِ وَخَطَبَهَا — انظر اليان والعيون ١ : ١٦١ — وانظر إلى  
أمال السيد للرفعي ٤ : ٢٧ حديثًا غريبًا الجاهل عنه في وقوله وضبطه من هـه وملكه من حركته —  
[٢] لأنَّ والهي الروسين خطيلان . [٣] أي المعرفة منا بكم ، وللمعرفة منكم بنا .

## ٧ - خطبة ابن الفقير

وقال العتيبي : حضرت ابن الفقير خطب على نفسه امرأة من باهلة فقال :  
« وما حسن أن يمدح المرء نفسه : ولكن أخلاقاً تَذُمُّ وتُمدَح  
إن فلانة ذُكرت لي » .

## ٨ - خطبة عمر بن عبد العزيز

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز :  
« قد زوّجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة » ، قال : « جزاك الله يا أمير المؤمنين  
خيراً ، فقد أجزلت العطية ، وكفيت المسألة » .

## ٩ - خطبة أخرى له

وحدث محمد بن عبيد الله القرشي عن أبي المقدم قال :

كانت قريش تستحسن من خاطب الإطالة ، ومن المخطوب إليه التقصير<sup>(١)</sup> ،  
فشهدت محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان خطب إلى عمر بن عبد العزيز  
أخته أم عمر بنت عبد العزيز ، فتكلم محمد بن الوليد بكلام جاز الحفظ ، فقال عمر :  
« الحمد لله ذي الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد : فإن  
الرغبة منك دَعَتْكَ إلينا ، والرغبة فيك أجابَتْكَ منا ، وقد أحسن بك ظناً من  
أودعك كَرِيمَتَهُ ، واختارك ولم يَخْتَرْ عليك ، وقد زوجْتُكها على كتاب الله :  
إِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَمْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ » .

[١] وكذلك روى الجاحظ في البيان والتهيين ( ١ : ٦٤ ) قال : « والسنة في خطبة للنكاح أن يطيل  
لخاطب ، ويقصر الجيب » والحمرى في زهر الآداب ( ٢ : ٢١ ) قال الأصبغى : « كانوا يستحبون من  
لخاطب إلى الرجل حرمة الإطالة ، لتدل على الرغبة ، ومن المخطوب إليه الإيجاز ليدل على الإجابة » .

## ١٠ — خطبة بلال

وخطب بلال إلى قوم من خَتَمَ لنفسه ولأخيه ، فحَمِدَ الله وأثنى عليه ،  
ثم قال :

« أنا بلال وهذا أخى ، كنا ضالَّين فهدانا الله ، عبَدَيْن فاعتقنا الله ،  
فقيرين فأغنانا الله ، فإن تَزَوَّجُونَا فالحمد لله ، وإن تَرُدُّونَا فالاستعانةُ بالله » .

## ١١ — خطبة خالد بن صفوان

وزوج خالد بن صفوان مَوَلَاهُ من أُمَّتِهِ ، فقال له العبد : لو دعوتَ الناس  
وَحَظَبْتَ ! قال : أَدْعُهُمْ أَنْتَ ، فدعاهم العبد ، فلما اجتمعوا ، تكلم خالد بن  
صفوان ، فقال :

« أما بعد : فإن الله أعظمُ وأجلُّ من أن يُذْكَرَ في نكاح هذين الكليين ،  
وأنا أشهدكم أنى زَوَّجْتَ هذه الزانية من هذا ابن الزانية » .

## ١٢ — خطبة أعرابي

وخطب الفضل الرقاشي إلى قوم من بني تميم فخطب لنفسه ، فلما فرغ قام  
أعرابي منهم فقال :

« تَوَسَّلْتَ بِمَحْرُومَةٍ ، وَأَوَّلَيْتَ بِحَقٍّ ، وَاسْتَنْدْتَ إِلَى خَيْرٍ ، وَدَعَوْتَ إِلَى سُنَّةٍ ،  
فَقَرَرْتُكَ مَقْبُولٌ ، وَمَا سَأَلْتَ مَبْذُولٌ ، وَحَاجَّتْكَ مَقْضِيَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى » .

قال الفضل : لو كَانَ الأعرابي حمد الله في أوَّل كلامه ، وصلى على النبي صلى الله  
عليه وسلم لفضحني يومئذ .



## ١٣ - خطبة المأمون

وقال يحيى بن أكثم: أراد المأمون أن يزوجه ابنته من علي بن موسى الرضا ، فقال : يا يحيى تكلم ، فأجلبته أن أقول : « أنكحت » ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنت الحاكم الأكبر ، والإمام الأعظم ، وأنت أولى بالكلام ، فقال : « الحمد لله الذي تصاغرَت الأمور بمشيئته ، ولا إله إلا هو إقراراً بربوبيته ، وصلى الله على محمد عند ذكره ، أما بعد : فإن الله قد جعل النكاح ديناً ، ورضيه حكماً ، وأنزله وحياً ، ليكون سبب المناسبة ، ألا وإنى قد زوجت ابنة المأمون من علي بن موسى ، وأمهرتها أربعمائة درهم ، اقتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهاءً إلى ما درج إليه السلف ، والحمد لله رب العالمين » .

\*\*\*

وخطب رجل إلى قوم ، فأقْبَى مِنْ يَخْطُبُ لَهُ ، فاستفتح بحمد الله ، وأطال ، وصلى على النبي عليه الصلاة والسلام ، وأطال ، ثم ذكر البدءَ وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، واقتصَّ ذِكْرَ الْقُرُونِ ، حَتَّى ضَجِرَ مَنْ حَضَرَ ، وَانْفَتَحَ إِلَى الْخَاطِبِ ، فقال : مَا اسْمُكَ أَعَزَّكَ اللَّهُ ؟ فقال : والله قد أنسيْتُ اسْمِي مِنْ طَوْلِ خُطْبَتِكَ ، وَهِيَ طَالِقٌ إِنْ تَزَوَّجْتَهَا بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ ، فَضَحَكَ الْقَوْمُ ، وَعَقَدُوا فِي مَجْلَسٍ آخَرَ .

( مفتاح الأفكار ص ٦٢ ، ومواسم الأدب ٢ : ١٢٠ ، والمقد الفريد ٢ : ١٦٣ ،

وسيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي ص ٢٨ ، والبيان والتبيين ١ : ٢١٥ ، ٢١٧ -

٢ : ٥٠ : ١٣٠ - ٣ : ٢٢١ ، وزهر الآداب ٢ : ٣٠ ، ٣١ )

## الباب الخامس

في

### خطب من أرتج عليهم

ونوادر طريفة لبعض الخطباء

روى الجاحظ قال : صَدَّ عَثَمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ الْمَنَبَرُ ، فَأُزِجَ

عليه ، فقال :

« إِنِّ أَبَا بَكْرٍ وَصَمْرَكَانَا يُعِدَّانَ لِهَذَا الْمَقَامِ مَقَالًا ، وَأَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ طَادِلٍ ، أَحْجُجْ

مَنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ خَطِيبٍ » .

❦

وروى ابن عبد ربه قال : أَوَّلُ خُطْبَةٍ خُطِبَهَا عَثَمَانُ بْنُ عَفَّانَ أُزِجَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ أَوَّلَ كُلِّ مَرْكَبٍ صُحْبٌ ، وَإِنْ أَحْسَنَ تَأْنِيَكُمْ الْخُطْبُ عَلَى

وَجْهِهَا ، وَسَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

❦

ولما قَدِمَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ الشَّامَ وَالْيَا عَلَيْهِمَا لِأَبِي بَكْرٍ ، خُطِبَ النَّاسَ فَأُزِجَ

عليه ، فَمَادَ إِلَى الْحَمْدِ اللَّهُ ، ثُمَّ أَرْتَجَ عَلَيْهِ ، فَمَادَ إِلَى الْحَمْدِ اللَّهُ ، ثُمَّ أَرْتَجَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ :

« يا أهل الشام ، عسى الله أن يجعل من بعد عُسْرٍ يُسْرًا ، ومن بعدِ عِيٍّ يَأْنًا ، وأتم إلى إمامٍ فاعل <sup>(١)</sup> ، أحوَجُ منكم إلى إمامٍ قائل <sup>(٢)</sup> » ، ثم نزل ، فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

\*\*\*

وكان يزيد بن المهلب ولى ثابتَ قُطْنَةَ <sup>(٣)</sup> بمض قرى خُرَاسان <sup>(٤)</sup> ، فلما صعد المنبر يوم الجمعة ، قال : الحمد لله ، ثم أرتج عليه ، فنزل وهو يقول :  
فَالَا أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيئًا فَإِنِّي بِسِيفِي إِذَا جَدَّ الْوَعْيُ لَخَطِيبُ  
فَقِيلَ لَهُ : « لَوْ قَلَّتْهَا فَوْقَ الْمَنْبَرِ ، لَكُنْتَ أَخْطَبَ النَّاسِ » .

\*\*\*

وخطب معاوية بن أبي سفيان لما ولى ، خَصِرَ فقال :  
« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنِّي كُنْتُ أَعَدَدْتُ مَقَالًا أَقُومُ بِهِ فِيكُمْ ، فَحُجِبْتُ عَنْهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، كما قال في كتابه <sup>(٥)</sup> ، وأتم إلى إمامٍ عَدْلٍ ، أحوَجُ منكم إلى إمامٍ خطيب ، وإني آتُرُكُمْ بما أمر الله به ورسوله ، وأنها كم عما نهاكم الله عنه ورسوله ، وأستغفر الله لي ولكم » .

[١] في عيون الأخبار : « إمام عادل » . [٢] وفي أمالي السيد المرتضى أن هذا القول يروى لثمان بن عфан ، وفي روايته : « إمام فَعَالٍ » و « إمام قَوَالٍ » بصيغة المبالغة ، وفي الألفاظ أنه يروى لثابت قُطْنَةَ ، وفيه : « أمير مَعَالٍ » و « أمير قَوَالٍ » .

[٣] هو ثابت بن كعب ، ولقب قُطْنَةَ لأن سَهْمًا أصابه في إحدى عينيه ، فذهب بها في بعض حروب الترك ، فكان يحمل عليها قُطْنَةَ ، وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية ، وكان في صحابة يزيد بن المهلب ، وكان يوليه أعمالا من أعمال الثغور ، فيحدد فيها مكانه لكفايته وشجاعته ، وقد مال إلى قول المرجئة ، وله قصيدة في الإرجاء ، انظر ترجمته في الألفاظ ج ١٣ ص ٤٧ .

[٤] وفي رواية : أنه خطب على منبر سجستان ، وفي رواية الطبري : « غلب الناس خسر » قال : « من يطع الله ورسوله فقد ضل » وأرتج عليه فلم ينطق بكلمة ، فلما نزل عن المنبر قال البيت المذكور .  
[٥] الآية الكريمة : « وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » .

✽

وصعد خالد بن عبد الله القسري يوماً المنبر بالبصرة ليخطب فأرتج عليه ، فقال : «أيها الناس : أما بعد ، فإن هذا الكلام يحيى أحياناً ، ويعزب أحياناً ، فيسبغ عند محبته سببه<sup>(١)</sup> ، ويعز عند غزوه طلبه ، ولربما كوبر فأبى<sup>(٢)</sup> ، وشولج فنأى ، فالتأتى<sup>(٣)</sup> لمحبه ، خير من التعاطى لأيه ، وتركه عند تنكره ، أفضل من طلبه عند تعذره ، وقد يخلج<sup>(٤)</sup> من الجري جنانه ، وينقطع من اللرب<sup>(٥)</sup> لسانه ، فلا يبطره ذلك ولا يكسره ، وسأعود فأقول إن شاء الله ، ثم نزل ، فأرئى حصر أبلغ منه .

✽

وصعد أبو العنابس منبراً من منابر الطائف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فأرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : لا ، قال : فما ينفعني ما أريد أن أقول لكم ، ثم نزل ؛ فلما كان في الجمعة الثانية ، وصعد المنبر وقال : أما بعد ، أرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما علمتكم ؟ ثم نزل ؛ فلما كانت الجمعة الثالثة ، قال : أما بعد : فأرتج عليه ، قال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : بعضنا يدرى ، وبعضنا لا يدرى ، قال : فليخبر الذي يدرى منكم الذي لا يدرى ، ثم نزل .

[١] السب : الطاء ، وفي رواية : « فيسب عند محبته سبه » .

[٢] وفي رواية : « فسا » أى اشتد وصعب . [٣] تأتى له : ترفع ، وفي رواية :

« فالتأتى » بالنون . [٤] يخلج : يضرب .

[٥] الحاد السين ، وفي رواية : « ويرتج على البلج لسانه » ، وفي أخرى : « وقد يرتج على السن لسانه ، ولا يطره القول إذا انتع ، ولا ييسر إذا انتع ، ومن لم تمكن له الخطوة ، فخلق أن تمن له النبوة » وفي أخرى : « وقد يعلو على القرب لسانه ، ثم لا يكابر القول إذا انتع ، ولا يرد إذا انتع ، وأول الناس من عذر على النبوة ، ولم يؤخذ على الكبوة ، من عرف ميفاته ، أشهر إحسانه وسأعود وأقول » .

✽

وولى اليمامة رجل من بنى هاشم يعرف بِالَّذَنْدَانِ ، فلما صَعِدَ المنبر ارتج عليه ، فقال :

« حَيَّاَ الله هذه الوجوه ، وجعلنى فِدَاءَهُمَا ، إني قد أمرت طَائِفِي بِاللَّيْلِ أَنْ لَا يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَنَا نِي بِهِ ، وَإِنْ كُنْتُ أَنَا هُوَ » ، ثم نزل .

✽

وخطب عبد الله بن عامر <sup>(١)</sup> بِالْبَصْرَةِ فِي يَوْمِ انْخِصَى ، فَأَرْتَجَ عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ :

« وَاللَّهِ لَا أَجْمَعُ عَلَيْكُمْ عِيًّا وَلَوْ مَأْمًا ، مَنْ أَخَذَ شَاةً مِنَ السُّوقِ فَهِيَ لَهُ ، وَغَنَمُهَا عَلَى » .

✽

قَالَ الْجَاهِظُ : وَلَمَّا حَصَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ عَلَى مَنْبَرِ الْبَصْرَةِ ، شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ زِيَادُ : « أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّكَ إِنْ أَقْبَتَ طَائِفَةٌ مِّنْ تَرَى ، أَصَابَهُ أَكْثَرُ مِمَّا أَصَابَكَ » .

✽

وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ بَجْدَلٍ الْكَلْبِيِّ عَلَى قَنْمَرَيْنِ <sup>(٢)</sup> ، فَوُثِبَ عَلَيْهِ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا ، وَبَايَعَ لَابْنَ الزُّبَيْرِ <sup>(٣)</sup> ، فَلَمَّا قَعَدَ زُفَرٌ عَلَى الْمَنْبَرِ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدَ الْغَادِرِ الْفَاجِرِ » ، وَحَصَرَ ، فَضَحِكَ النَّاسُ مِنْ قَوْلِهِ .

[١] انظر هامش الجزء الأول ص ١٨٠ . [٢] كورة بالشام . [٣] انظر هامش الجزء الثاني ص ١٣١ .

✽

وصعد عدي بن أرطاة<sup>(١)</sup> المنبر، فلما رأى جماعة الناس حصر فقال: « الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم » .

✽

وصعد روح بن حاتم المنبر، فلما رأى شقنوا<sup>(٢)</sup> أبصارهم، وفتحوا أسماعهم نحوه، حصر فقال: « نكسوا رؤوسكم، وغضوا أبصاركم، فإن المنبر مزكّب صعب، وإذا يسر الله فتح قلبي يسر » .

✽

وكان عبد ربه البشكري حاملاً ليعسى بن موسى<sup>(٣)</sup> على المدائن، فصعد المنبر، فحمد الله وأرتج عليه، فسكت ثم قال: « والله إنى لأكون فى بيتي قسجىء على لسانى ألف كلمة، فإذا قت على أعوادكم هذه جاء الشيطان فحأها من صدرى، ولقد كنت وما فى الأيام يوم أحب إلى من يوم الجمعة، فصرت وما فى الأيام يوم أبغض إلى من يوم الجمعة، وما ذلك إلا لخطبتكم هذه » .

✽

وأرتج على معن بن زائدة، ففصر المنبر برجله، ثم قال: « فتنى حرروب، لا فتنى منابر » .

✽

وحدث عيسى بن عمر قال:

خطب أمير مرة فاقطع نخيل، فبعث إلى قوم من القبائل حابوا ذلك ولقهم<sup>(٤)</sup>، وفيهم يزبوعى جلد، فقال: اخطبوا، فقام واحد فرأى فى الخطبة،

[١] كان حاملاً يزيد بن عبد الملك على البصرة .

[٢] شقنه كصره وطمه شقنوا: نظر إليه بمؤخر عينيه، أو رفع طرفه ناظراً إليه كالمتعجب أو كالكاره .

[٣] هو عيسى بن موسى ابن أخى للصور وكان أمير الكوفة . [٤] لقهم: جههم .

حتى إذا بلغ «أما بعد» قال : أما بعد ، أما بعد ، ولم يَدْرِ ما يقول ، ثم قال : فإن امرأتى طالق ثلاثاً ، لم أَرِدْ أَنْ أَجْمَعَ <sup>(١)</sup> اليوم فمئنتى ، وخطب آخر ، فلما بلغ «أما بعد» بقي ونظر ، فإذا إنسان ينظر إليه ، فقال : لعنك الله ! ترى ما أنا فيه ، وتلمخني ببصرك أيضاً ! وقال أحدهم : رأيت القَرَاقِرَ <sup>(٢)</sup> من السفن تجري بيني وبين الناس ، وصعد اليربوعي فخطب فقال : «أما بعد» فوالله ما أدرى ما أقول ، ولا فيم أقتموني ، أقول ماذا ؟ فقال بعضهم : قل في الزيت ، فقال : «الزيت مبارك» <sup>(٣)</sup> ، فكلوا منه وادّهنوا .

قال : فهو قول الشُّطَّار <sup>(٤)</sup> اليوم ، إذا قيل : لمَ فعلت ذا ؟ فقل في شأن الزيت ، وفي حال الزيت .



وروى الجاحظ أنه قيل لرجل من الوجوه : قم فاصعد المنبر وتكلم ، فلما صعد حصر وقال : «الحمد لله الذي يرزق هؤلاء» وبقي ساكناً فأترلوه ، وصعد آخر ، فلما استوى قائماً ، وقابل بوجهه وجوه الناس ، وقمت عينه على صلعة <sup>(٥)</sup> رجل فقال : «اللهم انن هذه الصلعة» .

[١] جمع الناس بالتشديد : أى شهدوا الجمعة ، كما يقال : عيّدوا : أى شهدوا العيد .

[٢] القَرَاقِر جمع قرقر كصفور : وهي السفينة أو الطويلة أو العظيمة .

[٣] يشير إلى الآية الكريمة : «الله نور السموات والأرض ، مثل نور كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة ، زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يسكاد زيتها يضيء ، ولو لم تمسسه نار ، نور على نور» .

[٤] الشُّطَّار جمع شاطر : وهو من أعيان أهل خبث ، وللراد به هنا أهل الدمار والهمج والواد

✽

وقيل لوازع البشكرى : قم فاصعد المنبر وتكلم ، فلما رأى جمع الناس قال : « لولا أن امرأتى لهنما الله حملتى على إتيان الجمعة اليوم ما جمعت ، وأنا أشهدكم أنها منى طالق ثلاثا » .

✽

ودعى أيوب بن القريّة لكلام ، فاحتبس القول عليه ، فقال : « قد طال السمر ، وسقط القمر ، واشتد المطر ، فإذا ينتظر ؟ » فأجابه فتى من عبد القيس فقال : « قد طال الأرق ، وسقط الشفق ، وكثر اللثق »<sup>(١)</sup> ، فلينطق من نطق ،

✽

وجاء فى أمالى السيد المرتضى :

روى أن بعض خلفاء بنى العباس - وأخذه الرشيد - صعد المنبر ليخطب ، فسقطت على وجهه ذبابة ، فطردها ، فرجعت ، فحصر وأرتج عليه ، فقال : أعوذ بالله السميع العليم « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ : إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْنَاهُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَاسْتَغْنُوهُ »<sup>(٢)</sup> منه ، صمغ الطالب والمطلوب ، ثم نزل ، فاستحسن ذلك منه .

✽

وروى أن رجلا صعد المنبر أيام يزيد بن معاوية ، وكان واليا على قوم فقال لهم : « أيها الناس : إني إن لم أكن فارسا طبيا<sup>(٣)</sup> بهذا القرآن ، فإن مى من أشعار العرب ما أرجو أن يكون خلفا منه ، وما أساء القائل أخو أبراجم حيث قال :

[١] لئن يؤمننا كفرح : ركعت ربه وكثر نداءه . [٢] وكأوا يطون أصنامهم بالطيب والزعفران ، وينطقون عليها الأبواب ، فيدخل الباب من الكوى فيأكله . [٣] مامرا خلفا .



وما عاجلاتُ الطير يُدنين للفتى رَشَادًا ، ولا من رِيْهِنٍ يَحِيبُ <sup>(١)</sup>  
 وَرُبَّ أُمُورٍ لَا تُضِيرُكَ ضَيْرَةٌ وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَحْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ <sup>(٢)</sup>  
 ولا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ  
 وَفِي الشَّكِّ تَفْرِيطٌ وَفِي الْحَزْمِ قُوَّةٌ وَيُخْطِئُ الْفَتَى فِي حَدْسِهِ وَيُصِيبُ <sup>(٣)</sup>

فقال رجل من كلب : إن هذا المنبر لم يُنْصَبْ للشعر ، بل لِيُحْمَدَ الله تعالى ،  
 وَيُصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَلِلْقُرْآنِ ، فقال : أَمَا لَوْ أَنْشَدْتَكُمْ  
 شعر رجل من كلب لَسَرَّكُمْ ، فَكُتِبَ إِلَى يَزِيدَ بِذَلِكَ فَعَزَلَهُ ، وقال : قد كنت  
 أراك جاهلاً أحمق ، ولم أَحْسِبْ أَنْ الْحَقَّ يَبْلُغْ بِكَ إِلَى هَذَا الْمَبْلَغِ ، فقال له :  
 أحمقُ مَنْ مَنِّي وَلَا أَنِي !



وخطب عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ <sup>(١)</sup> فحث على الجهاد فقال : هذا كما قال الله تعالى

في كتابه :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ <sup>(٥)</sup>

[١] كانت العرب تدين بالطير السائح ، وهو ما ولاك ميامنه ، أن يمر من مياسرك إلى ميامنك ،  
 وتنشأ بالبحر ، وهو ما ولاك مياسره ، أن يمر من ميامك إلى مياسرك ، وذلك لأنه لا يمكنك رديه إلا  
 بأن تنصرف له ، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير ، فيعتدها ، وطاحلات الطير هي أن يخرج الإنسان من  
 منزله إذا أراد أن يرحل الطير ، فمأمر به أول ما يبصر فهو طاحلات الطير ، وإن أبطأت عنه وانطرها  
 فقد رانت أي أبطأت ، والأول عندم عمود ، والثاني مفوم .

[٢] خشيته خشية ومخافة : خافه ، ووجب القلب وجيباً : خفق واضطرب . [٣] الحدس : الظن  
 والتخمين ، والأبيات لضباب بن الحارث البرجمي ( انظر زهر الآداب ٢ : ٨٨ ) .

[٤] انظر الجزء الثاني من ٤٣٣ و ٤٤٥ [٥] البيت لعمر بن أبي ربيعة ، وذلك أن مصعب بن الزبير  
 قد أن قتل المختار بن أبي عبيد الثقفي دها امرأته - وهي بنت النعمان بن شير - إلى البراءة من المختار ،  
 فأبى قتلها ، فقال في ذلك إن أبي ربيعة :

إن من أعظم الكبائر عندي قتل حسنة عادة عطبول

✽

وخطب يوما فقال : هذا كما قال الله تبارك وتعالى : « إنما يتفاضل الناس بأعمالهم ، وكل ما هو آت قريب » قالوا له : « إن هذا ليس من كتاب الله » قال : « ما ظننت إلا أنه من كتاب الله » .

✽

وخطب وكيع بن أبي سود<sup>(١)</sup> بخراسان فقال : « إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهر » فقبل له : « إنها ستة أيام » فقال : « وأيّك لقد قلتها وإنى لأستقلها ! » .

✽

وصعد المنبر فقال : « إن ربيعة لم تزل غصّابا على الله مذبحت نبيه من مضر ، ألا وإن ربيعة قوم كُشف<sup>(٢)</sup> ، فإذا رأيتهم فاطمنوا الخيل في مناخرها ، فإن فرسا لم يُطمن في منخره إلا كان أشدّ على فارسه من عدوه<sup>(٣)</sup> » .

✽

وضربت بنو مازن الحُتات بن يزيد الجاشي ، فجاءت جماعة منهم ، فيهم غالب أبو الفرزدق فقال : « يا قوم كونوا كما قال الله : لا يمجّز القوم إذا تعاونوا » .

✽

وخطب عدى بن زياد الإيادي ، فقال : « أقول لكم كما قال العبد الصالح لقومه : « مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ، وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ<sup>(٤)</sup> » ، قالوا

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جرة القول

« والمطبوع كمصغور : للراة الفتية الجلية للملتة الطوية المتق » . [١] انظر الجزء الثاني من ٢٩٧  
[٢] كشف جمع أكشف : وهو من ينهزم في الحرب ، ومن لا ترس به في الحرب ، ومن لا يبيغ على رأسه . [٣] وروى الطبري أن عبد الله بن خازم قال ذلك القول لأصحابه بخراسان ، قال لهم : « إذا لقيتم الخيل فاطمنوها في مناخرها ، فإنه لن يطمن فرس في منخره إلا أدبر أو رى صاحبه » . ( الطبري ٤٦ : ٧ ) . [٤] الآية الكريمة : « قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى . . . . . »

له: « ليس هذا من قول عبد صالح، إنما هو من قول فرعون »، قال: « من قاله فقد أحسن ».

\*\*\*

وروى الطبري أن عبد الله بن الزبير كان ولي أخاه عبيدة على المدينة، ثم نزع عنها، وكان سبب عزله إياه أنه خطب الناس، فقال لهم: قد رأيتم ما صنع<sup>(١)</sup> بقوم في ناقة قيمتها خمسمائة درهم، فسمى مقوم الناقة، وبلغ ذلك ابن الزبير فقال: إن هذا هو التكلف.

وروى الجاحظ وابن عبد ربه هذا الخبر فقالا: خطب والى اليمامة<sup>(٢)</sup>، فقال: « إن الله لا يُقَارُ<sup>(٣)</sup> عباده على المعاصي، وقد أهلك الله أمة عظيمة في ناقة ما كانت تساوي مائتي درهم »، فسمى مقوم ناقة الله.

\*\*\*

وخطب قبيصة، وهو خليفة أبيه<sup>(٤)</sup> على خراسان، وأتاه كتابه، فقال: « هذا كتاب الأمير، وهو والله أهل لأن أطيعه، وهو أبى وأكبر منى ».

\*\*\*

ودعى مضعب بن حبان ليخطب في نكاح خصر فقال: لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله، فقالت أم الجارية: تجل الله موتك، ألهذا دعوناك؟.

\*\*\*

وخطب أمير المؤمنين الموالى - وهكذا لقبه - خطبة نكاح خصر، فقال: « اللهم إنا نحمدك ونستعينك ولا نُشْرِكُ بك ».

[١] يشير إلى عمود قوم صالح عليه السلام - انظر هامش الجزء الثانى ص ٢٢٣ .

[٢] لعلها للمدينة . [٣] أى لا يقرم .



وخطب قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ عَلَى مَنبَرِ خُرَّاسَانَ ، فَسَقَطَ الْقَضِيبُ مِنْ يَدِهِ ،  
فَنَظَّاهُ لَهُ عَدُوهُ بِالْشَّرِّ ، وَاعْتَمَّ صَدِيقُهُ ، فَصَرَفَ ذَلِكَ قُتَيْبَةً ، فَأَخَذَهُ وَقَالَ :  
« لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ظَنُّ الْمَدُونِ ، وَخَافَ الصَّدِيقُ <sup>(١)</sup> ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :  
فَالْقَتَّ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ <sup>(٢)</sup> »



وَتَكَلَّمَ صَعَصَعَةٌ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ فَمَرَّقَ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : بَهْرَكَ <sup>(٣)</sup> الْقَوْلُ ! فَقَالَ  
صَعَصَعَةٌ : إِنْ الْجِيَادَ نَضَّاحَةٌ بِالْمَاءِ .



وَشَخَّصَ يَزِيدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ هُيَيْرَةَ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَتَكَلَّمَ فَقَالَ هِشَامُ :  
مَا مَاتَ مِنْ خَلْفٍ مِثْلَ هَذَا ! فَقَالَ الْأَبْرَشُ الْكَلْبِيُّ : لَيْسَ هُنَاكَ ، أَمَّا تَرَاهُ يَرْتَشِّعُ  
جَيْدُهُ لِيُضِيقَ صَدْرَهُ ! قَالَ يَزِيدُ : مَا لَذَلِكَ رَشَّعَ ، وَلَكِنْ لَجُلُوسِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .



وَقَالَ عِيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : « نِعْمَ الشَّيْءُ الْإِمَارَةُ ، لَوْلَا قَعْمَةُ الْبَرِيدِ ،  
وَالْتَشْرِفُ لِلخُطْبِ » .



وَقِيلَ لِمَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ : تَحْجِلُ عَلَيْكَ الْمَشِيبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ :  
كَيْفَ لَا يَتَحْجَلُ عَلَيَّ ، وَأَنَا أَعْرِضُ عَقْلِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ؟  
« أَوْ قَالَ : شَيْئِي صَعُودَ الْمَنَابِرِ وَالْخَوْفُ مِنَ اللَّحْنِ » .

(١) القند المفرد ٢ : ١٦٢ - ١٦٣ و ٢٠٦ ، ومير الأخبار م ٢ : ص ٢٤٧ و ٢٥٦ و  
٢٥٩ ، وأمل السبد للرفعي ٤ : ١٩ - ٢٢ ، والأحقاق ١٣ : ٤٧ ، ١٧ : ١١١ ، وتاريخ الطبري  
ج ٧ : ص ٩٠ ج ٨ : ١٨٨ ، والبيان والتبيين ١ : ٧٤ ، ١٦٣ ، ١٨٦ - ٢ : ١٢٢ ، ١٢٦ ،  
١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، والأمال ١ : ١١١ ، وتهذيب الكمال ١ : ١٧ ، وشرح الصيون  
ص ١٢٥ ، ٢٠٥ ، والصنلحين ص ٢١ )

[١] وفي رواية : « كما ساء الصديق ، وسر المدو » . [٢] النوى : النيرة البعيدة .  
[٣] أي غلب .

## بدء الخطب وختامها

قال ابن قتيبة في عيون الأخبار :

تتبع خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدت أوائل أكثرها :  
« الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونؤمن به ، ونتوكل عليه ، ونستغفره وتوب إليه ،  
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ  
له ، ومن يضلّل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له » ،  
ووجدت في بعضها : « أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحكم على طاعته » ،  
ووجدت كلّ خطبة مفتاحها الحمد ، إلا خطبة العيد ، فإن مفتاحها التكبير .  
( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣١ )

وروى ابن عبد ربّه في العقد قال :

وكان آخر كلام أبي بكر الذي إذا تكلم به عُرف أنه قد فرغ من خطبته :  
« اللهم اجعل خير زمانى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم ألقاك » .  
وكان آخر كلام عمر الذي إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته : « اللهم  
لا تدغنى في عمرة ، ولا تأخذنى على غيرة ، ولا تجعلنى من النافلين » .  
وكان عبد الملك بن مروان يقول في آخر خطبته : « اللهم إن ذنوبى قد  
عظمت وجلّت أن تُخفّى ، وهى صغيرة فى جنب عفوك فاعف عني » .

( العقد الفرید ٢ : ١٣٣ ، ١٤٢ )

تم بحمد الله

# جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	صفحة	سطر
ولى	ولى	١٦٧	١١
يقولون	يقولون	١٧٩	٤
البر	البر	١٩١	١٥
الموصل إلى المرغوب	الموصل المرغوب	١٩٣	٥
ولى	ولى	١٩٣	١٣
تتلى	تتلى	٢٠١	١١
الازدراء	الازدراء	٢٠٥	١٨
بضائهما	بضائهما	٢٠٨	١٣
شديد	شديد	٢١١	١١
يضيّف	يضيّف	٢٢٢	١٥
يداً	يداً	٢٣٥	١٣
غفلنا	غفلنا	٢٦٤	٢٠
أذابت	أذبت	٢٧٨	١
الرّدى	الرّدى	٢٨٧	١٠
شربك	شربك	٣١٣	١٤
وتسلّ	وتسلّ	٣١٨	١٠
صاب	أصاب	٣٢٠	٧
كالثرس	كالثرس	٣٣٤	١
التي	لتي	٣٤٠	٦

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣٤١	٢	وتشج	وتشج
٣٤١	٥	الذل	الذل

تم الكتاب بحسن توفيقه وعونه تعالى

وسيتبعه إن شاء الله كتاب

جمهرة رسائل العرب

في عصور العربية الزاهرة

# فهرس ذيل الجمهرة

## الباب الأول

### في خطب الأندلسيين والمغاربة

رقم الصفحة	الخطبة أو الوصية
١٦٦	خطبة عبد الرحمن الناخل يوم حربه مع يوسف الفهري
١٦٧	عبد الرحمن الناخل ورجل من جند قنسرين
١٦٨	عبد الرحمن الناخل ورجل من جنده يهنته بفتح سرقسطة
١٦٨	تأديب عبد الرحمن الأوسط لابنه المنذر
١٧٠	عبد الرحمن الأوسط وابنه المنذر أيضاً
١٧١	يسقوب بن عبد الرحمن الأوسط وأحد خدامه
١٧٢	وفاة الوزير ابن غانم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز
١٧٣	خطبة مننر بن سعيد البلوطي في الاحتفال بقدم رسل ملك الروم
١٧٧	خطبة أخرى له
١٧٨	أحد حساد الرمادي الشاعر وللنصور بن أبي عامر
١٨١	ابن البانة الشاعر وعز الدولة بن المعتصم بن صماح
١٨٣	دفاع ابن الفخار عن القاضي الوحيدى بمحضرة ابن تاشفين
١٨٤	موعظة ابن أبي رندقة الطرطوشي للأفضل بن أمير الجيوش
١٨٥	خطبة ابن تومرت مؤسس دولة اللوحدين
١٨٨	مقال لسان الدين بن الخطيب في الحضر على الجهاد
١٩٠	ما خاطب به لسان الدين تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني
١٩٢	وصية لسان الدين لأولاده



- ٢١٦ وصية موسى بن سعيد العنسى لابنه  
٢٢٦ خطبة ابن الزيات للزوجة الألف  
٢٢٩ » القافى عياض التى ضمنها سور القرآن  
٢٣١ » سعيد بن أحمد للقرى التى ضمنها سور القرآن  
٢٣٤ » الكفعمى التى ضمنها سور القرآن أيضاً

## الباب الثانى

فى خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها

- ٢٣٦ خطبة أبى بكر بن عبد الله بالمدينة  
٢٤١ وصية أعمى من الأزدي لشاب يقوده  
٢٤١ » رجل لآخر وقد أراد سفراً  
٢٤٢ » » لابنه وقد أراد الزواج  
٢٤٢ » بعض العلماء لابنه  
٢٤٢ » لبعض الحكماء  
٢٤٣ » أخرى  
٢٤٣ » »  
٢٤٤ عظة لبعض الحكماء  
٢٤٤ نصيحة » »  
٢٤٤ كلمات شتى لبعض الحكماء  
٢٤٦ رجل من العرب والحجاج  
٢٤٦ أحد الواقدين على عمر بن عبد العزيز  
٢٤٧ كاتب وأمير

٢٤٧	وصف الملبأة
٢٤٩	بعض البلقاء يصف رجلا
٢٤٩	خمس جوار من العرب يصفن خيل آبائهن
٢٥٢	رجل من العرب يصف مطراً

## الباب الثالث

### في نثر الأعراب

٢٥٣	قولهم في الوعظ والتوصية
٢٥٣	مقام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك
٢٥٤	أعرابي يعظ هشام بن عبد الملك
٢٥٤	خطبة أعرابي
٢٥٥	» أخرى
٢٥٦	» »
٢٥٦	أعرابية تومى ابنها وقد أراد السفر
٢٥٧	أعرابية تومى ابنها
٢٥٧	أعرابي يومى ابنه
٢٥٧	» ينصح لابنه
٢٥٨	» » »
٢٥٨	» » لأخيه
٢٥٨	» » لأخاه
٢٥٩	» » صاحبه
٢٥٩	» » أخاه
٢٥٩	» » رجلا

- ٢٦٠ أعرابي يعظ رجلا  
٢٦٠ أعرابي يعظ رجلا  
٢٦٠ كلام أعرابي لابن عمه  
٢٦١ كلمات حكيم للأعراب  
٢٦١ أجوبة الأعراب  
٢٦٧ مجاوبة أعرابي للحجاج  
٢٦٨ مسالة الحجاج أعرابياً فصيحاً  
٢٦٨ مجاوبة أعرابي لعبد الملك بن مروان  
٢٦٩ مجاوبة أعرابي لخالد بن عبد الله القسري  
٢٦٩ أجوبة شتى  
٢٧٢ قولهم في الاستمناح والاستجداء  
٢٧٢ أعرابي يجتدي عتبة بن أبي سفيان  
٢٧٣ أعرابي يجتدي عمر بن عبد العزيز  
٢٧٣ خطبة أعرابي بين يدي هشام بن عبد الملك  
٢٧٣ مقام أعرابي بين يدي هشام  
٢٧٤ أعرابي يستجدي عبيد الله بن زياد  
٢٧٥ أعرابية تستجدي عبد الله بن أبي بكر  
٢٧٦ أعرابي يستجدي خالد بن عبد الله القسري  
٢٧٧ » » معن بن زائدة  
٢٧٧ خطبة الأعرابي السائل في المسجد الحرام

صورة أخرى	٢٧٩
أعرابي يستجدي	٢٨٠
» »	٢٨٠
» »	٢٨١
» »	٢٨١
أعرابية تستجدي	٢٨٢
أعرابي يستجدي	٢٨٢
» »	٢٨٣
» »	٢٨٣
» »	٢٨٣
أعرابية تستجدي	٢٨٤
أعرابي يستجدي	٢٨٤
» »	٢٨٥
» »	٢٨٥
» »	٢٨٥
» »	٢٨٥
» »	٢٨٦
» »	٢٨٦
» »	٢٨٦
» »	٢٨٦
يسأل رجلاً حاجة له	٢٨٦
قولهم في بكاء الموتى	٢٨٦
أعرابية تبكي ابنها	٢٨٧

٢٨٨	حديث امرأة سكنت البادية قريباً من قبور أهلها
٢٩٠	حديث امرأة مات ابنها بين يديها
٢٩٠	قولهم في الشكوى
٢٩٠	أعرابي يشكو حاله
٢٩١	كلمات شتى في الشكوى
٢٩٦	قولهم في العتاب والاعتذار
٢٩٧	قولهم في المدح
٣٠٧	قولهم في الذم
٣١٤	قولهم في الغزل
٣١٩	قولهم في الوصف
٣١٩	أعرابي يصف مطراً
٣٢٠	» » مطراً
٣٢١	» » مطراً
٣٢٢	ثلاثة غلة من الأعراب يصفون مطراً
٣٢٤	أعرابي يصف مطراً
٣٢٥	» » »
٣٢٦	» » »
٣٢٧	» » »
٣٢٨	» » »
٣٢٩	» » »

أعرابي يصف مطراً	٣٢٩
» » »	٣٣٠
» » أرضاً	٣٣٠
رائد يصف أرضاً جذبة	٣٣١
» » »	٣٣٢
» » »	٣٣٢
أعرابي يصف أرضه وما	٣٣٣
» » بلداً	٣٣٤
» » أشد البرد	٣٣٤
» » إبلا	٣٣٤
» » ناقة	٣٣٥
» » خيلاً	٣٣٥
» » »	٣٣٥
» » »	٣٣٥
» » فرساً	٣٣٦
» » خاتماً	٣٣٦
» » أطيب الطعام	٣٣٦
» » السوق	٣٣٧
» » الجبال	٣٣٧
أبو الحش يصف ابنه	٣٣٧
أعرابي يصف بنيه	٣٣٨
أعرابي يصف أخويه	٣٣٩

٣٣٩ قولهم في الدعاء

٣٣٩ دعاء أعرابي

» » ٣٤١

» » ٣٤٢

» » ٣٤٣

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٦

» » ٣٤٧

» » ٣٤٧

» » ٣٤٧

٣٤٨ أدعية شتى

٣٥٢ نواذر وملح لبعض الأعراب

## الباب الرابع في خطب النكاح

- ٣٦٠ خطبة قريش في الجاهلية  
 » النبي صلى الله عليه وسلم في زواج السيدة فاطمة  
 » الامام علي كرم الله وجهه  
 » عتبة بن أبي سفيان  
 » شبيب بن شيبه  
 » الحسن البصري  
 » ابن القثير  
 » عمر بن عبد العزيز  
 » أخرى له  
 » بلال  
 » خالد بن صفوان  
 » أعرابي  
 » للأنون

## الباب الخامس

- ٣٦٦ في خطب من أرتج عليهم ونوادير طريفة لبعض الخطباء  
 ٣٦٧ بده الخطب وختامها











